

المَجِيزُ

فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْعَزِيزِ

تأليف

المفسر للمحدث النحوي الأديب

الشيخ علي بن الحسين بن أبي جعفر الفاضلي

(١٠٢٥ - ١١٢٥ هـ)

حقيقه وراحمه

الشيخ مالك المحمدي

مخبره الباقى

الْمَجِيزُ

فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْعَزِيزِ

مركز تحقيقات كآء بيوتري علم
ش - احوال: ٢٤٦

الوَجَائِزُ

فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْعَزِيزِ

كتابخانه

مركز تحقيقات كآء بيوتري علم

شماره ثبت: ٤٨٩

تاريخ ثبت:

تأليف

المُفَسِّرُ الْمُحَدِّثُ النَّحْوِيُّ الْأَدِيبُ

الشيخ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ أَبِي جَامِعٍ الْعَامِلِي

(١٠٧٠ - ١١٣٥ هـ)

حَقَّقَهُ وَرَاجَعَهُ

الشيخُ مَالِكُ الْمُحَمَّدِي

لِلْمَكْتَبَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



shiabooks.net

رابطہ بديل < mktba.net

الوجيز في تفسير القرآن العزيز/ ج ٢	علي بن الحسين بن جامع العالمي
التحقيق:	الشيخ مالك المحمودي
تنضيد الحروف والإخراج الفني:	دار القرآن الكريم
الطبعة:	الأولى
ليترغرافي:	حميد - قم
المطبعة:	نگين - قم
تاريخ الطبع:	١٤١٧ هـ
عدد النسخ:	١٠٠٠
الناشر:	دار القرآن الكريم

قم المقدسة صندوق البريد : ١٥١

حقوق الطبع محفوظة للناشر

سورة التوبة

[٩]

مائة وثلاثون آية مدنية وقيل : إلا آيتين آخرها .^(١)

وتسمى سورة «براءة» وسورة «العذاب» و«الفاضحة» و«المقشقة» لذكر التوبة فيها ، وافتتاحها ببراءة ، ونزولها بعذاب الكفار وفضيحتهم .

والمقشقة من النفاق أي البراءة منه ، ولها أسماء آخر .^(٢)

وتركت البسملة فيها لأنها أمان ، وبراءة نزلت لرفعه إذ قيل هي آخر ما نزل .^(٣)

[١] - « بَرَاءَةٌ » أي هذه براءة واصله « مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ » الناكثين أي خروج من عهودهم .

[٢] - « فَيَسْخَرُونَ » أيها المشركون أي سبوا آمنين « فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ » أولها يوم النحر وهو يوم تبليغها ، وقيل : شوال لنزولها فيه ،^(٤) أي : فإذا انقضت هذه

(١) نقل هذا القول الطبرسي في تفسير مجمع البيان ١ : ٣ - والبيضاوي في تفسيره ٢ : ٢٧٤ .

(٢) انظر الأسماء الأخرى لهذه السورة في تفسير مجمع البيان ١ : ٣ - وتفسير الكشاف ٢ : ٢٥ - .

(٣) في تفسير مجمع البيان ١ : ٣ - قال قتادة ومجاهد : هي آخر ما نزلت على النبي (ص) في المدينة - .

(٤) قاله ابن عباس والزهرى - كما في تفسير مجمع البيان ٣ : ٣ .

المدة فلان أمان لكم .

روي انها لما نزلت ، بعث بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم «أبا بكر» ليقراها على أهل الموسم بمنى ، فنزل جبرئيل عليه السلام وأمره برده وأخذها منه وقال له : لا يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك ، فأتبعه علياً عليه السلام فأخذها وردده ، ومضى فقرأها عليهم يوم النحر ونادى : أن لا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان .^(١)

وعزل أبي بكر يقتضي عدم صلاحيته لأداء سورة فكيف للإمامة ؟ ودعوى انه ولاء الحج وأردفه بعلي لقرائها - لأن عادة العرب أن لا يتولى العهد ونقضه إلا صاحبه أو رجل منه - ممنوعة ، ولو سلم توليته الحج لم تنف عزله عن السورة الثابت بإجماع المفسرين وأهل السير .

وبعث علي عليه السلام إنما كان بأمر جبرئيل لا جبرياً على عادة العرب وليس الغرض من قراءتها مجرد العهد بل فوائد أخر «وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُفْجَزِي اللَّهِ» غير فائتيه «وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ» مذلهم بالقتل والأسر في الدنيا والنار في الآخرة . [٣] «وَأَذَانٌ» عطف على «براءة» أي وإعلام «مَنْ أَفَّ وَرَسُولُهُ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ» يوم النحر ، لأن الأذان كان فيه ، ولأن فيه معظم أفعال الحج . وقيل : يوم عرفة لأن الوقوف للحج فيه .^(٢)

ووصف الحج بالأكبر لتسمية العمرة حجاً أصغر ، ولإجتماع المسلمين والمشركين في ذلك الحج «أَنَّ» أي بأن «اللَّهُ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ» أي من عهودهم «وَرَسُولُهُ» عطف على المستكن في «بريء» ، ونصبه «يعقوب» عطفاً على الاسم ،^(٣)

سورة الحج

(١) ينظر تفسير البيضاوي ٢ : ٢٧٥ وتفسير مجمع البيان ٣ : ٣ - ٤ .

(٢) قاله عمر وسعيد بن المسيب وعطاء وطاؤوس ومجاهد ، وروي ذلك عن علي عليه السلام ورواه المسور بن مخرمة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم - كما في تفسير مجمع البيان ٣ : ٥ .

(٣) تفسير مجمع البيان ٣ : ٤ .

أوبوا والمعبة . وما سبق إخبار بثبوت البراءة ، وهذا إيجاب للإعلام به ﴿ فَإِنْ تَبَيَّنَ ﴾ من الشرك ﴿ فَهُوَ ﴾ فتوبتكم ﴿ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ ﴾ عن الإيمان ﴿ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ ﴾ غير فائتبه في الدنيا ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ أخبرهم ﴿ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ في الآخرة .

[٤] ﴿ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ استثناء من المشركين ، أو استدراك ، أي ولكن من عاهدتم منهم ﴿ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُواكُمْ شَيْئاً ﴾ من شروط العهد ﴿ وَلَمْ يَظْهَرُوا ﴾ يعاونوا ﴿ عَلَيْكُمْ أَحَداً ﴾ من عدوكم ﴿ فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ ﴾ الى انقضاء مدتهم التي عاهدتم عليها ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ بإتمام العهد .

[٥] - ﴿ فَإِذَا انْسَلَخَ ﴾ انقضى ﴿ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ ﴾ التي هي مدة الأمان للناكثين ، وقبل ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب ^(١) وفيه ما فيه ﴿ فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ ﴾ الناكثين ﴿ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾ من حل وحرم ﴿ وَخُذُواهُمْ ﴾ وأسروهم ﴿ وَاحْصُرُوهُمْ ﴾ وامنعوهم دخول مكة ، أو من الخروج إن تحصنوا ﴿ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ ﴾ طريق يسلكونه . ونصب ظرفاً أو بنزع الجار ﴿ فَإِنْ تَابُوا ﴾ من الشرك ﴿ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ ﴾ أي التزموا فعلهما وقبلوه ﴿ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ﴾ دعوهم ولا تتعرضوا لهم .

ويفيد أن تاركهما لا يخلى ﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ يغفر لهم ويشبههم ان تابوا .
[٦] - ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ المأمور بقتلهم ، رفع بما يفسره ﴿ اسْتَجَارَكَ ﴾ استأمنك ﴿ فَأَجِزْهُ ﴾ فأمنه ﴿ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ﴾ ويتدبره ﴿ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ﴾ موضع أمته ، أي وطنه إن لم يؤمن ﴿ ذَلِكَ ﴾ الأمن ﴿ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ الإيمان ، فأمّنهم حتى يسمعوها فيعلموا :

[٧] - ﴿ كَيْفَ ﴾ انكار أي لا ﴿ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ ﴾ يفون به لهما مع إضمارهم الغدر ، أو يفيان لهم به وهم نقضوه ﴿ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ

الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴿ هُم الْمَسْتَنُونَ قَبْلَ ، وَمَحَلُهُ نَصَبٌ بِالْإِسْتِثْنَاءِ ، أَوْ جَرٍ بِالْبَدَلِ ، أَوْ رَفْعٍ عَلَى الْاِسْتِدْرَاكِ ﴾ ﴿ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ ﴾ عَلَى الْعَهْدِ ﴿ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ ﴾ عَلَى الْوَفَاءِ بِهِ . وَ « مَا » شَرْطِيَّةٌ ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ فسر .^(١)

[٨] - ﴿ كَيْفَ ﴾ يَكُونُ لَهُمْ عَهْدٌ وَحَذْفٌ لِلْعَلَمِ بِهِ . كَرَّرَ انْكَارَ وَفَائِهِم بِالْعَهْدِ ، أَوْ بَقَاءِ حُكْمِهِ مَعَ مَا يَفْهَمُ الْعَلَّةُ ﴿ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ ﴾ يَظْفَرُوا بِكُمْ وَالْوَاوُ لِلْحَالِ ﴿ لَا يَرْجِعُوا ﴾ لَا يَرْعَوُا ﴿ فِيكُمْ إِلَّا ﴾ قَرَابَةً أَوْ حَلْفًا ﴿ وَلَا ذِمَّةً ﴾ عَهْدًا فَلَا يَبْقُونَ عَلَيْكُمْ بِجَهْدِهِمْ ﴿ يُزْضَوْنَكُمْ بِأَقْوَاهِمَ ﴾ يَظْهَرُونَ لَكُمْ الْمَوَالَاةُ بِكَلَامِهِمْ ﴿ وَتَأْتِي قُلُوبُهُمْ ﴾ إِلَّا الْعَدَاوَةُ وَالْعَدْرُ ﴿ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ مَتَمَرِدُونَ ، لَا وَفَاءَ لَهُمْ .

[٩] - ﴿ اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ الْقُرْآنَ أَيْ اسْتَبَدَلُوا بِاتِّبَاعِهِ ﴿ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ عَرْضًا سِيسِرًا ، وَهُوَ اتِّبَاعُ الشَّهَوَاتِ ﴿ فَصَدُّوا ﴾ النَّاسَ ، أَوْ أَعْرَضُوا ﴿ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ دِينِهِ ، وَالْفَاءُ تَوْذِنٌ بِسَبَبِيَّةِ اشْتِرَائِهِمْ لِلصَّدِّ ﴿ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ عَمَلُهُمْ هَذَا ، وَمَا بَيْنَهُ ^(٢) قَوْلُهُ : [١٠] - ﴿ لَا يَرْجِعُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً ﴾ فَلَا تَكَرَّارَ وَالْأَوَّلُ عَامٌ ، وَهَذَا يَخْصُ الْمُشْتَرِينَ وَهُمْ مِنْ جَمْعِهِمْ أَبُو سَفْيَانَ وَأَطْعَمَهُمْ ، أَوِ الْيَهُودَ ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْتَدُونَ ﴾ فِي الطَّغْيَانِ .

[١١] - ﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ ﴾ فَهُمْ إِخْوَانُكُمْ ﴿ فِي الدِّينِ ﴾ كَسَائِرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿ وَتَفْصِلُ الْآيَاتِ ﴾ نَبِيِّهَا ﴿ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ يَتَأَمَّلُونَهَا . [١٢] - ﴿ وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ ﴾ مَوَاقِفَهُمْ ﴿ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ ﴾ عَقْدِهِمْ ﴿ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ ﴾ عَابَوْهُ ﴿ فَقاتِلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ ﴾ وَضَعُوا مَوْضِعَ الْمَضْمَرِ

(١) فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ : ٧٦/٣ .

(٢) كَذَا فِي النُّسخِ . . وَالصَّحِيحُ أَوْ مَا بَيَّنَّهَ بِقَوْلِهِ : . . . إِلَى آخِرِهِ ، أَيْ سَاءَ عَدَمُ مَرَاتِبَتِهِمْ فِي مُؤْمِنٍ الْآوَلَا ذِمَّةً ، فَلَا يَكُونُ تَكَرُّارًا بَلْ يَكُونُ تَفْسِيرًا لِمَا سَاءَ مِنْ عَمَلِهِمْ - يَنْظُرُ تَفْسِيرُ الْبِيضَاوِيِّ ٢ : ٢٧٧ . .

لصيرورتهم بذلك رؤساء .

وقيل : هم رؤساء الكفرة فتخصيصهم لأن قتلهم أهم^(١) . وحقق الهمزتين «عاصم» و«ابن عامر» و«حمزة» و«الكسائي» ولحن القلب ياء^(٢) «إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ» لا يحفظون أيمانهم . وكسره «ابن عامر» وكذا عن الباقر عليه السلام أي : لا أمان أو لا إسلام^(٣) «لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ» أي قاتلوهم قاصدين انتهاءهم عن الشرك .

[١٣] - «أَلَا» للتحضيض «تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكُتُوا أَيْمَانَهُمْ» التي عقدوها معكم فأعانوا بني بكر على حلفائكم خزاعة «وَهُمُؤَا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ» من مكة حين اجتمعوا بدار الندوة .

وقيل : هم اليهود نكثوا عهده صلى الله عليه وآله وسلم وهموا بإخراجه من المدينة^(٤) «وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ» بالقتال يوم بدر ، أو لحلفائكم فما يمنعكم أن تقاتلوهم «أَتَخْشَوْنَهُمْ» فتتركون قتالهم «قَالَهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ» في ترك أمره «إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» فإن المؤمن لا يخشى إلا الله .

[١٤] - «قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ» يقتلهم «بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ» يذلهم بالقهر والأسر «وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ» خزاعة ، أو ناس من اليمن أسلموا بمكة فإذا هم أهلها .

[١٥] - «وَيُذْهِبَ غِظَ قُلُوبِهِمْ» حنقها لما فعل بهم وقد وفى بما وعدهم ، ففيه اعجاز «وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ» ممن يتوب مخلصاً منهم «وَاللَّهُ عَلِيمٌ» بمن يتوب

(١) ذكر هذا القول الطبرسي في جوامع الجامع ٢ : ٤١ والزمخشري في تفسير الكشاف ٢ : ٣٠ .

(٢) حجة القراءات : ٣١٥ .

(٣) نقل البيضاوي هذا المعنى على أساس قراءة ابن عامر ولم ينسبه ، ينظر تفسير البيضاوي ٢ : ٢٧٨ .

(٤) نقله البيضاوي في تفسيره ٢ : ٢٧٨ .

﴿ حَكِيمٌ ﴾ في أحكامه .

[١٦] - ﴿ أَمْ ﴾ بل أ ﴿ حَسِبْتُمْ ﴾ انكار ، خطاب للمؤمنين حين كره بعضهم القتال وقيل للمنافقين ^(١) ﴿ أَنْ تَتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ ﴾ ولم يظهر المجاهدون منكم بإخلاص من غيرهم .

وأريد بنفي العلم نفي المعلوم مبالغة فإنه مهما كان شيء علمه الله ﴿ وَلَمْ يَتَّخِذُوا ﴾ من الصلة ﴿ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ ﴾ بطانة يناجونهم ﴿ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ يعلم ما قصدتم به .

[١٧] - ﴿ مَا كَانَ ﴾ ما صح ﴿ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يُعْبُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ ﴾ شيئاً منها ، أو المسجد الحرام وجمع لأنه قبلة المساجد فكانه الجميع ، ويعضده أن أفرد « ابن كثير » و « أبو عمرو » ^(٢) ﴿ شَاهِدِينَ ﴾ حال من الراو ﴿ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ ﴾ أي يدل قولهم وفعلهم على كفرهم ﴿ أُولَئِكَ حَبِطَتْ ﴾ بطلت ﴿ أَعْمَالُهُمْ ﴾ التي هي من جنس الطاعة لفقد شرطها ﴿ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾ .

[١٨] - ﴿ إِنَّمَا يُعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ ءَامَنَ بِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ ﴾ أي لا يعمرها إلا من جمع هذه الكمالات العلمية والعملية .

وعمارتها : رمها وكنسها وفرشها والإسراج فيها ، وزيارتها وشغلها بالعبادة والذكر ودرس العلم وصونها من أعمال الدنيا ﴿ وَلَمْ يَخْشَ ﴾ في أمر الدين ﴿ إِلَّا اللَّهَ ﴾ فلا يلحظ سواه ﴿ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ الى طريق الجنة أي هم منهم ، لأن « عسى » من الله وجوب ، وفيها ردع للمؤمنين أن يفتروا بحالهم .

[١٩] - ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ أي أهل السقاية أي السقي وأهل العمارة ﴿ كَمَنْ ءَامَنَ بِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ أو جعلتم

(١) تفسير البضاوي : ٢ : ٢٧٨ .

(٢) حجة القراءات : ٣١٦ .

السقاية والعمارة كإيمان من آمن . والإضمار لأنهما مصدران لا يشبهان بالجث .
الآية نزلت حين قال طلحة بن شيبه مفاخراً : أنا صاحب البيت بيدي مفتاحه ،
وقال العباس : أنا صاحب السقاية .

وقال علي عليه السلام : لا أدري ما تقولان ، لقد صليت الى القبلة ستة أشهر قبل
الناس وأنا صاحب الجهاد ﴿ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ تقرير لإنكار التشبيه ﴿ وَاللَّهُ
لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ الكافرين ، يتركهم وما اختاروا من الضلال وهو بيان
لعدم استوائهم .

[٢٠] - ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْثَرُ
دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ ﴾ أعلى رتبة وأكثر فضلاً من غيرهم ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾
الظافرون بالبعية

[٢١] - ﴿ يَتَشَرُّهُمْ ﴾ وخففه « حمزة » ^(١) ﴿ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَاتٍ
لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴾ دائم .

[٢٢] - ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ زماناً لا نهاية له ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾
لا يقاس به غيره .

[٢٣] - ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَأَخَوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ يصدونكم
عن الدين ، قيل : لما امر الناس بالهجرة فمنهم من تعلق به أبواه وأهله وولده فترك
الهجرة لاجلهم فنزلت ^(٢) ﴿ إِنْ اسْتَحْبَبُوا الْكُفْرَ ﴾ اختاروه ﴿ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ
مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ بوضع التولي في غير محله .

[٢٤] - ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَأَخَوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ ﴾

(١) انحراف فضلاء البشر ٢ : ٨٩ .

(٢) تفسير مجمع البيان ٣ : ١٦ .

أَقْرَبَاؤَكُمْ وَفِرًا « أبو بكر ، وعشيرتكم ^(١) » وَأَسْوَالٌ افْتَرَقْتُمُوهَا « اكتسبتموها
وَبِجَارَةٍ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا « عدم نفاقها ^(٢) » وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ
وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ « فَأَثَرَمَوْهُ عَلَى الْهَجْرَةِ وَالْجِهَادِ « فَنَزَّصُوا « فانظروا
« حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ « بعقوبته أو بحكمه ، تهديد لهم « وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الْفَاسِقِينَ « الى ثوابه نسأله العصمة والتوفيق .

[٢٥] - « لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ « مواقف للحرب « كَثِيرَةٍ » .

عن أهل البيت عليهم السلام: انها ثمانون ^(٣) « وَيَوْمَ « عطف على محل «مواطن» أو
بتقدير «واذكر يوم» « حُتَيْنَ » واد بين مكة والطائف، أي يوم حرككم فيه لهوازن وثقيف
وكان في شوال سنة ثمان « إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ « بدل من «يوم» : حتى قال أبو بكر
- وقيل غيره - : «لن تغلب اليوم من قلة» وكانوا اثني عشر ألفاً ممن حضروا فتح مكة ومن
صحبه من طلائعها وهم ألفان والعدو أربعة آلاف ^(٤) « فَلَمْ تُغْنِ « تدفع « عَنْكُمْ «
كثرتكم « شَيْئاً « من السوء « وَضَافَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ « برحبها أي مع
سعتها فلم تظمئنوا الى موضع تفرون إليه لشدة خوفكم « ثُمَّ وَلَّيْتُمْ « العدو ظهوركم
« مُذْبِرِينَ « منهزمين ، تمرؤن بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو ثابت على بغلته
البيضاء في تسعة من بني هاشم ، منهم العباس آخذاً بلجامه ، وعاشرهم أيمن بن أم
أيمن - وقتل يومئذ - وعلي عليه السلام يقاتلهم بالراية بين يديه في نفر قليل .

فنادى العباس المنهزمين بأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فردوا .

[٢٦] - « ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ « بعد الهزيمة « سَكِينَتَهُ « طمأنينته ورحمته « عَلَى رَسُولِهِ

(١) حجة القراءات : ٣١٦ .

(٢) النفاق : الرواج .

(٣) راجع الأخبار في تفسير نور الثقلين ٢ : ١٩٦ .

(٤) جوامع الجامع ٢ : ٤٦ وتفسير الكشاف ٢ : ٣٣ .

وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿ حِينَ رَجَعُوا ، أَوِ الثَّابِتِينَ مِنْهُمْ ﴾ وَأَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا ﴿ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالتَّقَى الْجَمْعَانِ ، قَالَ صلى الله عليه وآله وسلم : الآن حمي الوطيس .^(١)

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبدالمطلب
ثم رماهم كفأً من التراب فانهمزوا ﴿ وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ بالقتل والأسر ﴿ وَذَلِكَ ﴾ التعذيب ﴿ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾ في الدنيا .

[٢٧] - ﴿ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ ﴾ ممن يتوب منهم مخلصاً ﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ يغفر للتائب وينعم عليه .

قيل أتى ناس منهم ، النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأسلموا وسألوه سباياهم وأموالهم، فخيرهم بينهما فاختر السبي فاسترضى المسلمين ، فرضوا فردها عليهم .^(٢)

[٢٨] - ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾ قذر ، مصدر نجس ، ولذا لم يجمع ، وصفوا به مبالغة وحصر أوصافهم فيه بالإضافة الى ضده .

قيل أريد نجاستهم عيناً ،^(٣) وقيل : حكماً^(٤) كشركتهم فإنه بمنزلة النجس ، أو لأنهم لا يتطهرون . واختلف فقهاؤهم في الحكم .

وأجمع أصحابنا على نجاسة الكفرة ممن عدا أهل الكتاب وقد يحتج بالآية عليه ، وفيه منع ارادة النجس الإصطلاحي لمنع ثبوت الحقائق الشرعية ، ولو سلم فهو أخص من مدعاهم الشامل للناصب ، لكن بعد اجماعهم لا حاجة الى الآية .

واشتهر بينهم نجاسة أهل الكتاب للآية وشركهم لقوله تعالى : ﴿ سِبْحَانَهُ عَمَّا

(١) حمى الوطيس : اشتد الحرب .

(٢) تفسير الصافي : ٢ : ٣٢٣ .

(٣) تفسير ابي الفتح ٥ : ١٥٦ .

(٤) في هامش « ب » مايلي : جعل الفخر الرازي الحصر للنجس في المشركين وشئ على ابي حنيفة بأنه عكس حكم الله وقال : لا ينجس الا المسلم لتنجيسه مستعمله في رفع الحدث وتطهيره مستعمل المشرك لبقاء حدثه . فهو وان اخطأ في توجيه الحصر لكنه اصاب في التشنيع .

يشركون ﴿^(١) بعد حكاية قولهم بالولد ، وفيها ما مرّ واخبارنا مختلفه ﴾ فَلَا يَفْرُقُوا
 الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ ﴿ أي فامنعوهم عنه ، والنهي عن القرب للمبالغة أو للامتناع من
 دخول الحرم ﴾ بَعْدَ عَابِهِمْ هَذَا ﴿ عام براءة ، سنة تسع ﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً ﴿ فقراً
 بانقطاع متاجرهم عنكم ﴾ فَسَوْفَ يَغْنِيْكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴿ بوجه آخر ، وقد أغناهم
 بالغيوب والغنائم والجزية وتوفيقه أهل جدة وجرش للإسلام فماروهم ﴾ إِنْ شَاءَ ﴿
 قيد به لقطع الآمال إلا إليه تعالى ﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ ﴿ بالمصالح ﴾ حَكِيمٌ ﴿ في تدبيره .
 [٢٩] - ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ إيماناً صحيحاً فأيمانهم
 كلا إيمان ﴾ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴿ محمد صلى الله عليه وآله وسلم كالخمر
 وغيره ، أو من زعموا اتباعه ، أي : هم يخالفون دينهم المنسوخ ﴾ وَلَا يُدِينُونَ دِينَ
 الْحَقِّ ﴿ الثابت الناسخ لغيره ﴾ مِنْ ﴿ بيانية ﴾ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴿ اليهود
 والنصارى ، والحق بهم المجوس ، وروي ان لهم نبياً قتلوه وكتاباً أحرقوه ﴾ حَتَّى
 يُمْسُوا الْجَزْيَةَ ﴿ ما ضرب عليهم من المال ﴾ عَنْ يَدٍ ﴿ حال من « الجزية » أي نقداً
 مسلمة عن يد الى يد ، أو من الواو ، أي متقادين أو مسلمين بأيديهم لا بنائب ، أو عن
 قهر عليهم ، أي مقهورين . ﴿ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ أذلاء ، بأن تؤخذ من الذمى وتوجأ
 عنقه وقيل يصفع .^(٣)

[٣٠] - ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ ﴾ - أي بعض أسلافهم أو من بالمدينة - : ﴿ عَزَّيْرُ ابْنِ
 اللَّهِ ﴾ إذ أملى عليهم التوراة حفظاً لما أحياء الله بعد مائة عام ، ولم يبق فيهم [بعد
 وقعة^(٤)] « بخت نصر » من يحفظها ، فقالوا تعجباً منه : ما هو إلا ابن الله ، ويدل على

(١) في الآية (٣١) من هذه السورة .

(٢) تفسير نور الثقلين ٢ : ٢٠٢ .

(٣) صفح : ضرب فقاء بجمع كفّه لا شديداً ، وقيل : هو أن يبسط كفّه فيضرب .

(٤) الزيادة من تفسير البيضاوي .

انه قولهم عدم انكارهم له لما سمعوا الآية مع حرصهم على التكذيب .

ونوّنه «عاصم» و«الكسائي»^(١) على انه عربي أو أعجمي صرف للخفة ، ولم ينوّنه الباقون لمنع صرفه للعلمية والعجمة ، أو لإلتقاء الساكنين . و«ابن» خبره «وَقَالَتِ النَّصَارَى» - أي بعضهم - : «الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ» انكاراً لحصول ولد بلا أب «ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ» لا حجة لهم عليه «يُضَاهَوْنَ» يشابهون . وهمزة «عاصم»^(٢) أي : يضاهي قولهم ، «قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا» فحذف المضاف ونابه المضاف إليه «مِنْ قَبْلِ» أي اسلافهم ، أو المشركون الذين قالوا : الملائكة بنات الله «قَاتَلَهُمُ اللَّهُ» أهلككم أو لعنهم «أَنْتَى يُؤْفَكُونَ» كيف يصرفون عن الحق مع قيام الحجة .

[٣١] - «اتَّخَذُوا أَخْبَارَهُمْ» علماء اليهود «وَرَهْبَانَهُمْ» عباد النصارى «أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ» حيث اتبعوهم في تحليل ما حَرَّمَ وتحريم ما أحل «وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ» إذ جعلوه ابنه وعبدوه «وَمَا أُمِرُوا» في كتابهم «إِلَّا لِيَعْبُدُوا» أي بأن يعبدوه «إِلَهًا وَاحِدًا» هو الله تعالى «لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» صفة أخرى ، أو استئناف يقرر التوحيد «سُبْحَانَهُ» تنزيهاً له «عَمَّا يُشْرِكُونَ» عن إشراكهم به .

[٣٢] - «يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ» يبطلوا برهانه أو دينه ، أو القرآن «بِأَفْوَاهِهِمْ» بتكذيبهم «وَيَأْتِيهِ اللَّهُ» ويمتنع «إِلَّا أَنْ يَمْسَ نُورُهُ» بإظهار حججه واعزاز دينه ، وضح تفريع الواجب لتضمنه النفي «وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ» اتمامه .

[٣٣] - «هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ» محمداً صلى الله عليه وآله وسلم «بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ» يعلي دين الحق ، أو رسوله «عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ» اللام للجنس أي على كل الأديان بالحجة والغلبة فينسسخها ، أو على أهلها فيقهرهم .

وعن الباقر عليه السلام : إن ذلك يكون عند خروج المهدي من آل

(١) انحاف فضلاء البشر ٢ : ٨٩ وحجة القراءات : ٣١٦ .

(٢) انحاف فضلاء البشر ٢ : ٩٠ .

محمد صلى الله عليه وآله وسلم ^(١) ﴿ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ ذلك .

[٣٤]- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ﴾ كالرشى في الحكم .

وسمي الأخذ أكلاً لأن معظمه له ﴿ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ دينه ﴿ وَالَّذِينَ يَكْتِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ ﴾ من المسلمين وغيرهم ، إذ الكفار مخاطبون بالفروع ﴿ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ لا يؤدون زكاتها .

قال صلى الله عليه وآله وسلم : ما أدى زكاته فليس بكنز ، ^(٢) أي بكنز أوعد عليه ، والضمير للكنوز أو الأموال أو الفضة ، ويعلم حكم الذهب بالقرينة ، أو الدنانير والدراهم لتبادرهاا منها عراً فيشعر باشتراط السكة في الزكاة كما يراه اصحابنا ﴿ قَبَسَرْنَاهُمْ فَبَدَابَ أَلَيْمٌ ﴾ مولم .

[٣٥]- ﴿ يَوْمَ يُخَمَّى ﴾ يوفد ﴿ عَلَیْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ ﴾ حتى تصير ناراً ﴿ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ﴾ لأنها أصول الجهات الأربع من مقادير البدن ومآخذه وجنبيه ، فيستوعبه الكي ^(٣) ﴿ هَذَا مَا كُنْتُمْ ﴾ بتقدير القول ﴿ لِأَنفُسِكُمْ ﴾ لنفعها صار ضرراً لها ﴿ قَدْ وَقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتَبُونَ ﴾ أي وباله .

[٣٦]- ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ ﴾ المعتبرة للسنة ﴿ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا ﴾ ثابتة ﴿ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ الروح أو حكمه ﴿ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ متعلق بالثبوت المقدر ﴿ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾ محرمة : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب ﴿ ذَلِكَ ﴾ أي تحريمها ﴿ الدِّينِ الْقِيمَ ﴾ القويم ، دين ابراهيم ومنه ورثه العرب ﴿ فَلَا تَطْلُمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ﴾ بالمعاصي ، فإن وزرها فيهن أعظم .

قيل : نسخ تحريم القتال فيها لأن غزاة حنين والطائف في شوال

(١) تفسير مجمع البيان ٣ : ٢٥ .

(٢) تفسير نور الثقلين ٢ : ٢١٣ وفيه . كل مال تؤدى زكاته فليس بكنز .

(٣) الكي : احراق الجلد بحديدة أو نحوها .

وذِي النَعْدَةِ^(١) وَقِيلَ الضَّمِيرُ لِكُلِّ الشُّهُورِ^(٢) ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾ جميعاً، مصدر وقع حالاً ﴿كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ بالنصر والحفظ.

[٣٧] - ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ﴾ مصدر، نسئ أي أخره، أي تأخير حرمة شهر الى آخر.

كانوا إذا هلّ المحرم وهم في حرب أحلوه وحرّموا مكانه صفراً وشذ «ورش» الباء بلا همز،^(٣) وعن الصادق عليه السلام تخفيفها بلا همز^(٤) ﴿زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ إذ تحليل ما حرّم الله وتحريم ما أحل الله كفر ﴿يَضِلُّ^(٥) بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وبناء «حفص» و«حمزة» والكسائي للمفعول^(٦) أي يصلهم به كبارهم ﴿يُحِلُّونَهُ﴾ أي الشهر المنسي ﴿عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ﴾ يتركونه على حرمة ﴿عَامًا لِيُؤَاطِنُوا﴾ ليوافقوا بتحليل شهر وتحريم آخر بدله. ﴿عِدَّةٌ مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ أي الأربعة الحرم ﴿فِيحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ إذ لم يراعوا وقت العدة ﴿زَيْنٌ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ﴾ قبيحها، فحسبوه حسناً والمزين الشيطان ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ لا يُلطف بهم، بل يتركهم وما اختاروا من الضلال.

[٣٨] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّا قُلْنَا﴾

تشاقلتم، ادغمت التاء في الشاء، ودخلت ألف الوصل أي تباطأتم وملتم ﴿إِلَى الْأَرْضِ﴾ والمقام فيها.

نزلت حين أمروا بغزاة تبوك في وقت عسرة وحرّ مع بعد شقة، فشقّ عليهم ﴿أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ودعتها^(٧) بدلاً ﴿مِنَ الْآخِرَةِ﴾ ونعيمها ﴿فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ

(١) تفسير البضاوي ٢: ٢٨٣.

(٢) وهو قول ابن عباس - كما في تفسير القرطبي ٨: ١٣٤.

(٣) تفسير القرطبي ٨: ١٣٦.

(٤) تفسير مجمع البيان ٣: ٢٨.

(٥) في المصحف بقراءة حفص: «يضل» كما سيثير اليه المؤلف.

(٦) حجة القراءات: ٣١٨.

(٧) الدعة: السكينة، الراحة وخفض العيش ينظر مادة «ودع».

الدُّنْيَا ﴿أَي فَوَائِدَهَا﴾ ﴿فِي الْآخِرَةِ﴾ فِي جَنْبِ مَتَاعِ الْآخِرَةِ ﴿إِلَّا قَلِيلٌ﴾ حَقِيرٌ.
 [٣٩] - ﴿إِلَّا﴾ «إِنْ» الشَّرْطِيَّةُ ادْغَمَتْ فِي «لَا» كَالْآتِيَةِ ﴿تَتَفَرَّوْا﴾ إِلَى مَا دَعَيْتُمْ إِلَيْهِ
 ﴿يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴿وَيَسْتَبْدِلُ﴾ بِكُمْ ﴿قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ مُطِيعِينَ
 كَأَهْلِ الْيَمَنِ أَوْ أَبْنَاءَ فَارَسَ ﴿وَلَا تَتَضَرَّوْهُ﴾ أَيِ اللَّهِ ﴿شَيْئًا﴾ بِتَرْكِ نَصْرَةِ دِينِهِ لِعَنَائِهِ عَنْ كُلِّ
 شَيْءٍ، أَوْ لَا تَضَرُّوا الرُّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّ اللَّهَ نَاصِرُهُ ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
 قَدِيرٌ﴾ وَمَنْهُ نَصْرُ دِينِهِ وَرَسُولِهِ بِبَدَلِكُمْ وَبِلَا مَدَدٍ.

[٤٠] - ﴿إِلَّا تَتَضَرَّوْهُ﴾ أَيِ الرُّسُولِ ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أَيِ
 حِينَ الْجَاوِهِ إِلَى الْخُرُوجِ مِنْ مَكَّةَ لَمَّا هَمُّوا بِنَفْيِهِ أَوْ حَبْسِهِ أَوْ قَتْلِهِ ﴿ثَانِي اثْنَيْنِ﴾ حَالِ
 أَيِ مَعَهُ وَاحِدٍ لَا غَيْرَ، وَالْمَعْنَى إِنَّهُ نَصَرَهُ فِي مِثْلِ تِلْكَ الْحَالِ فَلَا يَخْذُلُهُ فِي غَيْرِهَا
 ﴿إِذْ﴾ بَدَلَ مِنْ «إِذْ أَخْرَجَهُ» ﴿هُمَا فِي الْغَارِ﴾ نَقَبَ فِي ثَوْرٍ وَهُوَ جَبَلٌ بِمَكَّةَ ﴿إِذْ﴾ بَدَلَ
 ثَانِي ﴿يَقُولُ لِصَاحِبِهِ﴾ - وَهُوَ أَبُو بَكْرٍ، وَلَا مَدْحَ لَهُ فِيهِ إِذْ قَدْ يَصْحَبُ الْمُؤْمِنَ غَيْرَ
 الْمُؤْمِنِ، ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ﴾^(١) -: ﴿لَا تَخْزَنْ﴾ فَإِنَّهُ خَافَ عَلَى
 نَفْسِهِ وَقَطَعَ وَاضْطَرَبَ حَتَّى كَادَ أَنْ يَدُلَّ عَلَيْهِمَا فَتَهَاوَهُ عَنْ ذَلِكَ ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ عَالَمٌ بَنَّا
 وَبِمَا نَسَرَّ مِنْ يَقِينٍ وَشَكٍّ وَأَمَلٍ وَقَتُّوطٍ ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِلَّا هُوَ
 مَعَهُمْ﴾^(٢) أَيِ عَالَمٍ بِهِمْ، أَوْ حَافِظُنَا وَلَا فَضْلَ لَهُ بِهِ، إِذْ مِنْ شَأْنِهِ تَعَالَى حِفْظَ رَسُولِهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَمِنْ مَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَغَيْرِهِمْ بِالتَّبَعِيَّةِ كَمَا أَنْجَى السَّامِرِيَّ وَاحْزَابَهُ
 تَبَعًا لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.^(٣)

قِيلَ: لَمَّا دَخَلَ الْغَارَ بَعَثَ اللَّهُ حِمَامَتَيْنِ فَبَاضَتَا بِأَسْفَلِهِ وَالْعَنْكَبُوتُ
 نَسَجَتْ عَلَيْهِ فَآتَى الْمُشْرِكُونَ وَرَأَوْا ذَلِكَ فَجَعَلُوا يَتَرَدَّدُونَ حَوْلَهُ وَعَمُوا عَنْ دَخُولِهِ^(٤)

(١) سُورَةُ الْكَهْفِ: ١٨/٣٤.

(٢) سُورَةُ الْمَجَادَلَةِ: ٥٨/٧.

(٣) يَنْظُرُ تَفْسِيرُ الْقَمِيِّ ٢/ ٦٢.

(٤) قَالَهُ الزَّهْرِيُّ - كَمَا فِي تَفْسِيرِ مَجْمَعِ الْبَيَانِ ٣: ٣١ -، وَانْظُرْ تَفْسِيرَ الْيَسَاوِيِّ ٢: ٢٨٤.

﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ﴾ طمأنينته ﴿عَلَيْهِ﴾ على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وافراده بها هنا مع اشتراك المؤمنين معه بها حيث ذكرت^(١) فيه ما لا يخفى . وجعل الهاء لصاحبه ينفيه كونها للرسول قبل وبعد ﴿وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ بالملائكة في الغار أو في حروبه أكان المؤيد الرسول أم صاحبه . والتعليل باستغنائه صلى الله عليه وآله وسلم عنها وحاجة ذاك اليها لخوفه فاسد، إذ لا غنى لأحد عن لطفه تعالى، كيف وقد انزلها عليه وعلى المؤمنين بعد ذلك كيوم حنين وغيره، فهل احتاجها بعد استغنائه ﴿وَجَعَلَ﴾ بنصره لرسوله ﴿كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى﴾ أي الشرك أو دعوته ﴿وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾ أي التوحيد أو دعوة الإسلام ونصب «يعقوب» «كلمة الله»^(٢) والرفع أبلغ ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ في أمره ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه .

[٤١] - ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ نشاطاً وغيره نشاط، أو ركبانا ومشاة أو أغنياء وفقراء أو صحاحاً ومرضى . ونسخ بآية ﴿ليس على الأعمى﴾^(٣) و﴿ليس على الضعفاء﴾^(٤) ﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ بما أمكن منهما ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الخير، علمتم انه خير .

[٤٢] - ﴿لَوْ كَانَ﴾ ما دعوا إليه ﴿عَرَضًا قَرِيْبًا﴾ غنيمة سهلة المأخذ ﴿وَسَفَرًا قَاصِدًا﴾ وسطاً ﴿لَا تَبْكُوا﴾ طمعاً في المال ﴿وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ﴾ المسافة التي يشق قطعها ﴿وَسَيَخْلُقُونَ بِاللَّهِ﴾ - قائلين اعتذاراً - : ﴿لَوْ اسْتَطَعْنَا﴾ الخروج ﴿لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾ ناب جواب القسم، وفيه إعجاز إذ وقع كما أخبر ﴿يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ بالحلف الكاذب، حال من الواو ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ في حلفهم .

(١) اي السكينة - كما ورد في سورة التوبة : ٢٦/٩ وسورة الفتح : ٤٧/٤ و١٨ و٢٦ .

(٢) تفسير مجمع البيان ٣ : ٣١ .

(٣) سورة النور : ٢٤ / ٦١ .

(٤) سورة التوبة : ٩ / ٩١ .

[٤٣] - ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ﴾ كان صلى الله عليه وآله وسلم أذن لجماعة بالتخلف عنه .

وكان الأولى ترك الإذن فعوتب عليه ، وقدم الدعاء له بالعفو تطميناً لقلبه وتوقيراً له ﴿لَمْ أَذْنَبْ لَهُمْ﴾ في التخلف وهماً تركتهم ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ في عذرهم ﴿وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾ فيه ، قيل : لم يكن يعرف المنافقين يومئذ .

[٤٤] - ﴿لَا يَسْتَأْذِنُ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ بإخلاص ﴿أَنْ﴾ في أن ﴿يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ أو في التخلف عن أن يجاهدوا ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ ما ينافي بالإخلاص .

[٤٥] - ﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ﴾ في التخلف ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ وارتابت قلوبهم ﴿شَكَتْ﴾ في ربيهم يترددون ﴿يتحiron﴾ .

[٤٦] - ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ﴾ معك ﴿لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾ أهبته من سلاح وزاد ﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ﴾ خروجهم لعلهم بما يكون فيه من الفساد ﴿فَتَبْطِغُهُمْ﴾ فكسلهم عنه لذلك ﴿وَقِيلَ أَفَعُدُّوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ المرضى والنساء والصبيان ، أي ألقى الله في قلوبهم ذلك ، أو أمرهم الشيطان به بوسوسته ، أو حكاية قول بعضهم لبعض .

[٤٧] - ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ﴾ شيئاً ﴿إِلَّا خَبَالًا﴾ فساداً وشرّاً ، بيان لعله الكراهة والتشبيط ، ﴿وَلَا وَضَمُّوا خِلَالَكُمْ﴾ أسرعوا بإبلاهم في الدخول بينكم بالنميمة والتخذييل من أوضعت^(١) الناقة أي أسرعت ﴿يَتَفَوَّنُكُمْ﴾ حال يطلبون لكم ﴿الْفِتْنَةَ﴾ بتخويفكم ، وإلقاء العداوة بينكم ﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ أي قابلون لقولهم أو عيون ينقلون حديثكم إليهم ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ وما أضمرنا لكم .

[٤٨] - ﴿لَقَدْ ابْتِغَوْا الْفِتْنَةَ﴾ توهين أمرك وتخذييل أصحابك ﴿مِنْ قَبْلِ﴾ أي يوم أحد حين انصرف «ابن أبي» بأصحابه عنك ﴿وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ﴾ إحالة للرأي في كيدك ، وإبطال أمرك ﴿حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ﴾ نصر الله ﴿وَوَظَّهَرَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ على دينه

(١) في النسخ : وضعت .

﴿وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ ذلك .

[٤٩] - ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي﴾ في التخلف، قاله جَدِّ بن قيس
﴿وَلَا تَقْنِيَّ﴾ توقعني في الفتنة أي الإثم بمخالفتك، بأن لا تأذن لي، أو الفتنة
بنساء الروم .

قال إني مولع بالنساء وأخاف أن افتر بينات الأصفر^(١) ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾
بتخلفهم وخلافهم ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ لاختلاص لهم منها .

[٥٠] - ﴿إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ﴾ فتح وغنيمة ﴿تُسَوِّهُمُ﴾ لحسدكم ﴿وَإِنْ تُصِيبَكَ
مُصِيبَةٌ﴾ نكبة ﴿يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا﴾ حذرنا بتخلفنا ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ قبل المصيبة
﴿وَيَقُولُوا﴾ عنك أو عن ناصيتهم ﴿وَهُمْ فَرَحُونَ﴾ بما أصابك .

[٥١] - ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ في اللوح من رخاء أو شدة أو في
القرآن من نصر أو شهادة ﴿هُوَ مَوْلَانَا﴾ متولي أمرنا وناصرنا . ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
الْمُؤْمِنُونَ﴾ لا على غيره .

[٥٢] - ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ﴾ - أصله بتائين، حذف إحداهما - تنتظرون ﴿بِنَا إِلَّا
إِخْدَى﴾ العاقبتين ﴿الْحُسَيْنَيْنِ﴾ النصر أو الشهادة، تشبيه حسنى، مؤنث أحسن
﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾ من السماء فيهلككم ﴿أَوْ
يَأْخُذَنَا﴾ بأن يأمرنا بقتلكم ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ عاقبتنا ﴿إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبَّصُونَ﴾ عاقبتكم .

[٥٣] - ﴿قُلْ﴾ - جواباً لقول «جد» : اتركني وأعينك بمالي :- ﴿أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ
كَرْهًا﴾ أمر بمعناه الخبر أي ﴿لَنْ يُقْبَلَ مِنْكُمْ﴾ نفقاتكم ولن تثابوا عليها، انفقتم
طائعين أو مكرهين . ﴿إِنْكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ علة لنفي القبول، يقررهما :

[٥٤] - ﴿وَمَا مِنْهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ﴾ مفعول ثاني وقرأ «حمزة»
و«الكسائي» بالياء^(٢) ﴿إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ فاعل ﴿وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ

كُسَالَى ﴿مَتَّاعُونَ﴾ متناقلون ﴿وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ إذ لا يرجون بهما نفعاً ولا يخشون بتركهما ضرراً.

[٥٥] - ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ﴾ لأنها استدراج لهم ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾ لام العاقبة، أو بمعنى «ان» ﴿بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بمشقة جمعها وحفظها والمصائب فيها ﴿وَتَزْنَقْ أَنْفُسُهُمْ﴾ تخرج ﴿وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ حال لا تعلق له بالإرادة كه «أريد أن أضربه وهو عاص».

[٥٦] - ﴿وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ﴾ أي مؤمنون ﴿وَمَا هُمْ مِنْكُمْ﴾ لكفرهم باطناً ﴿وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾ يخافون القتل والأسر، فيظهرون الإيمان.

[٥٧] - ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً﴾ حرزاً يلجئون إليه ﴿أَوْ مَفَارِجَ﴾ غيراناً ﴿أَوْ مَدْخَلًا﴾ سرياً يدخلونه ﴿لَوَلَّوْا﴾ عنكم ﴿إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَعُونَ﴾ يسرعون، لا يردهم شيء كالفرس الجموح.

[٥٨] - ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ﴾ يعيبك ﴿فِي الصَّدَقَاتِ﴾ في قسمها ﴿فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رِضْوَانًا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْتَعْطُونَ﴾ «إذا» للمفاجأة، نابت فاء الجزاء، نزلت في «أبي الجوط»^(١) المنافق، عاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قسمه الصدقات بأنه لا يعدل، وقيل في غيره^(٢) عابه في قسمه غنائم حنين.

وقال الصادق عليه السلام: أهل هذه الآية أكثر من ثلثي الناس.^(٣)

[٥٩] - ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ من الصدقة أو الغنيمة ﴿وَقَالُوا

(١) في «ب» و«ج»: الخوط وفي «ط» الخواط، والصحيح ما أثبتناه - كما في تفسير الكشاف ٤٥: ٢ وتفسير البيضاوي ٢: ٢٨٧ -.

(٢) وهو ذوالخويرة التميمي: حرقوص بن زهير - كما في تفسير القرطبي ١٦٦: ٨ - وانظر تفسير نور الثقلين ٢: ٢٢٧.

(٣) تفسير نور الثقلين ٢: ٢٢٨ - وتفسير مجمع البيان ٣: ٤١ -.

حَسْبُ اللَّهِ ﴿كَافِينَا﴾ سَيُؤْتِنَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴿صَدَقَةٌ أَوْ غَنِيمَةٌ أُخْرَى﴾ ﴿وَرَسُولُهُ﴾ فيوفر حظنا ﴿إِنَّا إِلَى اللَّهِ وَاعْبُونَ﴾ أن يغنيننا، وجواب «لو» مقدار أي «لكن خيراً لهم» ثم قطع طمعه ببيان مصرف الصدقات بقوله:

[٦٠] - ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾ أي الزكوات للمذكورين لا غير.

واللام لبيان المصرف فلا يجب البسط على الأصناف، وعليه الأصحاب واكثر العامة.

وقيل للملك فيجب البسط عليهم وعليه الشافعي (١).

واختلف في ان الفقراء والمساكين واحد أو صنفان، وفي [ان] (٢) ايهما أسوأ،

ولا حاجة هنا الى تحقيقه إذ المعتبر العجز عن قوت السنة له ولواجبي النفقة، وهما يشتركان فيه. ﴿وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا﴾ السعاة في جمعها ﴿وَالْمَوْلَةَ قُلُوبُهُمْ﴾ من الكفار ليسلموا أو ليزبوا عن المسلمين، أو قوم أسلموا يعطون لتقوى نياتهم، أو ليرغب نظراؤهم في الإسلام ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾ في فكها بإعانة المكاتبين منها وابتياح الممالك وعتقهم، إذا كانوا في شدة، أو عدم المستحق وقيل: مطلقاً (٣) وهو ظاهر الآية.

وعدل عن «اللام» الى «في» إيذاناً بأن الصرف في الجهة لا إلى الرقاب

﴿وَالْغَارِمِينَ﴾ المديونين في غير معصية، أو تابوا وليس لهم وفاء، أو في إصلاح

ذات البين ولو أغنياء ﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الجهاد وجميع المصالح ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾

المتقطع في السفر ولو غنياً في بلده ﴿فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ﴾ أي فرضها لهم فريضة ﴿وَاللَّهُ

عَلِيمٌ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ في تدبيره.

[٦١] - ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ﴾ باغتيابه ونمّ حديثه ﴿وَيَقُولُونَ﴾ - لمن ينهام

منهم عن ذلك لثلا يبلغه - : ﴿هُوَ أَذُنٌ﴾ يسمع كل قول ويقبله، فإذا قلنا له صدقنا.

(١) في تفسير الكشاف ٢: ٤٥، وعند الشافعي لأبد من صرفها الى الاصناف الثمانية.

(٢) زيادة اقتضاها السياق.

(٣) وقد وردت به رواية ذكرها صاحب تفسير الصافي ٢: ٣٥٢ عن الصادق عليه السلام.

سمي بالجارحة مبالغة كالعين للريثة، أو من أذن^(١) أذنًا: إستمع. ﴿قُلْ أَذُنٌ خَيْرٌ﴾ مستمع خير ﴿لَكُمْ﴾ لاستمع شر ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ يصدق به لدلائله ﴿وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ يصدقهم لخلوصهم. واللام زائدة للفرق بين إيمان الإذعان وغيره ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ وهو رحمة.

وجزها حمزة عطفًا على «خير»^(٢) ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ﴾ ظاهرًا إذ يقنع بذلك، ولا يكشف سرهم رفقًا بكم لاجهلاً بحالكم. ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ﴾ ويشمل من يؤذي أهل بيته عليه السلام بشهادة الأخبار:

«يا علي من أذى منك شعرة فقد آذاني» الحديث.^(٣)
«فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني»^(٤) وغيره^(٥) ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ النار ويحتمل القتل.

[٦٢] - ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ﴾ أيها المؤمنون أنهم لم يقولوا ما بلغكم عنهم ﴿لِيُرْسُوَكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْسَوْهُ﴾ بالطاعة. وأفرد الضمير لتلازم الرضائين،

(١) الرية: الجاسوس.

(٢) حجة القراءات: ٣٢٠ وتفسير مجمع البيان ٣: ٤٣.

(٣) رواه الطبرسي في تفسير مجمع البيان ٤: ٣٧٠ وروى عنه الشيخ جعفر بن أحمد القمي في كتابه «المسلسلات» بسبعة أسانيد: الأحاديث ١٠٥-١٠٠ بألفاظ مختلفة.
وقال: قلنا لزيد بن علي عليه السلام من يعني؟ قال: يعني ولد فاطمة عليها السلام لاندخلوا بيتنا فتكفروا.

(٤) وأما حديث فاطمة بضعة مني فقد رواه الكثير من المحدثين فمن رواه من العامة أحمد بن حنبل في مسنده ٤: ٥٠٣ و٣٢٦ و٣٢٨ و٣٣٢ وفي الفضائل برقم ١٣٢٠ و١٣٢٩ و١٣٣٠ و١٣٣٣ و١٣٣٤ و١٣٤٧ والبخاري ٧: ٨٥ و٣٢٧ ومسلم ٤: ٩٠٣ وإبراهيم ٢: ٢٢٥ و٢٢٦ والترمذي ٥: ١٩٨ والحاكم في المستدرک ٣: ١٥٤ و١٥٨ والهيثم في مجمع الزوائد ٩: ٢٣ و٢٠٣ والمحب في ذخائر العقبى ١: ٣٨ وغيرهم.

(٥) في هامش «الف» في هذا الموضع مايلي: وعيد لمؤذي الرسول وعترته عليهم السلام.

أو على تقدير خبر أحدهما كالمدكور ﴿إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ حقاً.

[٦٣] - ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ﴾ أي الشأن ﴿مَنْ يُحَادِدِ﴾ يشاقق ﴿اللَّهِ وَرَسُولَهُ فَأَنْ﴾

فحق أن ﴿لَهُ نَارُ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾ الهوان الفظيع.

[٦٤] - ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ﴾ يخافون، وقيل: بمعنى الأمر^(١) ﴿أَنْ تَنْزَلَ عَلَيْهِمْ﴾

على المؤمنين ﴿سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من الشرك ففضحهم، وقيل أظهروا الحذر فيما بينهم استهزاء^(٢) ﴿قُلْ اسْتَهِزُّوْا﴾ تهديد ﴿إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ﴾ مظهر ﴿مَا تَحْذَرُونَ﴾ اظهارة من نفاقكم.

[٦٥] - ﴿وَلَيَنْ﴾ اللام موطئة للقسم ﴿سَأَلْتُهُمْ﴾ عن استهزائهم بك وبالقرآن

﴿لَيَقُولَنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ قيل: كانوا يقولون في مسيرهم الى تبوك: «يزعم محمد أنه يفتح مدائن الروم ما أبعد ذلك» فأخبره الله تعالى فدعاهم وقال: قلتم كذا وكذا، قالوا: «إنما كنا نخوض ونلعب في الحديث لنقطع به الطريق ولم نك في شأنك»^(٣) ﴿قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾.

[٦٦] - ﴿لَا تَعْتَذِرُوا﴾ بالمعاذير الكاذبة ﴿فَقَدْ كَفَرْتُمْ﴾ أظهرتم كفركم بما فعلتموه

﴿بَعَدَ إِيمَانِكُمْ﴾ بعد إظهاركم الإيمان ﴿إِنْ نَعَفَ﴾ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ لتوبتهم وإخلاصهم ﴿نُعَذِّبُ﴾ طائفةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ مصرين على نفاقهم، وقرأ «عاصم» بالنون فيهما،^(٤) والبناء للفاعل، ونصب «طائفة» والباقون، الأول بالياء،

(١) وهو قول الزجاج - كما في تفسير القرطبي ٨: ١٩٥ معناه: ليحذره.

(٢) معناه في تفسير نور الثقلين ٢: ٣٣٧ الحديث ٢٢١.

(٣) نقله الطبرسي في تفسير مجمع البيان ٣: ٤٦ والبيضاوي في تفسيره ٢: ٢٨٩.

(٤) في «الف» و«ب»: يعف.

(٥) في «الف» و«ب»: تعذب.

(٦) حجة القراءات: ٣٢٠ - وعليه المصحف الشريف و«ج» و«ط» -.

والثاني بالتاء وبنائهما للمفعول ورفعهما .^(١)

[٦٧] - «الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ» في الدين أي النفاق «يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ» الشرك والمعصية «وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ» الإيمان والطاعة «وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ» عن الإنفاق في الخير «نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ» تركوا طاعته فتركهم من لطفه «إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ» المتمردون في الكفر.

[٦٨] - «وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا» حال مقدرة «هِيَ حَسْبُهُمْ» عقوبة «وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ» أبعدهم عن رحمته «وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ» دائم .

[٦٩] - «كَالَّذِينَ» أي أنتم أيها المنافقون مثل الذين «مِن قَبْلِكُمْ» وفيه التفات «كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً» بطشاً ومنعة «وَأَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلَاداً فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَائِقِهِمْ» بنصيبهم من شهوات الدنيا الفانية وآثروها على نعم الآخرة الباقية «فَاسْتَمْتَعْتُمْ» أنتم أيضاً «بِخَلَائِقِكُمْ» وآثرتم الحقيق الفاني على الجليل الباقي «كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ بِخَلَائِقِهِمْ وَخُضْتُمْ» في الباطل «كَالَّذِي» كالذين «خَاضُوا» أو كخوضهم «أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ» فلا يشابون عليها «فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ» للدارين .

[٧٠] - «أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ» خبر «الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمُ نُوحٍ» أهلكوا بالغرق «وَعَادٍ» قوم هود بالريح «وَشُعُوبٍ» قوم صالح بالرجفة «وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ» بسلب النعم ، ونمرود ببعوض «وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ» قوم شعيب بعذاب يوم الظلة^(٢) «وَالْمُؤْتَفِكَاتِ» قرى قوم لوط ، انتفكت بهم أي انقلبت «أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ» بالمعجزات الواضحة فكذبوهم فأهلكوا «فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ» ياهلاكهم «وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ

(١) كما أشرنا إليه في الهامش (٤) و(٥) من الصفحة السابقة .

(٢) ينظر الآية ١٨٩ من سورة الشعراء .

يَظْلِمُونَ ﴿١﴾ إِذْ عَرَضُوا لِلْهَلَكَ بِكَفَرِهِمْ .

[٧١] - ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ ذَكَرُوا فِي مَقَابِلَةِ أَضْدَادِهِمُ الْمُنَافِقِينَ ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾ السِّين تَوْكَدُ الْوُقُوعَ ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لَا يَمْنَعُ عَمَّا يُرِيدُ ﴿حَكِيمٌ﴾ يَضَعُ كُلَّ شَيْءٍ مَوْضِعَهُ .

[٧٢] - ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً﴾ يَطِيبُ فِيهَا الْعَيْشُ ، قُصُورٌ مِنْ لُؤْلُؤٍ وَبَاقُوتٍ وَزَبْرُجَدٍ ﴿فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾ إِقَامَةٌ وَخُلْدٌ .

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم : «عَدْنٌ دَارُ اللَّهِ الَّتِي لَمْ تَرَهَا عَيْنٌ وَلَمْ تَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ لَا يَسْكُنُهَا غَيْرُ ثَلَاثَةٍ : النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشَّهَدَاءَ ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : طَوَّبَى لِمَنْ دَخَلَكَ» ^(١) ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أَيُّ رِضَا عَنْهُمْ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ لِأَنَّهُ الْمَوْصِلُ إِلَيْهِ ﴿ذَلِكَ﴾ الْمَذْكُورُ ﴿هُوَ الْقَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ عَنْ أَنَّ يَدَانِهِ نَعِيمُ الدُّنْيَا .

[٧٣] - ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ﴾ بِالسِّيفِ ﴿وَالْمُنَافِقِينَ﴾ بِالْوَعْظِ وَالْحُجَّةِ ﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ ﴿وَمَا أَوَاهُمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ الْمَرْجِعُ هِيَ .

[٧٤] - ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا﴾ قِيلَ : قَالَ : جَلَّاسُ بْنُ سُوَيْدٍ : إِنْ كَانَ مَا يَقُولُ مُحَمَّدٌ فِي إِخْوَانِ الْمُتَخَلِّفِينَ حَقًّا فَتَحَنَّنْ شَرًّا مِنَ الْحَمِيرِ ، فَبَلَغَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَأَحْضَرَهُ فَحَلَفَ بِاللَّهِ مَا قَالَهُ ، فَتَزَلَّتْ ، فَتَابَ . ^(٢)

وقيل في جماعة شتموه صلى الله عليه وآله وسلم وحلفوا ما قالوا ^(٣) ﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ أَظْهَرُوا الْكُفْرَ بَعْدَ إِظْهَارِ الْإِسْلَامِ ﴿وَهُمْ أَوْفَى بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾

(١) تفسير مجمع البيان ٣ : ٥٠ .

(٢) عن الكلبي ومحمد بن إسحاق ومجاهد - كما في تفسير مجمع البيان - ٣ : ٥١ .

(٣) عن الضمحاك - كما في تفسير مجمع البيان - ٣ : ٥١ .

من قتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليلة العتبة في عودته من تبوك، وهم اثنا عشر، فأخبره الله بذلك، فأمر حذيفة فضرب وجوه رواحلهم فردوا.

أو إخراجهم من المدينة ﴿وَمَا نَقَمُوا﴾ وما انكروا ﴿إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ بالفنائم بعد فقرهم وحاجتهم أي لم يصبهم منه إلا هذا وليس مما ينقم ﴿فَإِنْ يَتُوبُوا﴾ عن النفاق ويخلصوا ﴿يَكُ﴾ أي التوب ﴿خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا﴾ عن الخير ﴿يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا﴾ بالقتل ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ بالنار ﴿وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ يمنعهم منه ﴿وَلَا نَصِيرٌ﴾ يدفعه عنهم.

[٧٥] — ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لِنُفْلِهِمْ لِنَصَّدَّقَنَّ﴾ لتصدقن ﴿وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ قيل سأل ثعلبة بن حاطب النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يدعوا الله أن يرزقه، فتوقف عنه فعاوده، وحلف أن يعطي كل ذي حق حقه، فدعا له فاتخذ غنماً، فتمت فضاقت بها المدينة، فتنحى عنها، وانقطع عن الجماعة والجماعة وامتنع أن يعطي الزكاة للمصدق، وقال: ما هذه إلا جزية فنزلت. ^(١)

[٧٦] — ﴿فَلَمَّا عَاتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ﴾ منعوا حق الله منه ﴿وَتَوَلَّوْا﴾ عن إعطائه ﴿وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ عن الدين.

[٧٧] — ﴿فَأَعْقَبَهُمْ﴾ فأورثهم بخلهم، أو تركهم وما اختاروا فأورثهم فعلهم ﴿نِفَاقًا﴾ نابتاً ﴿فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾ أي جزاء بخلهم، أو الله وهو يوم القيامة ﴿بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ بسبب إخلافهم الوعد وكذبهم.

[٧٨] — ﴿أَلَمْ يَغْلُمُوا﴾ أي المنافقون ﴿أَنَّ اللَّهَ يَغْلُمُ سِرَّهُمْ﴾ ما يضمرون في أنفسهم ﴿وَتَجَوَّاهُمْ﴾ ما يتناجون به بينهم ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ ما غاب عن خلقه.

[٧٩] — ﴿الَّذِينَ﴾ بدل من الضمير في «سِرهم»، أو ذم مرفوع، أو منصوب

(١) تفسير مجمع البيان ٣: ٥٣ وتفسير البيضاوي ٢: ٢٩١ - وتفسير الكشاف ٢: ٥٠.

﴿يَلْمُزُونَ﴾ يعيرون ﴿الْمُطَّوِّعِينَ﴾ المتطوعين ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ طاقتهم فيتصدقون به .

فيل لما نزلت آية الصدقة أتى رجل النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمائة وسق تمر، فقالوا: إنما أعطى رياء.

وأتي آخر بصاع تمر، فقالوا: إن الله غني عن صاعه^(١) ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾ يستهزئون بهم ﴿سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ جازاهم على سخريتهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ .

[٨٠] - ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ أي الامران سواء في عدم نفعهم ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ أريد بالسبعين المبالغة في الكثرة، لا خصوصية العدد، وقد شاع استعمالها في ذلك .

وعنه (ص): «لو أعلم أنني لو زدت على السبعين غفر (لهم) لزدت» .^(٢)

وحديث «لأزيد على السبعين»^(٣) ممنوع،^(٤) ولو سلم جاز أن يكون بشرط التوبة فأخبر بأنهم لن يتوبوا ولن يغفر الله لهم بآية: ﴿سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم﴾^(٥) ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ لا يُلطف بهم لإصرارهم على كفرهم .

[٨١] - ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ﴾ عن تبوك ﴿بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ بقعودهم خلفه أي بعده ﴿وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ إثارة للراحة على طاعة الله ﴿وَقَالُوا﴾ للمؤمنين تثبيطاً^(٦)، أو قال بعضهم لبعض: ﴿لَا تَنْفِرُوا﴾

(١) نقله المؤلف بالمعنى، ومعناه في تفسير مجمع البيان ٣: ٥٤ وتفسير الكشاف ٢: ٥٠ .

(٢) ينظر تفسير مجمع البيان ٣/ ٥٥ .

(٣) ينظر تفسير البضاوي ٢: ٢٩٢ وتفسير الكشاف ٢: ٥١ .

(٤) وقال الطبري في تفسير مجمع البيان ٣/ ٥٥ في وجه المنع «فإنه خبر واحد لا يعول عليه ولا يتضمن أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يستغفر لكفار وذلك غير جائز بالاجماع .

(٦) التثبيط: الحبس

(٥) سورة المنافقون: ٦/ ١٣ .

فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ﴿١﴾ من الغزو، فهي أولى بالإحتراز عنها ﴿لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ أنهم يصلونها بتخلفهم ما تخلفوا.

[٨٢] - ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا﴾ في الدنيا ﴿وَلْيَتَكَبَّرُوا كَثِيرًا﴾ في الآخرة. إخبار عن حالهم بصيغة الأمر ليؤذن بتخلفهم ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

[٨٣] - ﴿فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ﴾ ردك من تبوك ﴿إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ﴾ ممن تخلف في المدينة من المنافقين ﴿فَاسْتَأْذِنُوا لِلْخُرُوجِ﴾ معلن إلى غزاة أخرى ﴿فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا﴾ إخبار معناه النهي معلل بقوله: ﴿إِنْكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي في غزاة تبوك. وسكن «أبو بكر» و«حمزة» و«الكسائي» «ياء» «معي» أبدًا^(١) وفتح «حفص» ياء «معي» «عدوًّا»^(٢) «فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ» المتخلفين لعذر كالنساء والصبيان، أو المخالفين.

[٨٤] - ﴿وَلَا تُضَلَّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا﴾ قيل: ذهب صلى الله عليه وآله وسلم ليصلي على «ابن أبي» حين مات، فنزلت، وقيل صلى عليه فنزلت^(٣) ﴿وَلَا تُقَمَّ عَلَى قَبْرِهِ﴾ لدفن أو دعاء ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ علة للنهي.

[٨٥] - ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ فسرت^(٤) وكررت تأكيداً أو في فريق آخر.

[٨٦] - ﴿وَإِذَا أَنْزَلْتُ سُورَةً﴾ من القرآن ﴿أَنْ﴾ أي بأن ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ﴾ ذووا الغنى ﴿وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْفَاعِلِينَ﴾ المتخلفين لعذر.

[٨٧] - ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ النساء، جمع خالفة أي المتخلفة،

(٢٥) النشر في القراءات العشر ٢: ٢٨١.

(٣) تفسير البضاوي ٢: ٢٩٣ وفيه: ثم نزلت.

(٤) في الآية (٥٥) من هذه السورة.

أو السلفة ﴿وَوُطِّعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ تقدم تفسيره^(١) ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ ما هو خير لهم .
[٨٨] - ﴿لَكِنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ
الْخَيْرَاتُ﴾ حسنات الدارين من الغنائم والثواب ، أو الحور ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾
الظافرون بالبيعة .

[٨٩] - ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ
الْعَظِيمُ﴾ لدوامه بالإجلال والإكرام .

[٩٠] - ﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ المقصرون ، من عذر أي قصر ، معتذراً
ولا عذر له ، أو المعتذرون ، أدغمت التاء في الذال ونقلت فتححتها الى العين .
قيل : هم من لهم عذر ، وهم نفر من بنى غفار^(٢) ﴿لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾ بالقعود لعذر
باطل أو حق ﴿وَوَقَّعَ﴾ لا لعذر ، أو لعذر باطل ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ بإدعاء
الإيمان أو بعدهم ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ القتل والنار .

[٩١] - ﴿لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ﴾ كالشيخ ﴿وَلَا عَلَى الْمَرْضَى﴾ كالزمنى^(٣)
﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ﴾ اثم في التخلف ﴿إِذَا نَصَحُوا اللَّهَ
وَرَسُولَهُ﴾ في حال قعودهم بالطاعة وما فيه صلاح الدين ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ بذلك
أو الأعم منه ﴿مِنْ سَبِيلٍ﴾ طريق بالعقوبة ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم .
[٩٢] - ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾ على مراكب للغزو معك .

(١) يريد تفسير الطبع على القلب وقد تقدم تفسيره في سورة النساء : ٥٥ / ٤ وسورة
الاعراف : ١٠٠ / ٧ .

(٢) قاله ابن عباس - كما في تفسير مجمع البيان ٣ : ٥٩ .

(٣) الزمنى : جمع الزمن ، وهو : من لزمته الزمانة ، وهي : العادة أو عدم بعض الأعضاء ، والأطباء
يخصونها بالشلل .

وقيل: على الخفاف والنعال،^(١) وهم سبعة من الأنصار أو من قبائل شتى^(٢) ﴿قُلْتُ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ حال بتقدير «قد» ﴿تَوَلَّوْا﴾ انصرفوا جواب «إذا» ﴿وَأَغْنَيْتُهُمْ تَفِيضٌ﴾ تسيل ﴿مِنَ الدَّمْعِ﴾ نصب محلاً تمييزاً، أو «من» بانية ﴿حَزَنًا﴾ مفعول له، أو حال، أو مصدر ﴿أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ في الجهاد.

[٩٣] - ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ﴾ بالعقوبة ﴿عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ﴾ بالمال ﴿رَضَوْا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فسر.^(٣)

[٩٤] - ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ﴾ في التخلف ﴿إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ من «تبوك» ﴿قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا﴾ بالكذب ﴿لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ﴾ لن نصدقكم إذ ﴿قَدْ بَيَّأْنَا اللَّهُ﴾ أعلمنا ﴿مِنَ أَنْبَارِكُمْ﴾ بعضها وهو ما اضمرت من النفاق ﴿وَسَبَّرَ اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولَهُ﴾ هل تتوبون، أو تُصرون على كفركم ﴿ثُمَّ تُرْذَوْنَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ أي إلى الله ﴿فَيَسْجُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بالجزاء عليه.

[٩٥] - ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ رجعت من «تبوك» انهم تخلفوا لعذر ﴿لِيَتَرْضَوْا عَنْهُمْ﴾ فلا توبخوهم ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾ قدر، خبيثو الباطن لا ينفع فيهم التوبخ ﴿وَمَا أَوَاهُمْ جَزَاءُ﴾ مصدر، أو علة ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

[٩٦] - ﴿يَخْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ﴾ بالحلف ﴿فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ أي رضاكم لا ينفعهم مع سخط الله، والمراد النهي عن الرضا عنهم.

(١) في «ب»: البغال - قلت: المراد بالنعال هي المخصوفة - كما في تفسير القرطبي ٢٢٨: ٨ ونفسير البياضوي ٢: ٢٩٤.

(٢) نقل معناه القرطبي في الجامع ٢٢٨: ٨.

(٣) في سورة النساء: ٤/٥٥ وسورة الاعراف: ٧/١٠٠.

[٩٧] - ﴿الْأَعْرَابُ﴾ أهل البدو ﴿أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾ من أهل المدن، لغلظ طباعهم، وبعدهم عن سماع القرآن ومخالطة أهل العلم ﴿وَأَجْدَرُ﴾ وأحق بأن ﴿أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾ من الفرائض والسنن ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بأحوال خلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ في حكمه فيهم.

[٩٨] - ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ﴾ يعذ ﴿مَا يُنْفِقُ﴾ في سبيل الله ﴿مَغْرَمًا﴾ غمراً وخسراناً إذ لا يرجو ثواباً بل ينفقه خوفاً ورياء، وهم «اسد» و«غطفان» و﴿يَتَرَبَّصُّ﴾ ينتظر ﴿بِكُمْ الدَّوَاتِرُ﴾ صروف الزمان وانقلابه عليكم ليخلصوا منكم ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ﴾ منقلبة «السوء» - بالفتح -: الرداء، مصدر، وضمه «ابن كثير» و«أبو عمرو»^(١) وهو المكروه أي ينقلب عليهم البلاء والضرر لا عليكم ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لمقالهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بأحوالهم.

[٩٩] - ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ قيل: هم «جهينة» و«مزينة» و﴿يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ﴾ سبب تقرب ﴿عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ﴾ وسبب دعائه له، إذ من سنته الدعاء للمتصدقين ولو بلفظ الصلاة. ومنعها على غيره إلا منه - لأنها منصبه، فله التفضل به على غيره كما صلى على آل أبي أوفى^(٢) مخالف للكتاب والسنة بإعتراف المانع^(٣)، وحمله عليه سد باب الصلاة على آل مفتردين صلوات الله عليهم، وهو محض نصيب وعداوة لهم عليهم السلام، كما يشهد به تركهم الصلاة عليهم بتبعيته صلى الله عليه وآله مع نقلهم عنه حين سئل: «كيف نصلي عليك؟» أنه قال:

(١) حجة القراءات: ٣٢١.

(٢) كما ورد في تفسير البيضاوي ٢: ٢٩٥ قوله (ص): اللهم صل على آل أبي أوفى.

(٣) أي من يمنع الصلاة على غير النبي - كما عن بعض العامة - هذا وسيأتي في ذيل تفسير الآية (١٠٣) من هذه السورة تأييداً يذكره المصنف لجواز الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

قولوا: اللهم صل على محمد وآل محمد... إلى آخره^(١) ﴿أَلَا إِنَّهَا﴾ إبي نفقتهم ﴿قُرْبَةً لَهُمْ﴾ عند الله. وضم «ورش» الراء^(٢) ﴿سَيَذَّخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ جنته. وعد محقق بالسبب ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لمن اطاعه ﴿رَحِيمٌ﴾ به.

[١٠٠] - ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ أهل «بدر» أو من صلوا قبلتين، أو من أسلموا قبل الهجرة ﴿وَالْأَنْصَارُ﴾ أهل بيعة العقبة الأولى ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾ في العقائد والأعمال إلى يوم القيامة ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بطاعته ﴿وَوَرَّضُوا عَنْهُ﴾ بثوابه ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ وقرأ «ابن كثير» «من تحتها»^(٣) ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

[١٠١] - ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمُ﴾ حول مدينتكم ﴿مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ﴾ «غفار» و«أسلم» وغيرهم ﴿وَمِنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ﴾ منافقون أيضاً ﴿مَرَدُوا﴾ مرنوا وثبتوا ﴿عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ﴾ بأعيانهم ﴿نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَعَدْبُهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾ بالفضيحة. أو القتل وعذاب القبر ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ النار.

[١٠٢] - ﴿وَأَخْرَجُوا﴾ مبتدأ، صفته ﴿اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ﴾ بتخلفهم. وخبره ﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا﴾ اعترافهم بالذنب أو غيره ﴿وَأَخْرَجُوا﴾ تخلفهم.

نزلت في «أبي لبابة» وجماعة^(٤) تخلفوا، فلما سمعوا ما نزل في المتخلفين شذوا أنفسهم في سوازي المسجد، وحلفوا أن لا يحلهم إلا النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وحلف هو أن لا يحلهم حتى يؤمر فيهم، فلما نزل: ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ حلهم ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لمن تاب ﴿رَحِيمٌ﴾ به.

(١) رواه العامة في كتبهم تعليم النبي صلى الله عليه وآله وسلم كيفية الصلاة عليه بهذا اللفظ أو بما يقرب منه. - ومن روى ذلك أحمد بن حنبل في مسنده ١٦٢: ١ و١٩٩ و٤٣٧ و٤٣٩ و٤٤٠: ٢ و٤٤٠: ٤ و١١٨: ١ و١١٩ و٢٤١ و٢٤٣ و٢٧٣ و٢٧٤ و٣٥٣ و٤٢٤ وغيرها.

(٢) حجة القراءات: ٣٢٢.

(٤) انظر تفصيل امرهم في تفسير مجمع البيان ٣: ٦٧.

[١٠٣] - ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ قيل لما حلّهم قالوا يا رسول الله : «خذ أموالنا التي خلّفتنا فنصدق بها فطهرنا، فقال ما أمرت بأخذ شيء من أموالكم» فنزلت، فأخذ الزكاة المشروعة^(١) ﴿تَطَهَّرُكُمْ﴾ هي أو أنت من ذنوبهم. صفة «صدقة» ﴿وَتَزَكِّيَهُمْ﴾ تنمي حسناتهم ﴿بِهَا وَصَلَّ عَلَيْهِمْ﴾ وأدع لهم، وجوباً أو ندباً، وكذا الإمام. ويستحب للساعي والفقير ولو بصيغة الصلاة.

وهذا نص في جواز الصلاة على غيره صلى الله عليه وآله وسلم منفرداً بل في رجحانها ﴿إِنْ صَلَوَتُكَ﴾^(٢) وأفردها «حفص» و«حمزة» و«الكسائي»^(٣) ﴿سَكَنَ لَهُمْ﴾ رحمة أو طمأنينة بقبول التوبة ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لدعائك ﴿عَلِيمٌ﴾ بخلقه.

[١٠٤] - ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا﴾ تقرير وحث على التوبة والصدقة ﴿أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ ضَمَّنَ معنى التجاوز فعدي به «عن» ﴿وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾ يقبلها ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ﴾ يقبل توبة التائبين ﴿الرَّحِيمُ﴾ بهم.

[١٠٥] - ﴿وَقُلْ اْعْمَلُوا﴾ ما شئتم ﴿فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾ من خير وشر، لا يخفى عليه ﴿وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ أئمة الهدى عليهم السلام.

إذ ورد عنهم : ان أعمال الأمة تعرض عليهم،^(٤) ﴿وَسَرُّدُونَ﴾ بالبعث ﴿إِلَى عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بالمجازاة عليه.

[١٠٦] - ﴿وَأَخْرُونَ﴾ من المتخلفين ﴿مَرْجُونَ﴾^(٥) ولم يهمزه «نافع»

(١) عن الجبائي واكثر المفسرين - كما في تفسير مجمع البيان ٣ : ٦٨ -.

(٢) في المصحف الشريف بقراءة حفص : «صلواتك» - كما يشير اليه المؤلف -.

(٣) حجة القراءات : ٣٢٢.

(٤) انظر تفصيل الروايات الواردة في هذا المعنى في تفسير الصافي ٢ : ٣٧٣ وتفسير البرهان

١٥٧ : ١٦٠.

(٥) في المصحف الشريف بقراءة حفص : «مرجون».

و«الكسائي» و«حفص»، ^(١) مؤخرون وموقوفون «لِأَمْرِ اللَّهِ» فيهم «إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ» والترديد باعتبار عدم علم العباد بحالهم «وَاللَّهُ عَلِيمٌ» بحالهم «حَكِيمٌ» فيما يفعل بهم، وهم «مرار بن الربيع» و«هلال بن أمية» و«كعب بن مالك» تخلفوا كسلاً لانفاقاً، ولم يعتذروا بالكذب، فأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم الناس بهجرهم، فبقوا خمسين ليلة حتى نزلت توبتهم.

[١٠٧] - «وَالَّذِينَ» مبتدأ حذف خبره أي: ومن المنافقين الذين، وكذا على قراءة «نافع» و«ابن عامر» بلا «واو» ^(٢) «اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا» مضارة لأهل مسجد «قبا» بني عمرو بن عوف، إذ بنوه وسألوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يأتيهم، فأناهم فصلى فيه، فحسداهم منافقو بني «غنم بن عوف» وبنوا مسجداً وسألوه صلى الله عليه وآله وسلم أن يصلي فيه، وكان متجهزاً إلى «تبوك» فقال: أنا على جناح سفر ولو قدمنا صلينا فيه إن شاء الله، فلما رجع نزلت. «وَكُفِّرُوا» لأنهم بنوه معقلاً ^(٣) «لأبي عامر الراهب» إذا قدم وكان ذهب ليأتي بجنود «قيصر» لحرب النبي صلى الله عليه وآله وسلم «وَتَفَرِّقَا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ» بأن يصلي بعضهم في مسجدهم، فتختلف كلمتهم «وَارْضَادًا» ترقباً «لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ» قبل بنائه وهو أبو عامر الراهب «وَلِيُخْلِفَنَّ إِنْ أَرَدْنَا» بينائه «إِلَّا» الخصلة «الْحُسْنَى» من الصلوات ^(٤) «والتوسعة على الضعفاء» «وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ» في حلفهم.

[١٠٨] - «لَا تَقُمْ» لا تصل «فِيهِ أَبَدًا» فبعث صلى الله عليه وآله وسلم نفرأ أحرقوه وهدموه، وصار محلاً للجيف «لَمَسْجِدٍ أُسَسَ» بني أصله «عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ

(١) حجة القراءات: ٣٢٣.

(٢) حجة القراءات: ٣٢٤.

(٣) المعقل: المدجأ والقلعة.

(٤) وفي «الف» و«ب»: الصلاة، ويؤيده ما في تفسير البيضاوي ٢: ٢٩٧: وهي الصلاة والذكر والتوسعة على المصلين.

يَوْمَ ﴿بَنِي حِينَ قَدِمْتَ دَارَ الْهَجْرَةِ وَهُوَ مَسْجِدُ «قُبَا».

وقيل: مسجده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ^(١) ﴿أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾ أَوْلَى بِأَنْ تَصْلِيَ فِيهِ ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا﴾ بِالماءِ عَنِ الْغَائِطِ وَالْبَوْلِ، أَوْ مِنَ الذُّنُوبِ وَهُمْ الْأَنْصَارُ ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ أَصْلُهُ بِنَاءٌ أُدْغِمَتْ بِالطَّاءِ.

قِيلَ لَمَّا نَزَلَتْ أَنَّهُمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي مَسْجِدِ «قُبَا» فَقَالَ: مَاذَا تَفْعَلُونَ فِي طَهْرِكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَحْسَنَ الثَّنَاءَ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا: نَغْسِلُ أَثَرِ الْغَائِطِ بِالماءِ. ^(٢) وَفِي رَوَايَةٍ أُخْرَى: نَتْبَعُ الْغَائِطَ بِالأَحْجَارِ، ثُمَّ نَتْبَعُ الأَحْجَارَ المَاءِ، فَتَلَا: «رِجَالٌ يُحِبُّونَ» الآية. ^(٣)

[١٠٩] — ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُيُوتَهُ﴾ وَبَنَاهُ «نَافِعٌ» وَابْنُ عَامِرٍ «لِلْمَفْعُولِ فِي الْمَوْضِعِينَ» ^(٤) ﴿عَلَى تَقْوَى﴾ خَوْفٍ ﴿مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ﴾ وَطَلَبِ رِضَاهِ «خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُيُوتَهُ عَلَى شِقَا» شَفِيرٍ «جُرْفٍ» جَانِبٍ وَهُوَ مَا يَجْرِفُهُ السَّيْلُ أَيْ يَقْلَعُ أَصْلَهُ، وَسَكَنَهُ «ابْنُ عَامِرٍ» وَحِمَزَةٌ وَأَبُو بَكْرٍ ^(٥) «هَارٍ» مُتَدَاعٍ إِلَى السَّقُوطِ، مَقْلُوبٌ هَائِرٌ «فَإِنْهَارٍ بِهِ» سَقَطَ بَيْنَانُهُ «فِي فَارِ جَهَنَّمَ» تَمَثِيلٌ لِبِنَاءِ الدِّينِ عَلَى ضِدِّ التَّقْوَى فِي عَدَمِ الثَّبَاتِ، مَرْشَحٌ بِسَقُوطِهِ بِالبَّانِي فِي النَّارِ، وَهُوَ مِثْلُ لِمَسْجِدِ الضَّرَارِ، وَالْأَوَّلُ مِثْلُ لِمَسْجِدِ «قُبَا» ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ بِاخْتِيَارِ الْكُفْرِ أَيْ يَتْرَكُهُمْ وَمَا اخْتَارُوا. [١١٠] — ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمْ﴾ مَبْنِيهِمْ «الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً» شَكًّا «فِي قُلُوبِهِمْ»

(١) قَالَهُ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَابْنُ عُمَرَ وَابِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ وَرَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَمَا فِي تَفْسِيرِ مَجْمَعِ الْبَيَانِ ٣: ٧٣.

(٢) تَفْسِيرِ مَجْمَعِ الْبَيَانِ ٣: ٧٣.

(٣) تَفْسِيرِ الْبَيْضَاوِيِّ ٢: ٢٩٧.

(٤) حِجَّةُ الْقُرَاءَاتِ: ٣٢٣.

(٥) حِجَّةُ الْقُرَاءَاتِ: ٣٢٤.

لازديادهم نفاقاً بينائه وبهدمه ﴿إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾ تنقطع بأن يموتوا، وفتح التاء «ابن عامر» و«حمزة» و«حفص»^(١) ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بضائهم ﴿حَكِيمٌ﴾ في حكمه فيهم.

[١١١] - ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾ أي جازاهم على بذلها ﴿بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ استئناف يبين ما لأجله الشرى. وقدم «حمزة» و«الكسائي» المبني للمفعول،^(٢) أي فيقتل بعضهم ويقاتل باقيهم ﴿وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ مصدران حذف فعلهما ﴿فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾ أي لا أحد أوفى منه ﴿فَأَسْتَبْشِرُوا بِنِعْمِكُمُ الَّذِي بَاتِعْتُمْ بِهِ﴾ التفات ﴿وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ بالنعيم الباقي.

[١١٢] - ﴿التَّائِبُونَ﴾ خبر محذوف للمدح، أو مبتدأ خبره ما بعده أي التائبون عن الكفر، هم الجامعون لهذه الصفات ﴿الْعَابِدُونَ﴾ الله مخلصين ﴿الْحَامِدُونَ﴾ له على كل حال ﴿السَّائِحُونَ﴾ الصائمون.

وعنه صلى الله عليه وآله: سياحة أمتي الصوم^(٣) ﴿الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ﴾ أي: المصلون ﴿الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ بالإيمان والطاعة ﴿وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ الشرك والمعصية، وعطف فيه إيداناً بأنهما كخصلة واحدة، وفي: ﴿وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ﴾ يامثال أوامره ونواهيه تنبيهاً^(٤) على آتة مجمل ما فصل ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وضع موضع «وبشرهم» تنبيهاً على أن إيمانهم دعاهم الى ذلك، وحذف

(١) النشر في القراءات العشر ٢: ٢٨١.

(٢) حجة القراءات: ٣٢٥.

(٣) تفسير البضاوي ٢: ٢٩٨ وفي تفسير مجمع البيان ٣: ٧٦، سياحة أمتي الصيام.

(٤) كذا في النسخ والصحيح: تنبيه.

المبشر به تعظيماً. ^(١)

[١١٣] - ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ﴾ ذوي قرابة ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ النار، بأن ماتوا على الشرك.

روى أن المسلمين قالوا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: ألا تستغفر لأبائنا: الذين ماتوا (على الشرك) ^(٢) في الجاهلية، فنزلت. ^(٣) وكونها في استغفاره لعمه أبي طالب أو لأمه يدفعه البرهان العقلي والنقلي. ^(٤)

(١) في «ط»: للتعظيم.

(٢) ما بين القوسين زيادة في «ط».

(٣) تفسير مجمع البيان ٣: ٧٦.

(٤) وقد دافع الغباري على التراث: عن أبي طالب دفاعاً عن الحق والحقيقة في كتب مفصلة، والادلة على إيمانه كثيرة:

منها ما روي عنه من الشعر في مناسبات مختلفة، وقد جمعت في ديوان كبير طبع ضمن كتاب نصوص الدراسة في الحوزة العلمية.

ومنها: حب النبي (ص) له ودعاؤه له وبكاؤه عليه عند سماعه نبأ وفاته، وأمره علياً بتفسيه وتشيعه، واستغفاره له، ومن أراد التوسع في معرفة حال أبي طالب فليراجع الكتب التالية:

- أبو طالب حامي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وناصره للعلامة نجم الدين العسكري ط / .
النجف ١٣٨٠.

- أسنى المطالب في نجاة أبي طالب للعلامة زين الدين دحلان شيخ العلماء بمكة ط / طهران ١٣٨٢.

- أيمان أبي طالب للشيخ المفيد المتوفى سنة ٤٣١ هـ.

- أبو طالب مؤمن قريش للعلامة الخنيزي.

- الحجة على الذاهب للعلامة السيد فخار بن معد الموسوي.

- شيخ الإبطح للعلامة السيد محمد علي شرف الدين.

درر السمط في خبر السبط تحقيق السيد محمد جواد جلالی.

سيد البطحاء للشيخ محمود البغدادي.

[١١٤] - ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ﴾ أي عمه أو جده لأنه «آزر» ﴿إِلَّا عَنْ مُوعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ﴾ بقوله: «لأستغفرن لك»^(١) بأن توفق للإيمان، أو وعدها إبراهيم أبوه وهي وعده بالإيمان «فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ﴾ بالروحى انه لن يؤمن، أو بموته مشركاً «تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ ولم يستغفره ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ﴾ كثير الدعاء والبكاء، أو رحيم بعباد الله «حَلِيمٌ﴾ صبور على الأذى.

[١١٥] - ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا﴾ يحكم بضلالهم «بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ﴾ وفقهم للإسلام «حَتَّى يَبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ﴾ من العمل فلا يتقوه، فيحكم بضلالهم.

قبل هذا في قوم مضوا على الأمر الاول في القبلة وغيرها ولم يسمعوا النسخ^(٢) ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فيعلم حالهم.

[١١٦] - ﴿إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ حافظ «وَلَا تَصِيرُ﴾ مانع.

[١١٧] - ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ افتتح به صلى الله عليه وآله وسلم لأنه سبب توبتهم.

وقرأ الرضا عليه السلام: لقد تاب الله بالنبي على المهاجرين والأنصار^(٣) ﴿الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةٍ﴾ في وقت «الْعُسْرَةِ﴾ وهي حالهم في غزوة «تبوك» كان العشرة منهم تعتقب بغيراً واحداً، والرجلان يقتسمان ثمرة، وعطشوا في حر شديد حتى شربوا الفرث «مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ﴾ أي الشأن أو القوم «تَزْنَعُ﴾ وقرأ «حمزة» و«حفص» بالياء،^(٤) إذ تأنيث الجمع غير حقيقي أي تميل «قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ﴾ إلى الانصراف

(١) سورة الممتحنة: ٤/٦٠.

(٢) قاله الكلبي - كما في تفسير مجمع البيان ٣: ٧٧ و٧٨.

(٣) تفسير الصافي ٢: ٣٨٣ وتفسير مجمع البيان ٣: ٨٠.

(٤) حجة الفراءات: ٣٢٥.

عنه لشدة ما هم فيه ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ بشفاعتهم ﴿إِنَّهُمْ رَوْفٌ رَحِيمٌ﴾ قدّم الأبلغ إذ الرأفة شدة الرحمة للفاصلة .^(١)

[١١٨] - ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ﴾ وتاب على الثلاثة : «مرار بن الربيع و«هلال بن أمية و«كعب بن مالك» ﴿الَّذِينَ خَلَفُوا﴾ عن الغزو، أو عن التوبة عليهم وهم المرجنون .
وقرأ أهل البيت عليهم السلام : «خالفوا»^(٢) ﴿حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ أي برحبها لهجر الناس لهم ، مثل لحيرتهم ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمُ أَنْفُسُهُمْ﴾ قلوبهم غماً ووحشة ﴿وَوَظَنُوا﴾ أيقنوا ﴿أَنَّهُ﴾ المخففة ﴿لَا تَلْجَأُ مِنَ اللَّهِ﴾ من عقابه ﴿إِلَّا إِلَيْهِ﴾ إلا التوبة ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ وفقهم للتوبة ﴿لِيَتُوبُوا﴾ أو قبل توبتهم ليشبوا على التوبة ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ﴾ كثير القبول للتوبة ﴿الرَّحِيمُ﴾ بعباده .

[١١٩] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ في معاصيه ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ في الإيمان والقول والعمل .

وعن ابن عباس : «مع عليّ عليه السلام وأصحابه» .^(٣)

وعن الباقر عليه السلام : مع آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم .^(٤)

[١٢٠] - ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ﴾ إذا غزا . نفي معناه النهي ﴿وَلَا يَرْغَبُوا﴾ منصوب أو مجزوم ﴿بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ﴾ بأن يطلبوا لها الدعة وهو يكابد^(٥) المشاق ﴿ذَلِكَ﴾ أي النهي عن التخلف ﴿بِأَنْفُسِهِمْ﴾ بسبب أنهم ﴿لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ﴾ عطش ﴿وَلَا نَصَبٌ﴾ تعب ﴿وَلَا مَخْمَصَةٌ﴾ جوع ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْنُونَ مَوْطِئًا﴾ لا يدوسون موضعاً ﴿يَغِيظُ﴾ يغضب وطؤه ﴿الْكَفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيلاً﴾ قتلاً أو قهراً ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾ يستحقون عليه

(١) أي للفصل بالجار والمجرور بين أن واسمها من جهة وخبرها من جهة أخرى .

(٢) تفسير مجمع البيان ٣ : ٧٨ . (٣) تفسير مجمع البيان ٣ : ٨١ .

(٥) الدعة : الراحة . . . والمكابدة : تحمّل المشاق .

الثواب ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي أجبرهم . وفيه حث على الجهاد وأعمال الخير .

[١٢١] - ﴿وَلَا يُنْفِقُونَ﴾ في سبيل الله ﴿نَفَقَةً صَغِيرَةً﴾ قليلة ﴿وَلَا كَبِيرَةً﴾ كثيرة ﴿وَلَا يَقْطَعُونَ وَاذِيًا﴾ بسيرهم ﴿إِلَّا كَيْبَ﴾ أثبت ذلك ﴿لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ﴾ به ﴿أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ جزاء ، أحسنه .

[١٢٢] - ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً﴾ ما جاز لهم أن ينفروا جميعاً للغزو . كانوا يتفرون جميعاً مع السرايا ويتركون التفقه ، وذلك لما سمعوا ما نزل في المتخلفين ، فنزلت ﴿فَلَوْلَا﴾ فهلا ﴿نَقَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ﴾ قبيلة ﴿مِنْهُمْ طَائِفَةٌ﴾ جماعة وبقيت جماعة ﴿لِيَتَفَقَّهُوْا﴾ أي الباقون ﴿فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا﴾ بما تعلموه ﴿قَوْمَهُمُ﴾ النافرين ﴿إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾ من الغزو ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ ما ينذرونه .

وقيل واو «يتفقهوا» و«ينذروا» للنافرين ، والمعنى ليس عليهم أن ينفروا جميعاً الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم لتعلم الدين ، بل ينفر من كل جماعة طائفة فتعلم وترجع فتعلم قومها ما تعلمته .^(١) ويفيد حجية خبر الواحد .

[١٢٣] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾ أي الأقرب منهم فالأقرب داراً أو نسباً . وقيل هم «قريظة» و«النضير» و«خير» ، وقيل الروم في الشام لقربها من المدينة^(٢) ﴿وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غُلَظَةً﴾ شدة أي اغلظوا عليهم ﴿وَءَاغَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ بعونه ونصره .

[١٢٤] - ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ﴾ فمن المنافقين ﴿مَنْ يَقُولُ﴾ - لباقيهم استهزاء: ﴿أَيُّكُمْ رَادُّهُ هَذِهِ﴾ السورة ﴿إِيمَانًا﴾ تصديقاً ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَرَادَتْهُمْ﴾

(١) قاله الجبائي - كما في تفسير مجمع البيان ٣: ٨٤ .

(٢) قاله ابن عمر - كما في تفسير مجمع البيان ٣: ٨٤ .

إِيمَانًا﴾ بانضمام تصديقهم بها الى إيمانهم ﴿وَهُمْ يَسْتَبِشِرُونَ﴾ فرحاً بها .

[١٢٥] - ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ شك ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾

كفرأً بها ضمّوه الى كفرهم ﴿وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ ورسخوا في الكفر حتّى ماتوا عليه .

[١٢٦] - ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ﴾ أي المنافقون، وقرأ «حمزة» بالناء ﴿أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ﴾ يبتلون

﴿فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾ بالشدائد أو الغزوات مع النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم فعابونا آيات نصره ﴿ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ﴾ من نفاقهم ﴿وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ يتعظون .

[١٢٧] - ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ﴾ فيها ذكرهم ﴿نَظَرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ تغامزاً

يريدون الهرب، يقولون - إشارة - : ﴿هَلْ يَرِيكُمْ مِنْ أَحَدٍ﴾ ان قعتم فإن لم يرههم أحد قاموا ﴿ثُمَّ انْصَرَفُوا﴾ عن المجلس خوف الفضيحة ﴿صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ عن رحمته .
خبر أو دعاء ﴿يَا أَيُّهَا الْقَوْمُ لَا تَفْقَهُونَ﴾ بسبب عدم تدبرهم .

[١٢٨] - ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ منكم عربي من ولد اسماعيل

﴿عَزِيزٌ﴾ شديد ﴿عَلَيْهِ مَا عَزَمْتُمْ﴾ عتكم أي مشقتكم ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ أن تؤمنوا ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ .

[١٢٩] - ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن الإيمان بك ﴿فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ كافي ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ به وثقت لا بغيره ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ الملك ﴿الْعَظِيمِ﴾ أو الجسم الأعظم المحيط .

قيل : هاتان الآيتان آخر ما نزل .^(١)

سورة يونس

[١٠]

مائة وتسع آيات مكية إلا ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ﴾ الثلاث، أو ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يؤمن﴾ الآية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] - ﴿الرَّ﴾ فتحها «ابن كثير» و«قالون» و«حفص»، ^(١) وأمالها الباقون ﴿تَلَكَّ﴾

أي هذه الآيات المنزلة ﴿ءَايَاتُ الْكِتَابِ﴾ القرآن ﴿الْحَكِيمِ﴾ المحكم أو الجامع للمحكم.

[٢] - ﴿أَكَانَ﴾ إنكار ﴿لِلنَّاسِ﴾ أهل مكة حال ^(٢) من ﴿عَجَبًا﴾ خبر «كان»،

(١) في تفسير البياضوي ٢: ٣ فحَمَّها «ابن كثير» و«نافع» برواية «قالون» و«حفص»، وقرأ «ورش» بين اللفظين، و أمالها الباقون اجراء لآلف الراء مجرى المنقلبة من الياء. وفي روح المعاني ١١: ٥٣ بتخميم الراء المفتوحة وهو الأصل، و أمال ابو عمرو وبعض القراء اجراء لآلف الراء مجرى الآلف المنقلبة عن الياء، فإنهم يميلونها تنبيهاً على اصلها. وفي الامالة هنا دفع توهم ان «ر» حرف لـ «ما» ولا «فقد صرحوا ان الحروف يمتنع فيها الامالة وقرأ «ورش» بين بين.

(٢) الظاهر ان الصحيح: واللام حال من «عجبا» - كما يظهر من عبارة الآلوسي في تفسيره روح المعاني ١١: ٥٤ وفيه واللام متعلقة بمحذوف وقع حالاً من «عجبا» . . . وفي تفسير مجمع البيان ٣: ٨٨، واللام في قوله: «لِلنَّاسِ» يتعلّق بمحذوف كان صفة لعجب، فلما تقدّم صار حالاً. وفي تفسير الجلالين ١: ١٧١: أي اهل مكة، استفهام انكار.

واسمها ﴿أَنْ أَوْحَيْنَا﴾ أي اوحاؤنا ﴿إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ﴾ محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

قيل : قالوا : إن الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس إلا يتيم أبي طالب .

وقيل تعجبوا من إرساله بشراً ﴿أَنْ﴾ مفسرة أو مخففة ﴿أَنْذِرِ النَّاسَ﴾ خوفهم بالعذاب ﴿وَيُبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ﴾ بأن ﴿لَهُمْ قَدَمٌ﴾ سابقة ﴿صِدْقٍ﴾ أي منزلة رفيعة بما قدموا ، أو شفاعاة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا﴾ القرآن المتضمن ذلك ﴿لَسِحْرٌ مُبِينٌ﴾ بين ، وقرأ «الكوفيون» و«ابن كثير» «لساحر» .^(١) والإشارة الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

[٣] - ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ في قدرها ولم يخلقهن دفعة مع قدرته على ذلك ليحكم ، منها إثبات الاختيار ، وتعليم خلقه الثبوت . ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ فسر في «الأعراف» .^(٢) ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ يقدره وينفذه على مقتضى حكمته ﴿مَا مِنْ شَيْعٍ﴾ يشفع لأحد عنده ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ ردّ لزعمهم أن أصنامهم تشفع لهم ﴿ذَلِكُمْ﴾ الموصوف بهذه الصفات ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ لا إله ولا رب لكم غيره ﴿فَاعْبُدُوهُ﴾ وحده ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ تتفكرون وتتعظون .

[٤] - ﴿إِلَيْهِ﴾ لا الى غيره ﴿مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ بعد الموت ﴿وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾ مصدران قدر فعلهما ﴿إِنَّهُ يَنْدَوُ الْخَلْقَ﴾ يتدّى به^(٣) ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ بعد إفنائه ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ﴾ بعدله ، أو : عدلهم أي ايمانهم ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ﴾ ماء في غاية الحرارة ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ بما كانوا يكفرون بسبب كفرهم أو بمقابلته .

وعدل عن أسلوب مقابلة اشعاراً بأن الغرض بالذات من الابداء والإعادة الإثابة ،

(١) حجة القراءات : ٣٢٧ .

(٢) في تفسير الآية (٥٤) من سورة الاعراف .

(٣) في «ب» : يبتدئه .

والتعذيب واقع بالعرض، ولشدة اعتناؤه بالرحمة نسب الجزاء بها لنفسه بخلاف ضدها.

[٥] - ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً﴾ ذات ضياء، مصدر أو جمع ضوء، وقرأ «قبل» بهمزتين^(١) ﴿وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ ذا نور، وهو أعم من الضوء.

وقيل: الذاتى ضوء، والعرضى نور، فما فى الشمس فمن ذاتها وما فى القمر فمكتسب منها ﴿وَقَدَرَهُ﴾ أى كل واحد منهما من حيث السير ﴿مَنَازِلَ﴾ ثمانية وعشرين، أو الضمير للقمر، وخص بالذكر لظهور نزوله بها ﴿لَتَعْلَمُوهُ﴾ بذلك ﴿عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ﴾ للأيام والشهور لمنافع دينية ودنيوية ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا﴾ متلبساً ﴿بِالْحَقِّ﴾ لا باطلاً - تعالى عنه - ﴿نَفْصُلُ﴾ نبين، وقرأ «ابن كثير» و«أبو عمرو» وحفص، بالياء^(٢) ﴿الآيَاتِ﴾ الدلالات ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ فيتدبرونها.

[٦] - ﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ بالتعاقب والطول والقصر ﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ﴾ من نيرات وملائكة وغيرها ﴿وَالْأَرْضِ﴾ من أجناس الكائنات ﴿لآيَاتٍ﴾ لوجوده ووحدانيته وعلمه وقدرته ﴿لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ فيصدقون بها.

[٧] - ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ﴾ لا يتوقعون ﴿لِقَاءَنَا﴾ بالبعث ﴿وَرُحُوشًا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ من الآخرة، لإنكارهم لها ﴿وَاطْمَأْنُونُوا بِهَا﴾ سكنوا إليها ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾ لايتدبرونها.

[٨] - ﴿أُولَئِكَ مَاوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ من الكفر والمعاصي.

[٩] - ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾ للجنة ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾ خبر ثان أو حال من مفعول «يهدي» ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ حال من «الأنهار» أو متعلق بـ «تجري» :

(١) تفسير البضاوي ٣: ٣.

(٢) حجة القراءات: ٣٢٨.

[١٠] - ﴿دَعَاوُهُمْ﴾ دعاؤهم ﴿فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ﴾ نسبتك تسيحاً يا الله ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ﴾ من الملائكة أو فيما بينهم ﴿فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعَاوُهُمْ أَن﴾ مفسرة أو مخففة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي يفتتحون كلامهم بالتسبيح ويختتمونه بالتحميد.

[١١] - ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ إِذَا دَعَا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَأُولَادِهِمْ ضَجْرًا﴾ استعجلاً لهم أي كتعجيله لهم ﴿بِالْخَيْرِ﴾ إذا استعجلوه ﴿لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ﴾ وبناءه «ابن عامر» للفاعل^(١) ونصب ﴿أَجَلُهُمْ﴾ أي لأهلكوا، ولكن يمهلهم ﴿فَنَدَّرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ لا يتوقعون البعث ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ يتحيرون.

[١٢] - ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ﴾ الجهد والبلاء ﴿دَعَاَنَا﴾ لكشفه ﴿لِحَبْنِهِ﴾ أي مضطجعا ﴿أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَانِئًا﴾ أي في جميع حالاته ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ﴾ استمر على طريقته وكفره ﴿كَأَن﴾ مخففة واسمها ضمير شأن مقدر، أي كأنه ﴿لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّمَسِهِ كَذَلِكَ﴾ التزيين ﴿زَيْنَ لِلْمُتْسِرِّفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ للمشركين عملهم.

[١٣] - ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ﴾ أهل الأعصر ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿لَمَّا ظَلَمُوا﴾ أشركوا ﴿وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالدلائل على صدقهم. حال من الواو بتقدير «قد» ﴿وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ لو أبقوا أي: في علمه تعالى ﴿كَذَلِكَ﴾ الجزاء أي: إهلاكهم ﴿نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ المشركين.

[١٤] - ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ﴾ خلفاء ﴿فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ بعد القرون التي أهلكناها ﴿لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ خيراً أو شراً، فنجازيكم^(٢) به.

[١٥] - ﴿وَإِذَا تَنَادَى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾ واضحات، حال، ﴿قَالَ الَّذِينَ

(١) حجة القراءات: ٣٢٨.

(٢) في «ب»: ليجازوكم.

لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا اِنَّكَ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَذَا لَا تَنضَمْنَ غَيْبَ آلِهَتِنَا ﴿١٦﴾ أَوْ بَدَّلَهُ فَاجْعَلْ مَكَانَ آيَةٍ تَنضَمْنَ ذَلِكَ غَيْرَهَا ﴿١٧﴾ قُلْ مَا يَكُونُ لِي مَا يَجُوزُ لِي . وَفَتَحَ «الْحَرَمِيَّانَ» وَ«أَبُو عَمْرٍو» الْيَاءَ ^(١) وَكَذَا «يَاء» إِنِّي أَخَافُ ^(٢) «أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءٍ» مِنْ قَبْلِ «نَفْسِي» وَخَصَّ التَّبْدِيلَ بِالْجَوَابِ لَشُمُولِهِ الْإِتْيَانِ بِقُرْآنٍ آخَرَ، وَفَتَحَ «نَافِعٌ» وَ«أَبُو عَمْرٍو» الْيَاءَ ^(٣) «إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ» فَلَيْسَ لِي التَّصَرُّفُ فِيهِ بِوَجْهِ «إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي» بِتَبْدِيلِهِ «عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ» هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ .

[١٦] - «قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرِيكُمْ» أَعْلَمَكُمْ اللَّهُ «بِهِ» عَلَى لِسَانِي وَقَرَأُ «قَبْلَ» وَلَا دِرَاسَتِي بِاللَّامِ ^(٤) أَيِ وَلَا عَلَّمَكُمْ بِهِ عَلَى لِسَانِ غَيْرِي «فَقَدْ لَبِثْتُ» مَكثْتُ «فِيكُمْ عُمُرًا» أَرْبَعِينَ سَنَةً «مَنْ قَبْلِهِ» قَبْلَ الْقُرْآنِ لَا آتِيَكُمْ بِشَيْءٍ «أَفَلَا تَعْقِلُونَ» تَتَفَكَّرُونَ بِمَقُولِكُمْ لِتَعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ قَبْلِي .

[١٧] - «فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا» فَرَعَمَ أَنْ لَهُ شَرِيكًا أَوْ وَلَدًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ الْقُرْآنَ «إِنَّهُ لَا يَقْلُحُ الْمُجْرِ مُونَ» الْمُشْرِكُونَ .

[١٨] - «وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ» إِنْ لَمْ يَعْبُدُوهُ «وَلَا يَنْفَعُهُمْ» إِنْ عَبَدُوهُ، لِأَنَّهُ جَمَادٌ وَهُمْ الْأَصْنَامُ «وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ الْأَصْنَامُ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ» فِي الدُّنْيَا أَوْ فِي الْآخِرَةِ إِنْ بَعَثْنَا «قُلْ أَتَنْبِئُونَ اللَّهَ» أَنْتَخِبُونَهُ «بِمَا لَا يَعْلَمُ» مَنْ أَنْ لَهُ شَرِيكًا، أَوْ هَؤُلَاءِ شُفَعَاءُ عِنْدَهُ، أَيِ لَوْ صَحَّ ذَلِكَ لَعَلِمَهُ «فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ» حَالُ مِنَ الْعَائِدِ الْمَقْدَرِ «سُبْحَانَهُ» تَنْزِيهًا لَهُ «وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ» يَشْرِكُونَهُ مَعَهُ . وَقَرَأَ «حَمْزَةً» وَ«الْكَسَائِي» بِالنَّاءِ ^(٥) .

[١٩] - «وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً» عَلَى الْحَقِّ مِنْ عَهْدِ آدَمَ إِلَى نُوحٍ، أَوْ

(١) النشر في القراءات العشر ٢: ٢٨٧ - ٢٨٨ .

(٢) الأنبي في آخر هذه الآية وانظر المصدر السابق .

(٣) النشر في القراءات العشر ٢: ٢٨٢ .

(٥) حجة القراءات: ٣٢٩ .

على الكفر في فترة ﴿فَاخْتَلَفُوا﴾ تفرقوا الى مؤمن وكافر ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ بتأخير الجزاء الى يوم الفصل: يوم القياسمة ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ في الدنيا ﴿فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ باهلاك الكفرة.

[٢٠] - ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا﴾ هلا ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ أي مما اقترحوه ﴿فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ لا يعلمه إلا هو، فلا ينزل إلا ما يعلم أن فيه صلاحاً ﴿فَانْتَظِرُوا﴾ نزولها أو العذاب ﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ لهلاككم.

[٢١] - ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ﴾ الكفار ﴿رَحْمَةً﴾ نعمة وخصباً^(١) ﴿مَنْ بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسَّهُمْ﴾ شدة وجذب ﴿إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا﴾ بتكذيبها والقدح فيها ﴿قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾ مجازاة على المكر ﴿إِنَّ رُسُلَنَا﴾ الحفظة ﴿يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ وقرأ «يعقوب» بالياء.^(٢)

[٢٢] - ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ﴾ يمكنكم من السير. وقرأ «ابن عامر»: «ينشركم» من النشر^(٣) ﴿فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِّ﴾ السفن ﴿وَجَرَيْنَ بِهِمْ﴾ التفات الى الغيبة، كأنه خوطب غيرهم ليتعجب منهم ﴿بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ لينة ﴿وَفَرَحُوا بِهَا جَاءَتْهَا﴾ جواب «إذا» ﴿رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ شديدة الهبوب ﴿وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ جهة ﴿وَنظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾ فلا مخلص لهم من الهلاك ﴿دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ بلا اشراك، بدل اشتعال من «ظنوا» ﴿لَئِنْ﴾ لام قسم ﴿أُنْجَيْنَا مِنْ هَذِهِ﴾ الشدة ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ المؤمنين.

[٢٣] - ﴿فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَنْغُونَ﴾ يظلمون ﴿فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ بالشرك والفساد ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ﴾ ظلمكم كائن ﴿عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ لأن وباله عليها

(١) الخصب: الخير

(٢) تفسير البضاوي ٦: ٣ وتفسير القرطبي ٨: ٣٢٤.

(٣) حجة القراءات: ٣٢٩ والنشر في القراءات العشر ٢: ٢٨٢.

أو على بعضكم ﴿مَتَاعٌ﴾ خبر محذوف، أي هو منفعة ﴿الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ الزائلة أو خبر «بغيركم» إن تعلق به الظرف، ونصبه «حفص» مصدرًا، ^(١) أي تمتعون متاع ﴿ثُمَّ إِنَّا مَرَّجِعُكُمْ﴾ في الآخرة ﴿فَتُبْتَلُونَ﴾ بما كُتِبَ عَلَيْكُمُ ﴿تَعْمَلُونَ﴾ بالجزاء به .

[٢٤] - ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ صفتها في سرعة زوالها بعد إقبالها ﴿كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ﴾ بسببه ﴿نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾ بعضه يبعث ﴿مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ﴾ من الحبوب والبقول والكلأ ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُهَا﴾ بهجتها من أصناف النبات ﴿وَأَزَيَّتْ﴾ بالأزهار . وأصله تزينت وأبدلت التاء زاء «وَأدغمت، وجيء بهمزة ﴿وَوَظَنَ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا﴾ بتحصيل غلتها ﴿أَتَاهَا أَمْرُنَا﴾ حكمتنا وعذابنا ﴿لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا﴾ أي زرعها ﴿حَصِيدًا﴾ كالمحصول بآلة ﴿كَأَنَّهُ﴾ مخففة ﴿لَمْ تَعْنِ بِالْأَمْسِ﴾ لم تكن من قبل ﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ليعتبروا بها .

[٢٥] - ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ﴾ السلامة أو دار الله أي الجنة ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ بلفظه ﴿إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ موصل إليها وهو الإيمان .

[٢٦] - ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ المثوبة ﴿الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ أضعاف مضاعفة أو ترك حسابهم بنعيم الدنيا ﴿وَلَا يَرْهَقُ﴾ يغشى ﴿وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ﴾ سواد ﴿وَلَا ذِلَّةٌ﴾ هوان ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ .

[٢٧] - ﴿وَالَّذِينَ﴾ عطف على «الذين أحسنوا» أي وللذين ﴿كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ﴾ جزاء سيئة بمثلها أو مبتدأ بتقدير «جزاء الذين» وخبره «جزاء سيئة بمثلها» أو «كانما اغشيت» وما بينهما اعتراض . «فجزاء سيئة» مبتدأ، وخبره «بمثلها» على زيادة «الباء» أو تقدير «واقع» ﴿وَنَرَفَقَهُمْ ذِلَّةً مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ من عذابه أو من جهته ﴿مِنْ عَاصِمٍ﴾ مانع ﴿كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ﴾ ألبست ﴿وُجُوهَهُمْ قِطْعًا﴾ جمع «قطعة» وسكنه «ابن كثير»

و«الكسائي»^(١) أي جزء ﴿مَنْ أَيْلٍ مُظْلِمًا﴾ حال من «الليل» أو «قطعاً» بالتسكين، أو صفته ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[٢٨] - ﴿وَيَوْمَ﴾ واذكر يوم ﴿نَخْشَرُهُمْ﴾ أي الخلق ﴿جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ﴾ الزموا مكانكم ﴿أَنْتُمْ﴾ تأكيد للضمير فيه ليعطف عليه ﴿وَشُرَكَاءُكُمْ﴾ أي الأصنام ﴿فَرَزَلْنَا﴾ فرقنا ﴿بَيْنَهُمْ﴾ بقطع وصلهم ﴿وَقَالَ شُرَكَاءُهُمْ﴾ نطقهم الله: ﴿مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾ بل عبدتم أهواءكم، أو ما شعرنا بعبادتكم لنا. وقيل: الشركاء: الشياطين، وقيل الملائكة.

[٢٩] - ﴿فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ﴾ مخففة أي «إنا» ﴿كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ﴾ اللام فارقة.

[٣٠] - ﴿هُنَالِكَ﴾ في ذلك المكان ﴿تَبْلُؤُا كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ﴾ تُختبر وتعلم ما عملت. وقرأ «حمزة» و«الكسائي» «تلو» من التلاوة،^(٢) أي تقرأ كتاب عملها، أو من التلو أي تتبع عملها ﴿وَرَدُّوْا إِلَى اللَّهِ﴾ إلى حكمه ﴿مَوْلَاهُمْ﴾ مالكمهم ﴿الْحَقُّ﴾ على الحقيقة أو الثابت ﴿وَصَلَّ﴾ بطل ﴿عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ يدعون أن له شركاء.

[٣١] - ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ بالمطر والنبات ﴿أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ﴾ أي خلق الأسماع ﴿وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ من النطفة والبيضة ﴿وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ﴾ النطفة والبيضة ﴿وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ أمر العالم ﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ لوضوح ذلك بحيث لا يمكنهم إنكاره ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ عقابه فتوحدونه.

[٣٢] - ﴿فَلْيَلِكُمُ﴾ الفاعل لهذه الأشياء ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ﴾ الثابت ﴿فَمَاذَا﴾ إنكار أي ليس ﴿بَعْدَ الْحَقِّ﴾ وهو عبادته ﴿إِلَّا الضَّلَالُ﴾ فمن أخطأه ضل ﴿فَأَنَّى﴾

(١) حجة القراءات: ٣٣٠ والنشر في القراءات العشر ٢: ٢٨٣.

(٢) حجة القراءات: ٣٣١.

كَيْفَ ﴿تُصَرَّفُونَ﴾ عن عبادته .

[٣٣] - ﴿كَذَلِكَ﴾ أي كما حقت ألوهيته وربوبيته ﴿حَقَّقْتُ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ بالوعيد بالتأثر، وجمعها «نافع» و«ابن عامر»^(١) ﴿عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا﴾ كفروا ﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ تعليل لحقية كلمته، أو بدل منها ويراد بها سبق علمه تعالى بعدم إيمانهم .

[٣٤] - ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَاءِ كُمْ مَنْ يَلْبِسُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ فإن أجابوا أو سكتوا، فانت ﴿قُلِ اللَّهُ يَلْبِسُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ تصرفون عن الإيمان .

[٣٥] - ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَاءِ كُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ بنصب الحجج أو التوفيق الى النظر ﴿قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾ «هدى» يعذى بـ «إلى» و«اللام» ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ وهو الله ﴿أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي﴾ غيره أو لا يهتدي، وسكن الهاء «حمزة» و«الكسائي» وخففا الدال^(٢) وشددها الباقون ففتح «الهاء» «ابن كثير» و«ورش» و«ابن عامر»^(٣)، وكسرها «حفص»^(٤) وكذا «أبوبكر» مع كسر الياء،^(٥) وأخفى حركة الهاء «أبو عمرو» و«قالون»^(٦) ﴿إِلَّا أَنْ يَهْدِي﴾ وهذا وصف أشرف شركائهم كالمسيح والملائكة ﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ بما لا يقبله عقل سليم .

[٣٦] - ﴿وَمَا يَتَّبِعْ أَكْثَرُهُمْ﴾ أي كلهم في تدينهم ﴿إِلَّا ظَنًّا﴾ من تقليد آبائهم ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ﴾ العلم الثابت ﴿شَيْئًا﴾ مفعول به أو مصدر، ويفيد منع التقليد في الأصول ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ من الإشراك به، فيجازيهم عليه .

[٣٧] - ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى﴾ أي افتراء ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ من غيره ﴿وَلَكِنْ﴾ كان أو أنزل ﴿تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتب ﴿وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ﴾

(٢٥١) حجة القراءات : ٣٣٢ .

(٢) حجة القراءات : ٣٣١ .

(٤) حجة القراءات : ٣٣٢ .

(٦٥) النشر في القراءات العشر ٢ : ٢٨٣ .

وتبين ما كتب وأثبت من أمور الدين ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ خبر ثالث، أو حال من «الكتاب»، أو استئناف ﴿مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ خبر آخر، أو متعلق بـ «تصديق» أو «أنزل» المقدّر.

[٣٨] - ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ بل يقولون: ﴿افْتَرَاهُ﴾ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ في البلاغة على وجه الافتراء فإنكم مثلي عرب فصحاء ﴿وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ﴾ لمعاضدتكم عليه ﴿مَنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي غيره ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أنه افتراء.

[٣٩] - ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾ أي بالقرآن قبل أن يتدبروه ويعلموا ما فيه ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ أي لم يقفوا على معانيه، أو لم يأتهم عاقبة ما فيه من الوعيد ﴿كَذَلِكَ﴾ التّكذيب ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ رسلهم ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ آخر أمرهم من الهلاك، فكذا عاقبة هؤلاء.

[٤٠] - ﴿وَمِنْهُمْ﴾ من قومك ﴿مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾ في المستقبل أو في نفسه ويعاند ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ﴾ حتّى يموت كافراً، أو في نفسه لعدم تدبره ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ من لم يؤمنوا.

[٤١] - ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾ لكل جزاء عمله ﴿أَنْتُمْ بَرِئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بِرِيٍّ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ قيل: نسخ بآية السيف. وفيه: أنه لا تنافي بينهما.

[٤٢] - ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ إذا قرأت القرآن، ولا يقولون ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾ أي من هم كالصم في عدم الانتفاع بما تقرأه ﴿وَلَوْ كَانُوا﴾ مع صممهم ﴿لَا يَفْقَهُوْنَ﴾ لا يتدبرون بعقولهم.

[٤٣] - ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ﴾ ويرى شواهد صدقك ولا يصدقك ﴿أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ﴾ من هم، كالعمي في عدم الإهداء ﴿وَلَوْ كَانُوا﴾ مع العمي

﴿لَا يَنْصُرُونَ﴾ لا يعتبرون بالبصائر.

[٤٤] - «إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا» بمنعهم الإنتفاع بالحجج ﴿وَلَكِنَّ﴾ وخففه «حمزة» و«الكسائي»، ^(١) ورفعا «النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ» بترك تدبرها، وهذا يبطل القول بالجبر.

[٤٥] - «وَيَوْمَ نَخْشِرُهُمْ» وقرأ «حفص» بالياء ^(٢) ﴿كَأَنَّ﴾ أي كأنهم لهول ما يرون ﴿لَمْ يَلْبَثُوا﴾ في الدنيا أو القبور ﴿إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ﴾ وجملة التشبيه حال من «هم» أو صفة «يوم» أي كأن لم يلبثوا قبله ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ يعرف بعضهم بعضاً إذا بُعثوا ثم ينقطع التعارف للأهوال. وهو حال مقدرة، أو متعلق الظرف ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾ بالبعث ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ لطريق الصواب.

[٤٦] - «وَأَمَّا» إن الشرطية أدغمت في «ما» الزائدة ﴿نُرِيَنَّكَ﴾ في حياتك ﴿بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ من العذاب وجواب الشرط محذوف، أي فذاك ﴿أَوْ نَتَوَقَّعَنَّكَ﴾ قبل تعذيبهم ﴿فَالْيَا نَا مَرْجِعُهُمْ﴾ في الآخرة ﴿ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ﴾ مطلع ﴿عَلَى مَا يَفْعَلُونَ﴾ فيجازيهم به، و«ثم» لترتيب مقتضى الشهادة وهو عقابهم على رجوعهم.

[٤٧] - «وَلِكُلِّ أُمَّةٍ» من الأمم ﴿رَسُولٌ﴾ يدعوهم الى الله ﴿فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ﴾ اليهم فكذبوه ﴿فُضِّي بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل، فيهلكون وينجو الرسول ومصدقوه.

أو معناه: فإذا جاء رسولهم في القيامة يشهد عليهم، قضى بينهم بإنجاء المؤمن وتعذيب الكافر ﴿وَهُمْ لَا يَظْلِمُونَ﴾ بعقوبة بغير ذنب.

[٤٨] - «وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ» بالعذاب ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيه.

[٤٩] - «قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا» بدفع ﴿وَلَا نَفْعًا﴾ بجلب ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ ان أملكه فكيف أملك لكم تعجيل العذاب؟ ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ مضروب لهلاكهم

(١) تفسير القرطبي ٨: ٣٤٧.

(٢) حجة القراءات: ٣٣٢ وتفسير مجمع البيان ٣: ١١٢.

﴿إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ لا يتأخرون ولا يتقدمون .
 [٥٠] - ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿إِنْ أَنَا كُنْتُ عَذَابُهُ﴾ عذاب الله ﴿بَيِّنَاتًا﴾ ليلاً ﴿أَوْ نَهَارًا مَّاذَا﴾ أي شيء ﴿يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ﴾ من العذاب ﴿الْمُجْرِمُونَ﴾ وضع موضع الضمير، وجواب «ان» محذوف أي تندموا على استعجالكم، أو «ماذا» نحو: «إن جنتك ماذا تعطيني» .

[٥١] - ﴿أَنْتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ﴾ أي أبعد وقوع العذاب ﴿ءَامَنْتُمْ بِهِ﴾ بالله أو العذاب حين لا ينفعكم الإيمان؟ والهمزة لإنكار التأخير ﴿أَلَا يَنْفَعُ لَكُمْ الْآنَ تَوْمِنُونَ﴾ و«نافع» يحذف الهمزة ويحرك اللام بحركتها^(١) ﴿وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ استهزاء .
 [٥٢] - ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ﴾ الدوام ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ إلا بجزائه .

[٥٣] - ﴿وَيَسْتَنْشِئُونَكَ﴾ يستخبرونك ﴿أَحَقُّ هُوَ﴾ أي ما تعدنا به من البعث والجزاء، أو ما جئت به من القرآن والشرعة . و«حق» خبر مقدم، أو مبتدأ والضمير فاعل سد مسد الخبر ﴿قُلْ إِيَّيْ﴾ نعم ﴿وَدَّبَّيْ إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ لا شك فيه . وفتح «نافع» و«أبو عمرو» الياء^(٢) ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ بفائتين العذاب .

[٥٤] - ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ﴾ أشركت ﴿مَا فِي الْأَرْضِ﴾ من الأموال ﴿لَافْتَدَتْ بِهِ﴾ من العذاب ﴿وَأَسْرَوْا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾ أخفوها كراهة لشماتة الأعداء، أو أخفاها رؤسائهم عن الأتباع خوف ملامتهم ﴿وَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ بين الخلائق ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ﴾ بالجزاء .

[٥٥] - ﴿أَلَا إِنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يفعل به ما يشاء ﴿أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بالبعث والجزاء ﴿حَقٌّ﴾ كائن لا محالة ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك لتركهم

(١) حجة القراءات: ٣٣٣ .

(٢) النشر في القراءات العشر ٢: ٢٨٨ .

النظر المؤدي الى العلم .

[٥٦] - ﴿هُوَ يُخَيِّى﴾ الخلق بعد كونهم أمواتاً ﴿وَيُمِيتُ﴾ الأحياء ﴿وَالِيهِ تَرْجَعُونَ﴾ بالبعث ، فيجازى كلاً بعمله .

[٥٧] - ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ قرآن يرغب في محاسن الأعمال ، ويزجر عن مساوئها ﴿وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾ من أمراض الشكوك وسوء الاعتقاد ﴿وَهُدًى﴾ الى الحق ﴿وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ لنجاتهم به من النار الى الجنة .

[٥٨] - ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ﴾ بإنزال القرآن . وتعلقت «الباء» بما يفسره^(١) ﴿فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ أو بما دلّ عليه «جاءتكم» والفاء زائدة ، أو بمعنى الشرط أي إن فرحوا بشيء فبهما ليفرحوا .

وقيل فضل الله : الإيمان ، ورحمته : القرآن .

وعن الباقر عليه السلام : «فضله» رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، و «رحمته» عليّ عليه السلام^(٢) ﴿هُوَ﴾ أي ذلك «خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ» من عرض الدنيا . وقرأ «ابن عامر» بالتاء .^(٣)

[٥٩] - ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ خلق ﴿لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ﴾ من الزرع والضرع بالمطر وجعله حلالاً ﴿فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا﴾ كالبحيرة^(٤) وغيرها ﴿وَحَلَالًا قُلْ﴾ الله أَذِنَ لَكُمْ ﴿في التحليل والتحريم ، والهمزة للإنكار ، أي لم يأذن لكم فيه ﴿أَمْ﴾ بل أَعْلَى اللَّهُ تَفْتَرُونَ﴾ بنسبة ذلك إليه ، والهمزة للتقرير .

[٦٠] - ﴿وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ أي شيء ظنّهم به ﴿يَوْمَ﴾

(١) كذا في النسخ ، وفي تفسير البياضاري ١٢ : ٣ : والباء متعلقة بفعل يفسره قوله «فبذلك فليفرحوا» .

(٢) تفسير مجمع البيان ٣ : ١١٧ .

(٣) تفسير مجمع البيان ٣ : ١١٦ .

(٤) ينظر سورة المائدة : ٥ / ١٠٣ .

الْقِيَمَةِ ﴿أَحْسِبُونَ أَنَّهُ لَا يُؤْخِذُهُمُ﴾ إِنَّ اللَّهَ لَدُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ ﴿بِإِنْعَامِهِ عَلَيْهِمْ وَإِمْهَالِهِمْ﴾ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿نَعْمَ .

[٦١] - ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾ أمر ﴿وَمَا تَتَلَوْنَاهُ﴾ من الشأن أو الله ﴿مِنْ قُرْءَانٍ﴾ مفعول «تتلوا» ومن «لتبعض، أو زائدة ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ﴾ أي أنت وأمتك ﴿مِنْ عَمَلٍ﴾ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا ﴿رَبَّاءَ﴾ إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴿تَخوضون في العمل ﴿وَمَا يَغُرُّبُ﴾ وما يغيب وما يبعد، وكسر «الكسائي»: الزاء^(١) ﴿عَنْ رَبِّكَ﴾ عن علمه ﴿مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾ وَزَنَ نَمْلَةً صَغِيرَةً ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ﴾ فتحا اسمين لـ«لا» ورفعهما «حمزة» على الابتداء^(٢) ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ بَيِّن، هو اللوح المحفوظ .

[٦٢] - ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ﴾ أهل طاعته ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ يوم القيامة .

[٦٣] - ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ المعاصي صفة «أولياء» أو خبر محذوف، أو مبتدأ وخبره:

[٦٤] - ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ هي ما بشر الله به المتقين في القرآن، أو الرؤيا الصالحة؛ أو بشرى الملائكة عند الموت ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ بالجنة ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ لا خلف لعداته ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور من البشرى ﴿هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ .

[٦٥] - ﴿وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ﴾ تكذيبهم لك وغيره، وقرأ «نافع»: «يُحْزَنُكَ» من أحزن^(٣) ﴿إِنَّ الْبِرَّ لَشَأْنٌ لِّمَنْ كَانَ قَلِيلٌ﴾ لا تحزن لقولهم، لأن الغلبة لله فينصرك عليهم ﴿هُوَ السَّمِيعُ﴾ لقولهم ﴿الْعَلِيمُ﴾ بعملهم، فيجازيهم به .

[٦٦] - ﴿أَلَا إِنَّ اللَّهَ مَنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ من العقلاء عبيداً

(٢٥) تفسير مجمع البيان ٣: ١١٨ وحجة القراءات: ٣٣٤ .

(٣) تفسير البضاوي ٣: ١٣ .

وملكاً^(١) فغيرهم أولى بأن لا يكون شريكاً له ﴿وَمَا﴾ نافية ﴿يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يعبدون غير ﴿شُرَكَاءَ﴾ له في الحقيقة وإن سموهم بذلك، ويجوز نصب «شركاء» بـ «يدعون» وكون «ما» استفهامية مفعول «يتبع» أو موصولة معطوفة على «من» ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ﴾ في اتخاذهم له شركاء ﴿إِلَّا الظَّنُّ﴾ ظنهم أنها آلهة تقربهم إلى الله ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ يكذبون في ذلك .

[٦٧] - ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الَّيْلَ لَتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ أي يبصر فيه فأسند إليه الأبصار مجازاً ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ حججاً على وحدانيته تعالى ﴿لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ سماع تعقل .

[٦٨] - ﴿قَالُوا﴾ أي أهل الكتاب، أو مشركو العرب ﴿اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ قال تعالى : ﴿مُبْهَاتٌ﴾ تنزيهاً له عما قالوا ﴿هُوَ الْغَيْثُ﴾ عن كل شيء، فلا يحتاج إلى الولد ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً وعبداً ﴿إِنْ﴾ ما ﴿عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ حجة ﴿بِهَذَا﴾ الذي قلتم ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ توبيخ على قولهم ذلك .

[٦٩] - ﴿قُلْ إِنْ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ بنسبة الولد والشريك إليه ﴿لَا يُلَاحِظُونَ﴾ لا يفوزون بشواب .

[٧٠] - ﴿مَتَاعٌ﴾ أي لهم متاع ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ يتمتعون به أياماً قلائل ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ بالموت ﴿ثُمَّ نُنْذِرُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ﴾ بالنار ﴿بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ بكفرهم .

[٧١] - ﴿وَأَنَّا عَلَيْنَاهُمْ نَبَأَ نُوحٍ﴾ خبره ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَظَمَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي﴾ إقامتي فيكم ﴿وَتَذَكِيرِي﴾ وعظي إياكم ﴿بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ بحججه ﴿فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾ به وثقت ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ﴾ اعزموا على أمر تكيدوني به

(١) كذا في النسخ، والصحيح : وملوكاً .

﴿وَشُرَكَاءَكُم﴾ أي مع شركائكم . أو هو عطف على «شركائكم» بتقدير وأمر شركائكم . أو منصوب بتقدير «وادعوا» ورفع «يعقوب» عطفاً على «الواو»^(١) ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ مغطى أي أظهره ﴿ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ﴾ امضوا لما في أنفسكم ﴿وَلَا تَنْظُرُون﴾ لا تمهلوني فإن الله يعصمني منكم .

[٧٢] - ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن نصحي ﴿فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ﴾ ثواب عليه فيثقل عليكم ، فتولوا ﴿إِنْ أَجْرِيَ﴾ - وفتح الياء «نافع» و«ابن عامر» و«أبو عمرو» و«حفص» حيث وقع - ^(٢) ما ثوابي على أداء الرسالة ﴿إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ المستسلمين لأمره .

[٧٣] - ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ ثبوا على تكذيبه ﴿فَنَجَّيْنَاهُ﴾ من الغرق ﴿وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ﴾ السفينة وكانوا ثمانين ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ﴾ من المغرقين ﴿وَأَغْرَقْنَا﴾ بالطوفان ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾ فليحذر الذين كذبوك أن يهلكوا مثلهم .

[٧٤] - ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ﴾ بعد نوح ﴿رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ﴾ كل الى قومه ﴿فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات البينة ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ﴾ أي أوائلهم وهم قوم نوح ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ قبل بعث الرسل ﴿كَذَلِكَ نَطِيعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾ بالكفر . واسناد الطبع إليه تعالى مجاز عن ترك قسره الى الإيمان .^(٣)

[٧٥] - ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ بعد أولئك الرسل ﴿مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ رؤساء قومه ﴿بِآيَاتِنَا﴾ التسع ﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾ عن الإيمان ﴿وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ عاصين .

(١) تفسير مجمع البيان ٣ / ٢٢١ - والنشر في القراءات العشر ٢ / ٢٨٦

(٢) تفسير القرطبي ٨ : ٣٦٥ - وانظر سورة هود : ١١ / ٢٩ .

(٣) تقدم مثل ذلك في سورة الاعراف : ٧ / ١٠٠ .

[٧٦] - ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا﴾ المبين بالمعجزات ﴿قَالُوا إِنَّ هَذَا لِسِحْرٌ

مُبِينٌ﴾ واضح .

[٧٧] - ﴿قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ﴾ إنه لسحر، وحذف المقول

لقريته ما قبله ﴿أَسِحْرٌ هَذَا﴾ استئناف، إنكار ما قالوا ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾ لا يظفرون بحجة، فلو كان سحراً لبطل ولم يبطل سحر السحرة .

[٧٨] - ﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنَتْلِفَتَنَا﴾ تصرفنا ﴿عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا﴾ من الدين

﴿وَتَكُونُ لَكُمْ الْكِبْرِيَاءُ﴾ الملك ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ بمصدقين .

[٧٩] - ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ﴾ وقرأ «حمزة» و«الكسائي» : «سحار»^(١)

﴿عَلِيمٍ﴾ حاذق في السحر .

[٨٠] - ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى﴾ بعد أن خيره بين أن يلقى أو أن

يلقوا : ﴿أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾ .

[٨١] - ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا﴾ حبالهم وعصيهم ﴿قَالَ مُوسَى مَا﴾ الذي ﴿جِئْتُمْ بِهِ﴾ هو

﴿السَّحَرُ﴾ وقرأ «أبو عمرو» : «السحر» بالمد^(٢) على أن «ما» استفهامية مبتدأ، وخبره

«جئتم» و«السحر» بدل منها، أو خبر محذوف ﴿إِنَّ اللَّهَ سَيُظِلُّهُ﴾ سيمحقه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا

يُضْلِعُ عَمَلُ الْمُفْسِدِينَ﴾ لا يقويه .

[٨٢] - ﴿وَيُحَقِّقُ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ يشبه بمواعيده ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ ذلك .

[٨٣] - ﴿فَمَا ءَمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ﴾ إلا طائفة من أولاد قوم فرعون،

ومنهم مؤمن آل فرعون وزوجته وماشطتها وخازنه وزوجته .

أو من أولاد قوم موسى بني إسرائيل ﴿عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ﴾ الضمير

لـ«فرعون» على أن يراد به آلهة، أو للقوم ﴿أَنْ يَفْتِنَهُمْ﴾ يعذبهم فرعون فيصرفهم عن

دينهم، وإفراد الضمير لأن الخوف من الملاء بسببه ﴿وَإِنْ فِرْعَوْنُ لَعَالٍ﴾ متكبر ﴿فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ المتجاوزين للحد في العتو بإدعاء الربوبية .

[٨٤] - ﴿وَقَالَ مُوسَى﴾ - لمن آمن به - : ﴿يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ ءَامِنْتُمْ بِإِلَهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا﴾ به ثقوا ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ متقادين لحكمه .

[٨٥] - ﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ اعتمدنا ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ لا تسلطهم علينا فيفتنونا بنا .

[٨٦] - ﴿وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ من كيدهم .

[٨٧] - ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا﴾ اتخذوا ﴿لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾ للسكنى أو العبادة ﴿وَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ مصلى، إذ منعكم فرعون الصلاة في مساجدكم، أو مساجد نحو القبلة أي الكعبة ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ أديموها ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بالنصر والجنة، خطاب لموسى عليه السلام أو لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم .

[٨٨] - ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئَهُ زِينَةً﴾ ما يتزينون به ﴿وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوهُ﴾ اللام للعاقبة أي آتيتهم وعاقبتهم أن يضلوا ﴿عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ﴾ امسحها ﴿وَأَشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ أي : أهلكهم، أو اخذلهم ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا﴾ لهم ﴿حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ جواب الدعاء أو عطف على ﴿لِيُضِلُّوهُ﴾ وما بينهما اعتراض .

[٨٩] - ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا﴾ الضمير لموسى وهارون لأنه كان يؤمن، فمسخت أموالهم حجارة وأغرقوا ﴿فَاسْتَقِيمَا﴾ فاثبتا على الدعوة . قيل مكث فيهم بعد الدعاء أربعين سنة ﴿وَلَا تَتَّبِعَانِ﴾ وخفف «ابن ذكوان» «النون»^(١) ﴿سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الجهلة في استعجال القضاء .

[٩٠] - ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي جاوزناهم «البحر» حتى جازوه ﴿فَاتَّبَعَهُمْ﴾

(١) تفسير البياضوي ١٦: ٣ وتفسير القرطبي ٨: ٣٧٦ .

لِحَقِّهِمْ ﴿فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا﴾ مفعول له أو حال ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَذْرَكَهُ الْفَرَقُ قَالَ
ءَاَمَنْتُ أَنَّهُ﴾ أي بأنه وكسرهما «حمزة» والكسائي «استئنافاً»^(١) أو بتقدير وقلت إنه
﴿لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَاَمَنْتَ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ لم يؤمن إلا حين لم يقبل
الإيمان، فقليل له :

[٩١] - ﴿ءَالْتَنَ﴾ آمنت ﴿وَقَدْ عَصَيْتَ﴾ من ﴿قَبْلُ﴾ بالكفر ﴿وَكُنْتَ مِنَ
الْمُفْسِدِينَ﴾ بالضلال والإضلال عن الإيمان.

[٩٢] - ﴿قَالِ يَوْمَ تُنْجِيكَ﴾ وخففه «يعقوب»^(٢) نلقيك على نجوة من الأرض،^(٣) أو
نخرجك طافياً على الماء ﴿يَكُنْكَ﴾ بجسدك خالياً من الروح، أو بدرعك وكانت من
ذهب يعرف بها ﴿لَتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ ءَايَةً﴾ لمن وراءك علامة، أي بني اسرائيل
إذ شك بعضهم في موته فأخرج لهم ليره.

أو لمن بعدك عبرة فيعرفوا أنك عبد مقهور، ولا يطغوا طغيانك ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ
النَّاسِ عَنْ ءَايَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ لا يعتبرون بها.

[٩٣] - ﴿وَلَقَدْ يَوَّنَا نَبِيَّ إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأً صِدْقٍ﴾ أنزلناهم منزلاً محموداً وهو مصر
والشام ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ اللذيذة ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ أي كانوا
على الكفر، فلما جاءهم العلم من جهة موسى وكتابه، آمن فريق وكفر فريق، أو كانوا
مقرين بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم حتى جاثم العلم أي القرآن، أو معلومهم اختلفوا
في أمره ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ بإنجاء المحق
وتعذيب المبطل.

[٩٤] - ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍ مِمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ من القصص فرضاً ﴿فَسْأَلِ الَّذِينَ
يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ فإنه ثابت في كتبهم مطابق لما قصصنا عليك.

(٣) النجوة: ما ارتفع من الأرض.

(١) حجة القراءات: ٣٣٦.

(٢) تفسير مجمع البيان ٣: ١٣٠.

روي أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: لا أشك ولا أسأل،^(١) وقيل: الخطاب له والمراد غيره،^(٢) أي إن كنت أيها السامع في شك مما أنزلنا إليك على لسان رسولنا من الهدى فاسألهم يخبروك بصدقه ﴿لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ الشاكين، إذ لا مجال للشك فيه.

[٩٥] - ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ خطاب له صلى الله عليه وآله وسلم والمراد غيره.

[٩٦] - ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَعْنَتُهُ أَوْ وَعِيدُهُ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ مع قدرتهم على الإيمان.

[٩٧] - ﴿وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ لَرَسَوْهُمْ فِي الْكُفْرِ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ ولا ينفعهم حينئذ.

[٩٨] - ﴿فَلَوْ لَا﴾ فهلا ﴿كَانَتْ قَرْيَةً﴾ من القرى المهلكة ﴿ءَامَنَتْ﴾ قبل حلول العذاب بها ﴿فَتَنَقَّهَا إِيْمَانُهَا إِلَّا﴾ لكن ﴿قَوْمٌ يُنْسَى لَمَّا ءَامَنُوا﴾ حين رأوا أمارة العذاب، ولم يؤخروا إلى حلوله ﴿كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ وقيل: الجملة بمعنى النفي، والإستثناء متصل، أي ما أهل قرية آمنوا عند نزول العذاب فنفعهم إيمانهم إلا قوم يونس ﴿وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ إلى آجالهم.

قيل: بعث يونس الى نينوى - قرية من الموصل - فكذبوه، فوعدهم العذاب إلى ثلاثة أيام، فلما دنا الموعد غشي مدينتهم غيم أسود، ودخان هائل فأيقنوا صدقه، فطلبوه فلم يجدوه، فبرزوا الى الصعيد بأهاليهم ودوابهم، وفرقوا بين كل ولد وأمه، وعلا الضجيج، وأخلصوا التوبة وآمنوا وتضرعوا الى الله، فرحمهم وكشف عنهم.^(٣)

(١) تفسير البياضوي ١٧: ٣ وتفسير الجلالين ١: ١٨٠.

(٢) تفسير القرطبي ٨: ٣٨٢.

(٣) ذكر قصة يونس كل من الطبرسي في تفسير مجمع البيان ١٣٥: ٣ والبيضاوي في تفسيره ١٨: ٣.

[٩٩] - ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا﴾ مجتمعين على الإيمان أي يقدر على جبرهم على الإيمان لكن لما لم ينفع إيمان الملجأ لمنافاته التكليف لم يجبرهم ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ أي تريد إكراههم على الإيمان مع عدم قدرتك عليه . تسلية له صلى الله عليه وآله وسلم عن تحسره وحرصه على إيمانهم .

[١٠٠] - ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بلفظه وتوفيقه ﴿وَيَجْعَلُ﴾ وقرأ «أبو بكر» بالنون^(١) ﴿الرَّجَسَ﴾ العذاب ﴿عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ لا يتفكرون في الآيات .

[١٠١] - ﴿قُلْ انظُرُوا﴾ تفكروا ﴿مَاذَا﴾ أي الذي أو أي شيء ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ من الدلائل على وحدانيته وقدرته ﴿وَمَا﴾ نفي أو استفهام ﴿تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنَّذْرُ﴾ الحجج والرسل ﴿عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لا يقبلونها ولا يريدون الإيمان .

[١٠٢] - ﴿فَهَلْ﴾ فما ﴿يَسْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ آبَائِهِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي مثل وقائعهم ﴿قُلْ فَانظُرُوا﴾ ذلك ﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْظِرِينَ﴾ له .

[١٠٣] - ﴿ثُمَّ نُنَجِّي﴾ عطف على ما دل عليه الاستثناء ، كأنه قيل : نهلك الأمم ثم ننجي ﴿رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ﴾ الإنجاء ﴿حَقًّا عَلَيْنَا﴾ مصدر قدر فعله ﴿نُنَجِّي﴾ وخففه «الكساني» و«حفص»^(٢) ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ومن آمن به إذا أهلكنا المشركين .

[١٠٤] - ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ أي أهل مكة ﴿إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي﴾ وحقته ﴿فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي الأصنام ﴿وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ﴾ يقبض أرواحكم . وفيه تهديد ﴿وَأَمَرْتُ أَنْ﴾ أي : بأن ﴿أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ به .

(١) تفسير مجمع البيان ٣ : ١٣٦ وتفسير القرطبي ٨ : ٣٨٦ .

(٢) تفسير مجمع البيان ٣ : ١٣٧ وحجة القراءات ٣٣٧ وتفسير القرطبي ٨ : ٣٨٧ .

[١٠٥] - ﴿وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾ عطف على «أَنْ أَكُونَ» أي: وأمرت بالإستقامة في الدين بالإقبال عليه، أو في الصلاة بالتوجه نحو الكعبة ﴿حَنِيفًا﴾ مانلاً إليه ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

[١٠٦] - ﴿وَلَا تَدْعُ﴾ تعبد ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ﴾ إن دعوته ﴿وَلَا يَضُرُّكَ﴾ إن تركته ﴿فَإِنْ فَعَلْتَ﴾ دعوته - فرضاً - ﴿فَإِنَّكَ إِذَا مَنَّ الظَّالِمِينَ﴾ أو أريد بخطابه غيره.

[١٠٧] - ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ﴾ يصبك ﴿بِضُرٍّ﴾ شدة وبلاء ﴿فَلَا كَاشِفَ﴾ دافع ﴿لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ﴾ نعمة ورحاء ﴿فَلَا رَادَّ﴾ مانع ﴿لِفَضْلِهِ﴾ الذي أرادك به ﴿يُصِيبُ بِهِ﴾ بالخير ﴿مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ﴾ لذنوبهم ﴿الرَّحِيمُ﴾ بهم.

[١٠٨] - ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ رسوله وكتابه ﴿فَمَنْ اهْتَدَى﴾ باتباعه ﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ لعود نفع اهتدائه إليها ﴿وَمَنْ ضَلَّ﴾ عن اتباعه ﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ لعود وبال ضلاله عليها ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ وإنما عليّ البلاغ.

[١٠٩] - ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾ بالإمتثال ﴿وَاصْبِرْ﴾ على الدعوة وأذاهم ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ﴾ بنصرك وقهرهم ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ لأنه لا يحكم إلا بالعدل، فصر، فحكم الله بقتل المشركين والجزية على أهل الكتاب.

سورة هود

[١١]

مائة وثلاث وعشرون آية مكية وقيل إلا آية ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ...﴾^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١]- ﴿الرَّ﴾ مبتدأ ﴿كِتَابٌ﴾ خبره، أو خبر محذوف ﴿أَخْكِمْتُ آيَاتُهُ﴾ أنقنت، فلا خلل فيها من اللفظ والمعنى ﴿ثُمَّ فُصِّلْتُ﴾ يثبت بالأحكام والمواعظ والقصص ﴿مِنْ لَدُنْ﴾ من عند ﴿حَكِيمٍ﴾ في أفعاله ﴿خَبِيرٍ﴾ بمصالح خلقه أي: لأن، أو: بأن.

[٢]- ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ﴾ بالعقاب لمن كفر ﴿وَبَشِيرٌ﴾ بالشواب لمن آمن.

[٣]- ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَّاهُ﴾ توصلوا الى المغفرة بالتوبة أو استغفروه عن الشرك ثم ارجعوا إليه بالطاعة ﴿يُمَتِّعْكُمْ﴾ في الدنيا ﴿مَتَاعاً حَسَنًا﴾ بأمن وسعة ﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي الموت ﴿وَيُؤْتِ﴾ في الآخرة ﴿كُلَّ ذِي فَضْلٍ﴾ عمل صالح ﴿فَضْلُهُ﴾ جزاء فضله، أو «الهاء» لله أي: ثوابه ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ تولوا أي تعرضوا

(١) قاله قتادة بنظر تفسير مجمع البيان ٣ / ١٦٠ .

﴿قَلَانِي﴾ - وفتح «الحرميان» و«أبو عمرو»: ^(١) «الياء» وكذا «ياء»
﴿إِنِّي أعظك﴾؛ ^(٢) ﴿إِنِّي أعوذ بك﴾، ^(٣) ﴿إِنِّي أخاف﴾، ^(٤) ﴿شقاقي﴾ - ^(٥) ﴿أخافُ
عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ يوم القيامة.

[٤] - ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ رجوعكم في ذلك اليوم ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾
ومنه الإثابة والتعذيب.

[٥] - ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ صُدُورَهُمْ﴾ يَطُؤُونَهَا على عداوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم
﴿يَسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾ من الله أو النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

نزلت في المشركين كانوا إذا مَرَوْا بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم طأطأ أحدهم رأسه
وغطاء بثوبه كي لا يراه. ^(٦)

وقيل: قالوا إذا طَوِينَا صدورنا على عداوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأرخينا
ستورنا واستغشنا ثيابنا كيف يعلم؟ ^(٧) ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾ يَنْغُطُونَ بِهَا
﴿يَعْلَمُ﴾ أي: الله ﴿مَا يَسْرُونَ وَمَا يُغْلِبُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بما في القلوب.

[٦] - ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ﴾ تدب عليها ﴿إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ معاشها،
تَكْفُلُ به فضلاً منه ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا﴾ موضعها في حياتها أو الصلب ﴿وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾
في مماتها أو الرحم ﴿كُلُّ﴾ مما ذكر ﴿فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ بَيِّن، وهو: اللوح المحفوظ.

[٧] - ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ في مقدارها من الأحد

(١) النشر في القراءات العشر ٢: ٢٩٢.

(٢) الآية (٤٦) من هذه السورة.

(٣) الآية (٤٧) من هذه السورة.

(٤) الآيات (٣) و(٢٦) من هذه السورة.

(٥) الآية (٨٩) من هذه السورة.

(٦) تفسير مجمع البيان ٣: ١٤٥ وتفسير البرهان ٢: ٢٠٦.

(٧) نقله البيضاوي في تفسيره ٣: ٢٠.

الى الجمعة بحسب تقديره تعالى ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ قبل خلقهما، والماء قام بقدرة الله تعالى لا على شيء، وقيل على متن الريح ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ متعلق بـ«خلق» أي: خلقهما وما فيهما من مصالح وفوائد لكم معاشاً ومعاداً ليعاملكم معاملة المختبر، ولتضمنه معنى العلم علق عن ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أصوبه وأخلصه، أي عقب بجمله استفهامية حلت محل ثاني مفعولي لا التعليق المشهور لعدم حلولها محل المفعولين ﴿وَلَيْنَ قُلْتُ﴾ لهم ﴿إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا﴾ ما القول بالبعث، أو القرآن المتضمن له ﴿إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ تمويه بين لا حقيقة له. وقرأ «حمزة» و«الكسائي» «ساحر» ^(١) والمشار إليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

[٨] - ﴿وَلَيْنَ أَخْرَجْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ﴾ أوقات قليلة.

وعن الصادق عليه السلام: هي أصحاب المهدي عليه السلام عدة أهل بدر ^(٢) ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ استهزاء ﴿مَا يَعْبُثُ﴾ ما يمنعه من الحلول ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمُ﴾ العذاب ﴿لَيْسَ مَضْرُوبًا عَنْهُمْ﴾ و«يوم» ظرف لخبر «ليس» وتقديمه عليها يسوّج تقديم خبرها ﴿وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِمْ﴾ ما كانوا به يستهزئون ﴿من العذاب﴾.

[٩] - ﴿وَلَيْنَ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً﴾ منحناه نعمة كصحة وسعة ﴿ثُمَّ نَزَعْنَاهَا﴾ سلبناها ﴿مِنْهُ إِنَّهُ لَيَوَسُّسُ﴾ شديد اليأس من رحمة الله ﴿كَفُورٌ﴾ شديد الكفر به أو بالنعمة.

[١٠] - ﴿وَلَيْنَ أَذَقْنَاهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضِرَاءٍ﴾ بلاء وشدة ﴿مَسَّهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ﴾ الشدائد ﴿عَنِّي﴾ فلا تعود إليّ، ولم يشكر الله تعالى - وفتح «نافع»

(١) تفسير القرطبي ٩: ٩ وتفسير روح المعاني ١٢: ١٢.

(٢) تفسير مجمع البيان ٣: ١٤٤ وتفسير البرهان ٢: ٢٠٨ و٢٠٩.

و«أبو عمر» ياءه، ^(١) ويا «نصحي ان أردت» ^(٢) ويا «إني إذا» ^(٣) ويا «ضيفي» ^(٤) - **إِنَّهُ لَفَرِحَ** بَطَر **فَخَوَّ** على الناس بما أعطى .

[١١] - **إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا** على الضراء رضى بقضاء الله . استثناء من الإنسان العام باللام ، وإن حمل على الكافر فمنقطع **وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ** شكراً للنعمة **أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ** لذنوبهم **وَأَجْرٌ كَبِيرٌ** هو الجنة .

[١٢] - **فَلَعَلَّكَ نَارِكٌ بَعْضٌ مَّا يُوحَىٰ إِلَيْكَ** فلا تبلغهم إياه لاستهزائهم به **وَصَافَتْهُ بِهِ صَدْرُكَ** بتلاوته ^(٥) عليهم كراهة **أَن يَقُولُوا لَوْلَا** هلا **أَنزَلَ عَلَيْهِ كُتُبٌ** ينفعه **أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ** بصدقه **إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ** وما عليك إلا البلاغ **وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ** حفيظ ، فيجازيهم بقولهم وفعلهم .

[١٣] - **أَمْ** بل أ**َيَقُولُونَ افْتَرَاهُ** أي القرآن **قُلْ فَاتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِّثْلِهِ** في البلاغة وحسن النظم **مُفْتَرِيَاتٍ** مختلقات فإنكم عرب فصحاء مثلي . تحداهم بها ثم بسورة حين عجزوا ^(٦) **وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ** ليعينوكم المعارضة **مِنْ دُونِ اللَّهِ** أي غيره **إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ** أني افترته .

[١٤] - **فَلَا تَمَّ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ** خطاب للرسول صلى الله عليه وآله وسلم على التعظيم ، أو للمؤمنين معه ، أو للمشركين ، والواو للمدعوين **فَاعْلَمُوا** أيها المؤمنون أو المشركون **أَنَّمَا أُنزِلَ** متلبساً **بِمِلِّمِ اللَّهِ** بمواقع تأليفه في علو طبقاته أو بأنه حق

(١) النشر في القراءات العشر - ٢ : ٢٩٢ .

(٢) الآية (٣٤) من هذه السورة .

(٣) الآية (٣١) من هذه السورة .

(٤) الآية (٧٨) من هذه السورة ، وإيضاً في سورة الحجر : ١٥ / ٦٨ .

(٥) في «ط» : لتلاوته .

(٦) التحدي بسورة ، ذكرها سبحانه وتعالى في صورة يونس : ١٠ / ٣٨ - وورد أيضاً في سورة البقرة :

من عنده ﴿وَأَنْ﴾ مخففة أي واعلموا أنه ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ لعجز غيره عن مثل هذا المعجز ﴿فَقُلْ أَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ثابتون على الإسلام، أو داخلون فيه بعد نهوض الحجة عليكم. أي: أسلموا.

[١٥] - ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّهَا﴾ بعمل البر، هي في الكفرة أو المرائين ﴿نُوفٌ﴾ نوصل تماماً ﴿إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا﴾ جزاءها بالسعة والصحة والأولاد ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يُنْخَسُونَ﴾ لا ينقصون شيئاً من جزائهم.

[١٦] - ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحِطَّ﴾ بطل ﴿مَا صَنَعُوا﴾ فيها، في الآخرة، فلا ثواب لهم لأنهم لم يريدوا به وجه الله ﴿وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ لأنه لغير الله.

[١٧] - ﴿أَقَمْنِ كَانَ عَلَى بَيْتِهِ﴾ حجة ﴿مَنْ رَزَقَهُ﴾ وهي القرآن، أو دليل العقل، وهو: النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو المؤمنون ﴿وَيَتْلُوهُ﴾ يقرؤه أو يتبعه ﴿شَاهِدٌ﴾ يصدقه ﴿مَنْهُ﴾ من الله وهو جبرئيل، أو القرآن.

وعن عليّ والباقر والرضا عليهم السلام: انه عليّ عليه السلام يشهد للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو منه ^(١) ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ﴾ قبل القرآن ﴿كِتَابُ مُوسَى﴾ التوراة يتلوه أيضاً في التصديق ﴿إِمَامًا﴾ يؤتم به، حال ﴿وَرَحْمَةً﴾ لمن آمن به. وخبر «أفمن» محذوف، أي: كمن لا بينة له، وهو مريد الحياة الدنيا ﴿أُولَئِكَ﴾ أي من كان على بينة ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ به، بالقرآن أو محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ﴾ فرق الكفار ﴿فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾ مصيره ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ﴾ شك ﴿مَنْهُ﴾ من القرآن ﴿إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لتركهم النظر.

[١٨] - ﴿وَمَنْ﴾ أي لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ نسب إليه شريكاً أو ولداً ﴿أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ﴾ يوم القيامة فيحبسون ﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ﴾ - جمع

شاهد أو شهيد، وهم الملائكة أو الأنبياء أو أئمة الحق في كل عصر - :
﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ بكذبهم على الله .

[١٩] - ﴿الَّذِينَ يَصَّدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينه ﴿وَيَتَّبِعُونَهَا غَوَجًا﴾ ويطلبون لها الإنحراف ويصفونها به ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ حال، وكرر «هم» تأكيداً .
[٢٠] - ﴿أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ﴾ فائتين الله أن يعذبهم ﴿فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ أنصار يمنعونهم من عذابه ﴿يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ﴾ بكفرهم ومعاصيهم ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ﴾ للحق لبغضهم له، فكانهم لم يستطيعوا سماعه ﴿وَمَا كَانُوا يَبْصُرُونَ﴾ ما يدل عليه، لتركهم تدبره ويجوز كونه علة المضاعفة .

[٢١] - ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾ بتعريضها للعذاب الدائم ﴿وَصَلَّ﴾ ذهب عنهم ما كانوا يفترون من الشركاء لله .
[٢٢] - ﴿لَا جَرَمَ﴾ لا محالة أو حقاً ﴿أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ﴾ الأكثر خسراناً من غيرهم .

[٢٣] - ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ أنابوا، أو اطمننوا إليه ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ .

[٢٤] - ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ﴾ صفة الكفرة والمؤمنين ﴿كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصْمَىٰ﴾ مثل الكافر في عدم انتفاعه بحواسه ﴿وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ﴾ مثل المؤمن في انتفاعه بها ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ﴾ أي الفريقان أو مثلهما ﴿مَثَلًا﴾ صفة ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ تذكرون أي : تعتبرون .

[٢٥] - ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنِي﴾ (١) أي باني، وكسرهما «نافع» و«عاصم»

و«ابن عامر» و«حمزة»^(١) بتقدير القول ﴿لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ للإندار.

[٢٦] - «أَنْ» أي بأن أو أي ﴿لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ

الْيَمِّ﴾ مؤلم.

[٢٧] - «فَقَالَ الْمَلَأُ» الاشراف ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا تَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا﴾

لا تفضلنا بشيء يوجب طاعتك علينا ﴿وَمَا تَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ

الذين لا مال لهم ولا جاه ﴿بَادِيَ الرَّأْيِ﴾ ظاهره بلا تعمق، من البدو، أو ابتداء من

البدء بقلب الهمزة باء، و«همزة» «أبو عمرو»^(٢) ونصب ظرفاً بحذف مضاف أي وقت

حدوث ظاهر آرائهم أو أوله ﴿وَمَا تَرَىٰ لَكُمْ﴾ لك ولمن اتبعك ﴿عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾

تستحقون به أن تتبعكم ﴿بَلْ نَحْنُكُمْ كَاذِبِينَ﴾ في دعواك الرسالة وزعمهم صدقك.

غلب المخاطب على الغيب.

[٢٨] - «قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ﴾ اخبروني ﴿إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾ حجة تصدق دعواي

﴿مِنْ رَبِّي وَءَاتَانِي رَحْمَةً﴾ نبوة ﴿مَنْ عِنْدِهِ فَعَمِيَّتُ﴾^(٣) خفيت ﴿عَلَيْكُمْ﴾ لقله تدبركم

فيها والضمير لكل من البينة والرحمة.

و«ضم العين» «حفص» و«حمزة» و«الكسائي» وشدوا الميم^(٤) ﴿أَنْزَلْنَاهُ مَكْمُوهًا﴾

أَنْزَلْنَاهُ إِلَىٰ قَبُولِهَا ﴿وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾ لا تقبلونها.

[٢٩] - «وَبَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على التبليغ ﴿مَالًا﴾ أجراً ﴿إِنْ أَجْرِي﴾

(١) تفسير البضاوي ٢٤: ٣، وفي تفسير القرطبي ٢٢: ٩: وقرأ «ابن كثير» و«أبو عمر» و«الكسائي»:

«أني» بفتح الهمزة - أي: أرسلناه بأنني لكم نذير مبين.

(٢) حجة القراءات: ٣٣٨.

(٣) في المصحف الشريف بقراءة «حفص»: «فَعَمِيَّتْ» - كما يشير إليه المؤلف -.

(٤) تفسير البضاوي ٢٤: ٣ وفي هامش تفسير القرطبي ٢٥: ٩ - ان قراءة: «فَعَمِيَّتْ» - بالتخفيف -

هي «نافع».

ما ثوابي، وسبق في «يونس» القساة في الياء^(١) ﴿إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ كما سألتهموني ﴿إِنَّهُمْ مَلَائِقَةٌ رَبِّهِمْ﴾ فيكرمهم ويجازي طاردهم ﴿وَلِكِنِّي أُرِيكُمْ قُومًا تَجْهَلُونَ﴾ الحق وأحله، أو في سؤال طردهم. وفتح «نافع» و«البري» و«أبو عمرو»: الياء^(٢) وكذا في «أريكم» الآية^(٣).

[٣٠] - ﴿وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ﴾ بمنعني من عذابه ﴿إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ تذكرون أي تعظون.

[٣١] - ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾ مقدوراته أو خزائن رزقه ﴿وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾ بل أنا بشر مثلكم ﴿وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي﴾ تحقر ﴿أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا﴾ فإنه يؤتاهم في الآخرة ثوابه ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ قلوبهم من إخلاص وغيره ﴿إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ان قلت ذلك.

[٣٢] - ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا﴾ خاصمتنا ﴿فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ من العذاب ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في الوعيد.

[٣٣] - ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ﴾ فإن تعجبله وتأخيره إليه لا إلى ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ فائتين الله.

[٣٤] - ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ﴾ جواب الشرط، يُعلم مما قبله، ومن الشرطية يُعلم جواب ﴿إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾ والتقدير إن كان الله يريد أن يخيبكم من ثوابه ويعاقبكم لكفركم، أو يهلككم، فإن أردت أن أنصح لكم لاينفعكم نصحي، إذ الشرط بعد الشرط مقدم معنى وإن تأخر لفظاً ﴿هُوَ رَبُّكُمْ﴾

(١) في الآية (٧٢) من سورة يونس.

(٢) النشر في القراءات العشر ٢: ٢٩٢.

(٣) في الآية (٨٤) من هذه السورة.

مالكم ﴿وَاللّٰهُ تُرْجَعُونَ﴾ فيجازيكم بأعمالكم .

[٢٥] - ﴿أَمْ﴾ بل أيقولون ﴿أي كفار مكة﴾ ﴿افترأ﴾ اختلق محمد نبأ نوح ﴿قُلْ﴾
 إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّْ إِجْرَامِي ﴿وبالهِ﴾ ﴿وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُخْرِمُونَ﴾ من إجرامكم في نسبة
 الافتراء إليّ .

[٢٦] - ﴿أَوْحِيْ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ﴾
 تنتم ﴿بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ من تكذيبك وايدانك . أقطعه الله من إيمانهم فدعا ﴿رَبِّ﴾
 لَاتَذَرْ إِلَىٰ آخِرِهِ ،^(١) فأجاب دعاءه وقال :

[٢٧] - ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ﴾ السفينة ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ برعايتنا وحفظنا ﴿وَوَحِّينَا﴾ وتعليمنا
 ﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ كفروا بآمالهم ﴿إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ﴾ لا محالة .

[٢٨] - ﴿وَبَصْنَعِ الْفُلْكَ﴾ حكاية حال ماضية ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ﴾ جماعة
 ﴿مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾ هزأوا به لعمله لها في بر لا ماء عنده ، فيتضاحكون ويقولون :
 صرت نجاراً بعد النبوة ﴿قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ﴾ إذا غرقتم ﴿كَمَا
 تَسْخَرُونَ﴾ اليوم .

[٢٩] - ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ﴾ أي الذي ﴿يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ يفضحه وهو
 الغرق ﴿وَيَجِلُّ﴾ ينزل ﴿عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ دائم في الآخرة .

[٤٠] - ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ بتعذيبهم ، غاية «ليصنع» ، وما بينهما حال من
 فاعله ﴿وَفَارَ التَّنُورُ﴾ ارتفع منه الماء وهو تنور الخبز . كان في الكوفة [في] موضع
 مسجدها ، أو في الشام ، أو الهند وكان ذلك علامة لنوح خارقة للعادة ﴿قُلْنَا اخْمِلْ﴾
 فيها ﴿في السفينة﴾ ﴿مِنْ كُلِّ﴾ من كل نوع من الحيوان ﴿رَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ ذكرًا وانثى ،
 وهذا على التنوين لحفص^(٢) وعلى الاضافة لغيره ، معناه : من كل زوجين ذكر وانثى

(١) وهي الآية (٢٥) من سورة نوح : (٧١) .

(٢) حجة القراءات : ٣٣٩ .

من جميع أنواعهما أحمل اثنين ذكراً وأنثى ﴿وَأَهْلَكَ﴾ واسمل أهلك وهم زوجته وبنوه ﴿إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ الوعد بإهلاكه وهو ابنه «كنعان» وأمّه داغلة ﴿وَمَنْ ءَامَنَ﴾ من غيرهم ﴿وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ قيل كانوا ثمانين، منهم بنو سام وحام ويافث ونساؤهم وزوجته المسلمة وقيل أقل.

وصنعها من الساج، طولها ألف ذراع وعرضها خمسون ذراعاً،^(١) وسمكها ثلاثون.

وعن أهل البيت: أن أبعادها الثلاثة أزيد من ذلك.^(٢)

[٤١] - ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾ صلة «اركبوا» حال من الواو، أي قائلين: بسم الله إجراؤها وارساؤها، أي حبسها أو وقتها أو مكانهما.

أو جملة منفكة عما قبلها من مبتدأ وخبر، أي إجراؤها بسم الله. وفتح «حفص» و«حمزة» و«الكسائي»: ميم «مجرها»^(٣) ﴿إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ إذ نجّانا من الغرق.

[٤٢] - ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ في عظمها وارتفاعها ﴿وَتَادَى نُوحٌ ابْنُهُ﴾ كنعان ﴿وَوَكَانَ فِي مَقَرٍّ﴾ عن نوح أو دينه ﴿وَيَا بُنَيَّ﴾ بكسر الياء ليدل على ياء الإضافة المحذوفة، وفتحها «عاصم»^(٤) اكتفاءً بالفتح عن الألف المبدلة من ياء الإضافة ﴿ارْكَبْ مَعَنَا﴾ وادغم الباء «أبو عمرو» و«حفص» و«الكسائي»^(٥) ﴿وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ في الدين والتخلف.

[٤٣] - ﴿قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾ يمنعي من الغرق ﴿قَالَ

(١) كلمة: «ذراعاً» ليست في «الف» و«ب».

(٢) تفسير مجمع البيان ٣: ١٦٠ وتفسير البرهان ٢: ٢١٩.

(٣) حجة القراءات: ٣٤٠.

(٤) حجة القراءات: ٣٤٠ وتفسير مجمع البيان ٣/ ١٦٠.

(٥) تفسير البضاوي ٣: ٢٧.

لَأَعَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ ﴿٤٤﴾ إِلَّا الرَّاحِمُ وَهُوَ اللَّهُ ، أَوْ لَكِنْ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ بِإِيمَانِهِ فَهُوَ الْمَعصُومُ ﴿٤٥﴾ وَحَالٌ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَأَنَّ ﴿٤٦﴾ فَصَارَ ﴿٤٧﴾ مِنَ الْمُفْرَقِينَ ﴿٤٨﴾ .

قيل : علا الماء قلال الجبال ثلاثين ذراعاً

[٤٤] - ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ﴾ اشربه فشربته ﴿وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي﴾ أمسكي عن المطر، فأمسكت . نُودِيَ وَأَمْرًا كَالْعُقْلَاءِ تَمْثِيلًا لَانْقِيَادَهُمَا لِأَمْرِ تَعَالَى بِامْتِثَالِ الْمُطِيعِ السَّرِيعِ إِلَى الْإِجَابَةِ ﴿وَعُغِضَ الْمَاءُ﴾ نقص ، بيلع الأرض ما نبع منها وصار ماء السماء بحاراً وأنهاراً ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ وقع هلاك من هلك ونجاة من نجا ﴿وَأَسْتَوَتْ﴾ واستقرت السفينة ﴿عَلَى الْجُودِيِّ﴾ جبل بالموصل أو بـ «آمد» .^(١) قيل سارت بهم ستة أشهر^(٢) ﴿وَقِيلَ بُعْدًا﴾ هلاكاً ﴿لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ .

والآية حوت البلاغة بحسن نظمها وجزالة لفظها وبيان الحال بإيجاز بلا اختلال .
وبنيت الأفعال للمفعول لتعظيم الفاعل وتعيينه إذ لا يقدر على هذه الأمور سوى الله تعالى .

[٤٥] - ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ وقد وعدتني أن تنجيهم ﴿وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ﴾ الذي لاخلف فيه ، فنجاه أو فما حاله ﴿وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ اعدل لهم .

[٤٦] - ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ الذين وعدتك نجاتهم ، أو أهل دينك ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ أي ذو عمل ، أو جعل نفس العمل مبالغة . وقرأ الكسائي «عمل»^(٣) أي عمل عملاً غير صالح ﴿فَلَا تَسْأَلْنِي﴾ وشدد النون مكسورة «نافع»

(١) تفسير البيضاوي ٣ : ٢٧ : قيل بالشام وقيل بآمل . وفي معجم البلدان «آمد» . . . وهي اعظم مدن ديار بكر واجلها قدراً واشهرها ذكراً .

(٢) تفسير منهج الصادقين ٤ : ٤٢٦ .

(٣) حجة القراءات : ٣٤١ وتفسير مجمع البيان ٣ : ١٦٥ .

و«ابن عامر»، ^(١) ومفتوحة «ابن كثير»، ^(٢) وخففها الباقون مكسورة، وأثبت الياء «ورش»
و«أبو عمرو» في الوصل ^(٣) «مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ» أمصلحة هو أم لا. «إِنِّي أَعْظُكَ أَنْ
تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ» بأن تفعل خلاف الأولى.

[٤٧] - «قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ» من «أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ
لِي» فعلي ضد الأولى «وَيَرْحَمْنِي» بالنسوفيق «أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ» قاله تخشعاً
لا للذنب.

[٤٨] - «قَبِلْ يَا نُوحُ اهْبِطْ» انزل من السفينة «بِسَلَامٍ» بسلامة أو بتحية «مِنَّا»
و«رَكَاتٍ» وخيرات «وَعَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ» الذين هم من معك، أو ناشئين
منهم، وهم: المؤمنون «وَأُمَمٌ» أي ومن معك أمم «سَمِعْتَهُمْ» في الدنيا فيكفرون
«ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ» في الآخرة بكفرهم.

[٤٩] - «رَبِّكَ» أي قصة نوح هي «مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ» بعض أخبار ما غاب عنك
«نُوحِيهَا إِلَيْكَ» خبر ثان، أو حال من «أَنْبَاءٍ» أو خبر صلته «مِنْ أَنْبَاءٍ» «مَا كُنْتُ
تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا» القرآن، خبر آخر، أو حال من الهاء، أو الكاف
في «نوحيا إليك» «فَاصْبِرْ» على أذى قومك كما صبر نوح «إِنَّ الْعَاقِبَةَ» المحموده
عاجلاً وأجلاً «لِلْمُتَّقِينَ» الله.

[٥٠] - «وَالِى عَادٍ» وأرسلنا الى عاد «أَخَاهُمْ» نسباً لا ديناً «هُودًا» عطف
بيان «قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ» وحده «مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ» رفع حملاً على المحل،
وجره «الكسائي» على اللفظ ^(٤) «إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُقْتَرُونَ» على الله بجمعكم
الأوثان شركاء.

(٢٥١) حجة القراءات: ٣٤٣.

(٣) حجة القراءات: ٣٤٣ وتفسير مجمع البيان ٣: ١٦٦.

(٤) تفسير روح المعاني ١١: ٧٣،

[٥١] - ﴿يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على دعائكم الى التوحيد ﴿أَجْرًا إِنِّ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي﴾ خلقتني ﴿أَنَّا نَقُولُونَ﴾ قولي فتعلمون أنه الحق .
 [٥٢] - ﴿يَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ سبق مثله ^(١) ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ﴾ المطر وكانوا قد أجدبوا ﴿عَلَيْكُمْ مَذَرًا﴾ كثير الدَر ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾ بالمال والنسل ، وكانوا قد أعقمت نساؤهم ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ لا تدبروا عما أَدْعُوكم إليه مشركين .

[٥٣] - ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ بحجة تصدق دعواك لم يعتبروا بمعجزاته ﴿وَمَا نَحْنُ بِبَارِكِي آلِهَةٍ﴾ أي عبادتهم ﴿عَنْ قَوْلِكَ﴾ أو بقولك ﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ بمصدقين .

[٥٤] - ﴿إِن﴾ ما ﴿نَقُولُ﴾ فيك ﴿إِلَّا﴾ قولنا ﴿اعْتَزَّاكَ﴾ أصابك ﴿بِقُصِّ آلِهَتِنَا﴾ يسوء ﴿بَخْبَلِ لِسَبِّ إِيَّاهَا﴾ فصرت تهذي ﴿قَالَ إِنِّي﴾ وفتح الياء «نافع» ^(٢) ﴿أُشْهِدُ اللَّهَ وَأُشْهِدُوا﴾ أنتم أيضاً ﴿أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ به .

[٥٥] - ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ من آلهتكم التي تزعمونها خيلتني ﴿فَكَيْدُونِي﴾ فاحتالوا في ضري ﴿جَمِيعًا﴾ أنتم وآلهتكم ﴿ثُمَّ لَا تَنْظُرُونَ﴾ لا تمهلوني .

وهذه معجزة له ، إذ جتبههم بذلك مع وحدته بينهم وشدة حنقهم وعتوهم ثقةً بعصمة الله ، فعصمه الله منهم .

[٥٦] - ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾ وثقت به ﴿مَّا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ إلا وهو مالكها وقاهرها .

والأخذ بالناصية مثل لذلك ﴿إِن رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ على الحق والعدل .
 [٥٧] - ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ تتولوا أي تعرضوا ﴿فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ﴾ أذيت

(١) في هذه السورة الآية (٣) .

(٢) النشر في القراءات العشر ٢ : ٢٩٢ .

ما عليّ والزمتكم الحجة ﴿وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ بعد إهلاككم . وهو استئناف ﴿وَلَا تَصْرُوهُ شَيْئًا﴾ بإهلاككم ، أو بإشراككم ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ﴾ رقيب ، فيحصى أعمالكم ويجازيكم بها .

[٥٨] - ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ عذابنا ﴿نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ﴾ هم أربعة آلاف ﴿بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ وهو الريح التي أهلك بها «عاداً» والمعنى ونجيناهم أيضاً من عذاب الآخرة .

[٥٩] - ﴿وَتِلْكَ عَادٌ﴾ إشارة إلى القبيلة ، أو آثارهم ﴿جَعَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ﴾ إذ من عصى رسولاً فقد عصى الكل ، لأمرهم بطاعة كل رسول ﴿وَاتَّبَعُوا﴾ أي : سفتهم ﴿أَمَرَ كُلَّ جَبَّارٍ عِنْدِي﴾ معرض عن الحق من رؤسائهم .

[٦٠] - ﴿وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ أي أبعدوا عن رحمة الله في الدارين ﴿أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾ أي به أو حجدوه ﴿أَلَا بَعْدًا﴾ من رحمة الله ، أو هلاكاً ﴿لِعَادِ قَوْمِ هُودٍ﴾ عطف بيان يُفصلهم عن عاد الثانية .^(١)

[٦١] - ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ مر مثله^(٢) ﴿هُوَ أَنشَأَكُمْ﴾ خلقكم ﴿مِّنَ الْأَرْضِ﴾ أو خلق أصلكم «آدم» منها ﴿وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ جعلكم عمّارها وسكانها ، أو عمركم فيها من العمر أو اعمركموها من العمري ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ﴾ برحمته ﴿مُجِيبٌ﴾ للدعاء .

[٦٢] - ﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا﴾ أن تكون لنا سيّداً أو موافقاً في ديننا

(١) وهم شداد ولقمان المذكوران في قوله تعالى «ارم ذات العماد» (الفجر: ٨٩/٦) - كما في تفسير القرطبي ٩ : ٥٠ وتفسير البيضاوي ٣ : ٣٠ - وقد جاء ذكر عاد قوم هود في سورة النجم : ٥٣ / ٥٠ عند قوله تعالى : «وانه اهلك عاداً الاولى» .

(٢) في هذه السورة الآية (٥٠) وسبق أيضاً في سورة الاعراف الآيات : ٥٩ ، ٦٥ ، ٧٣ ، ٨٥ وسيأتي أيضاً في هذه السورة الآية (٨٤) .

﴿قَبْلَ هَذَا﴾ القول، والآن ينسنا من خيرك ﴿أَتُنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ من الأصنام ولم نشك في أمرها ﴿وَأِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾ من التوحيد ﴿مُرِيبٍ﴾ موجب للريبة.

[٦٣] - ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾ حجة ﴿مِّن رَّبِّي وَءَاتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً﴾ نبوة ﴿فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ﴾ يمنعني من عذابه ﴿إِنْ عَصَيْتُهُ﴾ بترك التبليغ ﴿فَمَا تَزِيدُونَنِي﴾ بما تقولون لي ﴿غَيْرَ تَحْسِيرٍ﴾ أن أنسبكم الى الخسران.

[٦٤] - ﴿وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةٌ لَّكُمْ ءَايَةٌ﴾ حال عاملها الإشارة، و«لكم» حال منها ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أََرْضِ اللَّهِ﴾ عشبها أي وتشرب ماءها ﴿وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ﴾ عقر أو غيره ﴿فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ عاجل بعد ثلاثة أيام.

[٦٥] - ﴿فَمَقَرُّوْهَا﴾ عقرها «قذار»^(١) برضاهم ﴿فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ﴾ عيشوا في بلدكم «ثلاثة أيام» ثم تهلكون ﴿ذَلِكَ وَعَدٌ غَيْرُ مَكْدُوبٍ﴾ فيه، أو غير كذب، على أنه مصدر كالمعقول.

[٦٦] - ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِن خِزْيِ يَوْمِئِذٍ﴾ ونجيناهم من عذاب يومئذ، أي إهلاكهم بالصيحة أو من فضيحتهم يوم القيامة. وفتح ميمه «نافع» و«الكسائي»^(٢) «بناء» لإضافته الى مبنى ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ﴾ القادر على ما يشاء «العزيز» الغالب.

[٦٧] - ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيارِهِمْ جاثمين﴾ فسر في الاعراف.^(٣)

[٦٨] - ﴿كَأَن﴾ مخففة ﴿لَمْ يَمُتُوا﴾ لم يقيموا ﴿فِيهَا﴾ إلا إن تمودا كفروا ربهم.

(١) في ج: قذار.

(٢) حجة القراءات: ٣٤٤.

(٣) انظر سورة الاعراف الآية ٧٨ و٩١.

نَوْتَهُ مَنْ عَدَا «حَفْص» و«حَمْزَة»^(١) بقصد الحي أو أبيهم، والمنع على قصد القبيلة «أَلَا بُعْدًا لِمُؤَدٍّ» نَوْتَهُ «الكسائي»^(٢).

[٦٩] - «وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا» جبرئيل وميكائيل وإسرافيل.

وعن الصادق عليه السلام: رابعهم «كرويل»^(٣) «إِبْرَاهِيمَ الْبَشْرَى» بالولد، أو بهلاك قوم لوط «قَالُوا سَلَامًا» سلمنا عليك سلاماً «قَالَ سَلَامٌ» عليكم أو امركم سلام. حياتهم بالأحسن، لإسمية الجملة، وقرأ «حَمْزَة» و«الكسائي» «سَلَّمَ» بكسر السين وسكون اللام^(٤) «فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ» فما توقف في مجيئه به «حَنِيدٌ» مشوي. ظنهم أضيفاً.

[٧٠] - «فَلَمَّا رَأَوْا أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ» لا يمدونها «إِلَيْهِ نَكَرَهُمْ» أي أنكروهم «وَأَوْجَسَ» أضر «مِنْهُمْ خِيفَةً» أن يريدوه بسوء، فلما علموا خوفه «قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا» ملائكة «أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ لُوطٍ» لنهلكهم ولنا من يأكل.

[٧١] - «وَأَمْرَاتُهُ» سارة «قَائِمَةٌ» خلف الستر أو تخدمهم «فَضْجَكْتَ» فرحاً بالأمن، أو بهلاك قوم لوط، أو بإصابة حدسها أنهم سيهلكون.

وقيل: ضحكت: حاضت «فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ» من بعده «يَعْقُوبَ» ابنه «تدركه» نصبه «ابن عامر» و«حَمْزَة» و«حَفْص» بفعل دل عليه^(٥) «بشرنا» أي ووهبنا له يعقوب. ورفع الباقون مبتدأ وخبره الظرف.

[٧٢] - «قَالَتْ يَا وَيْلَتَا» يقال عند أمر عظيم تعجباً، وألفه بدل ياء الإضافة، أو

(١) حجة القراءات: ٣٤٤-٣٤٥.

(٢) حجة القراءات: ٣٤٥.

(٣) تفسير البرهان ٢: ٢٢٦.

(٤) حجة القراءات: ٣٤٦.

(٥) حجة القراءات: ٣٤٧ - وتفسير مجمع البيان ٣: ١٧٥.

للندبة ﴿ءَالِدٌ وَأَنَا عَجُوزٌ﴾ ابنة تسع وتسعين ﴿وَهَذَا بَعْلِي﴾ زوجي ﴿شَيْخًا﴾ ابن مائة . وهو حال ، عاملها الإشارة ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ أن يولد ولد لهرمين . تعجبت من خرق العادة .

[٧٣] - ﴿قَالُوا أُنْعَجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ من قدرته ﴿رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ نداء تخصيص . وجعلها من أهل بيته لأنها ابنة عمه ، فلا يدل على كون زوجة الرجل من أهل بيته ﴿إِنَّهُ حَمِيدٌ﴾ محمود ﴿مَجِيدٌ﴾ كريم .

[٧٤] - ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ﴾ الخوف ﴿وَجَاءَهُ الْبُشْرَى﴾ بالولد ﴿يُجَادِلُنَا﴾ أقبل يجادل رسلنا ﴿فِي قَوْمٍ لُوطٍ﴾ في شأنهم بقوله : ﴿إِنْ فِيهَا لُوطًا﴾ .^(١)
[٧٥] - ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ﴾ ذؤانة ﴿أَوَّاهٌ﴾ دعاء مترحم ﴿مُنِيبٌ﴾ رجاع الى الله ، فجداله لرأفته وترحمه ، قالت الملائكة :

[٧٦] - ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ الجدال ﴿إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرٌ رَبِّكَ﴾ بإهلاكهم ﴿وَأِنَّهُمْ لَفِي شَرِّ عَذَابٍ فَبِئْسَ مَرْدُودٌ﴾ مدفوع عنهم .

[٧٧] - ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ﴾ اغتم بسبيهم ، إذ جاءوا في صورة غلمان أضياف فخاف عليهم قومه ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ صدرًا . كناية عن فقد الحيلة في دفع المكروه ﴿وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ شديد .

[٧٨] - ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ﴾ حين أعلمتهم امرأته بهم بتدخينها ﴿يُهْرَعُونَ﴾ يسرعون ﴿إِلَيْهِ﴾ كأنهم يساقون سوقاً ﴿وَمِنْ قَبْلُ﴾ قبل ذلك اليوم ﴿كَانُوا يَمْلِكُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ إتيان الذكور في أدبارهم ﴿قَالَ﴾ لما هموا بأضيافه ولم يستحيوه ﴿يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾ فتزوجوهن ، وكانوا يخطبونهن فلا يجيبهم لعدم الكفاءة لا للكفر ، إذ ليس مانعاً في شرعه ولا في ابتداء الإسلام . وقد نسخ .

وقيل أراد نساءهم لأن كل نبي أبو امته ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ انظف وأحل . ولعل

التنزيل غير مراد ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ بإيثار الحلال على الحرام ﴿وَلَا تُخْزُونِ﴾ تنفضحوني ﴿فِي صُنْفِي﴾ أضيافي ﴿أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر. [٧٩] - ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا لَنَا فِي بَسَاتِكِ مِنْ حَقٍّ﴾ حاجة ﴿وَأَنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا تُرِيدُ﴾ وهو اتيان الذكور.

[٨٠] - ﴿قَالَ لَوْ أَنِّي بِيَدِي قُوَّةٌ﴾ منعة ﴿أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ أو أنضم الي عشيرة تنصربي لدفعتمكم، فلما رأت الملائكة ما لقيه لوط

[٨١] - ﴿قَالُوا يَا لَوُطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾ بما يسؤك، فدعهم يدخلوا فدخلوا ففسر جبرائيل بجناحه وجوههم فأعماهم ﴿فَأَسْرِ﴾ - بقطع همزته - من الاسرار، ووصلها «نافع» و«ابن كثير»^(١) حيث أتى من السري، لغتان ﴿بِأَهْلِكَ يَقْطَعُ﴾ بطائفة ﴿مَنْ الْيَلِيلُ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾ لا ينظر الى ورائه، أو: لا يتخلف ﴿إِلَّا أَمْرًا تُكِّتُ﴾ رفعه «ابن كثير» و«أبو عمرو»^(٢) بدلاً من «أحد» ونصبه الباقون على الإستثناء من «لا يلتفت»، وفيه: انه: على غير الأفصح، وجعله استثناء من «فأسر بأهلك» ينافي قراءة الرفع، إن فسر الالتفاف بالنظر الى الوراء في السري، ولا يصح حمل القراءتين على المتتافين وإن كانا مرويين، إذ قيل: تخلفت، وقيل: خرجت والتفتت وقالت: واقوماه، فأنهاها حجر فقتلها ﴿إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابُهُمْ﴾ وسألهم لوط تعجيل عذابهم فقالوا: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾.

[٨٢] - ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ بالعباد ﴿جَعَلْنَا عَلَيْهِمْ سَافِلَهَا﴾ أي مدنهم بأن أمرنا جبرئيل، فأدخل جناحه تحتها فرفعها حتى سمع أهل السماء صياح الديكة، ونباح الكلاب فقلبها بهم ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا﴾ أي المدن ﴿حِجَابًا مِّنْ سِجِّيلٍ﴾ معرب «سنگ گِل» أي طين متحجر، وقيل: هو الآجر، وقيل: انه فعيل من أسجله أي أرسله ﴿مَنْضُودٍ﴾ متتابع بعضه على أثر بعض.

[٨٣] - ﴿مُسَوَّمَةٌ﴾ معلّمة للعذاب أو باسم من يُرمى بها ﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾ في قدرته ﴿وَمَا هِيَ﴾ أي الحجارة ﴿مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ من أمتك يا محمد ﴿بِعَيْدٍ﴾ تهديد لقريش . والتذكير لأنها حجر .

[٨٤] - ﴿وَالِىَ مَدْيَنَ﴾ أولاد مدين بن ابراهيم عليه السلام أو أهل «مدين» بلد بناء فسَمِيَ باسمه ﴿أَخَاهُمْ﴾ نسباً ﴿شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ وَلَا تَتَّقُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾ كانوا مع شركهم يطففون ؛ فأمرهم بالتوحيد ونهاهم عن التطفيف ﴿إِنِّى أَرْسِلُكُمْ بِخَيْرٍ﴾ سعة تغنيكم عن البخس أو بنعمة فلا تزيلوها به ﴿وَإِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ ان لم تتوبوا ﴿عَذَابُ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ لا يفلت منه أحد منكم . ووصف اليوم به وهو صفة العذاب لوقوعه فيه .

[٨٥] - ﴿وَيَا قَوْمِ أَتُوقُونَ﴾ اتموا ﴿الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ لا تنقصوهم حقوقهم المقدرة وغيرها ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا﴾ لا تفسدوا ﴿فِى الْأَرْضِ مُسِيذِينَ﴾ بالشرك والبخس وغيرهما وهو حال مؤكدة .

[٨٦] - ﴿بَيِّتُ اللَّهِ﴾ ما أبقاء لكم من الحلال بعد إيفاء الحق ، أو طاعته ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ مما تأخذون بالبخس ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ شرط لخيريتها ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيفٍ﴾ احفظ أعمالكم فاجزيكم بها أو أحفظكم منها ، وانما أنا نذير .

[٨٧] - ﴿قَالُوا﴾ - تهكمأ - : ﴿يَا شُعَيْبُ أَصَلَوَاتُكَ﴾ بالجمع - فإنه كان كثير الصلوات ، وأفردها «حمزة» والكسائي «وحفص»^(١) ﴿تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ﴾ بتكليف أن تترك ﴿مَا يَتَّبِعُهُ آبَاؤُنَا﴾ من الأصنام . جواب أمرهم بالتوحيد ﴿أَوْ أَنْ نَفْعَلَ﴾ أي أو نترك فعلنا ﴿فِى أَمْوَالِنَا نِشَاءً﴾ من البخس . جواب نهيم عنه وأمرهم بالإيفاء ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ قالوا ذلك استهزاء ، وإرادوا به ضده .

[٨٨] - ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْتَةٍ﴾ بيان وبصيرة ﴿مِّن رَّبِّى وَرَزَقْنِى

مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ مَالًا حَلَالًا. تقدير جواب الشرط: أَفَأَكْفُرُ نِعْمَهُ وَأُخَوِّنُ بَتَبْلِيغِ رِسَالَتِهِ ﴿وَمَا أَرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ﴾ وأقصد ﴿إِلَى مَا أَنهَأَكُم عَنْهُ﴾ فارتكبه ﴿إِنْ أَرِيدُ﴾ بما أمركم به وإنهأكم عنه ﴿إِلَّا الْإِصْلَاحَ﴾ لكم ديناً ودنياً ﴿مَا اسْتَطَعْتُ﴾ مدة استطاعتي، أو القدر الذي استطعته ﴿وَمَا تَوْفِيقِي﴾ تسهيل سبل الخير لي. وفتح الياء «نافع» و«ابن عامر» و«أبو عمرو»^(١) ﴿إِلَّا بِاللهِ﴾ بلفظه ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ به وثقت لا بغيره ﴿وَالَيْهِ أُنِيبُ﴾ أرجع في المعاد أو النوائب.

[٨٩] - ﴿وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ يكسبكم ﴿شِقَاقِي﴾ خلاني ﴿أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ﴾ من الغرق وهو شاني مفعولي «يجرم» ﴿أَوْ قَوْمِ هُودٍ﴾ من الريح ﴿أَوْ قَوْمِ صَالِحٍ﴾ من الرجفة ﴿وَمَا قَوْمٌ لَوْ لُوطٍ مِّنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾ زمنهم أو دارهم، فاعتبروا بهم.

[٩٠] - ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ﴾ بالتائبين ﴿وَدُودٌ﴾ محب لهم، أي مرید لمنافعهم.

[٩١] - ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ﴾ نفهم ﴿كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ﴾ وذلك لعدم إلقاء أذهانهم إليه، أو قالوه استهانة بقوله: ﴿وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾ بدناً أو ذليلاً. وقيل: أعمى، ويرده «فينا» ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ﴾ عشيرتك وحرمتهم ﴿لَرَجَمْنَاكَ﴾ لقتلناك بالحجارة أو لشتمنناك ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ فندع رجلك لعزتك، وإنما ندعه لعزة قومك.

[٩٢] - ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ أُصَبِّحُ أَشْرًا عَلَى كُفْرِكُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ فتتركون رجمي لأجلهم، ولا تتركونه لله. وفتح «الياء» «الحرميان» و«أبو عمرو» و«ابن ذكوان»^(٢) وكذا ياء «اني»^(٣)

(٢٥١) النشر في القراءات العشر ٢: ٢٩٢.

(٣) وردت كلمة إني: في هذه السورة في عدة مواضع وهي الآيات: ٢٦ و٣١ و٤٦ و٤٧ و٥٤ و٨٤ و٩٣.

- وانظر النشر في القراءات العشر ٢: ٢٩٢.

﴿وَاتَّخَذْتُمُوهُ﴾ أي الله ﴿وَرَاءَكُمْ ظَهْرًا﴾ جعلتموه كالمنبوذ خلف الظهر فنسيتموه ﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ محصل له ، لا يفوته شيء منه .

[٩٣] - ﴿وَبَا قَوْمِ اْعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ فُسِّر مثله في «الأنعام»^(١) ﴿وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ﴾ عطف على «من يأتيه» أي : سوف تعلمون من المعذب والكاذب مني ومنكم ﴿وَارْتَقِبُوا﴾ انتظروا ما أعدكم به ﴿إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ منتظر .

[٩٤] - ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْعَةَ﴾ صاح بهم جبرئيل فماتوا ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَائِعِينَ﴾ صرعى على وجوههم موتى .

[٩٥] - ﴿كَأَن﴾ مخفية ﴿لَمْ يَمْنُوا﴾ لم يقيموا ﴿فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدِينٍ﴾ عن رحمة الله أو هلاكاً لهم ﴿كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ﴾ شَبَّهوا بهم لأنهم هلكوا بصيحتهم أيضاً ، لكن تلك من نحتهم^(٢) .

[٩٦] - ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا﴾ بمعجزاتنا ﴿وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ حجة بينة باهرة هي العصا أو غيرها من الآيات ، أو المراد بهما واحد ، إذ المعجزة من جهة الاعتبار آية ، ومن جهة القوة سلطان .

[٩٧] - ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ﴾ طريقه وهو الظلال ، وتركوا طريق موسى وهو الهدى ﴿وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ سديد ، لأنه داع إلى الشر ، وصائد عن الخير .

(١) هند تفسير الآية (١٣٥) من سورة الانعام .

(٢) يبدو أن مراد المؤلف «وه» العذاب الحاسم الذي أتى على القوم فدمرهم تدميراً ، وحيثئذ يكون عذاب قوم مدين من فوقهم كما اشارت اليه الآية (١٨٩) من سورة الشعراء ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُم عَذَابُ يَوْمِ الظَّلَّةِ .﴾ وتفسير الآية (٧٩) سورة الحجر من هذا التفسير ، وعذاب ثمود مت تحتم كما اشارات اليه الآية (٥) من سورة الحاقة ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾ . والطاغية كما جاءت من مفردات الراغب اشارة الى الطوفان .

[٩٨] - ﴿يَقْدُمُ قَوْمُهُ﴾ يتقدمهم ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ الى النار، كما تقدمهم في الدنيا الى الضلال ﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ عبر بالماضي لتحققه، وسمي دخولها ورداً تنزيلاً لها منزلة الماء ﴿وَيَسَّى الْوِزْدَ الْمُورِدُ﴾ المورد الذي وردوه عطاشى لإحياء نفوسهم النار. والآية بيان لقوله: ﴿وما أمر فرعون برشيد﴾.

[٩٩] - ﴿وَأُتُوا فِي هَذِهِ﴾ أي الدنيا ﴿لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ لعنة ﴿يَسَّى الرَّفْدِ الْمُرْفُودِ﴾ العون المعان رفدهم، وهو: اللعتان.

[١٠٠] - ﴿ذَلِكَ﴾ النبا ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى﴾ المهلكة ﴿نَقَضَهُ عَلَيْكَ مِنْهَا﴾ أي: القرى ﴿قَاتِمٌ﴾ على بنائه ﴿وَحَصِيدٌ﴾ دارس كالزراع المحصود.

[١٠١] - ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾ يهلكهم ﴿وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بكفرهم الموجب له ﴿فَمَا أَغْنَتْ﴾ دفعت ﴿عَنْهُمْ إِلَهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ عذابه ﴿وَمَا رَادُّوهُمْ غَيْرَ تَتَيْبٍ﴾ تخسير أو تدمير.

[١٠٢] - ﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي مثل ذلك الأخذ ﴿أَخَذَ رَبُّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى﴾ أهلها ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ حال ﴿إِنْ أَخَذَهُ أَلَيْمٌ شَدِيدٌ﴾ وجيع لا يرد.

[١٠٣] - ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المقصوص عليك ﴿لَايَةً﴾ لعبرة ﴿لَمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ﴾ وخص بالذكر لأنه المستفيع بالتفكير فيه ﴿ذَلِكَ﴾ أي يوم القيامة ﴿يَوْمَ مَجْمُوعُ لَهُ النَّاسُ﴾ أي: لمافيه من الحساب والجزاء ﴿وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾ يشهده أهل السماء والأرض.

[١٠٤] - ﴿وَمَا تَوَخَّرُهُ﴾ أي اليوم، وقرأ «يعقوب» بالياء^(١) ﴿إِلَّا لِأَجَلٍ﴾ لانقضاء أجل ﴿مَعْدُودٍ﴾ متناه.

[١٠٥] - ﴿يَوْمَ يَأْتِي﴾ حين يأتي اليوم أو الجزاء وحذف «ابن عامر» و«حمزة» و«عاصم» الياء^(٢) ﴿لَا تَكَلَّمُ﴾ تتكلم ﴿نَفْسٌ﴾ بما ينفع كشفاة وغيرها ﴿إِلَّا بِأَذْنِهِ﴾

تعالى ، هذا في موقف ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ في آخر، ^(١) أو الإذن في الحق والمنع في الباطل ﴿فَمِنْهُمْ﴾ أي الخلق ﴿شَقِيَّ﴾ بسوء عمله ﴿وَسَعِيدٌ﴾ بحسن عمله .

[١٠٦] - ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا﴾ بأعمالهم القبيحة ﴿فَفِي النَّارِ﴾ استحقوها جزاء لأعمالهم ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾ صوت شديد ﴿وَشَهِيقٌ﴾ صوت ضعيف .
ويقالان لأول النهيق وآخره .

[١٠٧] - ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ أي مدة دوامهما في الدنيا .
أريد به التأييد على عادة العرب لارتباط دوامهم بالنار بدوامهما للنص على تأييدهم وزوالهما ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ «إلا، بمعنى سوى ، مثل : لك ألف إلا ألفان سبقا أي : سواء أي ما شاء ربك من الزيادة التي لا تنتهي لها على مدتتهما .
والمعني : خالدين فيها أبداً . والإستثناء من خلودهم في النار لأن منهم فساق الموحدين ، وهم يخرجون منها .

ويصح الإستثناء بذلك لزوال حكم الكل بزواله عن البعض ، وهم المستثنى في الآية إذ يفارقون الجنة وقت عذابهم فقد شقوا بعصيانهم ، وسعدوا بإيمانهم فجمعوا الوصفين باعتبارين ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ لا مانع له .

[١٠٨] - ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا﴾ بناء «حمزة» و«الكسائي» و«حفص» للمفعول ^(٢) من ساعده أي أسعده ﴿فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ﴾ نصب مصدراً ﴿غَيْرَ مَجْدُوذٍ﴾ مقطوع ، تصريح بعدم انقطاع الثواب ويؤيد التأويل الأول .

[١٠٩] - ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ﴾ شك ﴿مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ﴾ من الأوثان في أن عبادتها ضلال ، أو : من عبادتهم في أنها تجر الى النار ﴿مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ

قَبْلُ ﴿كَالَّذِي عَبْدَهِ مِنَ الْاَوْثَانِ اَوْ كَعِبَادَتِهِمْ، وَسِيحِلُّ بِهِمْ مَا حَلَّ بِاَبَائِهِمْ﴾ ﴿وَإِنَّا لَمُعَاقِبُوهُمْ﴾ كآبَائِهِمْ ﴿نَصِيْبُهُمْ﴾ حَظُّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ ﴿غَيْرِ مَقْصُوصٍ﴾ حَالُ، أَي: تَامًا.

[١١٠] - ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التَّوْرَةَ ﴿فَاخْتَلَفَ فِيهِ﴾ مِنْ مَصْدَقٍ بِهِ وَمَكْذُوبٍ كِلَاخْتِلَافٍ قَوْمِكَ فِي الْقُرْآنِ فَلَا تَحْزَنُ ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ بِالْإِمْهَالِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿لَقَضَيْتُمْ بَيْنَهُمْ﴾ فِي الْحَالِ، بِإِهْلَاكِ الْمَبْطُلِ وَانْجَاءِ الْمَحْقُوقِ ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ أَيِ الْكُفْرَةِ ﴿لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ﴾ مِنَ الْقُرْآنِ ﴿مُرِيبٍ﴾ مَوْقِعٍ لِلرِّبَةِ.

[١١١] - ﴿وَإِنْ كَلَّا﴾ كُلِّ الْمَخْتَلِفِينَ مَصْدَقِيهِمْ وَمَكْذِبِيهِمْ، وَخَفَفَهَا عَامِلَةٌ «ابن كثير» و«نافع» و«أبو بكر»^(١) ﴿لَمَّا^(٢) لِيُوقِبْنَهُمْ﴾ أَحَدَى السَّلاَمِينَ مَوْثِقَةً لِلْقِسْمِ وَالْآخَرَى مُؤَكِّدَةً. و«ما» زِيدَتْ لِلْفَصْلِ بَيْنَهُمَا، وَشَدَّدَهَا «ابن عامر» و«عاصم» و«حمزة»^(٣) عَلَى أَنْ أَصْلُهُ «لَمَنْ مَا» قَلَبْتَ النُّونَ مِيمًا «لَتَدْعُغُمْ» وَحَذَفْتَ أَوَّلَى الْمِيمَاتِ، أَي: لَمَنْ الَّذِينَ يُوقِبْنَهُمْ ﴿وَبُئِكَ أَعْمَالُهُمْ﴾ أَي: جَزَاءُهَا ﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ عَالِمٌ بِخَفِيَّتِهِ كَجَلِيَّتِهِ.

[١١٢] - ﴿فَاسْتَقِمْ﴾ عَلَى الدِّينِ وَالْعَمَلِ بِهِ وَالِدَعَاءِ إِلَيْهِ ﴿كَمَا أُمِرْتُ﴾ فِي الْقُرْآنِ ﴿وَمَنْ﴾ عَطَفَ عَلَى مُسْتَكْنٍ «اسْتَقَمَ» وَلَمْ يَزُكِّدْ لِلْفَصْلِ ﴿ثَابَ﴾ مِنَ الشَّرْكِ وَآمَنَ ﴿مَمَّكَ وَلَا تَطْغَوْا﴾ تَعَدُّوا حُدُودَ اللَّهِ ﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فَيَجَازِيكُمْ بِهِ.

(١) حجة القراءات: ٣٥٠.

(٢) فِي هَامِشِ «الْف» وَ«ب» مَا يَلِي: وَقَدْ حَصَلَ مِنَ التَّشْدِيدِ وَالتَّخْفِيفِ فِي إِنْ وَلَمَّا أَرْبَعَ قُرَءَاتٍ مِنَ السَّبْعَةِ تَخْفِيفُهَا لِنَافِعٍ وَابْنِ كَثِيرٍ، وَتَشْدِيدُهَا لِابْنِ عَامَرَ وَحَمْزَةَ وَحَفْصَ عَنْ عَاصِمٍ، وَتَشْدِيدُ إِنْ وَتَخْفِيفُ لِمَا لِابْنِ عَمْرٍو وَالْكَسَائِيِّ، وَبِالْعَكْسِ لِابْنِ بَكْرٍ - عَنْ عَاصِمٍ (مِنْهُ رَحِمَهُ اللَّهُ) - وَمَا بَيْنَ الشَّارِحَتَيْنِ اخْتَصَتْ بِهَا «الْف».

(٣) حجة القراءات: ٣٥٠ - وَتَفْسِيرُ مَجْمَعِ الْبَيَانِ ٣: ١٩٦ - ١٩٧.

قِيلَ مَا نَزَلَ عَلَيْهِ مِنْ لَدُنِّهِ وَآلَهُ وَسَلَّمَ أَشَدَّ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ ^(١) وَلِذَلِكَ قَالَ :
«شِيبَتْنِي هُودٌ» . ^(٢)

[١١٣] - «وَلَا تَزْكُوا» تَمِيلُوا «إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا» بِمُؤَدَّةٍ أَوْ طَاعَةٍ أَوْ نَصَحٍ
«فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ» يَرْكُوبُكُمْ الْبَهِيمُ «وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ» أَيِ سِوَاهُ «مِنْ أَوْلِيَاءَ» أَنْصَارٍ
يُدْفَعُونَ عَذَابَهُ عَنْكُمْ «ثُمَّ لَا تَنْصُرُونَ» أَصْلًا، إِذْ أَوْعَدَكُمْ بِالْعَذَابِ وَلَا دَافِعَ لَهُ فَ«ثُمَّ»
بِمَنْزِلَةِ الْفَاءِ .

[١١٤] - «وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ» طَرَفٌ غَدْوَةٌ أَوْ صَلَاةُ الصَّبْحِ، وَعَشِيَّةٌ أَوْ
الْمَغْرِبِ، أَوْ الْعَصْرِ أَوْ الظُّهْرِ، إِذَا مَا بَعْدَ الزَّوَالِ عَشِيَّةً «وَوَلِّقَا مِنْ اللَّيْلِ» سَاعَاتٍ
مِنْ قَرِيبَةٍ مِنَ النَّهَارِ أَوْ صَلَاةُ الْعِشَاءِ أَوْ الْعِشَاءَيْنِ «إِنَّ الْحَسَنَاتِ» الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ
أَوْ الطَّاعَاتِ «يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ» يَكْفِرُنَهَا أَوْ يَدْعُونَ إِلَى تَرْكِهَا «ذَلِكَ» الْمَذْكُورُ مِنْ
«فَاسْتَقِم» إِلَى هُنَا «ذِكْرُ لِلَّذِينَ كَرِهُوا» عِظَةٌ لِلْمُتَذَكِّرِينَ .

[١١٥] - «وَأَصْبِرْ» عَلَى الصَّلَوَاتِ أَوْ الطَّاعَاتِ أَوْ عَلَى أَذَى قَوْمِكَ «فَإِنَّ اللَّهَ
لَا يُضَيِّعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ» الصَّابِرِينَ عَلَى الطَّاعَةِ وَتَرْكِ الْمَعْصِيَةِ .

[١١٦] - «فَلَوْ لَا» فَهَلَا، تَوْبِيخٌ مَعْنَاهُ النَّفْيُ، أَيِ : مَا «كَانَ مِنَ الْقُرُونِ» الْأُمَمِ
الْمَاضِيَةِ «مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ» أَصْحَابُ دِينٍ أَوْ خَيْرٍ أَوْ فَضْلٍ «يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي
الْأَرْضِ إِلَّا» لَكِنْ «قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ» نَهَا عَنْهُ فَانْجَيْنَاهُمْ وَمِنْ «بَيَانَةٍ» وَاتَّبَعَ
الَّذِينَ ظَلَمُوا بِالْفَسَادِ وَتَرَكَ النَّهْيَ عَنْهُ «مَا أَتَرَفُوا» أَنْعَمُوا «فِيهِ» مِنَ اللَّذَاتِ «وَكَانُوا
مُجْرِمِينَ» كَافِرِينَ .

[١١٧] - «وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ» مِنْ لَهَا «وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ»
مُؤْمِنُونَ، أَوْ مَا يَهْلِكُهُمْ بِشَرِكِهِمْ وَهُمْ عَلَى النِّصْفَةِ فِيمَا بَيْنَهُمْ .

[١١٨] - «وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ» مَشِئَةً حَتَمَ وَجَبَرَ «لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً» فِي

الإيمان، لكن جبرهم يبطل الغرض من التكليف وهو استحقاق الثواب، فلذلك لم يشاء، بل شاء أن يؤمنوا باختيار، مشيئة طلب لا إكراه ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ في الدين بين محق ومبطل.

[١١٩] - ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾ لطف بهم لعلمه بأن اللطف ينفعهم، فاتفقوا على الحق بلطفه ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ أي للرحم أو لاتفاقهم في الإيمان أمة واحدة ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾^(١).

وقيل: الإشارة إلى الاختلاف، واللام للعاقبة ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ وجب قوله أو مضى حكمه ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ بكفرهم.

[١٢٠] - ﴿وَكَلَّا﴾ وكل نبأ. وناصبه ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا﴾ «ما» بدل من «كلَّا» ﴿تُبَيِّنُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ نقوي به قلبك ونزيدك ثباتاً على التبليغ واحتمال أذى قومك ﴿وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ﴾ السورة أو الأنباء ﴿الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ خصوصاً بالذكر لأنهم المنتفعون بتدبرها.

[١٢١] - ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ حالتكم ﴿إِنَّا عَامِلُونَ﴾ على حالتنا.

[١٢٢] - ﴿وَانْتَظِرُوا﴾ عقوبة كفركم ﴿إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ ثواب إيماننا.

[١٢٣] - ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ له وحده علم ما غاب فيهما ﴿وَالِيهِ يَرْجِعُ﴾ يعود. وبناه «نافع» و«حفص» للمفعول^(٢) أي يرذ «الأمر كله» لا يشركه فيه أحد ﴿فَاعْبُدْهُ﴾ وحده ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ ثق به، فإنه كافيك ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ بل هو محصيه ومجازيهم به وقرأ «نافع» و«ابن عامر» بالخطاب.^(٣)

(١) ورد هذا في سورة الذاريات: ٥٦/٥١.

(٢) تفسير مجمع البيان ٣: ٢٠٢ وحجة القراءات: ٣٥٣.

(٣) حجة القراءات: ٣٥٣.

سورة يوسف

[١٢]

مائة وإحدى عشر آية مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] - ﴿الر تِلْكَ﴾ أي الآيات ﴿ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ السورة أو القرآن، البين الإعجاز أو المبين له.

[٢] - ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ أي الكتاب ﴿قُرْءَانًا﴾ يقال للبعض والكل، وهو حال، أو توطئة للحال وهي ﴿عَرَبِيًّا﴾ بلغة العرب ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ لتفهموه أو لتعلموا أنه من عند الله بعجزكم عن معارضته.

[٣] - ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ أحسن المقصوص لتضمنه حكماً وعبراً، مفعول «نقص». أو أحسن الإقتصاص في الأسلوب، مصدر ﴿بِمَا أَوْحَيْنَا﴾ بإيحائنا ﴿إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْءَانُ﴾ أي السورة أو الكل ﴿وَإِنْ﴾ مخفف ﴿كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ عما فيه من قصة يوسف، والأعم من ذلك أي لا تعلم شيئاً منه.

[٤] - ﴿إِذْ﴾ اذكر إذ ﴿قَالَ يُوسُفُ﴾ عبري^(١) ﴿لِأَيِّهِ﴾ يعقوب ﴿يَا أَبَتِ﴾ التاء

(١) كذا في تفسير البياضوي ٣: ٤٣ - وفيه: ولو كان عريباً لصرف وقرىء بفتح السين وكسرهما على التلعب به لاعلى انه مضارع بني للمفعول والفاعل من أسف لان المشهورة شهدت بعجمته.

عوض عن ياء الإضافة المحذوفة، وكسرهما لمناسبة الياء، وفتحها «ابن عامر»^(١) لمناسبة الألف المحذوفة المقلوبة عن الياء، ووقف «ابن كثير» و«أبو عمرو» بالهاء^(٢) ﴿إِنِّي رَأَيْتُ﴾ في منامي ﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ﴾ كرر تأكيداً ﴿لِي سَاجِدِينَ﴾ جمعت كالعقلاء لوصفها بصفتهن وهو السجود.

[٥] - ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ﴾ فتح الياء «حفص»^(٣) وكسرهما غيره، مصغر «ابن» تصغير شفقة ﴿لَا تَقْصُصْ رُءُيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ فيحتالوا لإهلاكك حيلة لعلهم يتأويلها من علوك عليهم.

وأنهم الكواكب، والشمس والقمر أبواك. خاف أن يحسده فيقتالوه ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ بين العداوة، فيحملهم على الحسد والكيد.

[٦] - ﴿وَكَذَلِكَ﴾ الاجتناء بهذه الرؤيا الدالة على تفوقك ﴿بِجَنَّتِكَ رَبُّكَ﴾ يختارك للنبوّة، أو لحسن الخلق والخلق ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ تعبير الرؤيا أو معاني كتب الله ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾ بالنبوة ﴿وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ﴾ بنيه، بجعل النبوة فيهم ﴿كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ﴾ بالنبوة ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ من قبلك ﴿إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ﴾ بيان له «أبويك» ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ﴾ بمن يصلح للنبوة ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه.

[٧] - ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ﴾ في خبرهم وهم أحد عشر ﴿آيَاتٍ﴾ عبر عجيبة ودلائل لنبوتك. ووحدها «ابن كثير»^(٤) ﴿لِلْمَسَائِلِينَ﴾ عن خبرهم كاليهود، إذ قالوا للمشركين: سلوا محمداً عن قصة يوسف.

[٨] - ﴿إِذْ قَالُوا﴾ اذكر إذ قال بعض إخوته لبعض: ﴿لِيُوسُفَ وَأَخُوهُ﴾ لأبويه

(١) حجة القراءات: ٣٥٣.

(٢) كذا في النسخ، وفي حجة القراءات ٣٥٤: وقف ابن كثير وابن عامر «يا أبة» على الهاء.

(٣) تفسير البضاوي ٣: ٤٤.

(٤) حجة القراءات: ٣٥٥.

«بَنِيَامِينَ» ﴿أَحَبُّ إِلَيَّ أَيْنَا مَنَا﴾ .

قيل كان «يعقوب» شديد الحب ليوسف، ويؤثره على أولاده فحسده، ثم رأى الرؤيا فاشتد حسدهم له ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ والحال اننا جماعة، ويقال للعشرة فما زاد ﴿إِنْ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ عن التدبير في أمر الدنيا بإيثارهما علينا ونحن أنفع له .
[٩] - ﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾ في أرض بعيدة ونصبت ظرفاً لإيهامها .
قاله «شمعون» أو «دان» ﴿يَخْلُ﴾ بخلص ﴿لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾ عن شغله بيوسف ويقبل عليكم بكله ﴿وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ﴾ بعد قتله أو طرحه ﴿قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ بالتوبة عما فعلتم أو في أمر دنياكم أو مع أبيكم .

[١٠] - ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ﴾ «يهودا» أو «رونيل» : ﴿لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ﴾ قعر البئر المغيب ما فيه عن الحس، وجمعها «نافع» في الموضعين^(١) ﴿يَلْتَقِطُهُ﴾ يأخذه ﴿بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾ ما يفرق بينه وبين أبيه فليكن هذا .

[١١] - ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا﴾ بالإدغام، والإشمام، و«قالون» لا يشم^(٢) ﴿عَلَى يُوسُفَ﴾ لم تهمنا في أمر ﴿وَأِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ﴾ عاطفون عليه، قائمون بمصالحه .

[١٢] - ﴿أَرْسَلُهُ مَعَنَا عَدَا﴾ الى الصحراء ﴿تَرْتَعُ﴾ تنعم وتاكل ﴿وَنَلْعَبُ﴾ بالرمي والاستباق . بالنون فيها، وجزم العين لـ «أبي عمرو» و«ابن عامر»،^(٣) وكذا «ابن كثير» لكن بكسرهما،^(٤) من «ارتعى» كـ «نافع»^(٥) بالياء فيها، وبالياء والجزم «للكوفيين»^(٦)

(١) حجة القراءات: ٣٥٥. والموضع الآخر آية / ١٥ .

(٢) تفسير مجمع البيان ٣: ٢١٣ .

(٣) حجة القراءات: ٣٥٥ .

(٤) حجة القراءات: ٣٥٦ .

(٥) تفسير مجمع البيان ٣: ٢١٣ .

﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ حَتَّى نَرُدَّهُ إِلَيْكَ .

[١٣] - ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزَنُنِي أَنَّ تَذْهَبُوا بِهِ﴾ وَتَغَيِّبُوهُ عَنِّي . وَفَتَحَ «الْحَرَمِيَّانَ»^(١) بَاءَهُ

الْآخِرَةَ^(٢) وَفَتَحَاهُمَا «أَبُو عَمْرٍو» بَاءَ ﴿رَبِّي أَحْسَنُ﴾^(٣) [وَبَاءَ] «أَبِي أَوْ يَحْكُمُ»^(٤) ﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذَّنْبُ﴾ وَكَانَتْ أَرْضُهُمْ مَذَابَةً^(٥) ، وَلَمْ يَهْمَزْ «السُّوسِي» وَ«وَرَش» وَ«الْكِسَانِي»^(٦) ﴿وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ مُشْتَغِلُونَ بِأَشْغَالِكُمْ

[١٤] - ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ مَوْطِنًا لِّلْقَسَمِ﴾ «أَكَلَهُ الذَّنْبُ وَتَخُنْ غَضَبًا» وَلَمْ نَمْنَعْ مِنْهُ

﴿إِنَّا إِذَا لَخَّاسِرُونَ﴾ عَجْزَةً ضَعْفَاءَ ، فَأَرْسَلَهُ مَعَهُمْ .

[١٥] - ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا﴾ عَزَمُوا ﴿أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابَةِ الْجَبِّ﴾ وَجَوَابَ

«لَمَّا» مُقَدَّرٌ ، أَيِ فَعَلُوا ذَلِكَ .

قَبْلَ لَمَّا خَرَجُوا بِهِ جَعَلُوا يَضْرِبُونَهُ وَهُوَ يَسْتَعِثُّ ، وَهَمُّوا بِقَتْلِهِ ، فَمَنْعَهُمْ «يَهُودًا» فَمَضَوْا بِهِ إِلَى الْجَبِّ فَدَلُّوهُ فِيهِ ، فَتَعَلَّقَ بِشَفِيرِهِ ، فَتَزَعُّوا قَمِيصَهُ فَسَأَلَهُمْ رَدَّهُ ، فَقَالُوا : الْكَوَاكِبُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ تَوَارِيكَ ، فَلَمَّا بَلَغَ نَصْفَهُ أَلْقَوْهُ ، فَسَقَطَ فِي الْمَاءِ ، فَأَوَى إِلَى صَخْرَةٍ - وَكَانَ إِبْرَاهِيمَ حِينَ قَذَفَ فِي النَّارِ عَرِيانًا أَنَّهُ جَبْرِئِيلُ بِقَمِيصٍ مِنْ حَرِيرِ الْجَنَّةِ فَأَلْبَسَهُ إِيَّاهُ ، وَوَرَّثَهُ إِسْحَاقُ ، ثُمَّ يَعْقُوبُ ، فَجَعَلَهُ فِي تَعْوِيزٍ^(٧) وَعَلَّقَهُ عَلَى يُوسُفَ - فَجَاءَهُ جَبْرِئِيلُ فَأَخْرَجَهُ وَأَلْبَسَهُ إِيَّاهُ ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ﴾ فِي الْجَبِّ ، إِيْنَسَآ لَهُ ، نُبِّئْهُ وَلَهُ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً أَوْ أَقَلَّ ﴿لَتَنْبِتْنَهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا﴾ لِتَخْبِرَنَّهُمْ فِيمَا بَعْدَ بَصْنِعِهِمْ

(١) النسر في القراءات العشر ٢ : ٢٩٦ .

(٢) أي الباء الآخيرة من كلمة : «ليحزني» .

(٣) في الآية (٢٣) من هذه السورة .

(٤) في الآية (٨٠) من هذه السورة .

(٥) أي كثيرة الذناب .

(٦) حجة القراءات : ٣٥٧ ، وليس فيه اسم «السوسي» .

(٧) أي في عوذة .

بك ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أنك يوسف .

أريد به ما قال لهم حين دخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون .^(١)

[١٦] - ﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً﴾ مساء ﴿يَبْكُونَ﴾ متباكين، قيل : لما سمع

بكاءهم فزع وقال : ما لكم ؟ .

[١٧] - ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾ نرمي أو نعدو ﴿وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا﴾

رتلنا ﴿فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ﴾ بمصدق ﴿لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ لانها مك لنا .

[١٨] - ﴿وَجَاءُوا﴾^(٢) عَلَى قَمِيصِهِ في محل نصب على الظرفية أي فوقه ﴿يَدْمِ

كَذِبٍ﴾ وُصف به مبالغة ، أو ذي كذب ، أي : مكذوب فيه ، فإنه دم سخلة ذبحوها

ولطخوه بها ، وذهلوا أن يمزقوه ، وقالوا هذا دمه ، فقال يعقوب : كيف أكله ولم يمزق

قميصه ؟! ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ﴾ زينت ﴿لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً﴾ فصنعتموه ﴿فَصَبَّرْ جَوِيلٌ﴾

لا جزع فيه ، المبتدأ محذوف أي : أمري ، أو الخبر أي أجمل ﴿وَاللَّهُ الْمُتَعَمَّنُ عَلَى مَا

تَصِفُونَ﴾ على دفعه ، أو على الصبر عليه .

والأصح أنهم ما كانوا أنبياء كما روي عن الباقر (ع) - لمنافاة المعصية للنبوّة - .

[١٩] - ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ﴾ مسافرون من مدين الى مصر بعد إلقائه في الجب

بثلاث ، فنزلوا قريباً منه ﴿فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ﴾ من يرد الماء ليستقي لهم ﴿فَأَذْلَى﴾ أرسل

في الجب ﴿ذَلُّهُ﴾ فتعلق بها يوسف فلما رآه ﴿قَالَ يَا بُشْرَى﴾ بفتح الياء ، وحذفها

«الكوفيون»^(٤) وأمال فتحة الراء «حمزة» و«الكساني» .^(٥) والنداء مجاز أي : إحضري

فهذا وقتك ﴿هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ﴾ أي : واجدوه ، أخفوا أمره عن رفقتهم ، وقالوا دفعه

الينا أهل الماء لنبيعه لهم .

(١) كما ورد في الآية (٥٨) من هذه السورة .

(٢) يراجع تعليقنا على الآية (٦١) من سورة البقرة .

(٣) تفسير مجمع البيان ٣ : ٢١٨ .

أو اسره اخوته حين علموا به، فقالوا: هو عبدنا أبق. وسكت خوفاً أن يقتلوه ﴿بِضَاعَةٍ﴾ حال ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ بسرهم أو بكيد إخوته.

[٢٠] - ﴿وَشُرُوءُ﴾ باعوه اخوته، أو اشتراه الرققة منهم ﴿بِثَمَنِ بَخِيسٍ﴾ ناقص، أو زيوف ﴿دَرَاهِمَ﴾ بدل من ثمن ﴿مَعْدُودَةٍ﴾ قليلة، عشرين أو ثمانية وعشرين ﴿وَكَانُوا﴾ أي اخوته لجهلهم شأنه، أو الرققة لالتقاطهم إياه ﴿فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ الراغبين عنه. ولامه إن جعلت للتعريف تعلق «فيه» به، وإن جعلت موصولاً تعلق بما دل عليه «الزاهدين» لان متعلق الصلة لا يتقدم الموصول.

[٢١] - ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ﴾ العزيز وهو «قطفير» خليفة الملك وخازنه، أو هو الملك «ريان بن الوليد» من العمالة، آمن بيوسف ومات في عصره. وفرعون موسى من ولده، وقيل أنه هو عمر أربعمئة سنة.

قيل: اشتراه العزيز منهم بعشرين ديناراً وزوج نعل وثوبين أبيضين أو وزنه ورقاً^(١) ﴿لِإِثْرَانِهِ﴾ «راعي» ولقبها زليخا ﴿أَكْرَمِي مَثْوَاهُ﴾ مقامه عندنا ﴿عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا﴾ في أمورنا ﴿أَوْ تَنْخِذَهُ وَلَدًا﴾ كان عقيماً، وتفرس فيه الرشد ﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي كما أنجينا وعطفنا عليه العزيز ﴿مَكَّنَّا يُوْسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر ليقيم العدل فيها ﴿وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ فسر^(٢) ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾ لا يغلبه شيء على مراده، أو على أمر يوسف بتدبيره حتى يبلغه ما قدر له ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

[٢٢] - ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ كمال شدته وقوته وهو ثمان عشرة سنة أو ثلاث وثلاثون، أو الحلم ﴿ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا﴾ بين الناس، أو علماً وعملاً به، أو نبوة ﴿وَعِلْمًا﴾ بتعبير الرؤيا، أو فقهاً في الدين ﴿وَكَذَلِكَ﴾ الجزاء له ﴿نَجْزِي

(١) الورق: الدراهم المضروبة.

(٢) عند تفسير الآية (٦) من هذه السورة.

الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣﴾ فِي أَعْمَالِهِمْ .

[٢٣] - ﴿وَرَأَوْنَاهُ الَّتِي هُوَ فِي يَمِينِهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾ طلبت منه أن يراقعها ﴿وَعَلَّقَتْ الْإِبْرَاقَ﴾ سبعة، والتشديد للتكثير^(١) أو للمبالغة في الإيثاق ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ اسم فعل، أي: هلم وأقبل. ^(٢) واللام للتبيين. وضم «ابن كثير» التاء، ^(٣) وكسر «نافع» و«ابن عامر» الهاء، ^(٤) وكذا «هشام» لكنه يهمز، ^(٥) وعنه ضم التاء ^(٦) ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ﴾ أعوذ بالله معاذاً ﴿إِنَّهُ رَبِّي﴾ أي زوجك سيدي ﴿أَحْسَنَ مَثْوًى﴾ مقامى بإكرامي فلا أخونه وأهله، أو «الهاء» لله أي: خالقي رفع محلي، وأواني فلا أعصيه. ﴿إِنَّهُ لَا يُمْسِكُ الظَّالِمُونَ﴾ بالخيانة أو الزنا.

[٢٤] - ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ﴾ الهم بالشيء: قصده والعزم عليه، أي قصدت مخالطته ﴿وَوَعَمَّ بِهَا﴾ مال طبعه إليها.

فهمة منازعة الشهوة الطبيعية لا القصد الاختياري، فلا قبح فيه إذ لا اختيار فيه؛ وإنما معه يمدح ويثاب من كف نفسه عن الفعل ﴿لَوْ لَا أَنَّ رَجُلًا بُرْهَانَ رَبِّي﴾ جواب «لولا» محذوف دل عليه «وهم بها» أي لولا النبوة المانعة من القبيح لعزم؛ أو لفعل. وليس المتقدم جواباً، لأن جوابها لا يتقدمها ﴿كَذَلِكَ﴾ أريانه البرهان ﴿لِنُصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾ الخيانة والزنا وقصدهما. نزهة تعالى عن كل قبيح، وتأبى المجبرة ذلك، مع تأكيد بقوله: ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ دينهم لله، وفتح «نافع» و«الكوفيون» ^(٧) أي المختارين للنبوة.

(١) في «ط» للتكثير.

(٢) في «أ» اسم فعل بمعنى أقبل.

(٣) حجة القراءات: ٣٥٨ وتفسير مجمع البيان ٣: ٢٢٢.

(٤) كتاب السبعة في القراءات: ٣٤٧.

(٥) حجة القراءات: ٣٥٨ وكتاب السبعة: ٣٤٧.

(٦) التيسير في القراءات السبع: ١٢٨ وتفسير مجمع البيان ٣: ٢٢٣.

[٢٥] - ﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ﴾ بادراه، هو للهرب، وهي لتمسكه، فلحقته وجذبه ﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ﴾ شتته طولاً من خلفه ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا﴾ وجدا زوجها ﴿لَذَا الْبَابِ قَالَتْ﴾ له تبرء لنفسها، واغراء له به ﴿مَا﴾ نافية أو استفهامية، أي: أي شيء ﴿جَزَاءً مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾ خيانة ﴿إِلَّا أَنْ يُسَجَّنَ﴾ إِلَّا سجن أي حبس ﴿أَوْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ضرب مؤلم.

[٢٦] - ﴿قَالَ﴾ - متبرء مما افترته عليه -: ﴿هِيَ رَاوَدَّتْنِي عَنْ نَفْسِي﴾ طالبتني بالسوء ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا﴾ صبي في المهد ابن أختها، أو ابن عمها، وقيل رجل كان مع زوجها فقال: ﴿إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قَدْ مِنْ قُبُلٍ﴾ من قدامه ﴿فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ لدلالته على انه قصدها فدفعته.

[٢٧] - ﴿وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ﴾ من خلفه ﴿فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ لدلالته على أنه فر وتثبت به.

[٢٨] - ﴿فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ﴾ ان هذا الصنيع ^(١) ﴿مِنْ كَيْدِكُنَّ﴾ حيلتكن معاصر النساء ﴿إِنْ كَيْدُكُنَّ عَظِيمٌ﴾ شديد التأثير للطفه.

[٢٩] - ﴿يُوسُفُ﴾ اي يا يوسف ﴿أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ الحديث ولا تذكره لئلا يفشو ﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ﴾ يا زليخا ﴿إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ المذنبين تعمداً، وذكر تغليلاً.

[٣٠] - ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ﴾ جرد فعله لأنه اسم جمع لامرأة، فتأنيته مجازي ﴿فِي الْمَدِينَةِ﴾ مصر ﴿امْرَأَتُ الْعَزِيزِ﴾ هو بالعربية الملك ﴿تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾ تدعو عبداً الى الفجور بها ﴿قَدْ سَغَفَهَا حُبًّا﴾ تميز أي: دخل حبه شغاف ^(٢) قلبها أي: غشاه ﴿إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ في خطأ ظاهر بفعلها.

(١) في «ج»: الصنع. وفي «ط»: لصنيع.

(٢) في «ط»: الى شغاف.

[٢١] - ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾ بتعبيرهن، سماء مكرراً لأنهن قلن لتريهِنَّ يوسف، أو لإفشائهن ما استكتمتهنَّ من سرّها ﴿أَرْسَلْتُ إِلَيْهِنَّ﴾ ودعتهن في جملة أربعين امرأة وكنَّ خمساً ﴿وَأَعْتَدْتُ﴾ أعدت ﴿لَهُنَّ مُتْكِنًا﴾ وسائد يتكين عليها، أو طعاماً إذ كانوا يتكثون للطعام وقيل «أترجاً» ﴿وَوَآتَتْ﴾ أعطت ﴿كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا﴾ ليفطعن بها الفواكه واللحم ﴿وَقَالَتْ﴾ - ليوسف -: ﴿اخرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ﴾ أعظمته وبُهِتْنَ لجماله .

وقيل : أكبرته : حضن له ، ﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ جرحنها بالسكاكين ، ولم يحسن بآلم من الدهشة ﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ﴾ تنزيهاً له وتعجباً من قدرته ؛ وأصله بألف كقراءة «أبي عمرو» في الوصل ،^(١) فحذفت تخفيفاً .

وقيل «حاشا» فاعل من الحشا وهو الناحية أي صار يوسف في ناحية الله مما قذف به ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾ إذ لم يعهد حسنه لبشر . واعملت «ما» كليس على لغة الحجاز ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ لما حازه عن جمال وعفة .

[٢٢] - ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ﴾ فهذا هو الفتى ﴿الَّذِي لُفْتُ فِيهِ﴾ في حبه ، فقد رأيتنَّ ما أصابكن برؤيته مرة ، فكيف ألام فيه وأنا أشاهده دائماً؟! ﴿وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾ امتنع طلباً للعصمة ؛ اعترفت بفعلها وبراءته حين علمتهن يعذرنها ﴿وَلَكِنَّ لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ﴾ أي موجب أمري إياه ﴿لَيَسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَا﴾ بالخفية ، وكتب بالالف بصورة الوقف كالتنوين ﴿مِّنَ الصَّاغِرِينَ﴾ الأذلاء .

[٢٣] - ﴿قَالَ﴾ - حين توعدته وقلن له : اطعها ، أو دعونه الى أنفسهن -: ﴿رَبِّ﴾ يارب ﴿السَّجْنِ﴾ وفتح «يعقوب»^(٢) ﴿أَحَبُّ إِلَيَّ﴾ أخف عليّ ﴿مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ﴾ من الفاحشة ﴿وَلَا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ﴾ أي ضرره بالشيت على

(١) حجة القراءات : ٣٥٩ .

(٢) تفسير النبيان ٦ : ١٣٤ .

العصمة ﴿أَصُوبٌ﴾ أمل^(١) بطبعي ﴿إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ﴾ وأصر ﴿مَنْ الْجَاهِلِينَ﴾ بمنزنتهم في فعلي.

[٢٤] - ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ﴾ دعاءه الذي تضمنه «وإلا تصرف» ﴿فَقَصَرَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ﴾ فعصمه بلطفه وتوفيقه لتمتع الشهوة والصبر على السجن ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لدعاء من دعاه ﴿الْعَلِيمُ﴾ بحاله.

[٢٥] - ﴿ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ﴾ ظهر للعزیز وصحبه ﴿مَنْ بَعْدَ مَا رَأَوْا آيَاتِ﴾ الدلائل على براءة يوسف كفذ القميص، ونطق الطفل، وقطع الأيدي. وفاعل «بدأ» مقدر أي: سجنه، دل عليه ﴿لَيْسَ جُنَّتُهُ حَتَّىٰ حِينَ﴾ الى وقت ينقطع. قيل الناس. قيل: سجن اظهاراً لأنه المجرم.^(٢)

[٢٦] - ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنَ فَتَيَانٍ﴾ عبدان للملك ساقيه وخبازه. اتهمتا بإرادة سمه، فسجنا فرأياه يعبر للناس رؤياهم ﴿قَالَ أَحَدُهُمَا﴾ - الساقى - : ﴿إِنِّي أَرَانِي﴾ في المنام ﴿أَعْنَصِرُ خَمْراً﴾ عنباً، سماء خمر^(٣) باعتبار ما يؤل إليه ﴿وَقَالَ الْآخَرُ﴾ - الخباز - : ﴿إِنِّي أَرَانِي أَخِمْلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزاً تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبَأٌ بَيْنَا وَيْلَهُ﴾ بتعبيره، وفتح «نافع» و«أبو عمرو» ياء «إني» فيهما، و«الحرميان» و«أبو عمرو» ياء «اريني» فيهما،^(٤) و«أبو عمرو» بعد «علمني»^(٥) ﴿إِنَّا نَرِيكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ لتأويل الرؤيا، أو الى أهل السجن، ثم أخذ يذكر لهما معجزته من إخباره بالغيب ويدعوهما الى التوحيد، وأعرض عما سألأ إيثاراً للألم وكراهة لإخبارهما بما يسوء أحدهما.

[٢٧] - ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ﴾ في منامكما أو من أهلكما ﴿إِلَّا تَبَاتُكُمَا

(١) في «ط»: اميل.

(٢) أي ليظهروا للناس بأنه مجرم.

(٣) في «ط»: سماء همراً باعتبار ما يؤول الله.

(٤) اتحاف فضلاء البشر ٢: ١٤٧ والنشر في القراءات العشر ٢: ٢٩٦.

(٥) في الآية (٣٧) من هذه السورة.

يَتَأْوِيلُهُ ﴿ فِي الْبَقْعَةِ أَوْ بِصَنْتِهِ ﴾ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ﴿ تَأْوِيلُهُ أَوْ الطَّعَام ﴾ ﴿ ذَلِكُمَا ﴾ التَّأْوِيلُ ﴿ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي ﴾ بوحى أو إلهام ، تمهيد لدعائيهما الى التوحيد وقواه بقوله : ﴿ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ ﴾ تأكيد ﴿ كَافِرُونَ ﴾ .

[٢٨] - ﴿ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي ﴾ دينهم ، وسكن «الكوفيون» الباء ^(١) ﴿ إِبْرَاهِيمَ وَاسْحَقَ وَيَعْقُوبَ ﴾ أظهر لهما أنه من بيت النبوة ليزيد وثوقهما به فيقبلا عليه ويقبلا منه ﴿ مَا كَانَ ﴾ ما جاز ﴿ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ «من» زائدة ﴿ ذَلِكَ ﴾ التوحيد ﴿ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ ﴾ ببعثنا لهدايتهم ﴿ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ فضله ، ثم دعاهما الى التوحيد بقوله :

[٢٩] - ﴿ يَا صَاحِبِي السَّجْنِ ﴾ يا ساكنيه ﴿ أَأَرَبَابٌ مُتَّفَقُونَ ﴾ شئى لا تضر ولا تنفع ﴿ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ ﴾ الذي لا ثاني له ﴿ الْفَهْمَانِ ﴾ الغالب على الكل ، «خير» . استفهام تقرير .

[٤٠] - ﴿ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ يا أهل مصر ﴿ مِنْ دُونِهِ ﴾ أي غير الله ﴿ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا ﴾ إِلَّا أصناماً باعتبار أسماء أطلقتموها عليها فقلتم آلهة ﴿ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا ﴾ بعبادتها ﴿ مِنْ سُلْطَانٍ ﴾ حجة ﴿ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ فلا يستحق العبادة إلا هو . ﴿ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ ﴾ أي توحيده ﴿ الَّذِينَ الْقِيَمُ ﴾ المستقيم ، لا ما أنتم عليه من الشرك ﴿ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ذلك ، لتركهم النظر ، ثم عبر رؤياهما فقال :

[٤١] - ﴿ يَا صَاحِبِي السَّجْنِ أَمَّا أَخَذُكُمَا ﴾ أي : الساقى فيرد الى عمله بعد ثلاث ﴿ قَيْسِي رَبِّهِ ﴾ سيده كعادته ﴿ خَمْرًا ﴾ كعادته ﴿ وَأَمَّا الْآخَرُ ﴾ أي : الخباز ، فيخرج بعد ثلاث ﴿ فَيَضَلُّ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ ﴾ فقالا : ما رأينا شيئاً ، فقال : ﴿ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾ تم ، فهو حال بكما ، رأيتما أم لا .

[٤٢] - ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ ﴿ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا ﴾ وهو الساقى: ﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ سيدك بأني حُبست ظلماً ﴿فَأَنشَأَ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾ أن يذكره لسيده .
أو أنسى يوسف ذكر الله حتى استعان بمخلوق وكان الأولى أن لا يستعين إلا بالله . ويعضده أخبار، ^(١) ويعضد الأول الفاء ^(٢) و«اذكر» وانسيته بحال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ﴿فَلَيْتَ فِي السَّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ سبعة بعد الخمس .
والبضع ما دون العشرة الى الثلاثة .

[٤٣] - ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي ﴿ وَفَتَحَ الْحَرَمِيَّانِ ﴾ وأبو عمرو «الباء» ^(٢) ﴿أَرَى﴾ في منامي ﴿سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ﴾ يتلعهن ﴿سَبْعَ﴾ آخر ﴿عِجَافٍ﴾ مهازيل ﴿وَسَبْعَ سُبُلَاتٍ خُضِرٍ﴾ قد انعقد حبها ﴿وَأَخْرَ﴾ وسبعاً آخر ﴿يَابِسَاتٍ﴾ قد التوت على الخضر وغلبت عليها ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءُوبَايَ﴾ عبروها ﴿إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءُوبَا تَعْبُرُونَ﴾ تعلمون عبارتها فعبروها، واللام للبيين، أو لتقوية الفعل لتأخره .

[٤٤] - ﴿قَالُوا أَضْغَاتٌ﴾ أي تخاليل ﴿أَخْلَامٍ﴾ كاذبة . و أصل الضغث الحزمة من أنواع النبات، استعير لتخليط الرؤيا، وجمع لتضمنه أموراً ﴿وَمَا تَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَخْلَامِ﴾ الكاذبة ﴿بِعَالَمِينَ﴾ .

[٤٥] - ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا﴾ من الفتيين أي الساقى ﴿وَأَذْكُرُ﴾ أصله «اذنكر» قلبت تاؤه دالاً، وأدغمت، أي وتذكر شأن يوسف ﴿بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ جملة من الحين ﴿أَنَا أَنْبِئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ﴾ مقول القول ﴿فَأَرْسِلُونِ﴾ الى من يعلمه فأرسل، فأتى يوسف فقال :

[٤٦] - ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾ الكثير الصدق ﴿أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعَ عِجَافٍ وَسَبْعِ سُبُلَاتٍ خُضِرٍ وَأَخْرَ يَابِسَاتٍ﴾ رآها الملك ﴿لَعَلِّي أَرْجِعُ

(١) تفسير الصافي ٣: ٢٢ - ٢٣ عن تفسير العياشي والقمي في روايات عن الصادق عليه السلام .

(٢) قال ابن اسحاق والحسن والجبائي : فأنسى الساقى الشيطان ذكر يوسف (تفسير التبيان ٦: ٤٤) .

(٣) النشر في القراءات العشر ٢: ٢٩٦ .

إِلَى النَّاسِ ﴿ أَيْ الْمَلِكُ وَمَنْ مَعَهُ . وَسَكَنَ «الْكُوفِيُونَ» الْيَاءُ ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ فَضْلَكَ أَوْ تَأْوِيلَهَا . وَكَلِمَتَا «لَعَلَّ» لَعْدَمُ جَزْمِهِ بِرَجُوعِهِ وَعِلْمُهُمْ .

[٤٧] - ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ﴾ خَيْرٌ ، أَوْ أَمْرٌ بِلَفْظِهِ ﴿سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا﴾ بِاجْتِهَادٍ ، أَوْ عَلَى عَادَتِكُمْ ، حَالٍ ، أَيْ دَائِبِينَ ، أَوْ مُصَدَّرٍ ، أَيْ : تَدَأْبُونَ دَأْبًا . وَفَتْحُ «حَفْصٍ» الْهَمْزَةُ ، ^(١) وَهَذَا تَأْوِيلُ الْبَقَرَاتِ السَّمَانِ وَالسَّنْبِلَاتِ الْخَضِرِ ﴿فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ﴾ فَاتْرَكُوهُ ﴿فِي سُتُبُلِهِ﴾ لِيَبْقَى حِينًا ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ﴾ فَدُوسُوهُ .

[٤٨] - ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ أَيْ السَّيْعُ الْمَخْصَبَةُ ﴿سَبْعَ شِدَادٍ﴾ مُجْدَبَاتٌ صَعَابٌ ، وَهِيَ تَأْوِيلُ الْعَجَافِ وَالْيَابِسَاتِ ﴿يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾ أَيْ تَأْكُلُونَ فِيهِنَّ مَا ادْخَرْتُمْ لِأَجْلِهِنَّ فِي السَّنِينَ الْمَخْصَبَةِ مِنَ الْحَبِّ ، وَهُوَ تَأْوِيلُ أَكَلِ الْعَجَافِ السَّمَانِ ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَخَصِصُونَ﴾ تَحْرِزُونَ .

[٤٩] - ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ الْجَدْبُ فِي السَّيْعِ ﴿عَامٌ فِيهِ يُمَاتُ النَّاسُ﴾ يَمُطَرُونَ مِنَ الْغَيْثِ ، أَوْ يَنْقُذُونَ مِنَ الْقَحْطِ ، مِنَ الْغَوْثِ ﴿وَفِيهِ يَغْصِرُونَ﴾ الثَّمَارُ كَالْعَنْبِ وَالزَّيْتُونَ وَنَحْوَهَا ، أَوْ يَنْجُونَ .

وَالْعَصْرَةُ : النَّجَاةُ ، وَعَنْ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَمُطَرُونَ ^(٢) مِنْ ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾ ^(٣) وَقَرَأَ «حَمْزَةً» وَ«الْكَسَائِي» بِالتَّاءِ . ^(٤)

[٥٠] - ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ﴾ لَمَّا أَنَاهُ رَسُولُهُ بِالتَّعْبِيرِ ﴿أَتُونِي بِهِ﴾ بِالتَّعْبِيرِ ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ﴾ لِيُخْرِجَهُ تَأْتِي لِيُبَيِّنَ بَرَاءَتَهُ فَيُصْفُو قَلْبَ الْمَلِكِ مِمَّا فِيهِ مِنْ تَهْمَتِهِ ، فَلَا يَجِدُ الْحَاسِدَ سَبِيلًا إِلَى الْقَوْلِ فِيهِ ﴿قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسْتَلْهُ مَا بَالُ النَّسُوءِ الَّذِي قَطَعَنَ

(١) النشر في القراءات العشر ٢ : ٢٩٥ وتفسير مجمع البيان ٣ : ٢٣٦ .

(٢) تفسير البرهان ٢ : ٢٥٢ و ٢٥٥ .

(٣) سورة النبا : ٧٨ / ١٤ .

(٤) حجة القراءات : ٣٥٩ - ٣٦٠ .

أَبْدِيَهُنَّ ﴿٥١﴾ سَلَهُ أَنْ يَتَعَرَّفَ حَالَهُنَّ، وَلَمْ يَذْكُرْ سَيِّدَتَهُ كَرَمًا وَتَأَذُّبًا ﴿إِنَّ رَبِّي﴾ أَيُّ اللَّهِ أَوْ سَيِّدِي ﴿يَكِيدُهُنَّ عَلِيمٌ﴾ فَرَجَعَ وَأَخْبَرَ الْمَلِكَ فِدَاعَهُنَّ.

[٥١] - ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ﴾ شَانِكُنَّ ﴿إِذْ رَاوَدْتُهُنَّ يَوْسُفَ عَنْ نَفْسِهِ﴾ هَلْ بَدَأَ مِنْهُ خِيَانَةً ﴿قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ﴾ تَزْيِيهًا لَهُ وَعِيَاذًا بِهِ مِنَ الْفَرِيَةِ، وَفِيهِ الْقِرَاءَتَانِ ^(١) ﴿مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾ خِيَانَةً ﴿قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ خَصَصَ الْحَقُّ﴾ ظَهَرَ، مِنْ حَصَّ رَأْسَهُ: صَلَعَ، أَوْ مِنْ حَصَصَ الْبَعِيرَ: بَرَكَ، حَتَّى يَسْتَبِينَ آثَارَ مَبَارَكِهِ ﴿أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ فِي قَوْلِهِ ﴿هِيَ رَاوَدْتَنِي﴾ ^(٢) فِعَادَ الرِّسُولَ وَأَخْبَرَ يَوْسُفَ بِمَقَالَتِهِنَّ فَقَالَ:

[٥٢] - ﴿ذَلِكَ﴾ الْإِسْتِظْهَارُ لِلْبَرَاءَةِ ﴿لِيَعْلَمَ﴾ الْعَزِيزُ ﴿أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ حَالٍ مِنَ الْهَاءِ أَوْ الْفَاعِلِ ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ لَا يَنْفُذُهُ، أَوْ لَا يَهْدِيهِمْ بِكَيْدِهِمْ.

[٥٣] - ﴿وَمَا أَتَّبِعُ نَفْسِي﴾ عَنِ الْمِيلِ الطَّبِيعِيِّ، وَإِنَّمَا اسْتَعَصَمَتْ بِلُطْفِ اللَّهِ تَعَالَى فَقَصَدَتْ إِظْهَارَ نِعْمَتِهِ لَا تَزْكِيَهُ نَفْسِي. وَفَتَحَ «الْحَرَمِيَّانَ» وَ«أَبُو عَمْرُو» الْبَاءَ وَبَاءَ «رَحِمَ رَبِّي» ^(٣) ﴿إِنَّ النَّفْسَ﴾ أَيَّ جَنْسِهَا «لَأَمَارَةٌ بِالسُّوءِ» بِمِيلِهَا الطَّبِيعِيِّ إِلَى الشَّهَوَاتِ. وَأَبْدَلَ «قَالُونَ» وَ«الْبُزْيَ» الْهَمْزَةَ وَأَوَّأَ وَأَدْعَمَاهَا ^(٤) ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ إِلَّا مِنْ رَحْمَةِ فَعَصَمَهُ، أَوْ إِلَّا وَقْتُ رَحْمَتِهِ ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ﴾ لِعِبَادِهِ «رَحِيمٌ» بِهِمْ.

وَقِيلَ: الْحِكَايَةُ لِقَوْلِ «زَلِيخَا» ^(٥) وَهَاءُ «لَمْ أَخُنْهُ» لِيَوْسُفَ.

[٥٤] - ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْنِسُ بِيهِ أَسْتَخْلِصُهُ﴾ أَجْعَلُهُ خَالِصًا ﴿لِنَفْسِي﴾ فَأَتَاهُ

(١) المذكورتان في الآية (٣١) من هذه السورة.

(٢) الآية (٢٥) من هذه السورة.

(٣) النشر في القراءات العشر ٢: ٢٩٧ واتحاف فضلاء البشر ٢: ١٤٩.

(٤) ينظر تفسير التبيان ٦: ١٥٥.

الرسول، فدعاه فودّع أهل السجن وخرج، واغتسل ولبس ثياباً جديداً ودخل عليه وسلم ﴿فَلَمَّا كَلَمَهُ﴾ وعرف فضله وعقله ﴿قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدُنَا مَكِينٌ﴾ ذو قدرة وجاه ﴿أَمِينٌ﴾ مأمون على أمرنا، وكان الملك يعرف سبعين لساناً، فكلّمها كلمه بلسان أجابه به فأعجب منه، وسأله عن رؤياه ففسرها له، وقال: أكثر الزرع في السبع المخصبة وأحرزه في سنبله، فيأتيك الناس ممتارين، فقال ومن لي بذلك؟.

[٥٥] - ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾ أرض مصر، وَلِيِّهَا ﴿إِنِّي خَفِيفٌ﴾ لها أو للحساب ﴿عَلِيمٌ﴾ بأمرها أو بالأسن.

طلب الولاية ووصف فضله ليتمكن بها من الدعاء الى الحق وإقامة العدل بين الخلق مما هو منصب النبوة فتوصل بذلك إليه، فولاه وتوجّه وأجلسه على السرير، وقيل عزل «قطفيرا» وجعله مكانه، ^(١).

وقيل: بل مات وزوجه «زليخا» فوجدها بكرة فولدت له «افرائيم» و«ميشا». ^(٢)
[٥٦] - ﴿وَكَذَلِكَ﴾ الإنعام الذي أنعمنا عليه ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿يَتَّبِعُوا﴾ ينزل ﴿مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾ وقرأ «ابن كثير» بالنون ^(٣) ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ﴾ في الدارين ﴿وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُخْسِنِينَ﴾ الى أنفسهم وغيرهم.

[٥٧] - ﴿وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾ من أجر الدنيا ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ المعاصي لبقائه وفضله.

ولما استوسق ^(٤) له الأمر جمع الطعام حتى دخلت سني الجذب وحل القحط بمصر، فباعهم بالدرهم والدنانير حتى صرفوها، ثم بالحلي ثم بالدواب ثم بالضياح ثم برقابهم فاسترقّهم.

(١) تفسير مجمع البيان ٣: ٢٤٣.

(٢) تفسير التبيان ٦: ١٥٧.

(٤) استوسق له الأمر استيساقاً: اجتمع له.

ثم استشار الملك فيهم فقال: الرأي رأيك، فأعتقهم وردّ عليهم أموالهم.

وأصاب القحط أرض كنعان فأرسل يعقوب بنه إليه ليمتاروا.

[٥٨] - ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾ غير «بنيامين» ﴿فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ

مُنْكَرُونَ﴾ لم يعرفوه لبعد العهد إذ مدة مفارقتهم له أربعون سنة، ولأنهم رأوه ملكاً مهاباً، فكلموه بالعبرية فقال لهم: من أنتم وما أمركم لعلكم عيون؟.

قالوا: معاذ الله نحن بنو يعقوب نبي الله، قال: وكم أنتم، قالوا كنا اثني عشر

فهلك أصغرنا بالبرية، وكان أحبنا إليه فأحزنه، وله شقيق إحتبه ليتسلى به عنه، فأنزلهم وأكرمهم.

[٥٩] - ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ﴾ أوفر لكل رجل بعيراً ﴿قَالَ اسْئَلْنِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ

أَيُّكُمْ﴾ أي «بنيامين» لأصدق مقالكم وذروا عندي بعضكم رهينة حتى تأتونني به ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِ الْكَيْلَ﴾ أتمه، وفتح «نافع» الباء ^(١) ﴿وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ المضيقين.

[٦٠] - ﴿فَإِنْ لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ﴾ مكيل ﴿لَّكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرُبُونِ﴾ نهى أو

عطف على محل الجزاء.

[٦١] - ﴿قَالُوا سَرَّوْدُ عَنْهُ أَبَاهُ﴾ سنطلبه منه بجهدنا ﴿وَأِنَّا لَفَاعِلُونَ﴾ ذلك.

[٦٢] - ﴿وَقَالَ لِفَتْيَانِهِ﴾ ^(٢) لفلمانه، وقرأ «حفص» و«حمزة» و«الكساوي»

«لفتيانه» ^(٤) ﴿اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ﴾ ثمن ميرتهم وكان ورقاً أو نعالاً وأدماً ^(٥)

(١) في «ج» و«د» «أوف».

(٢) أي «باء» «اني» - كما في اتحاف فضلاء البشر ٢: ١٥٠.

(٣) في المصحف بقراءة حفص: لفتيان - كما يشير اليه المؤلف.

(٤) اتحاف فضلاء البشر ٢: ١٥٠ وحجة القراءات: ٣٦١.

(٥) الأدم: جمع اديم، وهو: الجلد المدبوغ أو الجلد الأحمر.

﴿فِي رَحَالِهِمْ﴾ أوعيتهم . ردها عليهم من حيث لا يعلمون تفضلاً ، أو خوفاً أن لا يجد أبوه ما يعدون به ﴿لَعَلَّهُمْ يَغْسِرُ قَوْنَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ﴾ وفتحوا متاعهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ لإكرامنا لهم ، أو لعدم استحلالهم امساكها .

[٦٣] - ﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ﴾ بعد هذا إن لم نأته بأخيها ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانًا﴾ «بنيامين» ﴿نَكْتَلُ﴾ الطعام ، وقرأ «حمزة» و«الكسائي» بالياء^(١) ﴿وَأِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ أن يصيبه سوء .

[٦٤] - ﴿قَالَ قُلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِيتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ﴾ وقد ضمتهم لي حفظه وفعلتم به ما فعلتم . ﴿قَالَ خَيْرٌ حَافِظًا﴾ تمييز أو حال ، وقرأ «حفص» و«حمزة» و«الكسائي» : «حفظاً» تمييزاً^(٢) ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ يرحمني بحفظه .

[٦٥] - ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْيِئُ﴾ أي شيء نطلب من إحسان الملك زيادة على هذا .

أو : لا نطلب وراء هذا إكراماً ، أو : لا نكذب فيما أخبرناك به من احسانه ﴿هَلِيزِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾ استئناف يبين ما نبني ﴿وَنَمِيزُ أَهْلَنَا﴾ نحمل لهم الميرة أي : الطعام ﴿وَنَحْفَظُ أَخَانًا وَنَزِدَادُ كَيْلُ﴾ وقر^(٣) ﴿يَمِيرُ﴾ لأجله ﴿ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرُ﴾ أي كيل البعير سهل على الملك لا يصعب عليه .

أو ما جئنا به قليل لا يكفيننا فحتاج الى الرجوع لتضاعفه ونزداد وقرأ لأخيها .

[٦٦] - ﴿قَالَ لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ﴾ تعطوني عهداً بأن

(١) حجة القراءات : ٣٦١ .

(٢) انظر اتحاف فضلاء البشر ٢ : ١٥٠ - حجة القراءات : ٣٦٢ والنشر في القراءات العشر

٢ : ٢٩٦ .

(٣) الوقر : الحمل ، أو الحمل الثقيل .

تحلفوا بالله أو: بحق محمد^(١) خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم ﴿لَتَأْتُنِي بِهِ﴾ جواب القسم ﴿إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ﴾ إلا أن تهلكوا، أو تغلبوا حتى لا تطبقوا ذلك ﴿فَلَمَّا أَتَوْهُ مَوْقِعَهُمْ﴾ عهدهم ﴿قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ شاهد حافظ، فأجابهم إلى إرساله معهم.

[٦٧] - ﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا﴾ مصر ﴿مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾ خاف عليهم العين لأنهم كانوا ذوي جمال وهيئة، معروفين بالأخوة. وعن النبي وآله صلوات الله عليهم: إن العين حق^(٢) والتأثير للنفس بإذن الله ﴿وَمَا أَغْنِي﴾ أَدفع ﴿عَنْكُم مِّنْ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ من قضائه فيكم شيئاً من الغناء أو القضاء بما قلته لكم ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾ لا راد لقضائه ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ به وثقت ﴿وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ فليثق الواثقون.

[٦٨] - ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ﴾ أي من أبواب متفرقة ﴿مَا كَانَ يَغْنِي عَنْهُمْ﴾ دخولهم كذلك ﴿مِّنْ اللَّهِ﴾ من قضائه ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ تصديق لـ «يعقوب» ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا﴾ أي شفقة في قلبه أبداها ﴿وَإِنَّهُ لَدُوْ عَلِيمٌ﴾ ففعله، وقوله عن علم ﴿لَمَّا عَلَّمْنَاهُ﴾ من أجل تعليمنا إياه ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ هم المشركون ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ما ألهم الله أوليائه.

[٦٩] - ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُسُفَءَ أَوَى﴾ ضم ﴿إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾ «بنيامين».

قيل: ^(٣) أضافهم وأجلس كلاً وشقيقه، فبقى «بنيامين» فرداً، فقال: «لو كان أخي حياً لجلس معي» فأجلسه معه، ثم أنزل كل اثنين بيتاً وأنزله معه، فبات وقال: أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك؟ قال من يجد أخاً مثلك؟ ولكن لم يلدك

(١) في «ط»: أو بمحمد رسول الله.

(٢) ينظر تفسير مجمع البيان ٣: ٢٤٩ وتفسير التبيان ٦: ١٦٧.

(٣) نقله البضاوي في تفسيره ٣: ٥٩ - والمخشري في تفسيره الكشف ٢: ١٤٧.

يعتوب وراحيل^(١) ﴿قَالَ إِنِّي﴾ وفتح الياء «الحرميان» و«أبو عمرو»^(٢) ﴿أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ تحزن ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ بنا، وقال له: اكنتم ذلك^(٣) وسأحتال لأخذك منهم.

[٧٠] - ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ﴾ هي مشربة من ذهب أو فضة، جعلت صاعاً للكيل ﴿فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾ ثم انطلقوا ﴿ثُمَّ أَدْنَىٰ مُؤَدَّنٌ﴾ نادى مناد: ﴿أَيُّهَا الْعَبْرُ﴾ القافلة ﴿إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ قيل: لم يقله بأمر يوسف،^(٤) وقيل: عنى به أنكم سرقتم يوسف من أبيه،^(٥) أو هو استفهام.^(٦)

[٧١] - ﴿قَالُوا وَقَبِّلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ﴾ أي شيء ضل لكم.

[٧٢] - ﴿قَالُوا نَفَقْدُ صُورَ الْمَلِكِ﴾ صاعه ﴿وَلَمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ يَمِيمٍ﴾ طعاماً ﴿وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾ كفيل.

[٧٣] - ﴿قَالُوا تَاللَّهِ﴾ التاء بدل واو القسم، واختصت باسم الله ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ﴾ بما رأيتم من أمانتنا ﴿مَا جِئْنَا لِنَفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾ قط.

[٧٤] - ﴿قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ﴾ أي السارق أو السرقة ﴿إِنْ كُنتُمْ كَاذِبِينَ﴾ بتبريكم.

[٧٥] - ﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ﴾ مبتدأ والخبر ﴿مَنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ﴾ أي جزاء سرقة^(٧) استرقاق من وجد في رحله، وهو شرع آل يعقوب وقوله: ﴿فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾ مؤكّد أي: السارق جزاء السرقة، أو خبر «من» والجملة خبر «جزاؤه»، والظاهر ينوب العائد.

والتقدير، جزاؤه من وجد في رحله فهو هو ﴿كَذَلِكَ﴾ الجزاء ﴿تَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ بالسرقه، فردوا الى يوسف للتفتيش.

(١) كذا في النسخ المستحضرة ولكن في التفسير المطبوعة جاءت الكلمة هكذا «راحيل».

(٢) النشر في القراءات العشر ٢: ٢٩٦.

(٣) في «الف»: اكنهم. وفي «ب»: اكنمه.

(٤) تفسير الثبيان ٦: ١٧٠.

(٥) كذا صححناه على ما في تفسير الكشاف ٢: ١٤٩ وفي النسخ: سرقة.

[٧٦] — ﴿قَبْدًا يَأْوِئِهِمْ﴾ ففتشها ﴿قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ﴾ ازالة للنعمة ﴿نُصْمَ اسْتَخْرَجَهَا﴾ أي السفاية أو الصواع لأنه يذكر ويؤث ﴿مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ﴾ الكيد ﴿كَذْنَا يُوسُفَ﴾ علمناه الكيد أي الإحتيال في أخذ أخيه ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ حكم ملك مصر لأن حكمه الضرب وتغريم ضعف ما سرق لا الإسترقاق ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ لكن بمشيئة الله أخذه بدين أبيه ، أي لم يتمكن من أخذه إلا بمشيئة الله بإلهامه ان سأل أخوته ما جزاؤه وجوابهم بشرعهم : ﴿تَرْفَعُ دَرَجَاتٍ^(١) مَنْ نَشَاءُ﴾ بالعلم كما رفعنا درجته ، ونوته «الكوفيون»^(٢) ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ أعلى درجة منه حتى ينتهي الى الله تعالى .

ودل على انه تعالى عالم بذاته إذ لو كان ذا علم لكان فوقه عليم وهو باطل .
[٧٧] — ﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ أي يوسف ، قيل كانت عمته تحضنه وتجنه فشب ، وأراد يعقوب أخذه منها فشدت عليه منطقة ورثتها من اسحاق ، وأدعت أنه سرقها فمسكته عندها بشرعهم ﴿فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا﴾ يظهرها ﴿لَهُمْ﴾ ، والضمير للمقالة أو الإجابة ﴿قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا﴾ منزلة في السرقة ممن رمينموه بها لسرقتكم أخاكم من أبيكم ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ عالم بما تقولون فيه .

[٧٨] — ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾ سنًا أو قدرًا يحبّه ويتسلى به عن أخيه ﴿فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ﴾ بدله ﴿إِنَّا نَرَكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ إلى الناس أو الينا .
[٧٩] — ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ﴾ نعوذ به معاذًا من ﴿أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عَنْدهُ﴾ لم يقل من سرق تحرزًا من الكذب ﴿إِنَّا إِذَا﴾ إن أخذنا بريئًا بمجرم ﴿لَنَظْمُونَهُ﴾ .
[٨٠] — ﴿فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ﴾ من يوسف أن يجيبهم ﴿خَلَصُوا﴾ اعتزلوا

(١) في المصحف الشريف بقراءة حفص : «درجات» بالتنوين - كما يشير اليه المؤلف .

(٢) حجة القراءات : ٣١٣ .

﴿نَجِيًّا﴾ متناجين، مصدر يقال للواحد وغيره ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾ سَأَ «روبيل»، أو رأياً «يهودا»، أو «شمعون» ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ آبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوَثِقًا﴾ عهداً ﴿مَنْ اللَّه﴾ وهو حلفكم به لتأنته بأخيكم ﴿وَمِنْ قَبْلُ﴾ قبل ذلك ﴿مَا قَرَّرْتُمْ فِي يَوْسُفَ﴾ فصرتم في أمره و«ما» زائدة أو مصدرية، عطف على مفعول «تعلموا» ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ﴾ فلن افارق أرض مصر ﴿حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي﴾ بالرجوع إليه، وفتح «نافع» و«أبو عمرو» ياء «لي» ^(١) و«الحرميان» و«أبو عمرو» ياء «أبي» ^(٢) ﴿أَوْ يَخُكِّمَ اللَّهُ لِي﴾ بخروحي أو خلاص أخي أو محاربتهم لأجله ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ أعدل من حكم.

[٨١] - ﴿ازْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ﴾ في الظاهر ﴿وَمَا شَهِدْنَا﴾ عليه ﴿إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾ بمشاهدتنا إخراج الصاع من رحله ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾ أي لم نعلم حين أعطيناك الموثق أنه يسرق، أو: لم نعلم باطن الأمر أنه سرق أو دس الصاع في رحله.

[٨٢] - ﴿وَشَتَّلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ هي مصر أي أرسل إلى أهلها واسألهم عن ذلك ﴿وَالْعِيرِ﴾ واسئل أهل القافلة ﴿الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ في خبرنا، فرجعوا إليه وقالوا له ما قال لهم أخوهم.

[٨٣] - ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ﴾ زينت ﴿لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً﴾ فصنعتموه ﴿فَصَبِّرْ جَمِيلٌ﴾ بتقدير متبداً أي: فأمرني، أو خبر، أي: أجمل ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾ يوسف وأخويه ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ﴾ بحالنا ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صنعه بنا.

[٨٤] - ﴿وَتَوَلَّى﴾ أعرض ﴿عَنْهُمْ﴾ لتهيجهم حزنه ﴿وَقَالَ يَا أَسْفَى﴾ يا حزنا إحضر فهذا وقتك، والألف بدل ياء الإضافة ﴿عَلَى يَوْسُفَ﴾ تأسف عليه دون أخويه

(١) التيسير في القراءات السبع: ١٣١.

(٢) النشر في القراءات العشر ٢: ٢٩٧.

لأن مصيبتَه أصل كل مصيبتِه، ^(١) أو لتحقيقه حياتهما دون حياته ﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ﴾ الموجب لكثرة البكاء الماحق سوادهما .

قيل : عمي ^(٢) وقيل ضعف بصره ^(٣) ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ مكظوم أي مملوء حزناً وغيظاً، ممسك له لا يبيته ، أو كاظم أي متجرع له .

[٨٥] - ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَوْا﴾ لا نفتأ ولا تنفك ﴿تَذْكُرُ يَوْسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا﴾ مشرفاً على الموت ، أو ذائباً من الغم ، أو دفناً ^(٤) فاسد العقل ؛ وهو مصدر يصلح للواحد وغيره ﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ الموتى .

[٨٦] - ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي﴾ وهو الهم الذي لا يصبر عليه حتى يبت ﴿وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ لا اليكم ، وفتح «نافع» و«ابن عامر» و«أبو عمرو» الياء ^(٥) ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ﴾ من رحمته وقدرته ، أو من إلهامه ﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من حياة يوسف وصدق رؤياه .

[٨٧] - ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يَوْسُفَ وَأَخِيهِ﴾ اطلبوا خبرهما ﴿وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾ من رحمته أو فرجه ﴿إِنَّهُ لَا يَأْيِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ فإن المؤمن لا يئأس من روحه ، فخرجوا الى مصر .

[٨٨] - ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ﴾ على يوسف ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلْنَا الضَّرُّ﴾ الجوع ﴿وَحِثْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ﴾ مدفوعة يدفعها كل تاجر لرداءتها أو قلتها ، وكانت دراهم زيوفاً ، أو صوفاً ، أو سمناً أو غير ذلك ﴿قَاوِفْ﴾ اتم ﴿لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا﴾ بالمسامحة والإغماض عن الردي ، أو برء أخينا ﴿إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ لا يضيع أجرهم ، فرق لهم ثم باح ^(٦) بمكتومه :

(١) في «ط» : مصيبة .

(٢٥٢) تفسير مجمع البيان ٣ : ٢٥٧ .

(٤) الدنف : المريض ، الثقليل من المرض والمشرف على الموت .

(٥) النشر في القراءات العشر ٢ : ٢٥٧ والتيسير في القراءات السبع : ١٣١ .

(٦) باح : اظهر .

[٨٩] - «قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ» من القبيح «وَأَخِيهِ» من إفراده عن شقيقه وإذلاله «إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ» قبحه لغرة الصبا، تلقين لهم بالعدو، وحث على التوبة.

وقيل: اعطوه كتاب أبيه في رد ابنه، وشرح حزنه على يوسف وأخيه. ^(١) فقال لهم ذلك.

[٩٠] - «قَالُوا» لما عرفوه بشمائله حين تكلم، أو بشاياه حين تبسم، أو بعلامة في قرنه ^(٢) رفع عنها التاج فراوها «إِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ» استفهام تقرير وقرأه «ابن كثير» على الخبر ^(٣) «قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي» شقيقي «قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا» بكل خير أو بالجمع «إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ» الله، وعن «قنبل» اثبات الياء ^(٤) على موصولية «من» «وَيُضَيِّرُ» على البلاء وعن المعاصي، وسكن في قراءة «قنبل» تخفيفاً أو مشاكلة «فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَضِيْعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ» بالتقوى والصبر. وضع موضع الضمير.

[٩١] - «قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ أَثَرَكَ اللَّهُ» فضلك «عَلَيْنَا» بحسن الخلق والخلق «وَأِنْ» مخففة «كُنَّا لَخَاطِئِينَ» آثمين بصنعنا بك.

[٩٢] - «قَالَ لَا تَتْرِبَ» توبخ «عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ» الذي هو مظلته، فغيره أولى «يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ» دعاء لهم «وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ» فينعم بالمغفرة وغيرها.

قيل ^(٥) لما عرفوه بعثوا إليه إنك تدعوننا إلى طعامك بكرة وعشياً ونحن نستحيك لذنبنا؟

(١) تفسير البرهان ٢ : ٢٦٣ - تفسير الكشاف ٢ : ١٥٣ ..

(٢) القرن: مصدر وموضعه من رأس الإنسان أو الجانب الأعلى من الرأس.

(٣) حجة القراءات : ٣٦٣.

(٤) اتحاف فضلاء البشر ٢ : ١٥٣ والحجة في القراءات السبع : ١٧٣.

(٥) نقله الزمخشري في تفسير الكشاف ٢ : ١٥٤.

فقال كان أهل مصر يروني ويقولون: «سبحان من بلغ عبداً بيع بعشرين درهماً ما بلغ»، ولقد شرفت بكم وعظمت عندهم إذ علموا أنكم إخواني وأنسي من حفدة إبراهيم.

[٩٣]- «اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا» وهو المتوارث الذي كان في تمويذه «فَالْقَوْهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ» يعد «بَصِيرًا وَأَتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ».

[٩٤]- «وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ» خرجت من مصر «قَالَ أَبُوهُمْ» لمن عنده: «إِنِّي لِأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ» أوصلها الله إليه من مسيرة عشر^(١) أو أكثر «لَوْلَا أَنْ تُقْنَدُونِ» تسفهوني.

والفند: ضعف الرأي، وجواب «لولا» محذوف أي: لصدقتموني.

[٩٥]- «قَالُوا»- له-: «نَالَهُ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ» بعدك عن الصواب وافراطك في حبه ورجاء لقائه.

[٩٦]- «فَلَمَّا أَنْ» زائدة «جاءَ الْبَشِيرُ» «يهودا» قال: أنا أحزنته بحمل قميص الدم فأحب أن أفرّحه، فحمل القميص من مصر إليه حافياً حاسراً^(٢) «أَلْقَاهُ» طرح البشير، أو «يعقوب» القميص، ويعضد الأول «فَالْقَوْهُ» «عَلَى وَجْهِهِ» وجه يعقوب «فَارْتَدَّ» عاد «بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَغْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ» من حياة يوسف وكشف الشدة.

[٩٧]- «قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ» فيما فعلنا.

[٩٨]- «قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ» أخرجه إلى السحر أو إلى ليلة الجمعة ليكون أقرب إلى الإجابة.

(١) أي عشرة أيام. م

(٢) الحاسر: من لا مغفر له ولا درع ومن كان بلا عمامة. م

قبل كان يقوم ويصفهم خلفه عشرين سنة يدعو ويؤمنون، حتى نزل قبول توبتهم. ^(١)

[٩٩] - ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ﴾ قيل : استقبله يوسف والملك بأهل مصر، ودخلوا في مكان خارج مصر ^(٢) ﴿ءَاوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾ أباه وخالته، تزوجها أبوه بعد أمه فسميت أمًا للوجهين ﴿وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ من كل مكروه، وتعلقت المشيئة بالدخول المكيف بالأمن.

[١٠٠] - ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ﴾ معه ﴿عَلَى الْعَرْشِ﴾ السرير، ﴿وَوَضَعُوا﴾ أي أبواه وإخوته ﴿لَهُ﴾ لأجل لقائه ﴿سُجَّدًا﴾ لله شكرًا، وقيل : الهاء لله ومعناه كالسابق، ^(٣).

وقيل : كانت تحيتهم يومئذ سجود انحاء ^(٤) ﴿وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ وكان بين رؤياه وتأويلها ثمانون سنة أو أربعون ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾ ولم يذكر الحب لأنه نوع تريب ﴿وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾ البادية وكانوا يسكنوها لمواشيهم ﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ﴾ أفسد ﴿بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾ بالحسد، وفتح «ورش» ياء «اخوتي» ^(٥) ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ﴾ في تدبيره، فيسهل كل عسير ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ﴾ بالمصالح ﴿الْحَكِيمُ﴾ في التدبير.

وأقام أبوه عنده أربعاً وعشرين سنة وحضره الموت فأوصاه أن يدفنه عند أبيه بالشام، فحمله ودفنه ثمة، وعاد وعاش بعده ثلاثاً وعشرين سنة، ولما تم له الملك الفاني، اشتاق إلى الملك الباقي فقال :

(١) تفسير الكشاف ٢ : ١٥٥ .

(٢) تفسير البضاوي ٣ : ٦٠ .

(٣) في سورة البقرة : ٣٤ / ٢ .

(٤) تفسير الكشاف ٢ : ١٥٥ .

(٥) النشر في القراءات العشر ٢ : ٢٩٧ .

[١٠١] - ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْنِي مِنَ الْمُلْكِ﴾ بعضه ﴿وَعَلَّمَنِي مِنْ﴾ أي بعض ﴿تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ الرؤيا أو الكتب ﴿فَاطَرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ صفة المنادى أو منادى أي خالقهما ﴿أَنْتَ وَلِيَّ﴾ متولي أموري ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي﴾ أمتني ﴿مُسْلِمًا وَالْحَقِيقِي بِالصَّالِحِينَ﴾ في ثوابهم ودرجتهم، عنى آباءه أو الأعم، فتوفاه الله وله مائة وعشرون سنة، فتشاح أهل مصر في قبره فجعلوه في صندوق مرمر، ودفنوه في النيل ليمز الماء عليه ثم يصل الى مصر فتعظمهم بركته.

[١٠٢] - ﴿ذَلِكَ﴾ المقصوص من نبأ يوسف ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾ ما غاب عنك يا محمد ﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتُ لَدَيْهِمْ﴾ عند إخوة يوسف ﴿إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ﴾ عزموا على أن يكيدوه ﴿وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ به أي لم تحضرهم فتعلم نبأهم، وانما علمته من جهة الوحي.

[١٠٣] - ﴿وَمَا أَكْثَرَ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ﴾ على إيمانهم؛ واجتهدت في دعائهم ﴿بِمُؤْمِنِينَ﴾.

[١٠٤] - ﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ﴾ أي القرآن ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ جعل تأخذه منهم ﴿إِنْ هُوَ﴾ ما القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ عظة ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾.

[١٠٥] - ﴿وَكَايْنٍ﴾ ومثل أي عدد شئت، والمعنى: كم ﴿مِنْ ءَايَةٍ﴾ دلالة ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ دالة على توحيد الله وقدرته ﴿يَعْمُرُونَ عَلَيْهَا﴾ يشاهدونها ﴿وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ لا يتفكرون فيها.

[١٠٦] - ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ﴾ في اعترافهم بألوهيته وربوبيته ﴿إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ بعبادة غيره أو بجحد القرآن ونبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم أو بطاعة الشيطان في المعاصي، أو بنحو قولهم: لولا فلان لهلك.

[١٠٧] - ﴿أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ﴾ عقوبة تغشاهم ﴿مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بإتيانها بعلامة متقدمة.

[١٠٨] - ﴿قُلْ هَذِهِ الدِّعْوَةُ إِلَى التَّوْحِيدِ﴾ ﴿سَيَّبِلِي﴾ سَتِي ، وفتح «الياء» «نافع»^(١) ﴿أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ﴾ الى دينه تفسير للسبيل ﴿عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ كائناتاً على حجة بينة ﴿أَنَا﴾ تأكيد للمستكن في «ادعوا» ومبتدأ، خبره «على بصيرة» ﴿وَمَنْ اتَّبَعَنِي﴾ عطف عليه ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾ تنزيهاً له عما اشركوا ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ به شيئاً .

[١٠٩] - ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ لا ملائكة ﴿نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾^(٢) وقرأ «حفص» بالنون^(٣) ﴿مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ الأمصار، لأنهم أعلم وأعقل من أهل البدو ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من مكذبي الرسل فيعتبروا بهم ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾ دار الحال الآخرة ﴿خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الله ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ يفكرون بعقولهم ليعلموا ذلك، وقرأ «نافع» و«عاصم» و«ابن عامر» بالناء.^(٤)

[١١٠] - ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ﴾ غاية لما دل عليه ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا﴾^(٥) أي أمهلنا مكذبيك حتى يشس الرسل من إيمانهم ﴿وَوَظَنُوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا﴾ أيقن الرسل أن قومهم كذبوهم تكذيباً لا إيمان بعده، وخففه «الكوفيون»^(٦) أي أيقن الرسل أن قومهم أخلفوهم وعدهم بالإيمان، أو: ظن الأمم أن الرسل كذبوهم فيما أخبروهم به من النصر عليهم، أو: ظنوا أن الرسل أخلفوا ما وعدوه من النصر ﴿جَاءَهُمْ نَصْرُهُمْ فَتَنَجَّى﴾^(٧) بنونين مضارعاً وقرأ «ابن عامر» و«عاصم» بواحدة ماضياً

(١) التيسير في القراءات السبع : ١٣١ .

(٢) في المصحف الشريف بقراءة حفص : «نوحى» - كما يشير اليه المؤلف ..

(٣) حجة القراءات : ٣٦٥ .

(٤) حجة القراءات : ٣٦٦ .

(٥) الآية السابقة من هذه السورة (١٠٩) .

(٦) في المصحف الشريف بقراءة حفص : «فنجي» - كما يشير اليه المؤلف ..

بصيغة المجهول^(١) ﴿مَنْ نَّشَاءُ﴾ المؤمنين ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا﴾ عذابنا ﴿عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ المشركين .

[١١١] - ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ﴾ أي الرسل ، أو يوسف وإخوته ﴿عِبْرَةٌ لِأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ عظة لذوي العقول ﴿مَا كَانَ﴾ القرآن ﴿حَدِيثًا يُقْتَرَىٰ وَلَكِنْ﴾ كان ﴿تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ تقدمه من الكتب ﴿وَتَفْصِيلَ﴾ بيان ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه في الدين ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ بياناً ونعمة ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ خصوا بالذكر لأنهم المتفجعون به .

(١) حجة القراءات: ٣٦٧ وهكذا في المصحف الشريف .

سورة الرعد

[١٣]

خمس وأربعون آية مكية أو مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١]- ﴿الْقَمَرُ﴾ سبق ما قيل فيه ^(١) ﴿نَلَكَ﴾ الآيات هي ﴿آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ القرآن أو السورة ﴿وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ أي القرآن. عطف على «الكتاب»، عطف صفة على أخرى، أو عام على خاص، أو مبتدأ خبره ﴿الْحَقُّ﴾ وهو على الأول خبر محذوف ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بحقيقته ^(٢) لتركهم تدبره.

[٢]- ﴿اللَّهُ﴾ مبتدأ ﴿الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ﴾ خبره، أو صفته، والخبر «يدبر الأمر» ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾ سواري جمع عمود أو عماد، و ﴿تَرْوُنَهَا﴾ استئناف، أي: وأنتم ترون السماوات كذلك أو صفة لـ «عمد» ويصدق بأن لاعمد أصلاً ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ بالتدبير ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ ذللهما لمنافع خلقه ﴿كُلٌّ﴾ منهما ﴿يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى وقت مضروب هو يوم القيامة ﴿يُذَبِّرُ الْأُمْرَ﴾ أمر ملكوته

(١) في أول الكتاب عند تفسير الآية الأولى من سورة البقرة.

(٢) في «ط» بحقيقته.

على مقتضى حكمته ﴿يُفْصِّلُ الْآيَاتِ﴾ ينزلها مفصلة، أو يبين دلائل وحدانيته ﴿لَعَلَّكُمْ يَلْقَاءُ رَبَّكُمْ تَوْفَنُونَ﴾ لكي تتأملوا فتعلموا، أن من قدر على هذه الأمور قادر على البعث.

[٣]- ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ﴾ بسطها لمنافع خلقه ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ جبالاً ثوابت ﴿وَأَنْهَارًا﴾ قرنت بالجبال لأنها أسباب لتفجرها ﴿وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرِ﴾ من أنواعها ﴿جَعَلَ فِيهَا رُؤُوسَ جَبَلٍ﴾ صنفين ﴿اثْنَيْنِ﴾ كالحلو والحامض ونحوهما ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾ يلبسه بظلمته، وترك العكس للعلم به، وشدده «أبو بكر» و«حمزة» و«الكسائي»^(١) ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لآيَاتٍ﴾ دلالات على وحدانيته تعالى ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيها.

[٤]- ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ﴾ بقاع متلاصقات مختلفات، منها طيبة وسبخة، وسهلة وحزنة^(٢) وصالحة للزروع لا للشجر وبالعكس، واختلافها مع اشتراكها في الأرضية وعوارضها إنما يكون بتخصيص قادر مختار عليم حكيم ﴿وَجَنَّاتٌ﴾ بساتين ﴿مِّنْ أَغْنَابٍ وَزُرْعٍ﴾ ورفعه «ابن كثير» و«أبو عمرو» و«حفص»^(٣) عطفاً على «جنان» وكذا ﴿وَنَخِيلٍ صِنْوَانٍ﴾ جمع صنو، وهي نخلات أصلها واحد ﴿وَعَبَّارٍ صِنْوَانٍ﴾ متفرقة الأصول ﴿تُسْقَى﴾ وقرأ «عاصم» و«ابن عامر» بالتذكير^(٤) ﴿بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَتُفَضَّلُ﴾ وقرأ «حمزة» و«الكسائي» بالياء^(٥) ﴿بِقَضَاهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ﴾ في الشمر طعماً ولوناً وشكلاً، وهو من دلائل قدرته تعالى ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يتدبرون بعقولهم.

(١) حجة القراءات: ٣٦٨.

(٢) الحزونة كسهولة: غلاظة الأرض وشدتها.

(٣) حجة القراءات: ٣٦٩.

(٤) حجة القراءات: ٣٧٠.

[٥] - ﴿وَإِنْ نَعَجِبْ﴾ يا محمد بتكذيبهم ﴿فَعَجَبٌ﴾ حقيق بالمعجب ﴿قَوْلُهُمْ﴾

في إنكار البعث ﴿ءِذَا كُنَّا تُرَابًا إِنَّا لَعَمْرِي خَلَقْ جَدِيدٌ﴾ فإنهم مع إقرارهم بإبتداء الخلق أنكروا الإعادة وهي أهون .

واختلف في الاستفهامين^(١) فقرأ فيهما بهمزيين ، وبهمزة وياء ، وبألف بينهما ، وأحدهما بهمزيين والآخر خبراً ، والأول بهمزة وياء والثاني خبراً ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾ لجحدهم قدرته على البعث ﴿وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾ يوم القيامة أو أريد بها كفرهم ﴿وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ دائمون .

[٦] - ﴿وَيَسْتَفْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ بالعذاب قبل الرحمة استهزاء ﴿وَقَدْ خَلَتْ﴾ مضت ﴿مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ﴾ جمع «مثلة» بفتح الميم وضمة الشاء ، أي : عقوبات ، أشباههم في التكذيب ، فهلا يعتبرون بها ﴿وَإِنْ رَبُّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾ أنفسهم ، وهو حال . ويفيد جواز العفو قبل التوبة وتخصيصه بالصغائر لمجتنب الكبائر ممنوع ﴿وَإِنْ رَبُّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لمن استحقه .

[٧] - ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا﴾ هلا ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ كالناقة والعصا إذ لم يعتدوا بمعجزاته ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ﴾ مخوف ، وما عليك إلا الإتيان بما يصح رسالتك ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ هو الله تعالى ، أو : نبي يدعوهم الى الله بما يخصه من معجزات يليق بهم ، أو إمام يرشدهم .

عن ابن عباس لما نزلت ، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : أنا المنذر وعلي الهادي من بعدي ، يا علي بك يهتدي المهتدون ،^(٢) ونحوه عن ابن بريدة الأسلمي .^(٣) ونون

(١) انظر تفصيل الأقوال الخمسة في تفسير مجمع البيان ٣ : ٢٧٧ .

(٢) تفسير البرهان ٢ : ٢٨٢ .

(٣) تفسير البرهان ٢ : ٢٨٢ والاحاديث في هذا المعنى كثيرة .

«ابن كثير» «هاد» و«وال» ^(١) و«واقي» ^(٢) و«ما عند الله من باقي» ^(٣) و«صلاً» ^(٤) ووقف بالياء حيث وقعت، ^(٥) وغيره يصل بالتونين ويقف بغير ياء. ^(٦) ثم أكد ما تضمنته الآيات السابقة بقوله:

[٨] - ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ﴾ أي أحوال ما تحمله كذكورته وأنوثته ﴿وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزَادُ﴾ ما تنقصه وما تزداده من مدة الحمل وخلقته وعدده .
أو من دم الحيض ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ بقدر واحد لا يتعداه .
[٩] - ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ ما غاب عن الحس وحضره ﴿الْكَبِيرُ﴾ العظيم ﴿الْمُعَالِ﴾ على كل شيء بقهره، أو عما لا يجوز عليه . وأثبت «ابن كثير» الياء . ^(٧)
[١٠] - ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ﴾ في علمه ﴿مَنْ أَسْرَأَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ﴾ مستتر بظلمته ﴿وَسَارِبٌ﴾ سالك في سربه - بفتح السين -، أي: طريقه ﴿بِالنَّهَارِ﴾ يراه الناس .

[١١] - ﴿لَهُ﴾ للمسرّ والجاهر، والمستخفي والسارب ﴿مُعَقَّبَاتٌ﴾ ملائكة يتعاقبون في حفظه، جمع «معقبة» بناء المبالغة من «عقبه» بالتشديد، جاء على عقبه، لتعقب بعضهم بعضاً، أو لتعقبهم عمله فيكتبونه، أو «اعتقب» فأدغم التاء في القاف ﴿مَنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ من جوانبه، أو مما قدم وأخر من عمله ﴿يَحْفَظُونَهُ﴾ من المهالك، أو من الجن وغيرهم، أو يحفظون أعماله ﴿مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ من أجل أمره، أو: بمعنى الباء أي بإذنه، أو: هو صفة أخرى لـ «معقبات» أي كائنة

(١) في الآية (١١) من هذه السورة .

(٢) في الآيتين (٣٤) و(٣٧) من هذه السورة .

(٣) في سورة النحل: ٩٦/١٦ .

(٤) التيسير في القراءات السبع: ١٣٣ .

(٥) حجة القراءات: ٣٧٢ .

بأمره ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾ من النعمة ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ من الطاعة الى المعصية ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا﴾ عذاباً أو بلاءً ﴿فَلَا مَرَدَّ﴾ لا مدفع ﴿لَهُ﴾ من أحد ﴿وَمَا لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ يلي أمرهم ويرد السوء عنهم .

[١٢] - ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا﴾ من الصواعق أو لمن يضره المطر ﴿وَوَطْمَعًا﴾ في المطر؛ أو لمن ينفعه، حالان من «البرق» ياضمار «ذا» أو من المخاطبين أي خائفين وطامعين، أو علتان أي إخافة وإطماعاً، أو: إراءة خوف وطمع ﴿وَيُنْشِئُ﴾ يخلق ﴿السَّحَابَ﴾ جمع سحابة ﴿النُّقَالِ﴾ بالماء .

[١٣] - ﴿وَيَسَّخِرُ الرِّعْدُ﴾ أي سامعوه متلبسين ﴿بِحَمْدِهِ﴾ فيقولون: سبحان الله والحمد لله، أو: يدعو الرعد الى تسبيحه وحمده تعالى لما فيه من الآيات، أو هو ملك موكل بالسحاب ﴿وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾ أي الله ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ﴾ وهي نار تنزل من السحاب ﴿فَيَصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ﴾ فتحرقه ﴿وَهُمْ يُجَادِلُونَ﴾ أي الكفار مع مشاهدتهم هذه الآيات، يخاصمون النبي صلى الله عليه وآله وسلم ﴿فِي اللَّهِ﴾ في نفردة في الألوهية وقدرته على البعث ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ الكيد لأعدائه أي الأخذ أو النعمة .

[١٤] - ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ أي كلمته، وهي لا إله إلا الله، أو الدعوة المجابة، فإنه يجيب من دعاه، أو دعوة المدعو الحق وهو الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ والأصنام الذين يدعونهم أو يعبدهم المشركون ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ أي غيره ﴿لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ﴾ من مطالبهم ﴿إِلَّا كِبَاسِطٍ﴾ إلا استجابة كاستجابة باسط ﴿كَفَّهِ إِلَى الْمَاءِ﴾ يدعوه ﴿لِيَبْلُغَ فَاهُ﴾ بانتقاله من مكانه إليه ﴿وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ﴾ ولن يبلغ فاه، لأنه جماد لا يشعر فكذلك آلهتهم ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ ضياع .

[١٥] - ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا﴾ كالملائكة والمؤمنين ﴿وَكَرْهًا﴾ كالكفرة المكربين بالسيف، وهما حالان أو علتان ﴿وَوَظِلًّا لَهُمْ﴾ بتبعيتهم، أو أريد خضوعهم لنفوذ مشيئته فيهم أرادوا أو كرهوا، أو خضوع ظلالم لتسخيره لها

بالمد والتقليص ﴿بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ﴾ بالبكر والعشيات أي دائماً ظرف له «يسجد» أو حال له «ظلالهم».

[١٦] - ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ خالقهما ومدبرهما ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ مجيباً به عنهم إذ لا جواب غيره ﴿قُلْ﴾ - تبيئاً لهم - : ﴿أَفَأَتَّخِذْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ أي غيره ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ جمادات تعبدونها ﴿لَا يَمْلِكُونَ لَأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ فضلاً عن غيرهم ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ المشرك والموحد ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾ الشرك والتوحيد، وقرأ «حمزة» و«أبو بكر» و«الكسائي» بالياء ^(١) ﴿أَمْ﴾ بل أ ﴿جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ﴾ صفة «شركاء» ﴿فَتَسَابَةُ الْخَلْقِ﴾ خلق الله وخلقهم ﴿عَلَيْهِمْ﴾.

فقالوا: استحقوا العبادة بخلقهم كما استحقها. وهو انكار أي ليس الأمر كذلك بل جعلوا له شركاء عجزوا عن الخلق ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ لا خالق سواه فلا شريك له في العبادة ﴿وَهُوَ الْوَاحِدُ﴾ المتوحد بالربوبية ﴿الْقَهَّارُ﴾ لكل شيء .
[١٧] - ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ مطراً ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ﴾ أي مياهها.

والوادي: مسيل الماء، واستعمل الماء اتساعاً ﴿بِقَدَرِهَا﴾ في الصغر والكبر، أو بمقدارها الذي علم الله انه نافع ﴿فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا﴾ وهو الأبيض المتفخ على وجه الماء ﴿رَافِيًا﴾ عالياً عليه ﴿وَمِمَّا تُوْقَدُونَ^(٢) عَلَيْهِ فِي النَّارِ﴾ من الفلزات كالذهب والفضة والنحاس والحديد. وقرأ «حمزة» و«الكسائي» و«حفص» بالياء ^(٣) ﴿إِنْغَاءَ حِلْيَةٍ﴾ طلب زينة ﴿أَوْ مَتَاعٍ﴾ يتنفع به كالأواني وغيرها ﴿زَبَدٌ مِثْلُهُ﴾ أي من هذه الأشياء زيد مثل زيد السيل، هو خبثها ﴿كَذَلِكَ﴾ المذكور ﴿يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ﴾ أي مثلهما.

فالصافي المتفخ به من الماء، والفلز مثل الحق، والزيد المضمحل منهما مثل

الباطل ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ﴾ من السيل والفلز المذاب ﴿فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾ حال أي مرمياً به باطلاً ﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾ من الماء والفلز ﴿فَيَمَكْتُ فِي الْأَرْضِ﴾ يبقى دهنراً ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ للحق الباقي والباطل المضمحل .

[١٨] - ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ لدعوته فآمنوا به ، المثوبة ﴿الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ﴾ مبتدأ ، خبره ﴿لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِثْلَهُ مَعَهُ لَا فُتَدُوا بِهِ﴾ وقيل : ^(١) «للذين» متعلق بـ «يضرب» أي يضرب الأمثال لشأن المؤمنين والكفرة فـ «الحسنى» صفة مصدر «استجابوا» والشرطية استئناف ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ﴾ المناقشة فيه ، ولا يغفر لهم ذنب ﴿وَمَا وَاهُمْ جَهَنَّمَ وَيَنْسَ الْيَهَادُ﴾ الفراس هي .
[١٩] - ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ﴾ فنبهه ﴿كَمْ هُوَ أَعْمَى﴾ لا يعلمه ولا يتبعه . إنكار أن يتوهم تشابههما ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ﴾ يعتبر ﴿أُولَئِكَ الْأَلْبَابِ﴾ ذووا العقول .

[٢٠] - ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ ما ألزمهم إياه عقلاً أو سمعاً ، أو ما أخذه عليهم في عالم الذر ﴿وَلَا يَنْقُضُونَ الْعِثَاقَ﴾ ما وثقوه بينهم وبين الله وبين العباد . تأكيد ، أو تعميم بعد تخصيص .

[٢١] - ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ من الإيمان بالرسول والرحم وحقوق الخلق ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ مقامه ﴿وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ المناقشة فيه .
[٢٢] - ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على البلاء والتكاليف ﴿إِثْنَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ طلب رضا لارياء وسمعة ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ يمكن شمولها النفل وكذا ﴿وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ بعضه ﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ في الطاعة ﴿وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ يدفعونها أي يمحونها بها ، أو يقابلونها بها إذا أسى اليهم ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ العاقبة الحميدة في الدار الآخرة . وأبدل من «عقبى» :

[٢٣] - ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ إقامة ﴿يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ﴾ عطف على الواو، وسوَّغه الضمير الفاصل، أو مفعول معه، أي من آمن ﴿مِنْ آبَائِهِمْ وَآزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ يلحفون بهم وإن لم يعملوا كعملهم، كرامة لهم.
 ويفيد عدم نفع الأنساب بدون الإيمان ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ من أبواب الجنة أو القصور بالهدايا ^(١) قائلين:

[٢٤] - ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ تهنئة بالسلامة ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ يتعلق به «سلام عليكم» أو بمحذوف، أي: سلمتم، أو هذا بصبركم ﴿فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ ما أنتم فيه.
 [٢٥] - ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ وَعَدُ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ ما ونقوه به ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بالظلم والكفر ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ عذاب النار أو سوء العاقبة فيها.

[٢٦] - ﴿اللَّهُ يَسْطُرُ الرُّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ يوسعُه ويضيقُه ﴿وَفَرِحُوا﴾ أي الكفرة بطراً ﴿بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بما أوتوه فيها ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ﴾ في جنبها ﴿إِلَّا مَتَاعٌ﴾ شيء نزر يتمتع به ويزول.

[٢٧] - ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لَا﴾ هلا ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ كالناقة والعصا ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾ يخذله بسوء فعله وعدم اعتداده بالآيات المنزلَة واقتراح غيرها ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ رجع عن العناد إلى الانقياد، أي يشته عليه بلطفه فيقنع ببعض ما جئت به.

[٢٨] - ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بدل من «مَنْ» ﴿وَتَطْمَئِنُّ﴾ من الصلوة وتسكن ﴿قُلُوبُهُمْ﴾ يذكر الله ﴿أَنْسَأْ وَثْقَةً بِهِ، أَوْ بِالْقُرْآنِ لَتُضْمَنَ دَلَائِلَ وَحْدَانِيَّتِهِ وَآيَاتِ وَعْدِهِ وَرَحْمَتِهِ. وقوله ﴿إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ﴾ ^(٢) أي من وعيده ونعمته ﴿أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمَئِنُّ

(١) كذا صححناه على ما في التفاسير، والموجود في النسخ: أو الهدايا.

(٢) في سورة الأنفال: ٢/٨.

الْقُلُوبُ ﴿لِإِزَالَتِهِ الشُّكُوكَ الْمَوْجِبَةَ لِلْإِضْطِرَابِ .

[٢٩] - ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ مبتدأ خبره ﴿طُوبَى لَهُمْ﴾ مصدر

«طاب»، وواوه عن ياء، مرفوع أو منصوب أي طيب عيش أو فرح أو غبطة. ^(١)
أو شجرة في الجنة أصلها في دار النسي وعليّ عليهما السلام، وفروعها على
أهل الجنة.

روى أنه صلى الله عليه وآله وسلم سئل عنها فقال: شجرة في داري ثم سئل أخرى،
فقال في دار علي عليه السلام. فقيل له في ذلك، فقال داري داره في الجنة ^(٢)
﴿وَحُسْنٌ﴾ بالنصب ﴿مَتَابٌ﴾ مرجع .

[٣٠] - ﴿كَذَلِكَ﴾ كما أرسلنا الرسل قبلك ﴿أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ﴾ مضت
﴿مِنْ قَبْلِهَا أُمَّمٌ﴾ فهي آخر الأمم وأنت خاتم الرسل ﴿لِتَتْلَوْا﴾ لتقرأ ﴿عَلَيْهِمُ الَّذِي
أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ أي القرآن ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ البليغ الرحمة، العميم النعمة التي
منها إرسالك اليهم، وتنزيل القرآن عليهم فكفروا بها، أو: كفرهم قولهم: ﴿وما
الرحمن﴾ ^(٣) حين أمروا بالسجود له ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ في أموري
﴿وَالِإِلَهِ مَتَابٌ﴾ توبتي، أي: رجوعي .

[٣١] - ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾ أزيلت عن مواضعها ﴿أَوْ قُطِعَتْ بِهِ
الْأَرْضُ﴾ شقت أنهاراً وعيوناً ﴿أَوْ كُلَّمْ بِهِ النُّسُوتُ﴾ بعد إحيائهم. وجواب «لو»
محذوف أي لكان هذا القرآن العظيم الشأن، أو لما آمنوا لفرط عنادهم .

قيل: قالوا له صلى الله عليه وآله وسلم: إن كنت نبياً فسير عنا جبال مكة، واجعل لنا
فيها أنهاراً وعيوناً لنزرع، وأحي لنا أمواتنا ليكلمونا فيك، ^(٤) فنزلت ﴿بَلْ لَّهِ الْأَمْرُ

(١) الغبطة: حسن الحال، المسرة

(٢) تفسير البرهان ٢: ٢٩٣ عن شواهد التنزيل للحسكاني .

(٣) في سورة الفرقان: ٦٠ / ٢٥ .

(٤) تفسير البضاوي ٣: ٦٩ .

جَمِيعًا» لا غيره، فهو القادر على الإتيان بمقترحهم، لكن صرفه علمه بأن اظهاره مفسدة «أَفَلَمْ يَأْتِشِ الَّذِينَ ءَامَنُوا» أفلم يعلموا، سمي العلم يأساً لأنه سبب اليأس، إذ من علم شيئاً يئس من خلافه، وبعضه قراءة «علي» وأهل بيته عليهم السلام وابن عباس وجماعة: «أفلم يتبين»^(١).

وقيل: معناه أفلم يفتنوا من إيمان هؤلاء الكفرة لعلمهم «أن» مخففة أي أنه «لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا» إلى الجنة لكنه كلّفهم لبناؤها باستحقاق.

أو: لو يشاء ألجأهم لآلجأهم، لكنه ينافي الغرض من التكليف، وجملة «أن لو يشاء» متعلق بـ «يأس» إن فسر بـ «يعلم» وإلا فيمحذوف «وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا» من الكفر «قَارِعَةً» داهية تفرعهم من الجذب والقتل والأسر «أَوْ تَحُلْ» القارعة «قَرِينًا مِّنْ دَارِهِمْ» فيحاذونها أو تحل أنت يا محمد بجيشك قريباً من دارهم مكة «حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ» القيامة، أو فتح مكة «إِنَّ اللَّهَ لَإِخْلِفُ الْمَبْعَادَ».

[٢٢] - «وَلَقَدْ اسْتَهْزَىٰ بِرُسُلٍ مِّنْ قَبْلِكَ» تسليّة له صلى الله عليه وآله وسلم «فَأْمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا» أمهلتهم ملاوة أي: مدة.

والملوان: الليل والنهار «ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ» أهلكتهم «فَكَيفَ كَانَ عِقَابِ» عقابي لهم، فكذاك أخذ من استهزأ بك.

[٢٣] - «أَفَمَن هُوَ قَاتِمٌ» حفيظ «عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ» من خير وشر وهو الله تعالى، والخبر محذوف، أي: كمن ليس كذلك من الأصنام «وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ» استتاف أو عطف على الخير، ان قدر بما يمكن عطفه عليه مثل «لم يوحّدوه» وجعلوا له شركاء»، على وضع الظاهر موضع الضمير تقريراً للإلهية «قُلْ سَمُّوهُمْ» له من هم؟، أي ليس لهم اسم يستحقون به الإلهية، وهذا استحقاق

لهم ﴿أَمْ﴾ بل أُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ ﴿أَيَ﴾ بشركاء لا يعلمهم، استئناف انكار، أي لا شريك له ﴿أَمْ﴾ بل أتسمونهم شركاء ﴿بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ﴾ بزعم باطل لا حقيقة له ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ﴾ شركهم ﴿وَصَدَّوْا﴾^(١) أَعْرَضُوا وصرَفُوا غيرهم وضم الكوفيون الصاد،^(٢) أي حرفوا ﴿عَنِ السَّبِيلِ﴾ طريق الحق ﴿وَمَن يَضِلِّ اللَّهُ﴾ يخذله بسوء اختياره ﴿فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ يوفقه أو يقسره على الهدى.

[٢٤] - ﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بالقتل والأسر والمصائب ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ﴾ أشد ﴿وَمَا لَهُمْ مِّنَ اللَّهِ﴾ من عذابه ﴿مِنَ وَّاقٍ﴾ دافع.

[٢٥] - ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ صفتها. مبتدأ حذف خبره، أي: فيما يقض عليكم، أو: الخبر ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ كقولك صفة زيد طويل، أو بتقدير مثل الجنة جنة تجري من تحتها الأنهار ﴿أَكُلُوهَا﴾ نمرها ﴿وَدَانِمُ﴾ باق ﴿وَوَظَلُّهَا﴾ كذلك لا تسخه شمس ﴿تِلْكَ﴾ الجنة ﴿عُقُوبَى﴾ مال ﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الله ﴿وَعُقُوبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾.

[٢٦] - ﴿وَالَّذِينَ آمَنَّا هُمُ الْكِتَابُ﴾ أي من أسلم من اليهود والنصارى ﴿يَفْرَحُونَ﴾ بما أنزل إليك ﴿لموافقته كتابهم، أو الذين أعطوا القرآن يزداد فرحهم بما فيه من العلوم ويتلقونه بالبشر﴾ ﴿وَمِنَ الْأَخْرَابِ﴾ الذين تحزبوا عليك بالعداوة من المشركين وكفرة أهل الكتاب ﴿مَنْ يُكْرِهُ بَعْضُهُ﴾ وهو ما خالف أحكامهم ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ﴾ فيما أنزل إلي ﴿أَنْ﴾ أي بأن ﴿أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَهَ أَدْعُو﴾ لا إلى غيره ﴿وَالِلَّهِ مَتَابٍ﴾ مرجعي.

[٢٧] - ﴿وَكَذَلِكَ﴾ الإنزال ﴿أُنزِلْنَاهُ﴾ أي القرآن ﴿حُكْمًا﴾ حكمة أو يحكم بين الناس ﴿عَرَبِيًّا﴾ بلسان العرب ليفهموه وهو حال ﴿وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ فيما

(١) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «وَصَدَّوْا» - يضم الصاد - وسيشير إليه المؤلف.

(٢) تفسير مجمع البيان ٣: ٢٩٤.

يدعونك إليه من ملّتهم ﴿بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ بنسخها ﴿مَالِكٌ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيِّ﴾ ناصر ﴿وَلَا وَاقٍ﴾ دافع عقوبته، خطاب له صلى الله عليه وآله وسلم والمراد أمته.

[٢٨] - ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ نساء وأولاداً مثلك. قيل: عيروه صلى الله عليه وآله وسلم بكثرة النساء، فنزلت^(١) ﴿وَمَا كَانَ﴾ ما صح ﴿لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ﴾ مقترحة ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ لأن ذلك بمشيئته ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ﴾ وقت ﴿كِتَابٍ﴾ حكم مكتوب على الخلق على ما يوجب تدبيرهم.

[٣٩] - ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ من رزق وأجل وسعادة وشقاوة ﴿وَيُثَبِّتُ﴾ ما يشاء منها. وشده «نافع» و«ابن عامر» و«حمزة» و«الكساني»^(٢) أو يمحو حكماً ويثبت غيره.

أو يمحو من كتاب الحفظ ما لا جزء فيه ويثبت غيره، أو يمحو سيئات التائب ويثبت بدلها حسنات، أو يمحو قرناً ويثبت آخرين ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ أصله، وهو: اللوح المحفوظ الذي لا يغير ما فيه.

[٤٠] - ﴿وَإِنْ مَاءٌ﴾ «ان» الشرطية أدغمت في «ما» الزائدة ﴿نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ من العذاب في حياتك ﴿أَوْ تَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبل ذلك ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾ فحسب ﴿وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ والجزاء.

[٤١] - ﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ﴾ نقصد أرض الشرك أو الأمم ﴿نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ بالفتوح على النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو بموت العلماء ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ﴾ في خلقه ﴿لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ﴾ لا راد له، حال، أي نافذاً حكمه ﴿وَهُوَ سَرِيعٌ﴾

(١) تفسير الكشاف ٢: ١٦٩.

(٢) كتاب السبعة في القراءات: ٣٥٩.

الْحِسَابِ ﴿لِلْعِبَادِ .

[٤٢] - ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ يرسلهم ﴿فَلَلَهُ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾ أي يملك جزاء المكر ﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ من خير وشر ﴿وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقِبِيَ الدَّارِ﴾ العاقبة المحمودة في الدار الآخرة، ألهم أم للرسول والمؤمنين؟ وقرأ «نافع» وابن كثير، وأبو عمرو: «الكافر»، ^(١) أي جنسه .

[٤٣] - ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسَتْ مُرْسَلًا قُلْ﴾ - لهم - : ﴿كَفَى بِاللّٰهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ بإظهاره المعجزات الشاهدة بصدقي ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ اللوح المحفوظ وهو الله، أي كفى بالمستحق للعبادة والعالم ما في اللوح شهيداً .

أو علم القرآن أي : الإحاطة بعلمه، ولم يكن إلّا عند باب مدينة العلم : علي والأئمة من ولده عليهم السلام، الذين لم يفارقهم الكتاب حتى يردوا الحوض على النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما أخبر به . ^(٢)

وعن الصادق عليه السلام قال : إيانا عنى ، وعلياً أولنا وأفضلنا وخيرنا بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم . ^(٣)

وعنه عليه السلام : انه وضع يده على صدره ثم قال : «عندنا والله علم الكتاب كملًا» . ^(٤)

(١) حجة القراءات : ٣٧٥ .

(٢) في حديث الثقلين وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم : اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي (أهل بيتي) وانهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض - وهو متواتر عند الفريقين من الخاصة والعامة ، يراجع عمدة عيون صحاح الاخبار لابن البطريق الفصل الرابع عشر .

(٣) رواه الحويزي في تفسير نور الثقلين عن ابي جعفر عليه السلام ينظر تفسيره ٥٢٢ : ٢ .

(٤) في تفسير نور الثقلين ٥٢٣ : ٢ - انه عليه السلام أوما بيده الى صدره وقال : علم الكتاب والله كله عندنا ، علم الكتاب والله كله عندنا .

ولو أريد بالكتاب الجنس لم يكن علمه إلا عند القائل: «سلوني».^(١)

و«لو ثنيت لي الوسادة».^(٢)

و«ما أنزلت آية إلا وأنا أعلم تنزيلها وتأويلها».^(٣)

(١) قول أمير المؤمنين عليه السلام: سلوني، فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم، سلوني

عن كتاب الله، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم بليل نزلت أم بنهار أم في سهل أم في جبل.

نقله الكثير من الحفاظ منهم السيوطي في تاريخ الخلفاء: ١٨٥ والمحب الطبري في الرياض

النضرة ٢: ٢٦٢ وابن عبد البر في الاستيعاب ٢: ٥٠٩ والحسكاني في شواهد التنزيل ١: ٣٠.

(٢) وهو أيضاً قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام - ونقله العلامة الحلي في كشف

المراد عند بيانه لتقدم علي عليه السلام على جميع الصحابة في تعلمه، انظر كشف

المراد: ٣٨٥.

(٣) وهو أيضاً أمير المؤمنين عليه السلام حين قال: والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم أنزلت وابن

أنزلت - رواه الحسكاني في شواهد التنزيل ١: ٣٣ وروى معناه في: ٣٥ - وابن عديم في

حلية الأولياء ١: ٦٨ - والكنجي في كفاية الطالب: ٢٠٨.

سورة ابراهيم

[١٤]

خمس - أو أقل - وخمسون آية مكية إلا ﴿الْم تَر إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا﴾ اليتين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] - ﴿الرَّ كِتَابٌ﴾ هذا القرآن أو السورة كتاب ﴿أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ﴾ اللام للغرض ﴿النَّاسَ﴾ كلهم بدعوتك العامة ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ الضلالت ﴿إِلَى النُّورِ﴾ الهدى ﴿يَبْذُرُونَ رَبِّهِمْ﴾ بأمره بذلك، صلة لـ «تخرج» أو حال من فاعله أو مفعوله ﴿إِلَى صِرَاطٍ﴾ بدل من «إلى النور» أي إلى طريق ﴿الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ القاهر سلطانه، المحمود شأنه .

[٢] - ﴿اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ بالجبر، بدل للعزیز، ورفع «ابن عامر» مبتدأ وخبر^(١) أو خبر محذوف، و«الذي» صفته ﴿وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ أي يولولون منه ويقولون يا ويلاه .

[٣] - ﴿الَّذِينَ﴾ نعت، أو: ذم، منصوب أو مرفوع، أو: مبتدأ خبره «اولئك» وخبره ﴿يَسْتَحْيُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ يؤثرونها «على الآخرة» إذ المؤثر لشيء يطلب من

نفسه أن يكون أحب اليها من غيره ﴿وَيُضْذَوْنَ﴾ النَّاسِ ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينه ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ يطلبون لها زيفاً، فحذف اللام وأوصل الفعل ﴿أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ عن الحق.

[٤] - ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ﴾ بلغتهم ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ ما أتى به فيفهموه ويفهموه غيرهم، فإنهم أحق بأن يدعوهم ﴿فَيُضِلُّ اللَّهُ﴾ يخذل ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ ممن أعرض عنه ﴿وَيَهْدِي﴾ بلطفه ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ ممن تدبر بعقله ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ الغالب المدبر بحكمته.

[٥] - ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا﴾ المعجزات التسع ﴿أَنْ﴾ أي بأن، أو أي ﴿أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ الكفر ﴿إِلَى النُّورِ﴾ الإيمان ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ بنعمه وبلاءه في أيامه ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ التذكير ﴿لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾ على بلائه ﴿شَكُورٍ﴾ لنعمائه، فإنه يعتبر بما جرى على من قبله من بلاء ونعماء فيصبر ويشكر.

[٦] - ﴿وَإِذْ﴾ واذكر إذ ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ﴾ وقت إنجاءه إليكم ﴿مَنْ ءَالٍ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ بالاستعباد وغيره ﴿وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ يستبقونهم للخدمة ﴿وَفِي ذَلِكَ﴾ الإنجاء أو العذاب ﴿بَلَاءٌ﴾ نعمة أو ابتلاء ﴿مَنْ رَبَّكُمْ عَظِيمٌ﴾.

[٧] - ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ﴾ ربكم، آذن كتواعد وأوعد، أي: أعلم ﴿رَبُّكُمْ﴾ ولتضمنته القسم، جيء بلام موطنه له في ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ﴾ نعمي بالإيمان والطاعة ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ نعماً ﴿وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ﴾ جحدتم النعم بالكفر والمعاصي، وجوابه دل عليه ﴿إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ أي لأعذبنكم. ولاعتناؤه تعالى بالرحمة، صرح بالوعد وعرض بالوعيد كما هو عادته.

[٨] - ﴿وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ لم تضربوا بكفركم إلا أنفسكم بحرمانها النعم، وتعرضيها للنقم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَغَفِيٌّ﴾ عن شكركم ﴿حَمِيدٌ﴾

أهل للحمد، محمود في الملا الأعلى .

[٩] - ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ﴾ خطاب لقوم نبينا صر الله عليه وآله وسلم أو من قول موسى . استفهام تقرير ﴿وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ عطف على ما قبله ﴿لَا يَعْلَمُهُمْ﴾ اعتراض ، أو خبر «الذين» والجملة اعتراض ؛ أي لا يعلم عددهم لكثرتهم ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ .

وتلاها «ابن مسعود» ، وقال : كذب النسابون^(١) ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالدلائل على صدقهم ﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾ عَصَوْهَا عَلَى الرُّسُل غِيظًا .

أو وضعوها عليها أمرًا للرسل بالسكوت ، أو استهزاء بهم كمن غلبه الضحك ، وأشاروا بها الى ما نطقت أفواههم من قولهم : إِنَّا كَفَرْنَا ، أي هذا جوابنا لكم لا غير ، أو وضعوها على أفواه الرسل لئلا ينطقوا ؛ أو وضعوا أيدي الرسل على أفواههم لذلك .

أو أريد بالأيدي النعم وهي ما نطقت به الرسل من الحجج ، أي ردوا حججهم من حيث جاءت بأن كَذَّبُوهَا ﴿وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾ بزعمكم ﴿وَأَنَّا لَنَبِيِّ شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ﴾ من الدين ﴿مُرِيبٍ﴾ موجب للريب .

[١٠] - ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى اللَّهِ شَكٌّ﴾ رفع بالظرف ، والهمزة للإنكار ، أي لا شك في وحدانيته للدلائل الجلية عليها ﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ خالقهما صفة ﴿يَدْعُوكُمْ﴾ الى توحيدهِ ﴿لِيُغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ بعضها وهو حقه ، لسقوطه بالإسلام لا المظالم ﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ﴾ بلا مؤاخذه ﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ وقت الموت ﴿قَالُوا إِنَّا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ لا تفضلونا بما يوجب إيثاركم علينا ﴿تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ من الأصنام ﴿فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ بحجة واضحة تصدقكم .

لم يعتدوا بما جاؤا به من المعجزات واقترحوا غيرها .

[١١] - ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ كما قلتم ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ

عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴿بِالنَّبُوءَةِ﴾، فلقد من علينا بها واصطفانا لها ﴿وَمَا كَانَ﴾ ما صَحَّ ﴿لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بأمره أي ليس ذلك بوسعنا، وانما هو متعلق بمشيئته تعالى ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ في أمورهم.

[١٢] - ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ﴾ أي لا عذر لنا في ذلك ﴿وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا﴾ الموصلة لنا الى معرفته وخفنه «أبو عمرو»^(١) ﴿وَلَتَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا﴾ فإنه تعالى يكفيناكم ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ فإنه يكفيهم.

[١٣] - ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ حلفوا أن يخرجوهم إلا أن يصيروا كفرة مثلهم ﴿فَأَوْخَى إِلَيْهِمْ﴾ الى الرسل ﴿رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين.

[١٤] - ﴿وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ﴾ أرضهم ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ﴾.

في الحديث: من آذى جاره ورثه الله داره^(٢) ﴿ذَلِكَ﴾ الإسكان بعد إهلاك الظلم ﴿لِمَنْ خَافَ مَقَامِي﴾ الذي أقيم فيه للحساب، أو قيامي عليه رقيباً ﴿وَخَافَ وَعَبَدَ﴾ أي عقابي وأثبت «ورش» الباء وصلأ.^(٣)

[١٥] - ﴿وَأَسْتَفْتَحُوا﴾ طلب الرسل من الله الفتح على الكفار، أو الحكم بينهم وبينهم، أو: سأله الكفار نصر المحق على المبطل ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ أي: فافلح الرسل وخسر كل متكبر عن قبول الحق، معاند له.

[١٦] - ﴿مِنْ قَرَائِهِمْ جَهَنَّمَ﴾ أي أمامه، وهو من الأضداد، أو: سمي المستقبل به مجازاً كأنه أتى من خلف ﴿وَيُسْقَى﴾ عطف على مقدر أي يصلاها ويسقى ﴿مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ﴾ عطف بيان لـ «ماء» وهو ما يسيل من فروج الزناة في النار من الفحيح والدم.

(١) أي «سبلنا» بسكون الباء ينظر تفسير روح المعاني ١٣: ١٧٨.

(٢) تفسير مجمع البيان ٣: ٣٠٨ وتفسير البرهان ٢: ٣٠٨.

(٣) التيسير في القراءات السبع: ١٣٥.

[١٧] - ﴿يَتَجَرَّعُهُ﴾ يشربه جرعة جرعة ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾ ولا يقارب أن يزدرده^(١) لنتته وبشاعته وحرارته ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ﴾ أي أسبابه وموجباته ﴿مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ من جسده أو من كل جهة ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ فيستريح ﴿وَمِنْ وَرَآئِهِ﴾ امامه ﴿عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ هو الخلود في النار، أو من بعد هذا العذاب عذاب أشد منه.

[١٨] - ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾ مبتدأ حذف خبره، أي فيما يقص عليكم صفتهم ﴿أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ﴾ استئناف، لبيان مثلهم، أو هو الخبر أو «أعمالهم» بدل من المثل، والخبر: «كرماد» ﴿اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ﴾ ذرته، وجمعه «نافع»^(٢) ﴿فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ شديد الريح. شبه ما عملوا من صلة وصدقة وعق ونحوها في بطلانها، لعدم ارادتهم بها وجه الله أو من عبادة الأصنام، برماد نسفته الريح العاصفة ﴿لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا﴾ عملوا في الدنيا ﴿عَلَى شَيْءٍ﴾ أي لا يتفنون به يوم القيامة ﴿ذَلِكَ﴾ أي عملهم ﴿هُوَ الظَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ عن الحق أو عن النفع.

[١٩] - ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ أيها السامع ﴿أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ بمقتضى الحكمة وقرأ حمزة «والكساني»: «خالق»^(٣) ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ يفيكم ﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ مكانكم فإن من خلق السماوات والأرض وأنشأكم، قادر على تبديلكم بغيركم.

[٢٠] - ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ بصعب.

[٢١] - ﴿وَبَرِّزُوا لِلَّهِ﴾ عبر بالماضي لتحقيقه، أي يبرزون من قبورهم يوم القيامة لحكمه ﴿جَمِيعًا﴾ مجتمعين ﴿فَقَالَ الضُّعَفَاءُ﴾ الاتباع ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ عن الإيمان وهم قادتهم المتبوعون ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ في الكفر، جمع تابع كخدم وخدام ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْجُونَ﴾ دافعون ﴿عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ «من» الأولى بيانية

(١) حجة القراءات: ٣٧٦ وتفسير مجمع البيان ٣: ٣٠٩.

(١) أي يتبلعه.

(٢) تفسير البيضاوي ٣: ٧٥.

والثانية تبعيضه، أي بعض شيء هو عذاب الله، أو هما للتبعيض أي بعض شيء هو بعض عذاب الله ﴿قَالُوا﴾ أي المتبعون ﴿لَوْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ إلى طريق الخلاص من العقاب ﴿لَهَدَيْنَاكُمْ﴾ أي لو خلصنا لخلصناكم أيضاً ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرُنَا أَمْ صَبْرُنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِصٍ﴾ منر ومنجى .

[٢٢] - ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ فرغ منه ودخل السعداء الجنة، والأشقياء النار وجعلوا يلومونه ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ﴾ بالبعث والجزاء، فوفى لكم ﴿وَوَعَدْتُكُمْ﴾ خلاف ذلك ﴿فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ الوعد ﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ تسلط وقهر، فأجبركم على الضلال وفتح «حفص» الياء ^(١) ﴿إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ﴾ لكن دعائي اليكم اياه بالوسوسة، وقد يجعل استثناء متصلاً بجعل الدعاء من جنس التسلط مجازاً ﴿فَاسْتَجَبْتُكُمْ لِي﴾ باختياركم ﴿فَلَا تُلْهُمُونِي﴾ بدعائي لكم إذ شأن العداوة ذلك ﴿وَلَوْلُمُوهَا أَنْفُسُكُمْ﴾ بما جئتموه حيث أجبت دعائي وأعرضتم عن دعاء ربكم .

ويفيد أن العبد مختار في فعله وليس من الله إلا التمكين، ولا من الشيطان إلا التنزين، وإلا لقال: فلا تلوموني ولا أنفسكم فإن الله جبركم. والحجة عدم انكار الله عليه لا قوله ﴿مَا أَنَا بِمُضِرِّ خُكُمُ﴾ بمغيثكم ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُضِرِّ خِيَّ﴾ بمغيثي، بفتح الياء وكسرها «حمزة» لاتقاء الساكنين ^(٢) وضعفه النحاة ^(٣) ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ﴾ بإشراككم آتاي مع الله في الدنيا يعني تبرأت منه أو بالذي أشركتموني، أي جعلتموني شريكاً له بإجابتكم دعوتي من قبل أن أشركتموني حين آيت السجود لآدم. وأثبت «أبو عمرو» الياء وصلأ ^(٤) ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ من قوله،

(١) كتاب السبعة في القراءات: ٣٦٤.

(٢) حجة القراءات: ٣٧٧ وتفسير البضاوي ٧٦: ٣ وكتاب السبعة في القراءات: ٣٦٢.

(٣) حجة القراءات: ٣٧٧.

(٤) التيسير في القراءات السبع: ١٢٥.

أو ابتداء وعيد من الله تعالى .

[٢٣] - ﴿وَأَدْخِلْ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ بأمره ﴿تَجِيئُهُمْ فِيهَا﴾ من الملائكة أو فيما بينهم ﴿سَلَامٌ﴾ .
[٢٤] - ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ كيف بينه ، جعل ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ وهو تفسير «ضرب الله مثلاً» ، أو «كلمة» بدل من «مثلاً» و«كشجرة» صفتها .

والكلمة الطيبة : كلمة التوحيد ، أو ما دعا الى الحق .

والشجرة الطيبة : النخلة أو شجرة في الجنة ، أو شجرة بهذا الوصف
وان لم توجد .

وعن الباقر عليه السلام : أنها النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وفرعها عليّ ، وعنصرها فاطمة ، وثمرها أولادها ، وورقها شيعتنا^(١) ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ في الأرض ﴿وَفَرْعُهَا﴾ رأسها ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ .

[٢٥] - ﴿تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾ تعطي ثمرها كل ستة أشهر ، أو كل سنة ، أو كل وقت ﴿بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ بأمره ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ بينها ﴿لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتعظون بتدبرها .

[٢٦] - ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ هي كلمة الكفر ، أو ما دعا الى الباطل ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ هي الحنظل أو الكشوث^(٢) أو ما لا يتففع بها .

وعن الباقر عليه السلام أنها «بنو أمية»^(٣) ﴿اجْتَنَّتْ﴾ اقتلعت جنتها ﴿مِنْ قَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ استقرار .

(١) تفسير مجمع البيان ٣: ٣١٢ وتفسير البرهان ٢: ٣١٠ .

(٢) في «ط» هي الباطل أو الكفر - والكشوث : نبات يلتف على الشوك والشجر لا اصل في الارض ولا ورق - .

(٣) تفسير مجمع البيان ٣: ٣١٣ تفسير البرهان ٢: ٣١١ .

[٢٧] - ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ أي بكلمة التوحيد المتمكنة في قلوبهم بالحجة ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ حتى لو فتنوا في دينهم لم يزلوا ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ أي في القبر فلا يتلعمون^(١) إذا سألهم الملكان عن ربهم ودينهم ونبئهم وإمامهم، وفي الموقف فلا يبهتون لهوله ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾ لا يثبتهم في الدارين بسبب ظلمهم وكفرهم ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ من تثبيت المؤمن وتخليه الكافر وكفره.

[٢٨] - ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ﴾ أي شكرها كفراً وضعوها موضعها، أو بدلوا نفسها ﴿كُفْرًا﴾ أي سلبوها فاعتاضوا عنها بالكفر، ككفرة قریش، أسكنهم الله حرمه ووسع عليهم رزقه، وأكرمهم بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم، فكفروا ذلك، ففحطوا وقتلوا وأسروا يوم بدر؛ فتركوا النعمة ولزموا الكفر بدلها.

قال الصادق عليه السلام: «نحن والله نعمة الله وبنا يفوز من فاز»^(٢) ﴿وَأَخْلَوْا قَوْمَهُمْ﴾ اتباعهم ﴿ذَارَ الْبَوَارِ﴾ الهلاك.

[٢٩] - ﴿جَهَنَّمَ﴾ عطف بيان ﴿يُضِلُّونَهَا﴾ يدخلونها، حال منها، أو من القوم ﴿وَبِشَى الْقُرْآنِ﴾ المقر هي.

[٣٠] - ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ أمثالاً ﴿يُضِلُّوهُ﴾ بفتح الياء لـ ابن كثير و«ابي عمرو»، وبضمها لغيرهما،^(٣) واللام للعاقبة ﴿عَنْ سَبِيلِهِ﴾ دينه ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا﴾ بما تهوون في الدنيا الزائلة. أمر تهديد. ﴿فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ﴾ مآلكم ﴿إِلَى النَّارِ﴾ والخلود فيها.

[٣١] - ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ مقول «قل» محذوف، دل عليه جوابه أي: قل لهم أقيموا الصلاة وانفقوا ﴿يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ أو: مقوله

(١) التلعم في الكلام: الإضطراب فيه.

(٢) تفسير البرهان ٢: ٣١٦.

(٣) حجة القراءات: ٣٧٨.

الفعلان، بتقدير لام الأمر لدلالة «قل» عليه. وسكن ياء «عبادي» «ابن عامر» و«حمزة» والكسائي^(١) «سِرّاً وَعَلَانِيَةً» حالان أو مصدران «مَنْ قَبْلُ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَبِيعُ» لا افتداء «فِيهِ» بمال «وَلَا خِلَالٌ» مخالّة، أي: صداقة نافعة، وفتحهما «ابن كثير» و«أبو عمرو»^(٢).

[٣٢] - «اللَّهُ» مبتداً، خبره «الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ» بيان لقوله «رِزْقاً» طعاماً ولباساً. وهو مفعول أخرج «لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفُلْكَ» السفن «لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ» بإرادته إلى مقاصدكم «وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ» العذبة لا تنفَاعكم.

[٣٣] - «وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ» جاريتين، لا تفتران لمصالحكم «وَسَخَّرَ لَكُمْ الْيَلَّ» لسباتكم «وَالنَّهَارَ» لمعاشكم.

[٣٤] - «وَمَا آتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ» بعض جميع ما سألتموه، أي من كل شيء سألتموه شيئاً، أو شيئاً من حقه أن يسأل للحاجة إليه، سئل أم لا. و«ما» موصوفة أو موصولة «وَأِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ» أي أنعامه «لَا تُحْصَوْهَا» لا تطبقوا عدّها لعدم تناسيها «إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ» كثير الظلم للنعمة بترك شكرها، أو لنفسه بالمعاصي «كَفَّارٌ» شديد الكفران، أو ظلوم في الشدة يجزع، كفار في النعمة يمنح.

[٣٥] - «وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ» مكة «ءَامِنًا» ذا أمن لمن فيه «وَاجْنُبْنِي» بَعْدَنِي «وَوَيْتِي» أي الطف لي ولهم لطفاً نصير به في جانب عن «أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ» سأل ذلك مع حصوله له للتبثيت وإظهار الإنقطاع إليه تعالى.

وأراد بنيّه لصلبه أو ما يعم أولادهم الموجودين حيثئذ، أو المؤمنين منهم.

[٣٦] - «رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّوا كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ» بعبادتهم لهنّ، أسند الإضلال إليها

(١) كتاب السبعة في القراءات: ٣٦٤.

(٢) تفسير البضاوي ٣: ٧٨.

لأنها سببه مثل: فَتَنَّتْهُمْ الدُّنْيَا ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي﴾ على ديني ﴿فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ أي بعضي، لشدة اختصاصه بي ﴿وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ هذا فيما دون الشرك، أو قبل علمه بأن الله لا يغفره، أو مقيد بالتوبة.

[٣٧]- ﴿رَبَّنَا إِنِّي﴾ وفتح «الحرميان» و«أبو عمرو» الياء ^(١) ﴿أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ بعضها وهو اسماعيل ومن ولد منه.

قال الباقر عليه السلام: نحن بقية تلك العترة، وكانت دعوة ابراهيم عليه السلام لنا ^(٢) ﴿يُؤَادٍ غَيْرِ ذِي رَزْعٍ﴾ وادي مكة ﴿عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ الذي حرمت التعرض له، فلم يزل ممنوعاً عن كل جبار، أو منعت منه الطوفان ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ أي إنما أسكنتهم بهذا الوادي لإقامة الصلاة عند بيتك ﴿فَاجْمَلْ أَفْنَدَةً مِنَ النَّاسِ﴾ «من» للتبعض، أي أفئدة من افئدة الناس.

قيل: لو قال افئدة الناس لازدحمت عليه فارس والروم، ولحجت اليهود والنصارى، ^(٣) وعن «هشام» بياء بعد همزة ^(٤) ﴿تَهْوِي﴾ تميل وتحن ﴿إِلَيْهِمْ﴾ من هوى يهوى: سقط.

وعن أهل البيت عليهم السلام: «تهوى» بفتح الواو، أي تحب، ^(٥) وعدي بـ«إلى» لتضمنه معنى الميل ﴿وَأَرْزُقُهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ لك، فأجاب الله دعاءه.

[٣٨]- ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي﴾ نسرُ ﴿وَمَا نُغْلِي﴾ نظهر ﴿وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ

(١) كتاب السبعة في القراءات: ٣٦٤.

(٢) تفسير مجمع البيان ٣: ٣١٨.

(٣) تفسير البضاوي ٧٩: ٣ ومعناه في تفسير مجمع البيان ٣: ٣١٩.

(٤) اتحاف فضلاء البشر ٢: ١٧٠.

(٥) تفسير مجمع البيان ٣: ٣١٧.

مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٣٩﴾ من قول ابراهيم، أو تصديق من الله لإبراهيم.

[٣٩] - ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ﴾ مع كبر السن واليأس من الولد

﴿إِسْمَاعِيلَ﴾ ولد له، وله تسع وتسعون سنة، ﴿وَإِسْحَاقَ﴾ ولد [له]، ^(١) وله مائة واثنتا عشرة سنة ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ مجيبه.

[٤٠] - ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي﴾ بلطفك ﴿مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ واجعل منهم من

يقيمها، ولم بدع للكل لإعلام الله له أن فيهم كفاراً ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ أثبت الياء وصلّاً «ورش» و«أبو عمرو» و«حمزة»، ^(٢) ومطلقاً «البرزي»، ^(٣) أي: أجبه، أو تقبل عبادتي.

[٤١] - ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي﴾ لم يسبق منه ذنب، وإنما استغفر انقطاعاً إليه تعالى

﴿وَلِلَّذِينَ دَلَّ عَلَى أَنَّهُمَا لَمْ يَكُونَا كَافِرِينَ﴾ وإن أباه الكافر هو عمّه أو جده لأنه ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ يثبت كالقائم على رجله، أو يقوم أهله له.

[٤٢] - ﴿وَلَا تُحْسِبَنَّ اللَّهُ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ خطاب له من الله عليه وآله

وسلم لشيئته على ما كان عليه من انه تعالى عالم بهم، ووعد بأنه مجازيهم عليه.

وفيه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم ﴿إِنَّمَا يُؤَخَّرُهُمْ﴾ يؤخر ^(٤) عقابهم ﴿لِيَوْمٍ

تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ أي أبصارهم فلا تستقر، أو لا تنطبق للرعب من هول المطلع.

[٤٣] - ﴿مُهْطِعِينَ﴾ مسرعين أو ينظرون في ذلّ وخشوع ﴿مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾

رافعيها الى السماء ﴿لَا يَرْثُ إِلَيْهِمْ طَرَفُهُمْ﴾ لا يغمضون عيونهم، بل هي شاخصة

(١) الزيادة اقتضاها السياق.

(٢) اتحاف فضلاء البشر ٢: ١٧١.

(٣) تفسير مجمع البيان ٣: ٣١٧.

(٤) في النسخ: يؤخر.

دائماً ﴿وَأَفْنَدْتُهُمْ هَوَاءً﴾ قلوبهم خالية من العقل للدهشة والفرع، أو خالية من الخير.
 [٤٤] - ﴿وَأُنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ﴾ هو يوم القيامة، أو يوم الموت،
 مفعول ثانٍ له «أنذر» ﴿فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ - كفروا -: ﴿رَبَّنَا أَخْرِنا إلى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾
 أي: ردنا إلى الدنيا، وأمهلنا إلى أمد من الزمان قريب ﴿نُحِبِّ دَعْوَتَكَ﴾ بالتوحيد
 ﴿وَتَتَّبِعِ الرُّسُلَ﴾، فيجابرون تقرباً: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّنْ قَبْلِ﴾ في الدنيا ﴿مَا
 لَكُمْ مِّنْ ذِّكْرِ﴾ عنها إلى الآخرة.

[٤٥] - ﴿وَسَكَتُمْ فِي مَسَاكِينِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بالكفر والتكذيب من الأمم
 الماضية ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمُ﴾ بتواتر أخبارهم ومعابنة آثارهم ﴿كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾ من صنوف
 العقوبات ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ﴾ بينا لكم صفات ما فعلوا، وفعل بهم فلم تعتبروا،
 أو ما في القرآن من دلائل القدرة على البعث والعذاب المعجل والمؤجل.

[٤٦] - ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ﴾ جهدوا في إبطال أمر الرسل، أو أمر محمد صلى الله عليه وآله
 عليه وآله وسلم والمراد: قريش ﴿وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾ أي علمه أو جزاؤهم ﴿وَإِنْ كَانَ
 مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ «إن» نافية، واللام لتأكيد النفي، أي: مكرهم أضعف من
 أن يزيل ما هو كالجبال الثابتة، دين الرسل، أو دين محمد صلى الله عليه وآله وسلم، أو
 مخفة، أي: وإن الشأن كان مكرهم العظيم معداً لذلك. وفتح «الكسائي» «اللام»،
 ورفع «تزل» على أنها المخفة واللام فارقة^(١) والمعنى كما مر.

[٤٧] - ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفاً وَعْدِهِ رُسُلُهُ﴾ قدم ثاني المفعولين ليُعلم أنه
 لا يخلف وعده مطلقاً فكيف يخلف رسوله ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ غالب لا يغلب

﴿ذُو انْتِقَامٍ﴾ من الكفرة .

[٤٨] - ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾ ظرف لـ «انتقام» أو منصوب بـ «اذكر»

مقدراً ﴿وَالسَّمَوَاتُ﴾ وتبدل السماوات غيرها .

قيل : هي تلك الأرض وانما تبدل صفتها ، ^(١) فيذهب بجبالها وأجامها وتبقى

بيضاء لم يعمل عليها خطيئة ، وكذا السماء يذهب بشمسها وقمرها ونجمها .

وقيل تبدل ذاتهما ^(٢) وينشأ غيرهما .

وعن أهل البيت عليهم السلام : تبدل الأرض خبزة نفية ، تأكل الناس منها حتى

يفرغ من الحساب ^(٣) ﴿وَبَرَزُوا﴾ من قبورهم ﴿لَهُ﴾ لمحاسبته ﴿الْوَّاحِدِ﴾ الذي لا نظير

له ﴿الْقَهَّارِ﴾ لكل ما سواه فلا ملجأ لأحد إلا إليه .

[٤٩] - ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ في القيود أي مشدودين مع

الشياطين ، أو يقرن بعضهم ببعض ، أو تقرن أيديهم وأرجلهم الى رقابهم .

[٥٠] - ﴿سَرَابِيلُهُمْ﴾ قمصهم ﴿مِّنْ قَطْرَانٍ﴾ هو ما يسيل من الأبهل ^(٤) يطلى به

الإبل الجرباء ، أسود ، متن يسرع فيه اشتعال النار يطلى به أهل النار فيصير لهم

كالقميص ليكون أبلغ في عذابهم ، ويتفاوت القطرانان كثافات النارين ﴿وَتَغْشَى

وُجُوهُهُمُ النَّارُ﴾ تعلوها ، خصت بالذكر لأنها أعز الأعضاء وأشرفها ، فعبر

(١) قاله ابن عباس - كما في تفسير البياض ٣ : ٨١ - .

(٢) نقل معناه البياض في تفسيره ٣ : ٨١ ، وانظر تفسير مجمع البيان ٣ : ٣٢٤ .

(٣) تفسير نور الثقلين ٢ : ٥٥٥ هـ عن الكافي وروضة الكافي - وتفسير البرهان ٢ : ٣٢٢ .

(٤) الأبهل : هو شجر كبير ورقه كالطرفاء وثمره كالنبق وليس بالمرعرع ويسيل منه مادة دهنية تسمى

بـ «القطران» .

بها عن الكل .

[٥١] - ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ﴾ متعلق بـ «برزوا» ﴿مَا كَسَبَتْ﴾ ان خيراً فخيئراً،

وان شراً فشرّاً ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ إذ لا يشغله شيء عن شيء .

[٥٢] - ﴿هَذَا﴾ أي القرآن أو السورة ﴿بِالْبَلَاغِ﴾ كفاية ﴿لِلنَّاسِ﴾ لينصحو

﴿وَلِيُنذِرُوا بِهِ﴾ هذا البلاغ ﴿وَلِيَعْلَمُوا﴾ بتأمل دلائله ﴿أَنَّمَا هُوَ﴾ أي الله ﴿إِلَهُ وَاحِدٌ

وَلِيَذَكَّرَ﴾ بتذكر أي يتعظ ﴿أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ ذوروا العقول .

سورة الحجر

[١٥]

نسع وتسعون آية مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] - ﴿الرَّ تِلْكَ﴾ الآيات ﴿ءَايَاتُ الْكِتَابِ﴾ أي القرآن . والإضافة بمعنى «من» أو السورة ﴿وَقُرْءَانٍ مُبِينٍ﴾ أي آيات الله الجامع لكونه كتاباً وقرآناً، مبيّناً للحق من الباطل . ونكّر تفخيماً .

[٢] - ﴿رُبَّمَا﴾^(١) وخففها «نافع» و«عاصم»^(٢) و«ما» كافة لها عن العمل ومسوّغة لدخولها على الماضي ، ودخلت على «يودّ» لأنه في إخباره تعالى كالماضي في تحقيقه، وقيل «ما» نكرة موصوفة ﴿يُودُّ﴾ يتمنى ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يوم القيامة إذا صاروا إلى النار وصار المسلمون إلى الجنة ﴿لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ ومعنى التقليل هنا أنهم لو كانوا يودون الإسلام مرة، لكان جديراً أن يسارعوا إليه ، فكيف وهم يودّونه كلّ ساعة ؛ أو أن الأحوال تدهشهم فإن أفاقوا في بعض الأحيان تمّنوا ذلك .

(١) في المصحف الشريف بقراءة حفص : «ربما» بالتخفيف - كما يشير إليه المؤلف .

(٢) حجة القراءات : ٣٨٠ .

[٣] — ﴿ذَرْنُهُمْ﴾ دعهم ﴿يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا﴾ بدنياهم ﴿وَيُلْهِمُهُمْ﴾ يشغلهم ﴿الْأَمَلُ﴾ الطويل، الكاذب عن الإيمان ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ وبال ما صنعوا إذا حل بهم، وفيه تهديد وتحذير عن ايثار الشهوات، والإغترار بالأمل.

[٤] — ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾ أجل مضروب لهلاكها كتب في اللوح، والجملة المستثناة صفة «قرية» والواو لتأكيد لصوقها بالموصوف. وقيل: حال عنها مع نكارتها، ^(١) لعدم اللبس بالصفة للفصل بالواو، وبـ«إلا». [٥] — ﴿مَا تَسْقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ يتأخرون عنه. والتذكير باعتبار المعنى.

[٦] — ﴿وَقَالُوا﴾ للنبي صلى الله عليه وآله وسلم تهكما: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾ القرآن في زعمه ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ إذ تدعي أنه نزل عليك. [٧] — ﴿لَوْ مَا﴾ هلاً ﴿تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ﴾ ليشهدوا بصدقك أو ليعاقبونا على تكذيبك ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في دعواك.

[٨] — ﴿مَا نَزَّلَ الْمَلَائِكَةُ﴾ بالنون ونصب الملائكة لـ«حفص» و«حمزة» و«الكسائي»، ^(٢) وقرأ «أبو بكر» بالناء والبناء للمفعول ورفع الملائكة، ^(٣) والباقون كذلك لكنهم يفتحون الناء ^(٤) وجعلها «البيضاوي» شاذة، وإن قراءتهم بالياء ونصب الملائكة على أن الضمير لله تعالى ^(٥) وهو خلاف المنقول ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ بمقتضى الحكمة، ولا حكمة في أن تأتيكم عياناً لعلمه بإصراركم على الكفر؛ فيصير إنزالهم عبثاً، أو موجباً لاستئصالكم إن لم تؤمنوا، ومنكم ومن أولادكم من علم أنه سيؤمن

(١) في تفسير البيضاوي ٣: ٨٣: لما شابهت صورتها صورة الحال ادخلت (أي الواو) عليها تأكيداً للصوقها بالموصوف.

(٢) (٤٣: ٢) اتحاف فضلاء البشر ٢: ١٧٤ وحجة القراءات: ٣٨١.

(٥) تفسير البيضاوي ٣: ٨٣.

﴿وَمَا كَانُوا إِذَا﴾ أي حين نزولهم ﴿مُنْظَرِينَ﴾ ممهلين .

[٩] - ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ القرآن ، واتخذ لأنه رد لإنكارهم ﴿وَأَنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ عن الزيادة والنقص والتحريف والتبديل بإيداعه صدور أهله المعصومين من أئمة الهدى من آل محمد عليهم السلام ، وادخاره عندهم واحداً بعد واحد إلى قائمهم ، مكتوباً بخط سيدهم أمير المؤمنين عليه السلام كما أنزله جبرئيل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم كما قال صلى الله عليه وآله وسلم :

إني تارك فيكم الثقلين ، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً : كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، وانهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض ، ^(١) فلا ينافيه ما ورد عنهم عليهم السلام مما يؤذن بنقص ما هو في أيدي الناس ^(٢) وقيل الهاء للنبية صلى الله عليه وآله وسلم . ^(٣)

[١٠] - ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾ رسلاً ﴿فِي شِعَابِ الْأَوَّلِينَ﴾ فرقمهم .

[١١] - ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ كما استهزأ هؤلاء بك وهو تسلية له صلى الله عليه وآله وسلم .

[١٢] - ﴿كَذَلِكَ﴾ أي كما أنزلنا الذكر ، أو كما سلكنا دعوة الرسل في قلوب الشيع ﴿تَسْلُكُهُ﴾ ندخل الذكر أي القرآن ﴿فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ مشركي قومك .

(١) حديث الثقلين - روى حديث الثقلين الكثير من الحفاظ وائمة الحديث بألفاظ متقاربة ومنهم : مسلم في ٧ / باب فضائل علي ١٢٢ ، والترمذي ٥ / ٦٦٣ ، والدارمي ٢ / ٤٣١ ، والحاكم في المستدرک ٢ / ٣٤٣ و ٣ / ١١٠ و ١٤٨ والطبراني في الكبير ٣ / ٣٧ و ٣٨ و ٦٢ و ٦٣ ، والهيثمي في مجمع الزوائد ٩ / ١٦٣ و ١٦٨ و ١٩٥ ، وابن عديم في الحلية ٤ / ٣٠٦ ، وأحمد بن حنبل في مسنده ١ / ٩١ و ٣ / ١٤ و ١٧ و ٢٦ و ٥٩ و ٤ / ٣٦٦ - ٣٦٧ و ٣٧١ و ٥ / ١٨١ و ١٨٢ و ١٨٩ ، وفي كتاب الفضائل بالإرقام . ١٧٠ و ٣٨٣ و ٩٦٨ و ٩٩٠ و ١٠٣٢ و ١٤٠٢ وغيرهم .

(٢) بل تنافيه لأنها تدل على عدم حفظ القرآن من قبل الله تعالى ، لذلك نحن لاناخذ بمثل هذه الأخبار .

(٣) (أي الهاء في الآية) قاله الفراء - كما في تفسير مجمع البيان ٣ : ٣٣١ - .

[١٣] - ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ بالذكر، حال من الهاء في «نسلكه» أي غير مؤمن به
﴿وَقَدْ خَلَّتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي مضت سنة الله فيهم من إهلاكهم بتكذيبهم رسلهم
وهؤلاء مثلهم.

[١٤] - ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ﴾ في الباب ﴿يَعْرُجُونَ﴾
يصعدون إليها، أو تصعد الملائكة وهم يرونهم.

[١٥] - ﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا﴾ سَدَّتْ عن الأبصار، من سكر الشَّقِّ، أو
خُبِرَتْ من «سكر الشراب» وخففه «ابن كثير»^(١) ﴿بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ سحرنا
محمَّد، فَخَيَّلَ لنا^(٢) ما لا حقيقة له.

[١٦] - ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ اثني عشر، دالة باختلاف طبائعها
وخواصها مع تساويها في الجسمية على صانع حكيم ﴿وَزَيَّنَّاها﴾ بالكواكب
﴿لِّلنَّازِطِينَ﴾ نظر اعتبار بل لكل ناظر إليها.

[١٧] - ﴿وَحَفِظْنَاها مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ﴾ فلا يدخلونها ولا يطلعون عليها.

[١٨] - ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَنِ اسْتَرَقَّ السَّمْعُ﴾ حفظه منها ﴿فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾
شعلة نار ظاهرة لمن يراها، ويقال: للكوكب.

قيل: كانوا لا يحجبون عن السماوات، فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث
سماوات، فلما ولد محمد صلى الله عليه وآله ومنعوا من كلها بالشهب.^(٣)

[١٩] - ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾ بسطناها ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ جبالاً ثوابت ﴿وَأَنْبَتْنَا
فِيهَا﴾ في الأرض ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ بميزان الحكمة، أو متناسب كقولهم كلام
موزون، أو ما يوزن من معدني ونباتي.

(١) حجة القراءات: ٣٨٢.

(٢) في النسخ: اليئا.

(٣) قاله ابن عباس - كما في تفسير مجمع البيان ٣: ٣٣٢ -، وتفسير ابو الفتح الرازي ٦: ١٦٢.

[٢٠] - ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾ بالياء ، ما تعيشون به من المطاعم والملابس ﴿وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾ عطف على «معاش» ويراد به العبيد والأنعام والدواب ، فإنما رازقهم الله . و«من» لتغليب العقلاء ، أو على محل «لكم» ويراد به العيال والخدم وغيرهم ، أي أعشناكم وآياهم .

[٢١] - ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾ أي القدرة على ايجاده متضاعفاً الى ما لا نهاية له ، والخزائن تمثيل لاقتداره تعالى ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُ﴾ نوجده ﴿إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ تقتضيه الحكمة .

[٢٢] - ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ﴾ وأفرده «حمزة»^(١) ﴿لَوَاقِحَ﴾ ملقحات للسحاب ، أو الشجر ، أو لاقحات أي حوامل للسحاب والماء ﴿فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا كُنُوزَهُ﴾ جعلناه لكم سقياً ﴿وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ أي ليس عندكم خزائنه ، أو لا تقدرون على حفظه في العيون والآبار .

[٢٣] - ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ الباقون بعد فناء الخلق .

[٢٤] - ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾ متقدمي الخلق زماناً ومتأخريهم ، أو من تقدم في الخير ومن أبطأ عنه ، أو الأموات والأحياء ، والظاهر العموم .

[٢٥] - ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ﴾ للجزاء لا يقدر على ذلك سواه ﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ﴾ في أفعاله ﴿عَلِيمٌ﴾ بكل شيء .

[٢٦] - ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ آدم ﴿مِنْ صَلْصَالٍ﴾ طين يابس ، إذا نقر: صلصل ، أي صوت ﴿مِنْ حَمَلٍ﴾ طين متغير أسود . والظرف صفة «صلصال» ﴿مَسْنُونٍ﴾ مصبوب أي أفرغ صورة كما تفرغ الجواهر المذابة من سته : صبه ، كأنه أفرغه حتى صار صلصالاً ، ثم غيره أطواراً حتى نفخ فيه الروح ، أو مصور

من سنة الوجه. (١)

[٢٧]- ﴿وَالْبَجَانَّ﴾ أبا الجن، قيل: هو ابليس، (٢) ونصب بفعل يفسره ﴿خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ﴾ قبل آدم ﴿مِنْ نَّارِ السَّمُومِ﴾ نار الريح الحارة النافذة في المسام، أو نار لا دخان لها، فمن قدر على ابتداء خلق الثقليين من العنصرين، وافاضته الحياة عليهم، قدر على إعادتهم وحياتهم مرة أخرى.

[٢٨]- ﴿وَإِذْ﴾ واذكر إذ ﴿قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ﴾.

[٢٩]- ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ﴾ عدلت صورته وأتممته ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوْحِي﴾ أجرته أو أجرته آثاره فيه فحيي، والنفخ: إجراء الروح في تجويف جسم. والروح قيل جسم لطيف كالهواء سار في البدن، (٣) وقيل (٤) جوهر مجرد غير متحيز ولا حال فيه، يتعلق أولاً بالبخار المنبعث من القلب في الشرايين، فيسرى إلى أعماق البدن، وإضافته إليه للتشريف ﴿فَقَعُوا لَهُ﴾ لتكريمه ﴿سَاجِدِينَ﴾ لله تعالى.

[٣٠]- ﴿فَسَجَدَ الْمَلَأِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ تأكيد ثان للمبالغة في الشمول لا ليفيد اجتماعهم في السجود وإلا لانتصب حالاً.

[٣١]- ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ ان كان منقطعاً اتصل به ﴿أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ وان كان متصلاً كان استثناءً، جواب قائل: هلا سجد:

[٣٢]- ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ﴾ أي غرض لك في ﴿أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾.

(١) سنة الوجه، أي صورته - كما في تفسير مجمع البيان ٣: ٣٢٥..

(٢) قاله ابن عباس - كما في تفسير مجمع البيان ٣: ٣٢٥..

(٣) قاله أكثر المتكلمين - كما في تفسير مجمع البيان ٣: ٣٣٧..

(٤) قاله الحسن والجبائي وأبو مسلم - كما في تفسير مجمع البيان ٣: ٣٣٧..

[٣٣] - ﴿قَالَ لَمْ أَكُنْ لِاسْجُدَ﴾ لا ينبغي لي أن أسجد ﴿لِبَشَرٍ خَلَقْتُهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ﴾ لأنه جسماني، وأنا روحاني، وأصلي أشرف من أصله، فعارض النص بقياس باطل.

[٣٤] - ﴿قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا﴾ من الجنة أو السماء ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ مطرود أو مرجوم بالشهب.

[٣٥] - ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ﴾ الإبعاد من رحمة الله ﴿إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ الجزاء، حدّ اللعن به جرياً على عادة العرب في التأييد أو لأنه يعذب بما ينسى معه اللعن.

[٣٦] - ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْتَنِي﴾ أخرتني ﴿إِلَى يَوْمٍ يُمْعُونَ﴾ استنظره الى وقت لا موت فيه لثلاث يموت، فلم يجبه إليه بل:

[٣٧] - ﴿قَالَ﴾ - له - : ﴿فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾.

[٣٨] - ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ وقت النفخة الأولى حين يموت الخلائق، أو وقت أجلك المسمى عند الله.

وقيل: يوم القيامة ولا يستلزم انه لا يموت لجواز موته أولاً، ويبعث الخلق في أثنائه.

[٣٩] - ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ نسبني الى الغي، أو سببته لي بأمرك إياي بالسجود، أو خيبتني من رحمتك، أو أضللتني عن طريق الجنة، والبلاء للقسم و«ما» مصدرية وجوابه: ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ﴾ المعاصي ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ في الدنيا ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ بالدعاء الى الضلال حتى يضلوا.

[٤٠] - ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾ الذين أخلصتهم لطاعتك بلطفك، وكسره «ابن كثير» و«ابن عامر» و«أبو عمرو»، ^(١) أي الذين أخلصوا دينهم لله.

[٤١] - ﴿قَالَ﴾ - تعالى - : ﴿هَذَا﴾ أي الإخلاص ﴿صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾

أي علي أن أراعيه، أو على رضواني مروره أو المشار إليه .

[٤٢] - ﴿وَإِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ تسلط ﴿إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ فإنه باختياره جعل لك على نفسه سلطاناً . والإشطاء منقطع ان أريد بالعباد المخلصون، ومتصل ان عَمَمَ .

[٤٣] - ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ﴾ أي ابليس ومن تبعه ﴿أَجْمَعِينَ﴾ تأكيد للضمير .

[٤٤] - ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ أطباق، أسفلها جهنم، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم سفر ثم جحيم، ثم الهاوية، ثم السعير .

وقيل قسم قرار جهنم سبعة أقسام لكل قسم باب ﴿لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ﴾ من الأنواع حال من قوله ﴿جَزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ مفرز على حسب مراتبهم في المتابعة وثقل «ابن كثير» «جزو»^(١) .

[٤٥] - ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾ للشرك والمعاصي ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ هي الأنهار من ماء وخمر وعسل ولبن، أو منابع غيرها . وضم العين «نافع» و«أبو عمرو» و«حفص» و«هشام» حيث وقع، وكسرهما غيرهم.^(٢)

[٤٦] - ﴿ادْخُلُوهَا﴾ بتقدير القول ﴿بِسَلَامٍ﴾ بسلامة من الآفات ﴿ءَامِنِينَ﴾ من كل مخوف .

[٤٧] - ﴿وَنَزَعْنَا﴾ في الجنة ﴿مِمَّا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ﴾ حقد، كان في الدنيا ﴿إِخْوَانًا﴾ حال منهم وكذا ﴿عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ في جميع أحوالهم لا يرى بعضهم قفا بعض، لدوران الاسرة بهم . هذا إن تعلق «على» بـ «متقابلين» وإلا كانا حالين بترادف وتداخل .

(١) في تفسير البضاوي ٣: ٨٧ - وفيه : وقرأ أبو بكر: «جزؤ» بالثقل .-

(٢) تفسير البضاوي ٣: ٨٨ .

[٤٨] - ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾ تعب، حال أخرى، أو استئناف ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ أبداً، وذلك تمام النعمة.

[٤٩] - ﴿تَبٰىءُ﴾ خبر ﴿عِبَادِي أَنِّي﴾ وفتح «أبو عمرو» و«الحرميان» الياءين^(١) ﴿أَنَا الْغَفُورُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ الرَّحِيمُ بهم.

[٥٠] - ﴿وَأَنّٰ عَذَابِيْ﴾ لمستحقه ﴿هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ والآيتان تقرير لما سبق من الوعيد والوعد، ثم حقه بما يعتبرون به من القصص بقوله:
[٥١] - ﴿وَبَشِّرْهُمْ عَنْ صَيْبٍ إِبْرَاهِيمَ﴾ الملائكة.

[٥٢] - ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا﴾ سلمنا سلاماً ﴿قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾ خائفون. خافهم لامتناعهم من الأكل، أو لدخلهم بلا إذن.

[٥٣] - ﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ﴾ لا تخف ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ﴾ وسكن «حمزة» الباء وضم الشين.^(٢) ﴿بِقَلَامٍ عَلِيمٍ﴾ إذا بلغ، وهو اسحاق.

[٥٤] - ﴿قَالَ أَبَشِّرْهُمُنِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِي الْكَبِيرُ﴾ حال أي مع مسه إياي. قاله تعجباً من خرق العادة لا شكاً في قدرته تعالى، وكذا قوله: ﴿فَبَآئٍ شَيْءٌ﴾ «تُبَشِّرُونَ» إذ البشارة بما يستبعد عادة بشارة بغير شيء، أو بأي وجه تبشرونني بالولد مع انتفاء الوجه المعتاد، وكسر «ابن كثير» «النون» مشددة،^(٣) و«نافع» مخففة،^(٤) وفتحها الباقلون.^(٥)

[٥٥] - ﴿قَالُوا بَشِّرْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ بما يقع البتة، أو بوجه موثق، وهو أمر الله القادر

(١) اتحاف فضلاء البشر ٢: ١٧٦.

(٢) اتحاف فضلاء البشر ٢: ١٧٧.

(٣) النشر في القراءات العشر ٢: ٣٠٢ وتفسير القرطبي ١٠: ٣٥.

(٤) النشر في القراءات العشر ٢: ٣٠٢.

(٥) تفسير القرطبي ١٠: ٣٥.

أن يخلق بشراً من غير أبوين، فكيف من هرمين ﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْفَاطِنِينَ﴾ الآيسين .
 [٥٦] - ﴿قَالَ وَمَنْ أَي لَا يَقْنَطُ﴾ كسره «أبو عمرو» و«الكسائي» وفتحه
 الباقون^(١) ﴿مِنْ رَحْمَةِ رَبِّي إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ الجاهلون قدرته وسعة رحمته .
 [٥٧] - ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ أي ما شأنكم الذي بعثتم له . علم
 من قرائن الحال أن المقصود ليس البشري فقط .

[٥٨] - ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ أي قوم لوط .
 [٥٩] - ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ﴾ استثناء منقطع من «قوم»، لتقيدهم بالأجرام أو متصل
 من الضمير في مجرمين، أي إلى قوم أجرم كلهم إلا آل لوط منهم لنهلك المجرمين
 وننجي آل لوط ﴿إِنَّا لَمُنَجِّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ متصل بـ«آل لوط» كالخبر لـ«لكن» إن
 انقطع الاستثناء، واستئناف إن اتصل . وخفف «حمزة» و«الكسائي» «منجوههم»^(٢) .
 [٦٠] - ﴿إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ﴾ استثناء من «آل لوط»، أو من ضمير «هم» ﴿قَدَرْنَا﴾ وخففه
 «أبو بكر» حيث كان،^(٣) أي قضينا ﴿إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾ الباقين مع المهلكين .
 وأسندوا فعل الله إلى أنفسهم لاختصاصهم به تعالى، وعلق لتضمنه
 معنى العلم .

[٦١] - ﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطِ الْمُرْسَلُونَ﴾ .
 [٦٢] - ﴿قَالَ﴾ - لهم لوط - : ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّكَرُونَ﴾ أي إنسي أنكركم .
 خاف أن يطرقيه بشر .
 [٦٣] - ﴿قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ﴾ أي ما جئناك بما توهمت، بل جئناك ﴿بِمَا﴾ يسرك
 وهو العذاب الذي ﴿كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ يشكون حين توعدتهم به .

(١) اتحاف فضلاء البشر ٢: ١٧٧ .

(٢) اتحاف فضلاء البشر ٢: ١٧٨ .

(٣) في سورة سبأ: ١٨/٣٤ - والواقعة: ٥٦/٦٠ سورة النمل: ٢٧/٥٧ .

[٦٤] - «وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ» بعذابهم المتيقن «وَأَنَا لَصَادِقُونَ» في قولنا .

[٦٥] - «فَأَسْرِ» بالقطع والوصل - كما مر - ^(١) «بِأَهْلِكَ يَقْطَعُ» بطائفة «مِنَ النَّيْلِ وَاتَّبَعْ أَذْيَارَهُمْ» سرّ خلفهم لتسوقهم وتعلم حالهم «وَلَا يَلْتَمِثُ مِنْكُمْ أَحَدٌ» لا ينظر وراءه لئلا يرى عذابهم فيفزع، أو لا يتخلف لغرض فيعمته العذاب «وَأَمَضُوا حَيْثُ تَوَمَّوْنَ» بالمضي إليه وهو الشام أو مصر .

[٦٦] - «وَقَضَيْنَا» أي : أوحينا «إِلَيْهِ» مقضياً «ذَلِكَ الْأَمْرَ» يفسره «أَنْ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ» أي : يستأصلوهم عن آخرهم «مُضْبِحِينَ» داخلين في الصبح .
[٦٧] - «وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ» سدوم «يَسْتَبْشِرُونَ» بالملائكة ، طمعاً فيهم إذ كانوا في هيئة مرد حسان .

[٦٨] - «قَالَ إِنْ هَؤُلَاءِ ضَيِّقِي فَلَا تَنْفَضِحُون» بفضيحتهم .
[٦٩] - «وَاتَّقُوا اللَّهَ» فيما حرّم «وَلَا تُخْزَوْنَ» تهينوني بسيهم أو تخجلوني فيهم .

[٧٠] - «قَالُوا أَوْ لَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ» عن أن تضيف منهم أحداً وإن نجير أحداً .

[٧١] - «قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي» من الصلب أو أراد نساءهم كما مرّ في «هود» . ^(٢)
وفتح «نافع» الياء ^(٣) «إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ» قضاء الوطر ^(٤) فزوجوهم .

[٧٢] - «لَعَمْرُكَ» مبتدأ حذف خبره ، أي : قسمي وهو لغة في العمر ، اختص بالقسم ، أقسم تعالى بحياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وقيل : هو قول الملائكة

(١) في الآية (٨١) من سورة هود .

(٢) في الآية (٧٨) من سورة هود .

(٣) اتحاف فضلاء البشر ٢ : ١٧٩ .

(٤) الوطر : الحاجة والغبة .

- لـ «لوط»: (١) ﴿إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ﴾ ضلالتهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾ يتحيرون.
 [٧٣] - ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾ الهائلة ﴿مُشْرِقِينَ﴾ في حال شروق الشمس.
 [٧٤] - ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾ بأن رفعها جبريل وقلبها ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ
 حِجَابًا مِنْ سِجِّيلٍ﴾ طين متحجر.
 [٧٥] - ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ﴾ دلالات للمتفرسين المعبرين.
 [٧٦] - ﴿وَإِنَّهَا﴾ أي قراهم ﴿لَبَسِيْلٌ مُّبِينٌ﴾ ثابت تسلكه المارة ويرون آثارها.
 [٧٧] - ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ عبرة ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾.
 [٧٨] - ﴿وَإِنَّ﴾ مخففة، أي: وانه ﴿كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ الشجر الملفن وهي
 غيطة^(٢) بقرب مدين؛ وهم قوم شعيب كانوا يسكنونها ﴿ظَالِمِينَ﴾ بكفرهم.
 [٧٩] - ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ بإهلاكهم بالحرّ والظلة وهي سحابة استظلوا بها من
 الحرّ فأحرقتهم بصاعقة ﴿وَإِنَّهُمَا﴾ أي سدوم والأيكه، أو الأيكه ومدين، لدلالة
 الأيكه عليها، لأنه بُعث اليهما ﴿لِيَأْمُرَ مُبِينٌ﴾ بطريق واضح.
 وسمي إماماً لأنه يؤم، وكذا اللوح^(٣).
 [٨٠] - ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ النَّجْرِ﴾ واد بين المدينة والشام وهم «ثمود» كانوا
 يسكنونه، ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ لأن تكذيبهم صالحاً تكذيب لسائر الرسل لمجيء
 الكل بالتوحيد.
 [٨١] - ﴿وَعَايَنَاهُمْ عَائِنًا﴾ الناقصة وما فيها من المعجزات ﴿فَكَانُوا عَنْهَا
 مُعْرِضِينَ﴾ لا يعتبرون بها.
 [٨٢] - ﴿وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ﴾ من خرابها وسقوطها عليهم،
 أو من العذاب.

(١) الغيط: البستان.

(٢) تفسير الكشاف ٢: ١٩٤.

(٣) في تفسير الكشاف ٢: ١٩٢: والإمام: اسم لما يؤتم به، واللوح: الذي يكتب فيه لأنها مما
 يؤتم به.

[٨٣] - ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّبِيحَةُ مُصْجِحِينَ﴾ داخلين في الصباح .

[٨٤] - ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ﴾ دفع ﴿عَنْهُمْ﴾ العذاب ﴿مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ من نحت^(١)

القصور وجمع المال .

[٨٥] - ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ إِلَّا متلبسة بالحكم

والأغراض الصحيحة كتعبّد أهلها ، حتى لو خالفوا أوجبت الحكمة إهلاكهم ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ﴾ فنجازي كلاً بعمله ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ فاعرض عن قومك إِعراضاً بحلم ، قيل : نسخ بآية السيف^(٢) وقيل : هو في حقوقه فلا نسخ .^(٣)

[٨٦] - ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ﴾ الكثير الخلق ﴿الْعَلِيمُ﴾ بخلقه وتديبرهم .

[٨٧] - ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا﴾ هي الفاتحة ، وقيل : السور السبع الطوال ،^(٤)

ويضعف بأن أكثرها مدنية وهذه مكية ﴿مِنَ الْمَثَانِي﴾ بيان للسبع ، وهو من الشاء لأنها تنني على الله تعالى بصفاته العظمى ، أو من الثنية لأنها تنني تلاوتها ، أو الفاظها .

وقيل : المثنائي : القرآن^(٥) و«من» تبعيضية ﴿وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ﴾ من عطف الكل على الجزء .

[٨٨] - ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ أي لا تنظرنْ نظر راغب ﴿إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا

مِنْهُمْ﴾ أصنافاً من الكفار فإنه حقير بالنسبة الى ما أوتيته من القرآن وغيره فإنه المؤدي الى النعيم الباقي ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ إن لم يؤمنوا ﴿وَإَخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾ ألن جانبك ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ :

[٨٩] - ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ﴾ للخلق من عذاب الله ، وفتح «الحرميان» و«أبو

(١) النحت : الحفر في الجبل .

(٢) تفسير مجمع البيان ٣ : ٣٤٤ - عن ابن عباس .

(٣) في تفسير الكشف ٢ : ١٩٢ : ويجوز ان يراد به المخالفة فلا يكون منسوخاً ، ومعناه في تفسير

مجمع البيان ٣ : ٣٤٤ .

(٤) قاله ابن عباس وابن مسعود وابن عمر ينظر تفسير القرطبي ١٤ : ٥٢ .

(٥) قاله ابو مالك والضحاك - كما في تفسير القرطبي ١٤ : ٥٧ .

عمرو^(١) الباء ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ للإِنذار بالحجج .

[٩٠] - ﴿كَمَا أُنزِلْنَا﴾ متعلق بـ «آتيناك» أي أنزلنا عليك القرآن كما أنزلنا ﴿عَلَى

الْمُقْسِمِينَ﴾ وهم أهل الكتاب .

[٩١] - ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ أجزاء ، حين آمنوا ببعض وكفروا ببعض ،

جمع عِصَّة من عصى الشاة : فرقها أعضاء .

أو : أريد بالقرآن ما يقرؤونه من كتبهم ، أو يتعلق «كما» بـ «النذير» أي أنذرهم

عذاباً كما أنزلنا على المقسمين لطرق مكة يصدون الناس عن الرسول صلى الله عليه وآله

وسلم وفرقوا القرآن الى سحر وشعر وكهانة وأساطير الأولين ، وكانوا ستة عشر ، وقد

أهلكهم الله .

[٩٢] - ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي المقسمين أو جميع المكلفين .

[٩٣] - ﴿عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من الإقسام ، أو من كل عمل فنجازيهم عليه .

[٩٤] - ﴿فَاصْذُغْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ به : أجهر به أو أفرق بين الحق والباطل ﴿وَأَعْرِضْ

عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ لا تبال بهم ولا تلتفت اليهم .

[٩٥] - ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ بأن أهلكنا كلاً منهم بآية وكانوا خمسة أو ستة

من أشراف قريش .

[٩٦] - ﴿الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ صفة أو مبتدأ ، خبره ﴿فَسَوْفَ

يَعْلَمُونَ﴾ سوء عاقبتهم .

[٩٧] - ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ من تكذيبك والطمع في

القرآن .

[٩٨] - ﴿فَسَبِّحْ﴾ متلبساً ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي قل : سبحان الله وبحمده ﴿وَكُنْ

مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ المصلين ، وكان صلى الله عليه وآله وسلم إذا أحزنه أمر فزع الى الصلاة .

[٩٩] - ﴿وَاغْبُذْ رَبِّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ أي الموت ، سمي يقيناً لأنه متيقن ،

أي اعبد ما دمت حياً .

سورة النحل

[١٦]

مائة وثمان وعشرون آية، مكية إلا ﴿وإن عاقبتكم﴾ الى آخرها .
وقيل : أربعون من أولها مكية ، والباقي مدنية^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] - ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ﴾ الموعود به وهو القيامة ، وعبر بالماضي لتحقيق وقوعه أي دنا ، أو عذاب الصيف كما وقع يوم بدر حين استبطأ المشركون ما عدهم من الله عذب وآله رسَّم من القيامة والعذاب ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ تطلبوه قبل وقته ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ تنزهه وتعظم عن اشراكهم به الأصنام وزعمهم انها تدفع ما أراد بهم ، وقرأ «حمزة» و«الكسائي» بالتاء .^(٢)

[٢] - ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ﴾ بالوحي أو القرآن ، فإنه حياة للقلوب وإرشاد الى الدين ، وقرأ «ابن كثير» و«أبو عمرو» «ينزل» من «أنزل» . و«أبو بكر» : «تنزل» مضارعاً

(١) تفسير روح المعاني ١٣ : ٨٢ .

(٢) اتحاف فضلاء البشر ٢ : ١٨٠ وحجة القراءات : ٣٨٤ - ٣٨٥ .

مبيناً للمجهول^(١) من التنزيل ﴿مِنْ أَمْرِهِ﴾ بإرادته ﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ أن يخصه بالرسالة، وفيه رد لإنكارهم لاختصاصه بالعلم بدنو موعدهم ﴿أَنْ﴾ أي بأن أو أي ﴿أَنْذِرُوا﴾ خوفوا الكفرة بالعقاب واعلموهم ﴿أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ خافوا مخالفتي.

[٣] - ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ بمقتضي الحكمة ﴿تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ به من خلقه.

[٤] - ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ ماء أي مني لا حس به ولا حراك ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ﴾ منطبق^(٢) يجادل عن نفسه ﴿مُتَّبِعٌ﴾ لحجته أو خصيم محتاج لربه قائلاً: ﴿مَنْ يَحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾.^(٣)

[٥] - ﴿وَالْأَنْعَامَ﴾ الإبل والبقر والغنم، ونصب بفعل يفسره ﴿خَلَقَهَا لَكُمْ﴾ لانتفاعكم وبيتها بقوله: ﴿فِيهَا دِفْءٌ﴾ ما يستدفأ به من البرد من لباس ونحوه ﴿وَمَنَافِعُ﴾ من نسل وذر^(٤) ورَكُوب ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ ما يؤكل منها كاللحوم والألبان، وقدم الظرف للفاصلة.

[٦] - ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾ زينة ﴿حِينَ تُرْبِحُونَ﴾ تردونها إلى مراحيها بالعشي ﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ ترسلونها إلى مراعاها بالغداة.

[٧] - ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ﴾ أحمالكم ﴿إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْغَنِيِّ﴾ بأنفسكم من دون الأنقال ﴿إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ﴾ بمشقتها ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ بكم، حيث أنعم عليكم بخلقها لكم.

[٨] - ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ﴾ عطف على «الأنعام» ﴿لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ ولتزينوا بها زينة، ولا دلالة لها على حرمة لحومها، إذ تعليل خلقها بما يقصد منها

(٢) المنطبق: البليغ.

(٤) الدر اللبن

(١) تفسير البيضاوي ٩٢: ٣.

(٢) في سورة يس: ٧٨/٣٦.

غالباً لا يستلزم أن لا يقصد منها غيره ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من أنواع الحيوانات وغيرها أو مما أعد في الجنة والنار.

[٩] - ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ بيان الطريق المستقيم، المفضي الى الحق ﴿وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾ ومن السبيل ما هو مائل عن القصد ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ إلى قصد السبيل بالإلحاء، أو لهداكم الى الجنة تفضلاً.

[١٠] - ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ﴾ ما تشربونه و«لكم» صلة «انزل» أو خبر «شراب»، و«من» للتبويض تتعلق به ﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ﴾ بنبت بسببه ﴿فِيهِ تُسْمِئُونَ﴾ ترعون أنعامكم من سامت الإبل : رعت، وأسامها صاحبها : رعاها.

[١١] - ﴿تُنْبِتُ﴾ وقرأ «أبو بكر» بالنون^(١) ﴿لَكُمْ بِهِ الزَّرْعُ وَالزُّيْتُونَ وَالنَّخِيلُ وَالْأَعْنَابُ وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرِ﴾ إن في ذلك المذكور ﴿لَايَةً﴾ دلالة على وحدانيته تعالى وقدرته ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في صنعه المحكم المعجب.

[١٢] - ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾ حال من جميعها؛ أي أعدها لمنافعكم حال كونها مسخرة بحكمه لما خلقها له، ورفع «ابن عامر» «الشمس» وما بعدها،^(٢) مبتدأ و«مسخرات» خبراً وكذا «حفص» في «والنجوم مسخرات»^(٣) ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ﴾ دلالات ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يتدبرون.

[١٣] - ﴿وَمَا ذَرَأَ﴾ وسخر ﴿لَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ من حيوان ونبات ومعادن ﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾ مع اتحاده جنساً أو نوعاً أو صنفاً ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ إن ذلك إنما يصدر عن قادر حكيم.

[١٤] - ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ﴾ هيأة لا تنفعكم به ركوباً، وأكلًا ولبسًا ﴿لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ هو السمك ﴿وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً﴾ هي اللؤلؤ والمرجان

(٢٥) حجة القراءات: ٣٨٦ وتفسير مجمع البيان ٣: ٣٥١.

(٢٦) تفسير مجمع البيان ٣: ٣٥١.

﴿تَلْبَسُونَهَا﴾ أنتم ونساؤكم يترين بها لأجلكم ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ﴾ السفن ﴿مَوَازِرَ فِيهِ﴾ جوار، تمخر الماء أي: تشقه بصدرها ﴿وَلِتَبْتَغُوا﴾ تطلبوا ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ تعالى بركوبه للتجارة ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الله على هذه النعم التي لم يقدر عليها غيره.

[١٥] - ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾ جبالاً ثوابت ﴿أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ كراهة أن تضطرب. قيل: لما خلق الله الأرض جعلت تمور فقالت الملائكة: ما هي بمقر أحد على ظهرها، فأصبحت وقد أرسيت بالجبال ولم تدر الملائكة مم خلقت^(١).

ولا ينافي ذلك حركتها بالزلازل، لأن ثبوت الحركة للجزء لا ينافي نفيها عن الكل ﴿وَأَنْهَارًا﴾ وجعل فيها أنهاراً، إذ الإلقاء جعل ﴿وَسُبُلًا﴾ طرقاً ﴿لَعَلَّكُمْ يَهْتَدُونَ﴾ لمقاصدكم، أو إلى توحيده تعالى.

[١٦] - ﴿وَعَلَامَاتٍ﴾ تستدلون بها على الطرق من جبل ونحوه نهاراً ﴿وَبِالنَّجْمِ﴾ أي الجنس، وقيل: هو الثريا والفرقدان والجدى وبنات نعش^(٢) ﴿هُم﴾ أي السائرون الدال عليهم ذكر السبل ﴿يَهْتَدُونَ﴾ إلى الطرق والقبلة في البر والبحر ليلاً.

قال الصادق عليه السلام: نحن العلامات، والنجم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم^(٣). [١٧] - ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ﴾ هذه الأشياء وهو الله ﴿كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾ شيئاً منها وهو الأصنام المخلوقة العجزة حتى جعلتموه مشبهاً بها حين أشركتموه معها في العبادة والإلهية. وعبر عنها بـ﴿مَنْ﴾ إجراء لها مجرى أولي العلم لتسميتهم لها إلهاً. أو مبالغة، بمعنى: إن من يخلق ليس كمن لا يخلق من أولي العلم فكيف بالجماد ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ فتعلموا بطلان ذلك.

[١٨] - ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ لا تحصروا عددها. بين أن ما وراء

(١) ينظر تفسير الكشاف ٢: ٢٠٠.

(٢) يراجع تفسير البيضاوي ٣: ٩٥.

(٣) تفسير مجمع البيان ٣: ٣٥٤.

ما ذكر من النعم نعماً لا قدرة على حصرها فضلاً عن القدرة على شكرها ﴿إِنَّ اللَّهَ لَنَفُوءٌ لِّتَقْصِيرِكُمْ فِي شُكْرِهِا﴾ ﴿رَّحِيمٌ﴾ حيث لم يقطعها بتقصيركم .

[١٩] - ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ من نية وعمل . وعيد وتوبيخ على إشراكهم بعالم السر والعلن ، جمادات لا تشعر .

[٢٠] - ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ ^(١) تعبدونهم وقرأ «عاصم» بالياء ^(٢) ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ أي بخلق الله أو بالنحت وهم لا يقدرُونَ على نحو ذلك فهم أعجز من عبدتهم .

[٢١] - ﴿أَمْوَاتٌ﴾ هم أموات ﴿غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾ تأكيد ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أي الأصنام ﴿أَيَّانَ يُنْعَمُونَ﴾ وقت بعثهم أو بعث عبدتهم فكيف يعبدون؟ ، وإنما يعبد الخالق الحي العالم بالغيب .

[٢٢] - ﴿إِلَهُكُمْ﴾ المستحق للعبادة ﴿إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ لا إله معه ﴿فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ﴾ للوحدانية ﴿وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ عن قبول الحق .

وذلك لأن المؤمنين بالبعث يتأمل الدلائل فيقبل الحق ، والجاحد لا يتأملها ولا يقبل إلا ما ألفه ووافق رأيه .

[٢٣] - ﴿لَا جَزَمَ﴾ حقاً ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ فيجازيهم به ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ عن التوحيد ، أو كل متكبر فيدخل هؤلاء تحت عمومهم ^(٣) أي : يعاقبهم .

[٢٤] - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ لمقتسمي طرق مكة لصد الناس ، والقائل : الوافدون عليهم أو المسلمون ﴿مَّاذَا﴾ أي شيء ﴿أَنْزَلَ رَبُّكُمْ﴾ أو ما الذي أنزله؟ ﴿قَالُوا

(١) في المصحف الشريف بقراءة حفص عن عاصم : «يدعون» ويشير إليه المؤلف .

(٢) حجة الفراءات : ٣٨٧ .

(٣) ما بين المعقوفين اقتضاها السياق واخذناه من تفسير الكشاف ٢ : ٢٠١ .

أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي المنزل في زعمكم هو أكاذيب الأولين .

[٢٥] - ﴿لِيَحْمِلُوا﴾ أي : كانت عاقبة أمرهم حين قالوا ذلك إضلالاً للناس ، أن حملوا ﴿أَوْزَارَهُمْ﴾ ذنوبهم ﴿كَامِلَةَ يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ لا يخفف من عقابهم شيء ﴿وَمِنْ﴾ ومن بعض ﴿أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ﴾ شاركوهم في إثم ضلالهم لأنهم دعوهم إليه فاتبعوهم ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي جاهلين كونهم ضالاً .

ولا عذر لهم بجهلهم إذ كان عليهم الفحص ليميزوا المهتدي من الضال ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾ بشئ شيء يحملونه حملهم هذا .

[٢٦] - ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ سؤوا حيلاً ليمكروا رسلهم ﴿فَأَتَى اللَّهُ﴾ أي أمره ﴿بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ﴾ الأساس ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ قَوْعِهِمْ﴾ أي وكانوا تحته ﴿وَاتَّاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ لا يحتسبون ، وهو مثل لإهلاكهم بحيلهم .

وقيل : (١) أريد به «نمرود» بني صرحاً طويلاً ليقاتل عليه أهل السماء فأرسل الله عليه ريحاً فخر عليهم .

[٢٧] - ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يُخْزِيهِمْ﴾ يفضحهم أو يدخلهم النار ﴿وَيَقُولُ﴾ - توبيخاً لهم - : ﴿أَيْنَ شُرَكَائِي﴾ بزعمكم . وعن «البرقي» ترك الهمزة (٢) ﴿الَّذِينَ كُنتُمْ تَشَاقُونَ﴾ تعادون المؤمنين ، وكسر «نافع» النون (٣) أي تشاقوني ﴿فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ الأنبياء والعلماء أو الملائكة ﴿إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالْشُّوْءَ﴾ الذلّ والعذاب ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ يقولونه شماتة بهم .

[٢٨] - ﴿الَّذِينَ﴾ بدل أو ذم ﴿تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ وقرأ «حمزة» بالياء في

(١) تفسير مجمع البيان ٣ : ٣٥٩ عن ابن عباس .

(٢) اتحاف فضلاء البشر ٢ : ١٨٢ .

(٣) تفسير مجمع البيان ٣ : ٣٥٦ وحجة القراءات : ٣٨٨ .

الموضعين^(١) ﴿ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ بكفرهم ، حال ﴿فَأَلْقُوا السَّلَمَ﴾ استسلموا عند الموت قائلين : ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ شَوْءٍ﴾ كفر ، فتكذبهم الملائكة ﴿بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم به .

[٢٩] - ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ﴾ على حسب منازلكم في دركاتنا ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ فَلَيْسَ مَنُورَى الْمُتَكَبِّرِينَ هي .

[٣٠] - ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ هم المؤمنون ﴿مَاذَا أُنْزِلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا﴾ أنزل خيراً ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ كرامة معجلة ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾ أي ثوابهم في الآخرة ﴿خَيْرٌ﴾ منها وهو وعد الله للذين اتقوا ، أو : من قولهم تفسير لـ «خير»^(٢) ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ هي .

[٣١] - ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ اقامة ؛ خبر محذوف ، أو المخصوص بالمدح ، أو مبتدأ خبره ﴿يَدْخُلُونَهَا نَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ﴾ تقديم «فيها» يفيد أن الإنسان لا يجد كلما يريد إلا في الجنة ﴿كَذَلِكَ﴾ الجزاء ﴿يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ﴾ .

[٣٢] - ﴿الَّذِينَ﴾ صفة ﴿تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ طاهرين من الشرك ، أو طيبة وفاتهم لاصعوبة فيها ﴿يَقُولُونَ﴾ لهم عند الموت : ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ يشرونهم بالسلامة وبالجنة ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ حين تحشرون ، وقيل : هذا التوفى^(٣) والقول في الحشر .

[٣٣] - ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ ما ينتظر الكفار ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ لتوفيهم ، وقرأ

(١) تفسير مجمع البيان ٣ : ٣٥٦ وحجة القراءات : ٣٣٨ سيأتي الموضع الآخر في الآية ٣٢ .

(٢) العبارة في تفسير البضاوي ٣ : ٩٧ هكذا : ويجوز أن يكون بما بعده حكاية لقلوبهم بدلاً وتفسيراً لـ «خيراً» على أنه منتصب بـ «قالوا» .

(٣) أظن أن الأصل «حين التوفى» بدلاً من «هذا التوفى» ويؤيده ما ورد في تفسير روح المعاني

«حمزة» و«الكسائي» بالباء^(١) ﴿أَوْ يَأْتِيْ أَمْرٌ رَبِّكَ﴾ القيامة أو العذاب المعجل ﴿كَذَلِكَ﴾ كما فعل هؤلاء ﴿فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ كذبوا رسلهم فدمروا ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾ بتدميرهم ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بسوء عملهم.

[٢٤] - ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾ جزاؤها ﴿وَحَقَّ﴾ وحلَّ ﴿بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ من العذاب أو جزاء استهزائهم.

[٢٥] - ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي لو شاء خلاف ذلك ما فعلناه ولكنه شاء لا باختيارنا ففعلناه. تشبها بالقول بالجبر ﴿كَذَلِكَ﴾ كما فعل هؤلاء من تكذيب الحجج المنزهة له تعالى عن مشيئة القابح بالذات ﴿فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ فنسبوا إليه مشيئة ما فعلوه من القابح كالشرك وغيره مشيئة ترفع اختيارهم. ومز مثله في آخر الأنعام^(٢) ﴿فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ ما عليهم إلا التبليغ ﴿الْمُيِّنُ﴾ للحق وتنزيهه الله تعالى عن الظلم.

[٢٦] - ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا﴾ كما بعثناك في هؤلاء ﴿أَنْ﴾ أي بأن؛ أو: أي ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ أي عبادته ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ﴾ لطف به لأنه من أهل اللطف فأمن، أو حكم باهتدائه؛ أو هداه إلى الجنة بإيمانه ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ أي ثبت عليه الخذلان لعلمه بتصميمه على الضلال.

أو: حكم بضلاله لظهوره، أو أضله عن الجنة، أو وجب عليه العذاب ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ للرسل والحجج حتى تعلموا أنني لأشاء القبيح بالذات.

[٢٧] - ﴿إِنْ تَحْرِضْ عَلَى هُدَاهُمْ﴾ أي إيمانهم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ﴾ لا يُلطف بمن يخذل، لأنه عبث تعالى عنه، أو: لا يهتدي من يخذله، وقرأ غير

«الكافرين» «يُهدى» مبياً للمنعول^(١) «وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ» يمنعونهم من العذاب.
 [٢٨] - «وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ» مجتهدين فيها «لَا يَتَّبِعُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ»
 بالغوا في انكار البعث حتى اقساموا عليه، فردّ الله عليهم بقوله: «بَلَى» يعينهم
 «وَعَذَابٌ» وعد ذلك وعداً «عَلَيْهِ» انجازه بمقتضى الحكمة «حَقًّا» حقه حقاً «وَلَكِنَّ
 أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» صحة البعث لجهلهم وجه الحكمة فيه أو لتوهمهم امتناعه.
 [٢٩] - «لِيُبَيِّنَ» أي يعينهم ليبين «لَهُمْ» الحق «الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ» فيميز
 المحق من المبطل بالثواب والعقاب، «وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ» في
 نفهم البعث.

[٤٠] - «إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ» أي اردنا تكوينه، «وَقَوْلُنَا» مبتدأ خبره «أَن
 نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» فهو يكون، ونصبه «ابن عامر» و«الكسائي»^(٢) عطفاً على «نقول»
 او جواباً له «كن».

والآية لبيان قدرته تعالى وانه لا يتوقف إلا على ارادته المعبر عنها بـ «كن».
 [٤١] - «وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ» في سبيله لإقامة دينه وهم النبي صلى الله عليه وآله
 وسلم والمهاجرون الى المدينة والحبشة، أو المعذبون بمكة بعد هجرة النبي صلى الله عليه
 وآله وسلم كصهيب وعمار وبلال وغيرهم «مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا» بالأذى من قريش
 «لِنُبَيِّنَهُمْ» لننزلهم «فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً» مباءة حسنة هي المدينة «وَلَنَجْزِيَ الْآخِرَةَ»
 ثوابها «أَكْبَرَ» مما نعطيهم في الدنيا «لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ» أي الكفار ما للمهاجرين
 من خير الدارين لو افقههم أو: المهاجرون ما أعد لهم لزيد اجتهداهم.

[٤٢] - «الَّذِينَ صَبَرُوا» على الأذى والهجرة، مدح مرفوع أو منصوب «وَعَلَى
 رَبِّهِمْ» لا على غيره «يَتَوَكَّلُونَ» فيكفيهم أمورهم.

(١) تفسير مجمع البيان ٣: ٣٥٩.

(٢) حجة القراءات ٣٨٩ وتفسير مجمع البيان ٣: ٣٦٠.

[٤٣] - ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا يُؤْحَى﴾^(١) وقرأ «حفص» بالنون^(٢) ﴿إِلَيْهِمْ﴾ لا ملانكة . رد لإنكارهم كون الرسول بشراً ، بأن هذا هو السنة المستمرة ، لأنه مقتضى الحكمة ﴿فَسْتَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ أهل العلم من كانوا ، أو أهل الكتاب . أو أهل القرآن .

عن أهل البيت عليهم السلام : «نحن أهل الذكر»^(٣) والذكر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ﴿إِنْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك ، فإنهم يعلمون .

[٤٤] - ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ متعلق بمقدر أي : أرسلناهم بالمعجزات ﴿وَالزُّبُرِ﴾ الكتب ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ﴾ القرآن ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ فيه من الشريعة والأحكام ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ فيه ، فيعلمون ما هو الحق .

[٤٥] - ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ﴾ أي المكرات السيئات بالرسول (ص) من إرادة حبسه أو قتله أو اخراجه ﴿أَنْ يَخْشِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ﴾ كقارون ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ من جهة لا يتوقعون منها كقوم لوط وقد وقع يوم بدر .

[٤٦] - ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِيلِهِمْ﴾ في أسفارهم أو بالليل والنهار ﴿فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ بفاتين الله .

[٤٧] - ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾ وهم متخوفون بأن أهلك غيرهم فتوقعوا البلاء ، أو على تنقص شيئاً فشيئاً حتى يفنوا ﴿فَلَنْ رَبِّكُمْ لَرْؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ حيث لم يعجل النعمة .

[٤٨] - ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ وقرأ «حمزة» والكسائي «بالهاء»^(٤) ﴿إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ﴾

(١) في المصحف الشريف «نوحى» .

(٢) حجة القراءات : ٣٩٠ - وعليه المصحف الشريف - .

(٣) تفسير مجمع البيان ٣ : ٣٦٢ .

(٤) حجة القراءات : ٣٩٠ .

«ما» موصولة مبهمه بيانها: ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ له ظل كشجر وجبل ﴿يَتَقَيَّوْا ظِلَّالَهُ﴾ يتمثل .
والفيء: الظل بعد الزوال، وأصله: الرجوع، وقرأ «أبو عمرو» بقاء التانيث^(١) لأن
ظلال جمع ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ﴾ جمع شمال أي عن جانبي ذوات الظلال .
وإفراد اليمين^(٢) وجمع الشمائيل كأنه باعتبار لفظ «ما» ومعناها، كأفراد الضمير
في ظلاله وجمعه في ﴿سُجَّدًا لِلَّهِ﴾ حال من الظلال أي منقادة لأمره في تقلبها، وكذا
﴿وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ صاغرون لما فيهم من التسخير ودلائل التدبير. وجمع بالواو لأن
الدخور للعقلاء .

[٤٩] - ﴿وَاللَّهُ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ينفاد لإرادته وأمره ﴿مِنْ
دَابَّةٍ﴾ بيان لما فيهما على أَنَّ في السماء خلقاً يدبون ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ من عطف الخاص
على العام للتفخيم، أو بيان لما في الأرض، والملائكة تعيين لما في السماوات
تفخيماً. و«ما» للتغليب لما لا يعقل لكثرتهم ﴿وَهُمْ﴾ أي الملائكة ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾
عن عبادته .

[٥٠] - ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ﴾ حال من الواو ﴿مِنْ قُوَّتِهِمْ﴾ حال منهم، أو من ربهم
أي: عالياً عليهم بالقهر ﴿وَيَقُولُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ به .

[٥١] - ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ تأكيد يؤذن بمنافاة الاثنينية للإلهية
﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ أكد تنبيهاً على لزوم الوحدة الإلهية ﴿فَلْيَأْيَا قَارِئِينَ﴾ فخافوني
لا غير. التفات من الغيبة الى التكلم للمبالغة في الترهيب .

[٥٢] - ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً وعبداً، ويعم أفعال العباد
من حيث انه خلقها تبعاً لاختيارهم لا بالذات بدون اختيارهم، فلا استقلال لهم فيها

(١) حجة القراءات: ٣٩١ وفيه: وحجته ان كل جمع خالف الآدميين فهر مؤنث تقول: هذه
المساجد وهذه الظلال .

(٢) في «ط» وإفراد الضمير واليمين - لعله يريد الضمير في ضلاله كما في تفسير البيضاوي ٩٩: ٣ ..

كما يراه المعتزلة، ولا سلب لاختيارهم وقدرتهم عليها كما يراه الأشاعرة.
وهذا مفاد أخبار أهل البيت عليهم السلام^(١) «وَلَهُ الدِّينُ وَاصْبًا» حال عاملها «له»،
أي له الطاعة دائمة أو الجزاء دائماً أي الثواب والعقاب «أَفَقِيرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ» نخشون
ولا يقدر على النفع والضرر غيره. استفهام توبيخ.

[٥٣] - «وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ» أي شيء حل بكم من نعمة كصحة و سعة
فهي منه تعالى، حتى الإيمان فإنه بلطفه وتوفيقه. و«ما» موصولة أو شرطية «ثُمَّ إِذَا
مَسَّكُمُ الضُّرُّ كَمَرَضٍ وَفَقْرٍ» فَإِنَّهُ تَجْتَرُونَ» تَضَجُونَ بالإستغانة والدعاء لا إلى غيره.
[٥٤] - «ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ» أي يتغيرون
عما كانوا عليه حال الضرر فيشركون بالله.

[٥٥] - «لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ» من النعمة، كأنهم قصدوا بالشرك كفرانها
«فَتَمَتَّعُوا» بما أنتم فيه. أمر تهديد، «فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ» سوء عاقبتكم.

[٥٦] - «وَيَجْعَلُونَ لِمَا» للأصنام التي «لَا يَعْلَمُونَ» أنها لا تضر ولا تنفع
«نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ» من الحرث والأنعام «ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ» توبيخاً، وهو التفات من
الغيبة «عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ» بدعوى إلهيتها والتقرب إليها.

[٥٧] - «وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ» بقولهم: الملائكة بنات الله «سُبْحَانَهُ» تنزيهاً له
عن قولهم «وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ» أي البنون. و«ما» مبتدأ، أو عطف على «البنات».

[٥٨] - «وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَى» بولادتها «ظَلَّ وَجْهُهُ» صار «مُسَوِّدًا»
متغيراً من الغم «وَهُوَ كَظِيمٌ» ممثل غيظاً، فكيف يجعلون البنات له تعالى.

(١) روى الكليني في الكافي ١: ١٦٠ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لا جبر ولا تفويض ولكن
امرئين امرين».

وهناك احاديث اخرى ترتبط بالمقام يراجع بشأنها باب الجبر والقدر والامر بين الامرين في
الكافي ١ / ١٥٥.

[٥٩] - ﴿بَتَّورِي مِنَ الْقَوْمِ﴾ يختفي من قومه مخافة العار ﴿مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ﴾ عنده^(١) مفكراً ماذا يصنع به؟ ﴿أُبْمِسْكَ عَلَى هُونٍ﴾ أي أبشركه على هوان وذل ﴿أَمْ يَدُسُّهُ﴾ يخفيه بدفته ﴿فِي التُّرَابِ﴾ حياً وهو الواد. وذكر الضمير للفظ «ماء» ﴿أَلَا سَاءَ﴾ بشر ﴿مَا يَحْكُمُونَ﴾ حكمهم هذا، حيث جعلوا ما هذا محله عندهم للمنزّه عن الولد.

[٦٠] - ﴿لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ﴾ الصفة السوء، أو: هي الحاجة الى الاولاد أو هي وأد البنات خوف الفقر ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرِئَاسَةِ الْعَالَمِ﴾ الصفة العليا وهي التفرد بالالهية والغنى والجلود ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ البالغ القدرة والحكمة.

[٦١] - ﴿وَلَوْ يَرَوْا إِحْدَ اللَّهِ النَّاسِ يَظْلِمُهُمْ﴾ بعصيانهم ﴿مَا تَرَكَ عَلَيْهَا﴾ على الأرض. أضمرت بدون ذكر لدلالة الناس والدابة عليها ﴿مِنْ دَابَّةٍ﴾ تدب عليها فيهلك الظلمة عقوبة لهم، وغيرهم بشؤمهم.

أو: لو أهلك الأبناء بظلمهم لبطل نسلهم ولهلكت الدواب المخلوقة لهم، أو من دابة ظالمة ﴿وَلَكِنْ يُؤْخِرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ هو منتهى أعمارهم أو القيامة ليتوالدوا ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ عنه ﴿سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ عليه فيؤاخذون حينئذ.

[٦٢] - ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْفُرُونَ﴾ لأنفسهم من البنات والشركاء في الرياسة وإهانة الرسل وردي المال ﴿وَيَصِفُ أَلْسِنَتَهُمُ الْكَذِبِ﴾ تقوله مع ذلك وهو ﴿أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى﴾ عند الله أي الجنة إن صح البعث ﴿لَا جَزَمَ﴾ حقاً ﴿أَنَّ لَهُمُ النَّارَ﴾ لا الحسنى ﴿وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ﴾ مقدّمون الى النار، من أفرطته في طلب الماء، أي:

(١) كذا في النسخ ولعل الصحيح: عرفاً - كما في تفسير البيضاوي ٣: ١٠١، وتفسير روح المعاني

قدّمته . وكسر «نافع» الراء^(١) من الإفراط في المعاصي .

[٦٣] - ﴿تَاللّٰهِ لَآءَدْرُسُنَا﴾ رسلاً ﴿إِلَىٰ أَمْسٍ مِّنْ قَبْلِكَ فَزَيِّنْ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ القبيحة فأصروا عليها ﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمْ يَوْمَ﴾ متولي أمرهم في الدنيا .
أو ناصرهم في القيامة ، على حكاية الحال الآتية أي لا ناصر لهم غيره ، مبالغة في نفي الناصر لهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في القيامة .

[٦٤] - ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ﴾ للناس ﴿الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ من التوحيد والعدل والأحكام والبعث ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ معطوفان على «لتبين» وترك اللام لأنهما فعلا المنزل بخلاف التبيين ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ .

[٦٥] - ﴿وَاللّٰهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ بالنبات ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يبسها ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ دالة على التوحيد والبعث ﴿لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ سماع اعتبار .

[٦٦] - ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً﴾ اعتبار: ﴿نُسْقِيكُمْ﴾ وفتح «نافع» و«ابن عامر» و«أبو بكر»^(٢) استئناف لبيان العبرة «مِمَّا» «من» تبعية «في بطونيه» أي الأنعام فإن لفظه مفرد ومعناه جمع ، كالرطب ، والنعم ، فذكر هنا للفظ ؛ وأنث في سورة «المؤمنين»^(٣) للمعنى وإن جعل جمع «نعم» فالضمير لواحد ، أو للبعض ، إذ ليس لكلها لبن «مِنْ» ابتدائية تتعلق بـ «نسقيكم» «بَيْنَ قَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا» فإن الكرث تهضم العلف أولاً فتجذب الكبد صافيه ويبقى النفل وهو الفرث ، ثم تهضمه الكبد ثانياً فتحدث منه الأخلاط الأربعة ، ومائية ، ثم ترسل الدم في الأوردة لتغذية الأعضاء ويصعبه البلغم وقسط من المرتين والمائية لتعديله

(١) تفسير مجمع البيان ٣: ٣٦٨ - وحجة القراءات: ٣٩١ .

(٢) حجة القراءات: ٣٩١ .

(٣) الآية (٢١) من سورة المؤمنين (٢٣) قوله تعالى: «نسقيكم مما في بطونها» .

وبذرقته،^(١) ثم ترجع المائئة فتندفع الى الكليتين، ثم الى المثانة وبقية المرتين الى المرارة والطحال، والأنثى لبرد مزاجها، ورطوبته يزيد اخلاطها على غذائها فيندفع الزائد الى الرحم للجنين، وبعد انصفاله ينصب الى الضرع، فيحيله لبناً بواسطة لحمه الغددي الأبيض، وذلك تقدير العزيز العليم^(٢) ﴿خَالِصًا﴾ لا يشوبه لون ولا رائحة ولا طعم من الفرت والدم ﴿سَائِفًا لِلشَّارِبِينَ﴾ سهل الجواز في حلوقهم.

[٦٧]- ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ﴾ خبر محذوف أي ثمرة صفته ﴿تَتَّحِدُونَ مِنْهُ﴾ أو متعلق بـ «تتخذون» و«منه» تأكيد، وتذكير الضمير لأن الثمرات بمعنى الثمر. أو: على حذف مضاف أي من عصيرها، أو: بمقدر أي ونسقيكم من عصير ثمراتها ويكون «تتخذون» بياناً للإسقاء ﴿سَكْرًا﴾ مصدر سمي به الخمر.

قيل: هذا قبل تحريمها.^(٣) والظاهر انها ما حلت في الإسلام بل ولا في سائر الملل كما ورد عن أهل البيت عليهم السلام^(٤) وعليه أصحابنا.

والآية تدل على تحريمها لوصف قسيمها بالحسن ﴿وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ كالتمر والزبيب والدبس والخل فلا تكون هي حسنة فليس بحلال، فالآية جامعة بين العتاب والمنة. وقيل: السكر: الأشربة الحلال، والرزق الحسن: المأكول اللذيذ^(٥) ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ دالة على قدرته تعالى ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يتأملونها.

(١) كذا في النسخ المستحضرة، وهو على ما كان عليه الطب قديماً، وهو موجود في تفسير البيضاوي ١٠٢: ٣ - أيضاً..

(٢) اقتباس من الآية ٩٦ من سورة الانعام (٦).

(٣) في تفسير ابي الفتح الرازي ٢٢٢: ٦ - ٢٢٣ القائل بأن معنى السكر: الخمر، هو قول عبداه بن مسعود وعبداه بن عمر وسعيد بن جبير.

(٤) في تفسير الميزان ١٣٦: ٧: عن الكافي والتهذيب باسنادهما عن ابي جعفر عليه السلام قال: ما بعث الله نبياً قط الا وفي علم الله انه اذا اكمل دينه كان فيه تحريم الخمر. . .

(٥) يراجع تفسير مجمع البيان ٣: ٣٧١.

[٦٨] - ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّخْلِ﴾ ألهمها ﴿أَن يَأْتِيَ بِبُحْرِ مَوْءٍ﴾ أي بأن، أو: أي ﴿اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ تأوين إليها للتمسك ﴿وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ يرفعون من سقف وكرم، والبعضية لأنها لا تبني بكل جبل وشجر وما يعرش، بل فيما يوافقها من ذلك، وكثيراً ما يهيء لها الناس أماكن فبني فيها وضم «أبو بكر» و«ابن عامر» الراء. ^(١)

[٦٩] - ﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ التي تستهينها ﴿فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ﴾ طرقه التي ألهمك في عمل العسل، واسلكي ما أكلت في مسالك ربك التي تحيله فيها بقدرة عسلاً ﴿ذُلًّا﴾ جمع ذلول أي مذلة، حال من السبل أو من فاعل «اسلكي» أي منقاد لما أمرت به ﴿تَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ﴾ هو العسل لأنه ممّا يشرب.

وهذا يعضد القول بأنها تأكل الأزهار والأوراق فتستحيل في بطونها عسلاً، فتقفيه وتذخره للشئاء، وعلى القول بأنها تلتقط طلاً ^(٢) حلواً يقع عليها وتدخره في بيوتها فإذا كثر كان عسلاً، وتفسر «البطون» بالأفواه ﴿مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾ أصفر وأحمر وأبيض وأسود ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ من الأمراض البلغمية، منفرداً ومطلقاً مع غيره.

قيل: التنكير للتبعض، وقيل للتعظيم ^(٣) ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في صنعه تعالى.

[٧٠] - ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ﴾ أوجدكم ﴿ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ﴾ كلاً بأجله ﴿وَمِنْكُمْ مَّنْ يُّرَدُّ إِلَىٰ أَرْضِ الْغَمْرِ﴾ أرداه أي: الهرم والخرف ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ ليصير كالطفل في النسيان ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بتدبير خلقه ﴿قَدِيرٌ﴾ على ما يشاء من تصرفهم.

[٧١] - ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾ فأغنى بعضاً وأفقر بعضاً وملك بعضاً لبعض بمقتضى حكمته ﴿فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا﴾ من الموالى ﴿بِرِزْقِهِمْ﴾

(١) حجة القراءات: ٣٩٢.

(٢) الطل: المطر الضعيف: الندى.

(٣) نقله البياض في تفسيره ١٠٣: ٣.

عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ﴿١﴾ بجاعلي ما رزقناهم رزقاً لمماليكهم ، أي : لم يرزقوهم وإنما ينفقون عليهم رزقهم الذي جعله الله عندهم ﴿فَهُمْ فِيهِ﴾ فالموالي والمماليك في الرزق ﴿سَوَاءٌ﴾ في أنه من الله تعالى .

أو معناه : فما هم بجاعلي ما رزقناهم شركة بينهم وبين ممالكهم حتى يتساوا فيه ، ولم يرضوا بذلك ، وهم يشركون عبيدي معي في الإلهية ﴿أَفِينِعْمَةَ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ يكفرون حيث يشركون به غيره وقراً وأبو بكره بالتاء .^(١)

[٧٢] - ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ من جنسكم لتسكنوا إليها ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنَ وَحَفْدَةً﴾ أولاداً وأعواناً ، أو اختاناً على البنات ، أو ربائب .
والحفد : الإسراع في العمل^(٢) ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ المستلذات أي بعضها ، إذ كلها إنما يكون في الجنة ﴿أَقْبَابُ الْبَاطِلِ﴾ الأصنام وتحريم الحلال ﴿يُؤْمِنُونَ وَيَنْفَعَتِ اللَّهُ﴾ التي عددها ﴿هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ حيث أشركوا به غيره .

[٧٣] - ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا﴾ من مطر ونبات ، بدل من رزقاً أو مفعول إن جعل مصدراً ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ لا يقدرون على شيء وهم الأصنام .

[٧٤] - ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ فلا تجعلوا له أشباهاً في الألوهية ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ﴾ أن لا مثل له ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك ولو تدبرتم لعلمتم ، أو : انه يعلم كيف تضرب الأمثال وأنتم لا تعلمون ، ثم علمهم كيف تضرب فقال :

[٧٥] - ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ لنفسه وما يُشرك به ، وأبدل منه ﴿عَبْدًا مَمْلُوكًا﴾ نعمت ، يخرج الحر فإنه عبد الله ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ عاجز عن التصرف ، وهذا مثل الأصنام

(١) حجة القراءات : ٣٩٢ .

(٢) في تفسير الكشاف ٢ : ٢١٠ : والحفدة جمع حافد وهو الذي يحفد : أي يسرع في الطاعة والخدمة .

﴿وَمَنْ﴾ نكرة موصوفة، أي؛ وحراً ﴿رَزَقْنَاهُ مِثْرًا رِزْقًا حَسَنًا﴾ مالا وافرا ﴿فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا﴾ أي يتصرف فيه كيف شاء وهو مثله تعالى ﴿هَلْ يَسْتَوُونَ﴾ أي العبيد العجزة والأحرار ذوي التصرف؟! استفهام انكاري، أي: لا يستوون مع تشاركهم في الجنسية، فكيف يسوى بين جمادات عجزة وبين الله القادر على كل شيء؟!

ويُحتج بالآية على أن المملوك لا يملك، وللبحث فيه مجال ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ لا يستحقه سواه ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ اختصاص الحمد به .

[٧٦] - ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ وابدل منه ﴿وَجُلَيْنِ أَخَذَھُمَا أَبْكُمْ﴾ ولا أخرس ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ من نطق وتدير لأنه لا يفهم ولا يفهم ﴿وَهُوَ كُلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ﴾ نفل على ولي أمره ﴿أَيْنَمَا يُوجِھُهُ﴾ يرسله في حاجة ﴿لَا يَأْتِي بِخَبَرٍ﴾ بنجح ﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ من هو فصيح فهم، نافع للناس يحثهم على العدل ﴿وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ﴾ طريق ﴿مُسْتَقِيمٍ﴾ وهو مثل له تعالى وللأنعام، أو للمؤمن والكافر.

[٧٧] - ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي يختص به علم ما غاب عن الخلق فيهما ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ﴾ أمر إقامتها في قدرته ﴿إِلَّا كَلِمَةٍ الْبَصْرِ﴾ كرد الطرف ﴿أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ منه في السرعة والسهولة، و«أو» للتخيير، أو بمعنى «بل» ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه اقامة الساعة وإحياء الخلق .

[٧٨] - ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ وكسر «الكسائي» الهمزة وكسرها والميم «حمزة»^(١) ﴿لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ جملة حالية ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ﴾ أي الأسماع ﴿وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ القلوب اللاتي تتعلمون بها منافعكم ومضاركم وما يوصلكم الى السعادة الباقية ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ لكي تشكروه على ذلك .

[٧٩] - ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ وقرأ «ابن عامر» و«حمزة» بقاء الخطاب^(٢) ﴿إِلَى الطَّيْرِ

(١) تفسير البيضاوي ١٠٥: ٣ . (٢) حجة الفراءات: ٣٩٣ .

مُسَخَّرَاتٍ ﴿مَذَلَّلَاتٍ لِلطَّيْرَانِ بِأَجْنَحَتِهَا﴾ ﴿فِي جَوِّ السَّمَاءِ﴾ ﴿الْهَوَاءِ الْبَعِيدِ مِنَ الْأَرْضِ﴾ ﴿مَا يُفْسِكُهُنَّ﴾ ﴿عَنِ السَّقُوطِ﴾ ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ ﴿بِقُدْرَتِهِ﴾ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ وهي خلقها بحيث يمكنها الطيران، وخلق الجوّ بحيث يمكن الطيران فيه، وإلهامها بسط الجناح وقبضه.

[٨٠] - ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ مَسْكَناً﴾ موضعاً تسكنون فيه مما يتخذ من الحجر والمدر^(١) ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتاً﴾ القباب من الأدم أو ما يعم، المتخذة من الشعر والصوف والوبر، فإنها ممن جلودها لبنائها عليها ﴿تَسْتَخِفُّونَهَا﴾ للحمل والنقل ﴿يَوْمَ ظَفَعْنَاهُمْ﴾ وقت رحلتكم. وسكن العين «الكوفون» وابن عامر، وفتحها غيرهم^(٢) ﴿وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾ في مكان تنزلون فيه لا يثقل عليكم ضربها ﴿وَمِنْ أَصْوَانِهَا﴾ أي الضان ﴿وَأَوْبَارِهَا﴾ أي الأبل ﴿وَأَشْعَارِهَا﴾ أي المعز ﴿أَنَّا نَأْتِيكُمْ﴾ فرساً وأكسية ﴿وَمَتَاعاً﴾ تتمتعون به ﴿إِلَى حِينٍ﴾ تبلى فيه، أو الى موتكم.

[٨١] - ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِمَّا خَلَقَ﴾ من الشجر والابنية وغيرها ﴿ضِلَالاً﴾ تفيكم حرّ الشمس جمع «ظِل» ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَاناً﴾ تسكنون فيه من الكهوف والغيران،^(٣) جمع «كن» ﴿وَجَعَلَ لَكُم سُرَابِیْلَ﴾ قمصاناً من النبات وغيره ﴿تَقِيْكُمْ الْعَرَّ﴾ أي والبرد، دلّ أحد الضدين على الآخر فحذف أحدهما وخص بالذكر أهمهما عندهم ﴿وَسُرَابِیْلَ﴾ دروعاً وجواشن ﴿تَقِيْكُمْ بِأَسْكُنُكُمْ﴾ حريكم، أي بالظعن والضرب ﴿كَذَلِكَ﴾ كما أنعم عليكم بهذه النعمة ﴿يُسِّمُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾ في الدنيا؛ بتدبير أموركم ﴿لَعَلَّكُمْ تُسَلِّمُونَ﴾ تفكرون في نعمته فتوحّدونه وتنقادون لأمره.

[٨٢] - ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أعرضوا عن الإيمان فلا لوم عليكم ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ وقد بلغت.

(٢) الغيران: جمع غار.

(١) المدر: الطين الملك الذي لا يخالطه رمل.

(٢) تفسير مجمع البيان ٣: ٣٧٦.

[٨٣] - ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ يعترفون بأنها من عنده ﴿ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ بإشراكهم وقولهم انها بشفاعاة آلهتنا .

وقيل : «نعمته الله» : نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم عرفوها ثم أنكروها عناداً ، ^(١) و«ثم» استبعاد لإنكارهم بعد معرفتهم ﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ المنكرون عناداً .
وذكر الأكثر لأنه يستعمل في الكل ولأن بعضهم لم تنسم عليه الحجة كالمجانين وغير البالغ .

[٨٤] - ﴿وَيَوْمَ﴾ واذكر ، أو : خوفهم يوم ﴿نَبَتْ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ هو نبيها ، أو : إمام زمانها يشهد لها أو عليها يوم القيامة ﴿ثُمَّ لَا يُؤْذِنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في الاعتذار .
ومعنى «ثم» أن المنع من الكلام أصعب من الشهادة عليهم ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ لا يطلب منهم العتي ، أي : الرجوع الى رضى الله .

[٨٥] - ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أشركوا ﴿الْعَذَابَ﴾ النار ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ﴾ العذاب ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ يمهلون .

[٨٦] - ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ﴾ الأصنام والشياطين ﴿قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا﴾ نعبدهم ﴿مِنْ دُونِكَ﴾ فحملهم بعض عذابنا ﴿قَالَ قُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ﴾ أي أنطقهم الله ، فقالوا لهم : ﴿إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ في قولكم اننا شركاء الله ، وانكم عبدتمونا ، وانما عبدتم أهواءكم كقوله : ﴿مَا كَانُوا ابَانَا يَعْبُدُونَ﴾ . ^(٢)

[٨٧] - ﴿وَالْقَوَا﴾ أي : المشركون ﴿إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَامَ﴾ أي استسلموا لحكمه ﴿وَصَلَّ﴾ بطل ﴿عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ من أن آلهتهم تشفع لهم .

[٨٨] - ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدَّوْا﴾ الناس ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينه ﴿زِدْنَاهُمْ عَذَابًا﴾ لصددهم ﴿فَوْقَ الْعَذَابِ﴾ لكفرهم ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُدُونَ﴾ بإفسادهم بالصد .

(١) قاله السدي - كما في تفسير أبي الفرج ٦ : ٢٣٣ .

(٢) سورة القصص : ٢٨ / ٦٣ .

[٨٩] - ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ هو نبيهم، أو امام زمانهم ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ يا محمد ﴿شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ﴾ أي أمتك .

قال الصادق عليه السلام: نزلت في أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم خاصة، في كل قرن منهم امام منا شاهد عليهم؛ ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم شاهد علينا ^(١) ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿تَبَيَّنَّا﴾ بَيَّنَّا ﴿لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ من أمور الدين تفصيلاً أو إجمالاً بالإحالة الى بيان النبي وخلفائه من آله المعصومين عليهم السلام ﴿وَمُهَذًى وَرَحْمَةً﴾ للناس ان اتبعوه ﴿وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ لا غير.

[٩٠] - ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ التوحيد والإنصاف بين المخلوق ﴿وَالْإِحْسَانِ﴾ أداء الفرائض، أو التفضل على الناس أو ما يعم كل خير ﴿وَالِاتَاءِ﴾ إعطاء ﴿ذِي الْقُرْبَى﴾ الأقارب، أو: قرابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهو تخصيص بعد تعميم للإهتمام بهم ﴿وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ﴾ ما قبح من القول والفعل، أو: الزنا ﴿وَالْمُنْكَرِ﴾ ما أنكره الشرع ﴿وَالْبَغْيِ﴾ الظلم والكبر ﴿يَعْظُمُكُمْ﴾ بالأمر بالخير والنهي عن الشر ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ تذكرون أي تتعظون.

والآية جامعة لأصول التكاليف كلها، فهي تصديق لكون القرآن بياناً لكل شيء .

وعن «ابن مسعود»: إن هذه أجمع آية للخير والشر في القرآن. ^(٢)

[٩١] - ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ وهو كل ما يجب الوفاء به، وقيل: بالبيعة للرسول صلى الله عليه وآله وسلم ^(٣) ﴿إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ توثيقها باسم الله، يقال «وكذ» و«اكذ» بقلب الواو همزة ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمْ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ شهيداً بالوفاء، إذ الكفيل بالشيء: رقيب عليه ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ من نقض ووفاء.

(١) روى معناه في تفسير البرهان ٢: ٣٧٨ وراجع تفسير الآية ١٤٣ في سورة البقرة والآية (٤١) من سورة النساء .

(٢) تفسير البيضاوي ٣: ١٠٧ .

[٩٢] - ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَفَقَتْ عَرْلُهَا﴾ ما غزلته ﴿مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾ إحكام له وفل ﴿أَنْكَائًا﴾ حال أو مفعول ثانٍ لـ «نفقت» جمع: نكت، وهو ما ينكت فتلته.
ومعناه تشبيه الناقض بمن فعلت ذلك، أو بـ «ريطة» بنت عمرو القرشية وكانت خرقاء^(١) هذا شأنها ﴿تَتَّخِذُونَ﴾ حال من فاعل «تكونوا» أي لا تكونوا مثلها متخذين ﴿أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا﴾ غدرًا ومكرًا، وهو ما يدخل في الشيء للفساد ﴿بَيْنَكُمْ أَنْ﴾ أي؛ لأن ﴿تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾ جماعة هي أكثر من جماعة، كانوا إذا رأوا في أعادي حلفانهم شوكة نقضوا عهدهم وحالفوا أعاديهم فنهوا عنه ﴿إِنَّمَا يُلَوِّكُمُ اللَّهُ بِهِ﴾ يختبركم بالأمر بالسوء، أو يكونهم أدنى لينظر أتقون الله مع قلة المؤمنين أم تفترون بكثرة قريش ﴿وَلَيَبْيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ بإثابة المسحق وتعذيب المبطل.

[٩٣] - ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ مشيئة إلهاء ﴿لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أي مهتدين ﴿وَلَكِنْ يَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾ يخله بسوء اختياره ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ بلطفه لأنه من أهله ﴿وَلَتَسْتَلْنَ﴾ تبكيناً ﴿عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فتجازون به.

[٩٤] - ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾ كرر تأكيداً ﴿فَتَزَلَّ قَدَمٌ﴾ أي أقدامكم عن طريق الحق ﴿بَعْدَ بُرْئِهَا﴾ عليه وهو مثل لمن وقع في بلاء بعد عافية ﴿وَتَذُوقُوا السُّوءَ﴾ العذاب في الدنيا ﴿بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي بصدكم عن الوفاء.
أو: بصدكم غيركم عنه لأنه يقتدى بصدكم ﴿وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في الآخرة.

قال الصادق عليه السلام: هذه الآيات في ولاية علي عليه السلام وما كان من قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم «سَلِّمُوا عَلَيْهِ بِأَمْرَةِ الْمُؤْمِنِينَ»^(٢).

[٩٥] - ﴿وَلَا تَفْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ تستبدلوا به عرضاً يسيراً من الدنيا تنقضوه

(١) الخرقاء: الحمقاء.

(٢) يراجع تفسير مجمع البيان ٣: ٣٨٣.

لأجله ﴿إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ من الثواب على الوفاء بالعهد ﴿هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من عرض الدنيا ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ذلك فافقوا .

[٩٦] - ﴿مَا عِنْدَكُمْ﴾ من الدنيا ﴿يَتَّقُ﴾ يفنى ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ من الثواب ﴿بَاقٍ﴾ لا ينقطع ﴿وَلْيَجْزِيَنَّ﴾ ^(١) وقرأ ابن كثير، وعاصم، بالنون ^(٢) ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على مشاق التكليف ﴿أَجْرُهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ بالواجبات والمندوبات أو بجزاء أحسن .

[٩٧] - ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ إذ لا ثواب لعمل غيره .
﴿فَلَنُخَيِّبَنَّهُ خِيبَةً طَيِّبَةً﴾ هي الرزق الحلال والقناعة في الدنيا أو حياة الجنة
﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من الطاعة .

[٩٨] - ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ﴾ أي أردت قراءته ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ فاسأل الله أن يعيدك من أن يوسوسك ويغلطك في القراءة بأن تقول : «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» .

وعن ابن مسعود : قرأت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلت «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم» فقال قل : «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» هكذا أقرأه جبرئيل عن القلم عن اللوح المحفوظ . ^(٣)

وظاهرها وجوب الاستعاذة لكل قراءة ، ولم نجد به قائلًا سوى أبي علي ابن الشيخ الطوسي ، فإنه أوجبها في أول ركعة للآية ، ولا دلالة لها عليه بخصوصه فتبقى على عمومها .

وتحمل على النذب للأصل ، وعدم القائل بتعميم الوجوب ، ويُعد وجوبها

(١) في المصحف الشريف «لنجزين» .

(٢) حجة القراءات : ٣٩٣ .

(٣) تفسير البضاوي ٣ : ١٠٨ .

لمندوب القراءة.

[٩٩] - «إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ» تَسَلَّطَ «عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»
فإنهم لا يطيعونه.
[١٠٠] - «إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ» يطيعونه «وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ» بسببه
أو بالله «مُشْرِكُونَ».

[١٠١] - «وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ» بالنسخ فأنبتنا النسخة مكان المنسوخة
لفظاً أو حكماً لمصلحة العباد. «وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ» أي بمصالحه بحسب
الأوقات، وقرأ ابن كثير «وَأَبُو عَمْرٍو» «ينزل»، ^(١) من الإنزال «قَالُوا» أي: الكفار
- وهو جواب «إذا» -: «إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ» كَذَّاب على الله، تأمر بشيء ثم تنهى عنه
«بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» فوائد النسخ.

[١٠٢] - «قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ» جبرئيل، والإضافة للمبالغة كحاتم الجود
وخفف «ابن كثير» «القدس» ^(٢) «مِنْ رَبِّكَ» متلبساً «بِالْحَقِّ لِيُبَيِّنَ الَّذِينَ آمَنُوا» به
على إيمانهم «وَعَهْدِي لِلَّذِينَ آمَنُوا» معطوفان على محل «لِيُبَيِّنَ» أي تبييناً
وارشاداً وبشارة.

[١٠٣] - «وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ» القرآن «بَشَرٌ» هو «عائش» غلام
«خويط بن عبد العزى» قد أسلم وكان صاحب كتب.

وقيل: «بلعام» كان قيناً بمكة رومياً ^(٣) نصراًنياً، وقيل: سلمان الفارسي ^(٤)
«لِسَانٌ» لغة «الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ» يميلون قولهم عن الإستقامة إليه. وفتح «حمزة»

(١) يسكون التون وتخفيف الزاي - كما في اتحاف فضلاء البشر ٢: ١٨٩..

(٢) كتاب السبعة في القراءات: ٣٧٥.

(٣) قاله ابن عباس - كما في تفسير مجمع البيان ٣: ٣٨٦ - وقيل الحديد أي سواه.

(٤) قاله الضحاك - كما في تفسير مجمع البيان ٣: ٣٨٦..

و«الْكُفَّاءِ» الباء والحاء^(١) ﴿أَعْجَمِي﴾ غير بين ﴿وَهَذَا﴾ القرآن ﴿لِسَانَ غَرِيٍّ مُبِينٍ﴾ ذو فصاحة وبيان، فكيف يعلمه أعجمي.

[١٠٤] - ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بآيَاتِ اللَّهِ﴾ أي أنها من عنده ﴿لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ﴾ إلى الجنة أو لا يشبههم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ بكفرهم بالقرآن.

[١٠٥] - ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بآيَاتِ اللَّهِ﴾ لأنهم لا يخشون عقاباً ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ في قولهم: «انما أنت مفتر» أو الكاملون في الكذب، لا أنت.

[١٠٦] - ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ﴾ بدل من «الذين لا يؤمنون» أو من «أولئك» أو من «الكاذبون» أو ذم مرفوع أو منصوب أو مبتدأ أو شرط، والخبر أو الجزاء يدل عليه «فعليهم غضب» ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ﴾ على كلمة الكفر فقالها ﴿وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ ثابت عليه ﴿وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا﴾ فتحه أي طابت نفسه به ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ قيل: أكره قريش جماعة على الإرتداد منهم «عمار» وأبواه، فقتلوا أبويه، وأعطاهم بلسانه ما أرادوا مكرهاً.

فقال قوم: كفر عمار، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: كلا أنه ملئ إيماناً من قرنه إلى قدمه، واختلط الإيمان بلحمه ودمه، فأتاه عمار يكي فمسح عينه، وقال: ان عادوا لك فعد لهم بما قلت، فنزلت.^(٢)

[١٠٧] - ﴿ذَلِكَ﴾ الوعيد لهم ﴿بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ آثروها ﴿عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ﴾ وبسبب أن ﴿اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ يخذلهم بكفرهم.

[١٠٨] - ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَصَمَّعَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ﴾ أسند إليه تعالى الطبع مجازاً عن منعهم اللطف حين أبوا قبول الحق وأعرضوا عنه ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ

(١) كتاب السبعة في القراءات: ٣٧٥.

(٢) تفسير مجمع البيان ٣: ٣٨٧-٣٨٨ وتفسير البيضاوي ١٠٩: ٣.

الْعَافِلُونَ ﴿عَمَّا يَرَادُ بِهِمْ﴾ .

[١٠٩] - ﴿لَا جَزْمَ﴾ حقاً ﴿أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ إذ حرموا أنفسهم

الجنة وجلبوا لها النار.

[١١٠] - ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا﴾ عذبوا كـ «عمار» بالنصر،^(١)

و«ثم» لتباعد حال هؤلاء من أولئك، وفتح «ابن عامر»^(٢) أي فتنوا غيرهم ثم أسلموا
وهاجروا ﴿ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا﴾ على المشاق ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾ بعد الفتنة
﴿لَعَنُوهُمْ﴾ لهم ﴿رَجِيمٌ﴾ بهم .

[١١١] - ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ﴾ نصب بـ «رحيم» أو بـ «اذكر» ﴿تُجَادِلُ﴾ تحتاج

﴿عَنْ نَفْسِهَا﴾ ذاتها، لا يهملها غيرها ﴿وَتُؤْفَى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ أي جزاءه ﴿وَهُمْ
لَا يَظْلَمُونَ﴾ في ذلك .

[١١٢] - ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ وأبدل منه ﴿قَرْيَةً﴾ أي أهلها . قيل : هي مكة،^(٣)

وقيل غيرها، لأن المثل لها فهي غيرها ﴿كَانَتْ ءَامِنَةً﴾ من المخاوف ﴿مُطْمَئِنَّةً﴾ قارة
بأهلها ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا﴾ واسعاً ﴿مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ ناحية ﴿فَكَفَّرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ﴾
بنعمه، جمع نعمة . ﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾ استعير الذوق لإدراك أثر
الشدة واللباس لما غشيهم منها؛

واقوع الاذاقة عليه نظراً الى المستعار له، وهو الإدراك، فالمعنى عرّفها الله اثر

لباس الجوع والخوف ﴿بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ بصنعهم .

[١١٣] - ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ﴾ أي أهل مكة، ذكروا بعد ذكر مثلهم ﴿رَسُولٌ مِنْهُمْ﴾

محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾ الجوع بالقحط والخوف من

(١) في «الف» و«ب» : بالنصرة .

(٢) حجة القراءات : ٣٩٥ .

(٣) جوامع الجامع ٢ : ٣١١ .

الغارات أو ما نالهم بـ «بدر» ﴿وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ حال تلبسهم بالظلم.

[١١٤] - ﴿فَكُلُوا﴾ أي آمنوا فكلوا ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ من الغنائم وغيرها ﴿حَلَالًا﴾ حال مبيّنة لا مقيّدة، إذ الرزق لا يكون إلا حلالاً، وكذا ﴿طَيِّبًا﴾ أي لا خبيثاً، ينفر عنه الطبع، ويحتمل التثبيد، أي: لذيقاً ﴿وَأَشْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ فإنه كما تجب عبادته يجب شكر نعمته.

[١١٥] - ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَيْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ فسر في البقرة. ^(١) وحصر المحرمات في المعدودة بالإضافة الى ما حرموه على أنفسهم.

[١١٦] - ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا نَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ﴾ متصّب بـ «تقولوا» ﴿هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾ بدل منه أي لا تقولوا الكذب هذا حلال وهذا حرام لما تصفه ألسنتكم، أو مفعول «تقولوا» والكذب متصّب بـ «تصف» و«ما» مصدرية، أي: لا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف ألسنتكم الكذب، أي: لا تحلوا وتحرموا بقول ألسنتكم بغير دليل ﴿لِنَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ بنسبة ذلك إليه واللام للعاقبة ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ لا ينالون خيراً.

[١١٧] - ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ﴾ أي لهم، أو: متاعهم متاع قليل زائل ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة.

[١١٨] - ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا﴾ أي اليهود ﴿حَرْمَنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ﴾ في الأنعام في آية ﴿وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر﴾، ^(٢) ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾ بالتحريم ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بمعاصيهم الموجبة لذلك.

[١١٩] - ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ﴾ المعاصي ﴿بِجَهَالَةٍ﴾ أي جاهلين بالله

(١) في سورة البقرة: ١٧٣.

(٢) في سورة الانعام: ١٤٦.

وبعقابهم ﴿ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾ عملهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾ أي التوبة ﴿لَعَنُوا﴾ لهم ﴿رَجِيمٌ﴾ بهم .

[١٢٠] - ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ لأنه جامع لخصال الكمال ، قائم بعلم أمة .

أو لأنه كان مؤمناً وحده والناس كفار ، أو لأنه مؤتم به في الخير ، لقوله : ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾^(١) ﴿قَانِتًا لِلَّهِ﴾ مطيعاً له ﴿حَنِيفًا﴾ مائلاً الى الدين القيم ﴿وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ قط .

[١٢١] - ﴿شَاكِراً لِنِعْمِهِ﴾ أي لقليلها فضلاً عن كثيرها ﴿اجْتَبَاهُ﴾ اصطفاه

﴿وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ التوحيد .

[١٢٢] - ﴿وَتَأْتِيَانَا﴾ التفات من الغيبة ﴿فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ الرسالة والخلة والثناء

الحسن في أهل كل الأديان والأولاد الأبرار ﴿وَكِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أهل الجنة .

[١٢٣] - ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ ثم للإيدان بأن أجل ما أوتي إبراهيم اتباع محمد

صلى الله عليه وآله وسلم ملته أو لتراخي زمانه^(٢) ﴿أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ في الدعاء الى التوحيد ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ كرر ردّاً على قريش وأهل الكتاب في زعمهم أنهم على دينه .

[١٢٤] - ﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ﴾ فرض تعظيمه ﴿عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾

على نبيهم وهم اليهود ، أمروا بتعظيم الجمعة فأبوا إلا السبت فالزموه وشدد عليهم فيه . أو إنما جعل وبالسبت أي المسخ على الذين اختلفوا فيه ، فحرموا الصيد فيه ، ثم أحلوه بما احتالوا له ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَخْكُمُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ بإثابة المطيع وتعذيب العاصي .

(١) سورة البقرة : ١٢٤/٢ .

(٢) اي : ان ثم لتراخي زمانه .

[١٢٥] - ﴿أُدْعُ﴾ الثقلين ﴿إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ دينه ﴿بِالْحِكْمَةِ﴾ بالحجج الكاشفة عنه ﴿وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ الأقوال المقبولة المقنعة في الترغيب والترهيب ﴿وَجَادِلْهُمْ بَالِغِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ وناظرهم بالطريقة التي هي أحسن طرق المناظرة، كالرفق واللين في النصح ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ فهو يجازيهم.

[١٢٦] - ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ أردتم عقوبة جان، قصاصاً ﴿فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾ لا تزيدوا عليه.

قيل لما مثل المشركون بحمزة وقتلى أحد، قال المسلمون: «لئن أمكننا الله منهم لنمثلن بالأحياء فضلاً عن الأموات» فنزلت. ^(١)

وقيل: هي عامة في كل ظلم كغصب ونحوه ^(٢) وهو الظاهر لأن خصوص السبب لا يخصص، وفي «إن عاقبتم» تعريض بحسن العفو، وعقبه ببعض التصريح بقوله: ﴿وَلَيْنَ صَبَرْتُمْ﴾ عن المؤاخذه ﴿لَهُنَّ﴾ أي الصبر ﴿خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ منها.

ثم صرح بأمر رسوله صلى الله عليه وآله وسلم به لأنه الأحق به، فقال:

[١٢٧] - ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ بتوقيفه ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ على المشركين حرصاً على إيمانهم أو على قتلى أحد ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ في ضيق صدر من مكروهم. وكسر «ابن كثير» الضاد، ^(٣) وقيل: المفتوح مخفف ضيق. ^(٤)

[١٢٨] - ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ معاصبه ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ بطاعاته بالنصرة والحفظ.

(١) قاله الشعبي وقتادة وعطاء بن يسار - كما في تفسير مجمع البيان ٣: ٣٩٣ -.

(٢) قاله مجاهد وابن سيرين وإبراهيم - كما في تفسير مجمع البيان ٣: ٣٩٣ -.

(٣) اتحاف فضلاء البشر ٢: ١٩١.

(٤) انظر تفسير مجمع البيان ٣: ٣٩٢.

سورة الإسراء

[١٧]

مائة وعشر آيات مكية، وقيل: إلا ﴿وَأَنْ كَادُوا لَيَفْتَنُونَكَ﴾^(١) الآيات الثمان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] - ﴿سُبْحَانَ﴾ مصدر، كغفران، أو اسم للتسبيح أي التنزيه، نصب بإضمار فعله، أتى به تنزيهاً له تعالى عما لا يليق به ﴿الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ محمد منى الله عليه وآله وسلم ﴿لَيْلًا﴾ ظرف للإسراء وهو سير الليل كالسرى.

وفائدة ذكره، التنبيه بتذكيره على تقليل مدة الإسراء ﴿مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ بعينه، أو من مكة، إذ روي أنّ الحرم كله مسجد^(٢)، وعليه الأكثر.

قالوا: كان منى الله عليه وآله وسلم نائماً في بيت «أم هاني»^(٣) فأُسري به ورجع من ليلته وقصّ القصّة عليها وقال: مثل لي النبيون، فصلّيت بهم، ثم خرج إلى المسجد

(١) قاله قتادة والمعدل عن ابن عباس - كما في تفسير مجمع البيان ٣: ٣٩٣ -.

(٢) قاله ابن عباس - كما في تفسير الكشاف ٢: ٦٤٧، وفي تفسير التبيان ٦: ٤٤٦: أنّ القائلة هي: أم هاني.

(٣) تفسير التبيان ٦/ ٤٤٦.

فأخبر به قريشاً، فتعجبوا منه وكذبوه وارتدّ بعض من آمن به، فاستوصفه جماعة سافروا الى بيت المقدس فجُلّي له، فجعل يلحظه ويصفه لهم، فقالوا: أما الوصف فقد أصاب فيه، فسألوه عن غيرهم، فأخبرهم بأحوالها وقال: تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس، فخرجوا الى النية^(١) فصادفوها كما أخبر، ولم يؤمنوا، وكان ذلك قبل الهجرة بسنة.

والأكثر على أنه أسري بجسده الى بيت المقدس ثم عرج به الى السماء حتى وصل الى سدرة المنتهى.

وقيل: أسري بروحه في المنام لا بجسده،^(٢) استحالة له.

ويدفعه: أنه داخل تحت قدرة الله تعالى فلا يمتنع، وإن خرق العادة من لوازم المعجزات. ^(٣) ﴿إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ بيت المقدس لبعد ما بينهما ﴿الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ في الدين والدنيا بجعله مقرّ الأنبياء ومهبط الملائكة، وحفّه بالأشجار والأنهار، وفيه التفات من الغيبة ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾ العجيبة كبلوغه بيت المقدس وما رأي فيه وعروجه الى السماء وما شاهد هناك، ورجوعه في بعض ليلة ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوال رسوله ﴿الْبَصِيرُ﴾ بأفعاله، فأكرمه بهذه الكرامة.

[٢] - ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَآئِيلَ أَلَّا يَتَّخِذُوا﴾

«أن» مفسرة أو زائدة^(٤) والقول مضمّر، وقرأ «أبو عمرو» بالياء، أي: لثلاث «يتخذوا»^(٥) ﴿مِنْ دُونِي وَكِيلًا﴾ تكلون إليه أمركم.

(١) النية مؤنث الشيء والمعقة أو طريقها والجبل أو الطريقة فيها أو اليه.

(٢) قاله معارية وعائشة - كما في تفسير الكشاف ٢: ٦٤٧..

(٣) قرر علماء الطائفة في المعراج انه كان في اليقظة وبجسمه الشريف وصرح بذلك الشيخ الطوسي في تفسير التبيان ٦: ٤٤٦، والطبرسي في تفسير مجمع البيان ٣: ٣٩٥، وغيرهما.

(٤٤) تفسير مجمع البيان ٣: ٣٩٤ وحجة القراءات: ٣٩٦.

[٣] - ﴿ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ من بنيه الثلاثة، إذ الناس كلهم ذُرِّيَّتُهُمْ وهو منادى على قراءة التاء ومنتصب على الإختصاص على قراءة الياء، أو على أنه أحد مفعولي «لا تتخذوا» على القراءتين ﴿إِنَّهُ﴾ أي نوحاً ﴿كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ كثير الشكر لنا، حامداً في كل حال.

[٤] - ﴿وَقَضَيْنَا﴾ اوحينا ﴿إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾ التوراة ﴿لَتَقْسِدَنَّ فِي الْأَرْضِ﴾ جواب قسم محذوف ﴿مَرَّتَيْنِ﴾ أوليها قتل «شعيا» وثانيتها قتل «زكريا» و«يحيى» ﴿وَلَتَعْلَنَّ عَلْوًا كَبِيرًا﴾ لتعتن عتواً عظيماً.

[٥] - ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَٰئِهِمَا﴾ وعد عقاب اولى المرتين ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا﴾ «بخت نصر» أو «جالوت» أي خلباهم واتباعهم ﴿أُولَىٰ بَأْسٍ﴾ بطش في الحرب ﴿شَدِيدٍ فَجَاسُوا﴾ ترددوا يطلبونكم ﴿خِلَالَ الدِّيَارِ﴾ وسطها، فقتلوا كباركم وسبوا صغاركم وأحرقوا التوراة وخربوا المسجد ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾ كائنًا لا خلف فيه.

[٦] - ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ﴾ الذلَّة ﴿عَلَيْهِمْ﴾ على المبعوثين بتسخير بعض ملوك الفرس لكم فردكم الى «الشام» واستولى على اتباع «بخت نصر» أو بتسليط «داود» على «جالوت» فقتله ﴿وَأَمَدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيِّنَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ عدداً أي من ينفر معهم.

[٧] - ﴿إِنِ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ لأن نوابه لها ﴿وَإِنِ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ العقوبة ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ وعد عقاب المرة الآخرة ﴿لِيَسْأَلُوا وَجُوهَكُمْ﴾ أي بعثناهم ليجعلوا وجوهكم ظاهرة فيها آثار المساءة، وقرأ «أبو بكر» و«ابن عامر» و«حمزة» ﴿لِيَسْأَلُوا﴾ موخداً، وفاعله الوعد أو البعث أو الله. ويؤيده قراءة، «الكسائي» بالنون^(١) ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ﴾ «بيت المقدس» فيخربوه ﴿كَمَا دَخَلُوا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيَبْشِرُوا﴾ ليهلكوا ﴿مَاعِلُوا﴾ ما غلبوا عليه أو مدة علوهم ﴿تَنْبِيرًا﴾ وذلك بعد أن قتلوا «يحيى»

وبقى دمه يغلى، فسَلَطَ الله عليهم الفرس، فقتلوا منهم أُلُوفاً وسبوا ذراريهم وخربوا «بيت المقدس».^(١)

[٨] - «عَسَىٰ رَيْكُمُ أَنْ يَرْحَمَكُم» بعد المرة الثانية إن تبت «وَأِنْ عُدْتُمْ» الى الفساد «عُدْنَا» الى عقوبتكم، وقد عادوا بتكذيب «محمد» صلى الله عليه وآله وسلم، فسَلَطَ عليهم^(٢) بقتل «قريظة» واجلاء «النضير» وضرب الجزية عليهم «وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا» سجنًا ومجلسًا.

[٩] - «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي» للطريقة التي «هِيَ أَقْوَمُ» أعدل الطرق. «وَيُشِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا» وخفف «حمزة» و«الكسائي» «يشِر». ^(٣)

[١٠] - «وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ» عطف على «أَنَّهُمْ» أي يشهرهم بشوابههم وعقاب اعدائهم أو على «يشِر» بتقدير يخبر «أَعْتَدْنَا» هياتنا «لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا».

[١١] - «وَيَذُخُّ الْإِنْسَانَ بِالْشَّرِّ» على نفسه وأهله ضجراً «دَعَاءُهُ» كدعائه له «بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ» أي جنسه «عَجُولًا» بالدعاء بالشر، لم ينظر عاقبته.

وقيل: اريد به «آدم» عليه السلام فإنه لما انتهى الروح الى سرته أخذ لينهض فوقه.^(٤)

[١٢] - «وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ» دالتين على قدرتنا وعلمنا «فَمَعُونَا آيَةَ اللَّيْلِ» الآية التي هي الليل أي طمسنا نورها بالظلام «وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ» الآية التي هي النهار «مُبْصِرَةً» مضيئة، أو مبصرة فيها.

(١) تفسير مجمع البيان ٣: ٤٠٠ مع اختلاف يسير.

(٢) في «ج»: فسَلَطَ الله عليهم.

(٣) تفسير التبيان ٦: ٥٥٤ وتفسير البضاوي ٣: ١١٤.

وقيل: بتقدير مضاف أي وجعلنا نيزي اليل والنهار آيتين، ^(١) فمحونا آية اليل وهي القمر بجعلها غير ذات شعاع ترى الأشياء فيه أو بالكلف الذي فيه.

وجعلنا آية النهار وهي الشمس ذات شعاع تبصر الأشياء بضونها ﴿لَتَبْغُوا﴾ في النهار ﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ بالتصرف في وجوه معاشكم ﴿وَلَتَعْلَمُوا﴾ بهما ﴿عَدَدَ السَّيِّئِ وَالْحَسَابِ﴾ للآوقات ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ﴾ تحتاجون إليه من أمر الدين والدنيا ﴿فَصَلُّنَاهُ تَقْصِيلًا﴾ بيناه تبييناً.

[١٣] - ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ لَّزِمَتَهُ طَائِرَتُهُ﴾ عمله من خير وشر ﴿فِي عُنُقِهِ﴾ لزوم الطوق في عنقه ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا﴾ مكتوباً، هو صحيفة عمله ﴿يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾ صفتان للكتاب، أو «يلقاه» صفته، و«منشوراً» حال من الهاء، ^(٢).
وبناه «ابن عامر» للمفعول مشدداً. ^(٣)

[١٤] - ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ﴾ بتقدير القول ﴿كَفَىٰ بِتَقْيِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ محاسباً، ولقد أنصفك من جعلك حسيب نفسك.

[١٥] - ﴿مَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ لا يعود نفع إهتدائه وضرر ضلاله إلا إليه ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ﴾ لا تحمل نفس حاملة ﴿وِزْرًا﴾ حمل نفس ﴿أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ احتج به على أنه لا وجوب قبل الشرع.

ورد بأنه لا يثبت الوجوب الشرعي ما لم يثبت الوجوب العقلي.

فالآية مخصوصة بالسمعيات وأريد نفي التعذيب عفواً، وأريد بالرَّسُول: العقل.

(١) نقله البيضاوي في تفسيره ٣: ١١٤ - ١١٥.

(٢) تفسير مجمع البيان ٣: ٤٠٢.

(٣) تفسير مجمع البيان ٣: ٤٠٢ - حجة القراءات: ٣٩٨ وفيه: قرأ ابن عامر: «كتاباً يلقاه منشوراً» بضم الباء وفتح اللام وتشديد القاف.

[١٦] - ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً﴾ أي أهلها بعد قيام الحجة عليهم أو إذا دنا وقت إهلاكهم كقولهم: إذا أراد العليل أن يموت خلط في مأكله، فإرادة إهلاكهم مجاز عن دنوه ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ منعهم أي رؤسائها بالطاعة أمراً بعد أمر، على لسان رسول بعثناه اليهم توكيداً للحجة عليهم.

وخص المترفون لأن غيرهم تبع لهم ﴿فَفَسَقُوا فِيهَا﴾ فتمادوا في العصيان والخروج عن الطاعة ﴿فَحَقَّ عَلَيَّهَا الْقَوْلُ﴾ الوعيد بإنهماكهم في المعاصي ﴿فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ أهلكنا أهلها وخربناها.

[١٧] - ﴿وَكَمْ﴾ وكثيراً ﴿أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ﴾ الأمم، بيان لـ ﴿كَمْ﴾ ﴿مِنْ بَعْدِ نُوحٍ﴾ كعاد وغيرهم ﴿وَكَفَىٰ يَرِيكَ بُذْنُوبٍ عِبَادِهِ خَيْرًا بَصِيرًا﴾ عالماً ببواطنها وظواهرها.

[١٨] - ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ﴾ الدنيا بعمله ﴿عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾ التعميل له، وهو بدل من «له» بإعادة الجار.

وقيد بالمشيئة والإرادة لأن العبد لا يعطى كل ما يتمناه ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلِيهَا﴾ يدخلها ﴿مَذْمُومًا﴾ ملوماً ﴿مَذْخُورًا﴾ مطروداً عن رحمة الله.

[١٩] - ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا﴾ حق السعي لأجلها بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه ﴿وَمُوَّءٍ مِنْ﴾ إذ لا نفع للعمل بدون الإيمان ﴿فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ مقبولا عند الله، مثاباً عليه.

[٢٠] - ﴿كُلًّا﴾ من كل واحد من الفريقين ﴿نُؤْمِدُ﴾ نعطي ﴿هُؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ﴾ بدل من «كلًا» ﴿مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ﴾ رزقه، متعلق بـ «نؤمد» ﴿وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ ممنوعاً في الدنيا من مؤمن ولا كافر.

[٢١] - ﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ في الرزق والجاه ﴿وَلَا آخِرَةَ أَكْبَرُ﴾ أعظم ﴿دَرَجَاتٍ وَأكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ من الدنيا، فينبغي الرغبة فيما هو أفضل وأبقى.

[٢٢] - ﴿لَا تَجْعَلْ﴾ أيها السامع ، أو: الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والمراد أمته ^(١) ﴿مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقَدَّمَ﴾ فتصير ﴿مَذْمُومًا﴾ على لسان العقلاء ﴿مَعْذُولًا﴾ لا ناصر لك .

[٢٣] - ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ أمر أمراً جزماً ﴿أَنْ﴾ أي بأن : ﴿لَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ وجاز كون «أن» مفسرة و«لا» للنهي ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ﴾ وأن تحسنوا بهما ﴿إِحْسَانًا﴾ عظيماً ﴿إِمَّا﴾ «أن» الشرطية ، ادغمت في «ما» الزائدة للتأكيد وأكد بالتون ﴿يَتْلَقَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا﴾ والفاعل على قراءة «حمزة» والكسائي : «يلغان» هو بدل من الالف ^(٢) ﴿أَوْ كِلَاهُمَا﴾ عطف عليه على الوجهين ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍ﴾ فلا تضجر منهما ، وهو صوت يذل على تضجر بمعنى مصدر ، أي : ؛ نتنا وقبحاً ، مبنى على الكسر ، ونوته «نافع» و«حفص» تنكيراً ، وفتح «ابن كثير» و«ابن عامر» ^(٣) . والمعنى : لا تؤذهما قليلاً ولا كثيراً . وقيل : لا تتقدّرهما وأمط عنهما الأذى ، كما كانا يميطنانه عنك حين كنت تخري وتبول ^(٤) .

وعن الصادق عليه السلام : أدنى العقوق «اف» ولو علم الله عز وجل شيئاً أهون منه لنهى عنه . ^(٥) ﴿وَلَا تَنْهَرُهُمَا﴾ ترجمهما بإغلاظ ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ جميلاً رقيقاً .

[٢٤] - ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ﴾ اضافة الجناح للذل بيانية ، والمعنى اخفض لهما جناحك الذليل ، اريد به المبالغة في التذلل والتواضع لهما ، وضمتها إليه كما يضم الطائر فرخه بخفض جناحه له ﴿مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ من الرقة عليهما

(١) تفسير مجمع البيان ٤٠٧:٣ وتفسير البياضوي ١١٦:٣ .

(٢) حجة القراءات: ٣٩٩ ، وفي المصحف أوف .

(٣) قاله مجاهد كما في تفسير مجمع البيان ٤٠٩:٣ .

(٤) تفسير نور الثقلين ١٤٩:٣ و١٥١ وفيه : أيسر منه وورد الحديث في ارشاد القلوب

للدلمي ١٧٩ ، وانظر تفسير مجمع البيان ٤٠٩:٣ .

﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا﴾ برحمتك الباقية، فإنها أنفع من رحمتي لهما ﴿كَمَا رَبَّيَانِي﴾ كرحمتها لي بتربيتهما إيتاي ﴿صَغِيرًا﴾ فإني عاجز عن مكافأتهما ولا بقدر عليها سواك.

[٢٥] - ﴿وَبُيِّنَ لَكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾ بما تضمرون من برّ وعقوق ﴿إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ﴾ طائعين له ﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ﴾ التوابين عن تقصير^(١) صدر منهم في حقّ الوالدين ﴿غَفُورًا﴾ أي لتقصيرهم أو لذنوب كلّ تائب.

[٢٦] - ﴿وَوَاتِدَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ من صلة الرحم بالمال والنفس.

وعن أهل البيت عليهم السلام: المراد به قرابة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم. وإن الآية لما نزلت، أعطى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة عليها السلام فداً ورواه أبو سعيد وغيره^(٢) ﴿وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَلَا يُبْدِرُوا بَدْرِيًّا﴾ يأنفاق المال في غير طاعة الله.

[٢٧] - ﴿إِنَّ الْمُبَدِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ اتباعهم وعلى مستهم في الإسراف ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ شديد الكفر به، فكذلك متبعه المبدّر.

[٢٨] - ﴿وَأِمَّا نَعْرِضَنَّهُمْ﴾ وإن تعرض عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل إذ لا تجد ما تعطيههم ﴿إِنِّيَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا﴾ لطلب رزق منه تنتظره أن يأتبك فتعطيه من ﴿فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ ليناً، أي: عدهم وعداً جميلاً، أو ادع لهم باليسر، مثل: يرزقنا الله وإياكم.

[٢٩] - ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ لا نقبضها عن الإنفاق كلّ القبض ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا﴾ فيه ﴿كُلَّ الْبَسِطِ فَتَقْعُدَ﴾ فتصير ﴿مَلُومًا﴾ بالإسراف عند الله وغيره ﴿مَحْسُورًا﴾ نادماً أو منقطعاً بك أو عرياناً.

(١) في «ج» من تقصير.

(٢) تفسير القمي ١٨: ٢، تفسير نور الثقلين ١٥٥: ٣ وتفسير مجمع البيان ٤١١: ٣.

قيل : بعثت امرأة ابنها الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقالت : قل له : أمي تستكسبك درعاً،^(١) فإن قال : حتى بأثينا شيء ، فقل : أنها تستكسبك قميصك ، فأنى وقال له ما قالت ، فترعه وأعطاه وقعد عرياناً ولم يخرج للصلاة ،^(٢) فنزلت .

[٣٠] - ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَسْطُرُ الرَّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ يوسفه ويضيقه بمشيئته بحسب المصلحة ﴿إِنَّهُ كَانَ يَبْغَاوِيهِ خَيْرًا بِصِيرًا﴾ عالماً بسرهم وعلنهم وبما يصلحهم من التوسيع والتفتير عليهم .

[٣١] - ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ﴾ أي بناتكم بالوآد ﴿خَشِيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ مخافة الفقر ﴿نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنْ قَتَلْتُمْ إِنْ قَتَلْتُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ إنما عظيمًا ، وكسر «ابن كثير» «الخاء» بمدً ، وفتحها «ابن ذكوان» كالطاء بلا مدً وكسرهما الباقون وسكنوا الطاء .^(٣)

[٣٢] - ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزِّنَى﴾ نهى عن قربه مبالغة في النهى عنه ﴿إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً﴾ ظاهر القبح ﴿وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ وبشس طريقاً هو .

[٣٣] - ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ بسبب مبيع كالقود والزردة وحد المحصن ، ثم بين بعض الأسباب المبيحة بقوله : ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا﴾ بغير حق ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لِرَبِّهِ سُلْطَانًا﴾ تسلطاً على القاتل ﴿فَلَا يُسْرِفُ﴾ الولي بتجاوز الحد ﴿وَفِي الْقَتْلِ﴾ بالمثلثة أو قتل غير القاتل ، أو لا يسرف القاتل في قتل من لا يحق قتله .

وقرأ «حمزة» و«الكسائي» فلا تسرف على خطاب الولي أو القاتل^(٤) ﴿إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا﴾ علته النهي ، والهاء للولي ، فإن الله نصره بأن أوجب له القصاص والتعريض ، أو للمظلوم فإنه منصور في الدنيا بإيجاب القود بقتله ، وفي الآخرة

(١) أي تطلب منك الكسوة ، والدرع : ثوب المرأة وقميصها .

(٢) رواه الطبرسي في تفسير مجمع البيان ٣ : ٤١١ وتفسير البضاوي ٣ : ١١٨ .

(٣) تفسير مجمع البيان ٣ : ٤١٢ وحجة القراءات : ٤٠٠ و ٤٠١ والكشف عن وجوه القراءات ٤٥ : ٢ .

(٤) حجة القراءات : ٤٠٢ .

بالتَّوَابِ أَوْ لَلَّذِي يَقْتُلُهُ الْوَلِيُّ اسْرَافًا بِإِيجَابِ الْقِصَاصِ عَلَى الْمُسْرِفِ .

[٢٤] - ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي﴾ بالخصلة التي ﴿هِيَ أَحْسَنُ﴾ كحفظه وتسميره^(١) ﴿حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ يصير بالغاً رشيداً ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾ اليكم من الله أي تكاليفه أو بما عاهدتموه وغيره ﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ عنه ناكثه، أو مطلوباً من العاهد أن يفي به .

[٢٥] - ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ﴾ اتموه ﴿إِذَا كِلْتُمْ وَزَنُوا بِالْقُسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ بالميزان السوي، بضم القاف، وكسره «حنص» و«حمزة» و«الكساني»^(٢) ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ مآلاً ومرجعاً .

[٢٦] - ﴿وَلَا تَقْفُ﴾ لا تتبع ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ قد يخصّ بالعقائد أو يعمم العلم فيما يشمل ظن المجتهد ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ﴾ القلب ﴿كُلُّ أُولَئِكَ﴾ الأعضاء ﴿كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ أي كان كل واحد منها مسئولاً هو أو صاحبه عما فعل به ، وظاهره المواخذة بالعزم على الذنب .

[٢٧] - ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ ذا مرح أي مختال ﴿إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ﴾ تشقها بكبرك حتى تبلغ آخرها ﴿وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ بتناولك ، فيكف تختال وأنت بهذه المثابة من العجز .

[٢٨] - ﴿كُلُّ ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿كَانَ سَيِّئًا﴾ وهو المنهى عنه منه دون المأمور به ، وهذه قراءة «الكوفيين» و«ابن عامر»^(٣) وقرأ غيرهم «سَيِّئَةً» على أنها خبر «كان» واسمها ضمير «كل»^(٤) وذلك إشارة للمناهي فقط ﴿عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ خبر على الأولى (١) في المخطوطات تسميره والصحيح ما أثبتناه وبدل عليه ما في سورة الانعام ١٥٢/٦ يراجع تفسير الآية .

(٢) حجة القراءات: ٤٠٢ .

(٣) تفسير مجمع البيان ٣: ١٤٤ وحجة القراءات: ٤٠٣ .

(٤) حجة القراءات: ٤٠٣ .

وبدل منه على الثانية ، ويفيد أن الله لم يرد المناهي لذاتها وإنما ارادها بالتبع لإرادة المكلف لمضادة الكراهة للإرادة بالذات .

[٣٩] - ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾ الكلام المحكم الذي لا دخل للفساد فيه ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ كرر ايذاناً بأن التوحيد رأس الحكمة وملاكها ﴿فَتَلَقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا﴾ لنفسك وغيرها ﴿مَذْهُورًا﴾ مطروداً عن رحمة الله .

[٤٠] - ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ﴾ انكار لقولهم : الملائكة بنات الله، أي : أخصصكم ﴿رَبُّكُمْ بِالْبَيْنِ﴾ الذين هم أشرف الأولاد ﴿وَاتَّخَذَ﴾ لنفسه ﴿مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا﴾ بناتاً . ﴿إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ بنسبة الأولاد إليه ، ثم بتفضيل انفسكم عليه إذ جعلتم له ما تكروهون ، ثم بجعل الملائكة الذين هم من أشرف الخلق اختصهم .

[٤١] - ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ كررنا وبيّنا الدلائل والبرهان ﴿فِي هَذَا الْقُرْآنِ﴾ واثقنا التصريف فيه ﴿لِيَذْكُرُوا﴾ ليتذكروا أي يعتبروا ، وقرأ «حمزة» و«الكسائي» : ليذكروا^(١) من الذكر بمعنى التذكير ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ عن الحق ، نسب إليه مجازاً أي ازدادوا نفوراً عند نزوله .

[٤٢] - ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا تَقُولُونَ﴾^(٢) أيها المشركون ، وقرأ «ابن كثير» و«حفص» بالياء^(٣) ﴿إِذَا لَابْتَغَوْا﴾ جواب لـ «لو» أو لقولهم أي لطلبوا ﴿إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ﴾ مالك الملك ﴿سَبِيلًا﴾ بالمغالبة فعل الملوك بعضهم ببعض ، أو بالتقرب إليه لعلمهم بعلوه عليهم .

[٤٣] - ﴿سُبْحَانَ﴾ تنزيهاً له ﴿وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ﴾ وقرأ «حمزة» و«الكسائي»

(١) حجة القراءات : ٤٠٣ .

(٢) في المصحف الشريف بقراءة حفص : «كما يقولون» .

(٣) حجة القراءات : ٤٠٤ - ٤٠٥ .

بالخطاب^(١) ﴿عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ تعالياً متباعداً عن صفات الممكنات .

[٤٤] - ﴿يُسَبِّحُ﴾^(٢) وقرأ «أبو عمرو» و«حمزة» و«الكسائي» و«حفص» بقاء

التانيث^(٣) ﴿لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ ينزهه عما لا يليق بشأنه بلسان الحال الدالة على توحيده ﴿وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ أيها الكفرة لترككم النظر المؤدي الى فهمه .

قد يحمل التسيح على المشترك بين اللفظ والدلالة ، ويخالف رأي جُلّ الأصوليين^(٤) .

وقد يحمل على اللفظ بناء على أنّ لكل شيء لغة لا نفهما ﴿إِنَّهُ كَانَ خَلِيفًا﴾ لم يعاجلكم بالعقوبة ﴿عَفُورًا﴾ لمن تاب عن كفره .

[٤٥] - ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَجَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ ساتراً أو ذا ستر - كمكان مهول أي ذا هول - أو مستوراً عن الحسن .
قبل نزلت في قوم كانوا يؤذونه - متى الله عليه وآله وسلم - إذا قرأ القرآن ، فحجبه الله عنهم فلا يرونه عند قراءته .^(٥)

[٤٦] - ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ أغطية ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ كراهة أن يفهموه ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ صمماً ، فلا يسمعون ، مثل في نبي^(٦) قلوبهم ومسامعهم عن قبوله .

(١) حجة القراءات: ٤٠٤-٤٠٥ .

(٢) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «تسبح» - كما سيثير اليه المؤلف - .

(٣) تفسير مجمع البيان ٣: ٤١٦ حجة القراءات: ٤٠٥ .

(٤) لاحظ كتاب كفاية الأصول للشيخ الخراساني مبحث الألفاظ استعمال اللفظ في أكثر من معنى .

(٥) قاله الزجاج والجبائي - كما في تفسير مجمع البيان ٣: ٤١٨ ، وينظر تفسير نور الثقلين ٣: ١٦٩ .

(٦) النبؤ: عدم القبول والتنفر عن الشيء .

واسند إليه تعالى ايذاناً بتمكنه منهم كالجبلة ﴿وَإِذَا ذُكِّرْتُ بِكَ فِي الْقُرْآنِ
وَحَدَّثَ﴾ بدون ذكر آلهتهم، مصدر في محل الحال أي يحد وحده ﴿وَلَوْ أَعْلَىٰ أَذْبَارِهِمْ
نُفُورًا﴾ جمع نافر أو مصدر لـ «ولوا» من غير لفظه أي نفروا عن استماع التوحيد نفرة.

[٤٧] - ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ﴾ بسببه من الهُزء ﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ
هُمْ نَجْوَىٰ﴾ ظرفان لـ «اعلم» أي نحن اعلم بغرضهم من استماعهم حين يستمعون
إليك وحين هم ذووا نجوي أي يتناجون به في امرك ﴿إِذْ﴾ بدل من «اذهم» ﴿يَقُولُ
الظَّالِمُونَ﴾ - في تناجيهم -: ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ سحر،
فذهب عقله أو مخدوعاً.

[٤٨] - ﴿انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾ شبهوك بمسحور وساحر وشاعر وكاهن
ومجنون ﴿فَضَلُّوا﴾ بذلك عن الحق ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ إليه أو الى الطعن فيك،
ضلال من تحير في الشيء.

[٤٩] - ﴿وَقَالُوا﴾ انكاراً للبعث ﴿أَوَدَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا﴾ رضاضاً ﴿أَيْنَا
لَمَبْعُوثُونَ﴾ «إذا» ظرف لما دل عليه مبعوثون لا له إذ لا يعمل ما بعد «ان» فيما قبلها
﴿خَلَقًا﴾ مصدر أو حال ﴿جَدِيدًا﴾.

[٥٠] - ﴿قُلْ﴾ - لهم -: ﴿كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾.

[٥١] - ﴿أَوْ خَلَقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ يعظم عندكم عن قبول الحياة فضلاً
عن العظام الزفات فإن الله لا يعجز عن احيائكم ﴿فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا﴾ يحيينا ﴿قُلْ
الَّذِي فَطَرَكُم﴾ خلقكم ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ فإن من قدر على البدء فهو على الإعادة أقدر
﴿فَسَيَنْفِضُونَ إِلَيْكَ﴾ يحركون نحوك ﴿رُءُوسَهُمْ﴾ تعجباً واستهزاء ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ﴾
أي البعث ﴿قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾ فإن ما هو آت قريب.

[٥٢] - ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ﴾ من قبوركم على لسان اسرافيل عند النفخة الثانية
﴿فَتَسْتَجِيبُونَ﴾ تجيئون ﴿بِحَمْدِهِ﴾ حامدين له، أو مطاوعين لبعثه مطاوعة الحامد له

﴿وَتَنْظُنُونَ إِنِ لَيْسَ لَكُمْ فِي الدُّنْيَا أَوْ فِي الْآخِرَةِ لِهَوْلٌ مَّا تَرَوْنَ﴾.

[٥٣] - ﴿وَقُلْ لِّعِبَادِي﴾ المؤمنين ﴿يَقُولُوا﴾ للكفار، الكلمة ﴿الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾

ألين ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ﴾ يفسد ﴿بَيْنَهُمْ﴾ بسبب الغلظة، فتشدد النّفر فلا يحصل الغرض ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ بين العداوة.

وتفسير «التي هي أحسن»:

[٥٤] - ﴿رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنِ يَشَأْ يُزْهِمَكُمْ﴾ بفضله ﴿أَوْ إِنِ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾ بعدله

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ فتفسرهم على الإيمان، وما عليك إلا البلاغ.

وهذا قبل آية السيف. ^(١)

[٥٥] - ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فيخص كلّ منهم بما يليق به

وبذلك تفاضلوا، وفيه ردّ لإنكار قريش أن يكون يتيماً أبي طالب نبياً ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا

بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾ بدرجات الثواب وتخصيص كلّ منهم بفضيلة كـ «إبراهيم»

بالخلة و«موسى» بالكلام و«محمد» صلى الله عليه وآله وسلم بخصائص لا يشركه فيها أحد

﴿وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ اسم لكلّ كتاب، وغلب في كتاب «داود» عب السلام، ^(٢) ويأتي

منكراً ومعرفاً بحسن والحسن لأنّه مصدر، أو بمعنى المفعول، وضمّه «حمزة» ^(٣)

وأنما ذكر ليعلم أنّ التفضيل إنما هو بالعلم أو الدين لا بالمال والملك.

[٥٦] - ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ رَزَعْتُمْ﴾ أنهم آلهة ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ كالملائكة و«عزير»

و«المسيح» ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ﴾ كالفحط والمرض ﴿وَلَا تَحْوِيلًا﴾ له

عنكم إلى غيركم.

[٥٧] - ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ أي يدعونهم آلهة ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ يطلبون ﴿إِلَى رَبِّهِمْ﴾

(١) وهي الآية الخامسة من سورة التوبة.

(٢) تفسير مجمع البيان ٣: ٤٢٢.

(٣) أي الزاي - كما في حجة القراءات: ٢١٩.

الْوَسِيلَةَ ﴿الْقُرْبَىٰ بِالطَّاعَةِ﴾ ﴿أَيُّهُمْ﴾ بدل من واو «يَتَفَنُونَ» أي يتنفيها الذي هو ﴿أَقْرَبُ﴾ إليه ، فكيف بغير الأقرب ﴿وَيَزُجُّونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ كسائر عبادِه فكيف نزعهم عنهم آلهة ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ حقيقاً بأن يحذر.

[٥٨] - ﴿وَإِنْ﴾ وما ﴿مَنْ قَرِيَّةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ بالموت ﴿أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾ بالقتل وغيره ﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ﴾ اللوح المحفوظ ﴿مَنْطُورًا﴾ مكتوباً.

[٥٩] - ﴿وَمَا مَنَعَنَا﴾ صرفنا ﴿أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ﴾ التي اقترحتها^(١) قريش ﴿إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾ لما اقترحوها ، وارسلناها اليهم فأهلكناهم ، ولو ارسلناها الى هؤلاء لكذبوا بها ، كأولئك واستحقوا الإهلاك كما جرت به مستتاً .

وقد حكمنا بآمالهم ليتم أمر «محمد» صلى الله عليه وآله ﴿وَأَتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾ آية واضحة تبصر من تأملها ﴿فَطَلَّمُوا﴾ أنفسهم ﴿بِهَا﴾ بعقرها ، أو فكفروا بها ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ﴾ المعجزات ﴿إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ للعباد من عذابنا ليؤمنوا .

[٦٠] - ﴿وَإِذْ﴾ واذكر إذ ﴿قُلْنَا﴾ اوحينا ﴿لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾ علماً وقدره ، فهم في قبضته ، فبلغهم ولا تخشعهم فهو عاصمك منهم ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ﴾ عياناً ليلة «الإسراء» أو في المنام ، إذ رأى بني امية ينزون على منبره نزو القردة ، فساء ذلك^(٢) ﴿إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ امتحاناً لهم لتمييز المصدق بالإسراء عن المكذب ، أو الثابت على إيمانه في دولة بني امية من غيره ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾ عطف على «الرؤيا» وهي بنو امية أو شجرة الرقوم التي تنبت في اصل الجحيم ، جعلها الله فتنة لهم فكذبوا بها وقالوا: النار تحرق الشجرة ، فكيف تنبت

(١) وفي «الف» و«ب» : اقترحها .

(٢) تفسير مجمع البيان ٣: ٢٤٤ تفسير العباسي ٢: ٢٩٧-٢٩٨ وتفسير نور الثقلين ٣: ١٨٠ .

فيها، ^(١) وهذا محض جهل منهم بكمال قدرته تعالى ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ﴾ ذلك ﴿إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ عتواً عظيماً.

[٦١] - ﴿وَإِذْ﴾ واذكر إذ ﴿قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ فسر في «البقرة» ^(٢) ﴿قَالَ ءَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ نصب بنزع الخافض أو حالاً من عائد الموصول أو منه، ويؤذن بعلّة الإنكار.

[٦٢] - ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ هَذَا﴾ مفعول أول، إذ لا محلّ لكاف الخطاب ﴿الَّذِي كَرَّمْتُ عَلَيْهِ﴾ صفة «هذا» والمفعول الثاني مقدر، والمعنى: أخبرني عن هذا الذي فضّلته عليّ بأمرى ^(٣) بتعظيمه لم فضّلته؟ ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ لام قسم، جوابه ﴿لَأَخْتَنِكَنَّ دُرِّيَّةً﴾ لاستأصلتهم بالإغواء، من احتكك الجراد الزرع، أي: استأصله، واثبت «ابن كثير» «ياء» آخرتني مطلقاً، و«نافع» و«أبو عمرو» وصلاً ^(٤) ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ منهم، ممن عصمته بلطفك، علم تيسر ذلك له من قول الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يَفْسِدُ فِيهَا﴾ ^(٥) وتقريره:

[٦٣] - ﴿قَالَ﴾ تعالى له ﴿أَذْهَبَ﴾ لما اخترته مخلّى بينك وبينه ﴿فَعَمَّ تَبَعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ﴾ أنت وهم ﴿جَزَاءً مَوْفُورًا﴾ موفراً مكملًا.

[٦٤] - ﴿وَاسْتَفْزِزْ﴾ استخف واستزل ﴿مَنْ اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ يَبْصُوتَكَ﴾ بدعائك الى الشرّ ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ﴾ فرسانك ﴿وَرِجْلِكَ﴾ اسم جمع للرجال، وكسر جيمه «حفص» ^(٦) أي: صح عليهم بكلّ راكب وماش في الضلالة.

(١) تفسير مجمع البيان ٣: ٤٢٦ وتفسير البضاوي ٣: ١٢٣.

(٢) عند تفسير الآية ٣٤ من سورة البقرة.

(٣) أي: بأمرك إيتاي.

(٤) النشر في القراءات العشر: ٣٠٩.

(٥) سورة البقرة: ٢/ ٣٠.

(٦) تفسير مجمع البيان ٣: ٤٢٥ وحجة القراءات: ٤٠٥.

أو اجمع عليهم كيدك وأعاونك ﴿وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ﴾ المكتسبة من الحرام والمنفقة فيه ﴿وَالْأَوْلَادِ﴾ من الزنا، أو في تسميتهم بعبد اللات وعبد العزى^(١) ﴿وَعَذُّهُمْ﴾ الباطل كنفي البعث أو شفاعة آلهتهم ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ باطلاً يزينه لهم.

[٦٥] - ﴿إِنَّ عِبَادِي﴾ الخالص أو مطلقاً ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ تسلط، إلا من اتبعك بإختياره ﴿وَوَكَّفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ حافظاً من شرك لمن إتجا إليه.

[٦٦] - ﴿رَبُّكُمْ﴾ هو ﴿الَّذِي يُزِيحُ لَكُمْ الْغُلُوكَ﴾ يجريها ﴿فِي الْبَحْرِ لِيَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ بالتجارة ﴿إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ حيث سخرها لكم.

[٦٧] - ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ﴾ خوف الغرق ﴿فِي الْبَحْرِ صُلَّ﴾ ذهب عن اوهامكم ﴿مَنْ تَدْعُونَ﴾ تعبدون من آلهتكم فلا تدعونه ﴿إِلَّا إِلَٰهًا﴾ تعالى تدعونه وحده إذ لا يكشف الضر سواه ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ﴾ من الغرق ﴿إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾ عن توحيدهِ ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ للنعم.

[٦٨] - ﴿أَفَأَمِنتُمْ﴾ انكار، عطف على مقدر أي انجوتم فأمتم حتى أعرضتم ﴿أَنْ يَخْشِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ﴾ أن يقلبه وانتم عليه فـ ﴿بكم﴾ حال، وقرأ ابن كثير و﴿أبو عمرو﴾ بالتون فيه^(٢) وفي الأربعة الآية^(٣) ﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ ريحاً ترميكم بالحصباء، والمعنى أن القادر على اغراقكم في البحر، قادر على اهلاككم في البر ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا﴾ حافظاً منه.

[٦٩] - ﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ﴾ في البحر ﴿فَارَةً أُخْرَى﴾ بأن يحوجكم الى ركوبه فتركبوه ﴿فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا﴾ كاسراً شديداً ﴿مِّنَ الرِّيحِ فَيَغْرِقَكُمْ﴾ بما

(١) تفسير مجمع البيان ٤: ٤٢٦- وفيه . . . وعبد الحرث ونحوهما.

(٢) تفسير مجمع البيان ٣: ٤٢٧- حجة القراءات: ٤٠٦.

(٣) أي الافعال الأربعة في الآية: يرسل، يعيد، فيرسل ويفرق.

كَفَرْتُمْ﴾ بكفركم ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ نَبِيْعًا﴾ تابعاً^(١) مطالباً بشاركم .
أو دافعاً عنكم .

[٧٠] - ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ بالعقل والنطق واعتدال الخلق وتسخير الأشياء لهم وغير ذلك مما لا يحصى ﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ على الدواب والسفن ﴿وَوَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ المستلذات ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيْلًا﴾ .
والكثير: ما عدا جنس الملائكة أو خواصهم ، ولا ينافيه تفضيل الأنبياء عليهم ، إذ عدم تفضيل جنس الناس لا يستلزم عدم تفضيل بعضهم .

[٧١] - ﴿يَوْمَ﴾ إذكر يوم ﴿نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْأَمِهِمْ﴾ قيل : بنبيهم أو كتاب اعمالهم .^(٢)

وعن أهل الذكر عليهم السلام : امام زمانهم فإن الأئمة امام هدى وامام ضلال^(٣) ﴿فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ﴾ كتاب عمله ﴿بِئَمِّينِهِ فَأُولَئِكَ يَفْرَهُونَ كِتَابَهُمْ﴾ فرحاً بما يرون فيه ، وجمعوا باعتبار معنى «من» ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ لا ينقصون من حقهم قدر ما في شق النواة .

[٧٢] - ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَٰذِهِ﴾ أي الدنيا ﴿أَعْمَى﴾ القلب عن الحق ﴿فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى﴾ عن طريق الجنة ، أو أعمى العين ، فلا يقرأ كتابه .

وقيل «هو» للتفضيل^(٤) وأماله «أبو بكر» و«حمزة» و«الكسائي» في الموضعين و«أبو عمرو» في الأول^(٥) ﴿وَأَصْلُ سَبِيلًا﴾ وأبعد طريقاً .

(١) في «ج» : طالباً .

(٢) قاله مجاهد وقتادة - كما في تفسير مجمع البيان ٣ : ٤٢٩ - .

(٣) اصول الكافي ١ : ٢١٥ وتفسير مجمع البيان ٣ : ٤٢٩ عن علي عليه السلام .

(٤) نقله الطبرسي في تفسير مجمع البيان ٣ : ٤٣٠ .

(٥) تفسير مجمع البيان ٣ : ٤٢٨ - حجة القراءات : ٤٠٧ .

[٧٣] - ﴿وَإِنْ﴾ مخففة من الثقيلة^(١) أي اِنَّ الشَّانَ ﴿كَادُوا﴾ قاربوا ﴿لَيَقْتُنُونَكَ﴾ ليستزْلُونَكَ، واللام فارقة^(٢) ﴿عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ من الأحكام ﴿لِتَقْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرُهُ﴾ غير ما أوحيناه إليك ﴿وَإِذَا﴾ لو اتبعت مرادهم ﴿لَا تَخْذُوكَ خَلِيلًا﴾ ولياً لهم. نزلت حين قالت قريش له صلى الله عليه وآله وسلم: لا ندعك تستلم الحجر حتى تلم^(٣) بالهتنا أو حين قالوا: كف عن شتم آلهمنا حتى نستمع منك. أو حين قال ثقيف: نبايعك على أن لا ننحني في الصلاة^(٤) وإن تحرم وادينا كـ «مكة» وألحوا عليه، فأبى.

[٧٤] - ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَبْتَثْنَاكَ﴾ على الحق بالعصمة ﴿لَقَدْ كِدْتُمْ﴾ قاربت ﴿تَرْكُنُ﴾ تميل ﴿إِلَيْهِمْ شَيْئًا﴾ ركوناً ﴿قَلِيلًا﴾ لكن عصمتناك، فلم تقارب الركون فضلاً أن تركن إليهم، ويفيد أنه صلى الله عليه وآله وسلم لم يهَمَّ بإجابتهم.

[٧٥] - ﴿إِذَا﴾ لو قاربت ﴿لَأَذْنُتَكَ ضِعْفَ الْحَيَوةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ﴾ ضعف عذاب الدنيا وضعف عذاب الآخرة، أي مثلى ما يعذب غيرك في الدارين. وقيل الضعف: اسم للعذاب^(٥) ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ دافعاً عنك.

[٧٦] - ﴿وَإِنْ﴾ مخففة ﴿كَادُوا﴾ أهل «مكة» ﴿لَيَسْتَفْرِزُونَكَ﴾ يزعمونك ﴿مِنْ الْأَرْضِ﴾ أرض مكة ﴿لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا﴾ لو أخرجوك ﴿لَا يَلْبُسُونَ خَلْقَكَ﴾^(٦) فيها. وقرأ «ابن عامر» و«حمزة» و«الكسائي» «خلافك»^(٧) ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ زماناً يسيراً، وقد كان

(١) جملة «من الثقيلة» ليست موجودة في «الف» و«ب».

(٢) اللام الفارقة هي التي تدخل للفرق بين «ان» المخففة و«ان» النافية - كذا في كليات أبي البقاء.

(٣) اللم: أخذ الشيء - بأجمعه وفي تفسير البيضاوي ٣: ١٢٤: حتى تلم بالهتنا وتمسكها بيدك.

(٤) تفسير مجمع البيان ٣: ٤٣١ وفيه: لا ننحني بفنون الصلاة.

(٥) قاله إبان بن تغلب - كما في تفسير مجمع البيان ٣: ٤٣١.

(٦) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «خلافك».

(٧) حجة القراءات: ٤٠٨.

ذلك وهو قتلهم بيد بعد هجرته بسنة. (١)

وقبل نزلت في اليهود، كرهوا مقامه بالمدينة فقالوا: ان كنت نبياً فانت الشام فإنها أرض الأنبياء. (٢)

[٧٧] - ﴿سُنَّةٌ مَّن قَدْ آوَسْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا﴾ أي كَسَتْنَا في رسلنا من اهلاك من اخرجهم ﴿وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ تبديلاً.

[٧٨] - ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ لزوالها، من ذلك، لأن الناظر اليها يدلك عينيه ليتبينها، واللام بمعنى الوقت، فيشمل وقتي صلاتي الظهرين. وقيل: لغروبها (٣) ﴿إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾ ظلامه وهو وقت العشائين.

وعن الصادقين عليهما السلام: دلوكها: زوالها، ففيما بينه الى غسق اليل وهو انتصافه اربع صلوات (٤) ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ صلاة الصبح.

وتسميتها «قرآناً» لتضمنها له كتسميتها ركوعاً وسجوداً ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ تشهده ملائكة اليل وملائكة النهار.

[٧٩] - ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ﴾ بعضه ﴿فَتَهَجَّدْ بِهِ﴾ فدع الهجود للصلاة بالقرآن ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾ خاصة، زيادة على الفرائض أو فضيلة لك تخصك ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ﴾ يقيمك في الآخرة ﴿مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ يحمدك فيه الاولون والآخرين وهو مقام الشفاعة. (٥)

(١) قاله الضحاك - كما في تفسير مجمع البيان ٣: ٤٣٢.

(٢) قاله ابن عباس - كما في تفسير مجمع البيان ٣: ٤٣٢.

(٣) قاله النخعي والضحاك والسدي - كما في تفسير العياشي ٢: ٣١٠ - تفسير مجمع البيان ٣: ٤٣٣.

(٤) وسائل الشيعة ٢: ١١٤ - تفسير نور الثقلين ٣: ٢٠١ وتفسير العياشي ٢: ٣٠٩.

(٥) تفسير العياشي ٢: ٣١٠ - وما بعدها، تفسير القمي ٢: ٢٥ - تفسير مجمع البيان ٣: ٤٣٥.

[٨٠]- ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي﴾ فيما حملتني من الرسالة أو في المدينة أو في القبر ﴿مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ ادخلاً مرضياً ﴿وَأَخْرِجْنِي﴾ من أعباء الرسالة^(١) بأدائها .

أو من مكة أو عند البعث ﴿مُخْرِجَ صِدْقٍ﴾ اخراجاً لا أرى فيه مكروهاً ﴿وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ قوة تنصرنى بها على أعدائك ، أو ملكاً أقهر به العصاة ، فنصره بالترعب من مسيرة شهر .

[٨١]- ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾ الإسلام ﴿وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ ملك الشرك ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ مضمحلًا زائلاً .

وقد قالها يوم فتح مكة حين جعل يطعن الأصنام يعود فيلقبها وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة ، فحمل صلى الله عليه وآله وسلم «علياً» عبه السلام فصعد فرمى به فكسره .

[٨٢]- ﴿وَتَنْزِيلٍ﴾ وخفقه «أبو عمرو»^(٢) ﴿مِنْ الْقُرْآنِ﴾ «من» بيانية ﴿مَا هُوَ شِفَاءٌ﴾ من الأمراض الروحانية كالعقائد الفاسدة والأخلاق الذميمة . والجسمانية بركة تلاوته للإستشفاء ﴿وَرَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ خصوا بالذكر لأنهم المنتفعون به ﴿وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ لكفرهم به .

[٨٣]- ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ بالصحة والغنى ﴿أَعْرَضَ﴾ عن ذكرنا ﴿وَنَسَا بِجَانِبِهِ﴾ بعد بنفسه عنه وثنى عطفه^(٣) مستكبراً ، قرأ «ابن ذكوان» «وناء» على القلب أو بمعنى نهض^(٤) ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشُّرُّ﴾ كمرض أو فقر ﴿كَانَ يَتُوسَا﴾ قنوطاً من روح الله .

[٨٤]- ﴿قُلْ كُلٌّ﴾ من المؤمن والكافر ﴿يَعْمَلْ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾ خليقته التي تخلق بها أو طريقته التي اعتادها ﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا﴾ أوضح طريقاً

(١) أعباء الرسالة : جمع عب أي انقالها (مجمع البحرين) .

(٢) في البياضاي ٣ : ١٢٧ - قرأ البصريان : «نزل» - بالتخفيف .

(٣) ثنى عطفه : رد بعضه الى بعض .

(٤) النشر في القراءات العشر : ٣٠٨ .

وأصوب ديناً.

[٨٥] - ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ الَّذِي يَحْيِي بِهِ بَدَنَ الْإِنْسَانِ ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ حصل بإرادته المعبر عنها به «كُنْ» بلا مادة أو حدث بتكوينه على أَنَّ سؤالهم عن قدمه وحدوثه، أو بعلمه الَّذِي استأثر به، لما قيل أَنَّ اليهود قالوا لقريش: سلوه عن الرُّوح، فإن أجاب، فليس بنبي، وإن أبهم كما في التوراة فهو نبي. ^(١)

وقيل: الرُّوح: القرآن، ^(٢) «وَمَنْ أَمَرَ رَبِّي»: مَنْ وَحِيهِ، وقيل: جبرئيل. ^(٣)

وعن أهل البيت عليه السلام: انه خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل، يكون مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأنمة، يسددهم ^(٤) ﴿وَمَا أَوْثَقُكُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ بالنسبة إلى علم الله تعالى، خطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وغيره أو للسائلين.

[٨٦] - ﴿وَلَيْنَ شِئْنَا لَنذَهِبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ ^(٥) أي القرآن بأن نمحوه من الصدور والمصاحف، وناب جواب «إِنْ» ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾ من يتوكل برّده عليك.

[٨٧] - ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ متصل أي ^(٦) كَانَ رَحْمَتُهُ تَعَالَى تَتَوَكَّلُ بِالرَّدِّ.

أو منقطع أي وليكن رحمة من ربك أبقتك عليك ﴿إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾ بإرسالك وانزال القرآن وإبقاءه عليك وغير ذلك.

[٨٨] - ﴿قُلْ لِّنَّاسٍ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ﴾ في

(١) تفسير البيان ٦: ٥١٥.

(٢) نقله الطوسي في تفسير البيان ٦: ٥١٥.

(٣) نقله البيضاوي في تفسيره ٣: ١٢٧.

(٤) تفسير نور الثقلين ٣: ٢١٥.

(٥) في «ج» زيادة مايلي: لَمْ قَسَمَ جَوَابَهُ لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ.

(٦) أي الإِسْتِثْنَاء متصل.

الفصاحة والبلاغة ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ وفيهم الفصحاء والبلغاء، وهو جواب القسم وناب جواب «ان» ﴿وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ معيماً.
نزلت ردّاً لقولهم: ﴿لو نشاء لقلنا مثل هذا﴾^(١).

[٨٩] - ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ كزنا وبيننا ﴿لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ صفة محذوف، أي: عبراً من جنس كل مثل ليعتبروا ﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُوراً﴾ جحوداً، وسوغ الاستثناء معنى النفي.

[٩٠] - ﴿وَقَالُوا﴾ - اقتراحاً -: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تُنْزِلَ﴾^(٢) وخفف «الكوفيون»^(٣) ﴿لَنَا مِنَ الْأَرْضِ﴾ ارض مكة ﴿يَنْبِئُونا﴾ عينا ينبع ماؤها.
[٩١] - ﴿أَوْ نَكُونُ لَكَ جَنَّةً﴾ بستان ﴿مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُخَرَّجُ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا﴾ وسطها ﴿تُفَجِّرُ﴾.

[٩٢] - ﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَّمْتَ عَلَيْنَا كِشْفًا﴾ حالاً كـ «قطع» لفظاً، ومعنى لـ «نافع» و«عاصم»^(٤) وسكنه غيرهم وهو مخفف المفتوح أو بمعنى مقطوع، كطحن للمطحون ﴿أَوْ أَنُنَزِّلَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا﴾ كقبلاً بما تدعي أو: مقابلاً نعاينه ويشهد لك، وهو حال من الله دالة على حال الملائكة أو مقابلة وعياناً، مصدر في محل حال من الكل، أو قبائل فوجاً حال من «الملائكة».

[٩٣] - ﴿أَوْ يَكُونُ لَكَ يَتِّتٌ مِّنْ زُخْرِفٍ﴾ ذهب، وأصله الزينة ﴿أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ﴾ في مراقبها ﴿وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقَّتِكَ﴾ لو فعلته ﴿حَتَّى تَنْزِلَ عَلَيْنَا﴾ منها ﴿كِتَابًا﴾ يصدقك ﴿تَقْرَأُهُ قُلٌ﴾ وقرأ «ابن كثير» و«ابن عامر» «قال»^(٥) ﴿سُبْحَانَ رَبِّي﴾ تعجباً من

(١) سورة الأنفال: ٨ / ٣١.

(٢) في المصحف الشريف حفص: «تفجر» - بالتخفيف ..

(٣) حجة القراءات: ٤٠٩ - ٤١٠.

(٤) حجة القراءات: ٤١٠.

تَحْكَمُهُمْ أَوْ تَزِيلُهَا لَهُ مِنْهُ ﴿هَلْ﴾ مَا ﴿كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ كسائر الرسل، وما كانوا يطبقون أن يأتوا إلا بما يخصهم الله به بحسب المصلحة وليس لهم أن يتحكموا عليه، وقد خصني بآيات تغني عما اقترحتهم.

[٩٤] - ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى﴾ الحجج البينة ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ إِلَّا قولهم انكاراً ﴿أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ وهلاً بعث ملكاً.

[٩٥] - ﴿قُلْ﴾ - جواباً لهم -: ﴿لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يُمْشُونَ﴾ كالبشر ﴿مُطْمَئِنِّينَ﴾ قاطنين^(١) ﴿لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾ إذ لابد من تجانس الرسول للمرسل اليهم، ليتمكن إدراكه والتلقي منه.

واما ارسال الملك الى النبي فتمكنه من ذلك لقوة نفسه.

[٩٦] - ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ على صدقي بإظهار المعجز الدال عليه ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ يعلم بواطنهم وظواهرهم، وفيه تهديد لمن رد تلك الشهادة.

[٩٧] - ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ﴾ بلطفه أو يحكم بهداه ﴿فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ وأبنت «نافع» وأبو عمرو «الياء وصلأ»^(٢) ﴿وَمَنْ يُضِلِلْ﴾ بمنعه اللطف أو يحكم بضلاله ﴿فَلَنْ نَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ﴾ يهدونهم ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وَجُوهِهِمْ﴾ يسحبون عليها أو يمشيهم الله عليها بقدرته ﴿عُمِيًّا﴾ لا يرون ما يسرهم ﴿وَبُكْمًا﴾ لا ينطقون بما ينفعهم ﴿وَصُمًّا﴾ لا يسمعون ما يمتنعهم.

وقيل يحشرون من الموقف الى النار ما وفي الحواس^(٣) ﴿مَا وَاهُمْ جَهَنَّمَ كُلَّمَا

(١) قاطنين: مقيمين.

(٢) كتاب السبعة في القراءات: ٣٨٦.

(٣) قاله مقاتل - كما في تفسير مجمع البيان ٤٤٢: ٣ ونقله البياضاي في تفسيره ١٢٩: ٣ والمؤوف: من كان به آفة في حواسه.

خَبَثَ ﴿سَكَنَ لَهَا بِإِفْنَانِهِمْ ﴿زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ تَلْهَبًا وَاشْتَعَالًا بِهِمْ بِإِعَادَتِهِمْ .
[٩٨] - ﴿ذَلِكَ جَزَاءُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا﴾ انْكَارًا لِلْبَعث ﴿أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا
وَرِقَاقًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ .

[٩٩] - ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ يَعْلَمُوا ﴿أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ
يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ أَيِ بَعِيدِهِمْ ، فَإِنَّ الْقَادِرَ عَلَى الْأَعْظَمِ قَادِرٌ عَلَى الْأَدْوْنِ ﴿وَجَعَلَ لَهُمْ
أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ هُوَ الْمَوْتُ أَوْ الْبَعث ﴿فَأَتَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾ جُحُودًا لِلْحَقِّ .

[١٠٠] - ﴿قُلْ لَوْ أَتَيْتُمْ زَعْمًا بِغَيْرِ رُكْنٍ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّي﴾ رَزَقَهُ
وَسَائِرَ نِعَمِهِ ، وَفَتَحَ «نَافِع» وَ«أَبُو عَمْرٍو» الْبَاءَ ^(١) ﴿إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ﴾ بَخْلًا ﴿خَشِيَّةَ
الْإِنْفَاقِ﴾ خَوْفَ النِّفَادِ بِالْإِنْفَاقِ ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾ بَخِيلًا ، لِأَنَّهُ خَلَقَ مُحْتَاجًا إِلَى
مَا لَا يَحْصِلُهُ إِلَّا بِالْعَمَالِ وَامْسَاكِهِ ، فَالْغَالِبُ عَلَيْهِ الْبَخْلُ وَلَوْ بَذَلَ شَيْئًا فَلَعَوَضَ أَجَلَ
مِنْهُ ، فَهُوَ بِخِيلٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى جُودِ اللَّهِ تَعَالَى .

[١٠١] - ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ هِيَ الْعَصَا وَالْيَدِ وَاللِّسَانُ وَالْبَحْرُ
وَالطُّوفَانُ وَالْجَرَادُ وَالْقُمَّلُ وَالضَّفَادِعُ وَالذَّم .

وقيل : الحجر والطمس بدل اليد واللسان ^(٢) وقيل : السنون ونقص الثمرات بدل
البحر واللسان . ^(٣)

وقيل سأل يهودي النبي صلى الله عليه وآله وسلم عنها ، ففسرها بتحريم الشرك والسرقه
والزنا والقتل بغير حق والسحر وأكل الربا وقذف المحصنة والمشي بيريء الى سلطان
ليقتله والفرار من الزحف . ^(٤)

(١) الكشف عن وجوه القراءات ٢ : ٥٢ .

(٢) قاله محمد بن كعب وأبو علي الجبائي - كما في تفسير مجمع البيان ٣ : ٤٤٤ .

(٣) نقل معناه البضاوي في تفسيره ٣ : ١٢٩ .

(٤) قاله عبدالله بن سلمة عن صفوان - كما في تفسير مجمع البيان ٣ : ٤٤٤ - وذكره البضاوي في

ثم زاد على الجواب وقال: وعليكم خاصة يا يهود أن لا تعدوا في السَّبْت فقبل يده، وعدّ هذه الأحكام «آيات» لأنها من علامات النبوة ﴿فَاسْتَلِ﴾ يا «محمّد» ﴿يَنبِي إِسْرَائِيلَ﴾ عمّا جرى لموسى وفرعون ﴿إِذْ جَاءَهُمْ﴾ أو عن الآيات ليظهر للمشركين صدقك، وعلى هذا نصب «إذ» بـ «آتيناه» أو بإضمار «اذكر» أو فقلنا لموسى حين جانهم: استل بني اسرائيل من فرعون أيرسلهم معك؟ أو: سلهم عن إيمانهم ﴿ثَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا﴾ سحرت فخلوط عقلك.

[١٠٢] - ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتُ﴾ يا «فرعون» وضّمه «الكسائي»^(١) ﴿مَا أُنْزِلَ هَؤُلَاءِ﴾ أي: الآيات ﴿إِلَّا رُبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَائِرٍ﴾ حججاً تبصرك صدقي ولكنك تعاند ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ هالكاً أو مصروفاً عن الخير، قارع ظنه الكذب بظنه الصحيح الناشيء من شواهد الحال.

[١٠٣] - ﴿فَأَرَادَ﴾ «فرعون» ﴿أَنْ يَسْتَفْرِغَهُمْ﴾ يزعج «موسى» وقومه بالنفي أو القتل^(٢) ﴿مِنْ الْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿فَأَعْرِضْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا﴾ عارضناه بنقيض مراده.

[١٠٤] - ﴿وَقُلْنَا مَنْ بَعْدِهِ لِيَنبِي إِسْرَءِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ الكثرة الآخرة أي قيام الساعة ﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ مختلطين^(٣) انتم وهم للحكم والجزاء. [١٠٥] - ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ أي ما اردنا بإنزال القرآن إلا تقرير الحق في مركزه وما نزل إلا بالدعاء الى الحق ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا﴾ من أطاع بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ من عصى بالنار.

[١٠٦] - ﴿وَقُرْءَانًا﴾ نصب بفعل يفسره ﴿فَرَقْنَاهُ﴾ نزلناه مفرقاً نجوماً في نحو عشرين سنة، أو فرقناه به الحق من الباطل، فحذف الجار ﴿لِنُقَرِّأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى

(١) حجة القراءات: ٤١١ وكتاب السبعة في القراءات: ٣٨٥.

(٢) في «ج»: بالنفي والقتل.

(٣) في «ج»: مختلطين.

مُكْتَبٌ بِالضَّمِّ، مهل وثبت ليسهل فهمه وحفظه ﴿وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ منجماً على حسب المصالح.

[١٠٧] - ﴿قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا﴾ تهديد لهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ﴾ تعليل له، أي إن لم تؤمنوا به فقد آمن به من هو خير منكم، وهم علماء أهل الكتاب كـ«ابن سلام» وغيره، أو الأعم منهم ومن غيرهم أو تعليل لـ«قل» تسلياً له صلى الله عليه وآله وسلم بإيمان العلماء عن إيمان الجهلاء ﴿إِذَا يُنْزِلُ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ﴾ «يَخْرُونَ لِلْأَذْقَانِ» يسقطون على وجوههم ﴿سُجَّدًا﴾ تذلاً وخضوعاً لله تعالى.

[١٠٨] - ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا﴾ تنزيهاً له عن خلف الوعد ﴿إِنْ﴾ مخففة ﴿كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا﴾ بإنزاله وبعث «محمد» صلى الله عليه وآله وسلم في كتبنا ﴿لَمَفْعُولًا﴾ منجراً، واللام فارقة.

[١٠٩] - ﴿وَيَخْرُونَ لِلْأَذْقَانِ﴾ كرر ايذاناً بتكرير الفعل منهم ولتقيد الثاني بالحال وهي ﴿يَتَكُونُ﴾ من خوف الله ﴿وَيَزِيدُهُمُ الْقُرْآنَ خُشُوعًا﴾ أي لين قلب وتواضعاً لله تعالى.

[١١٠] - ﴿قُلْ اذْعُوا لِلَّهِ أَوْ اذْعُوا لِلرَّحْمَنِ﴾ نزلت حين قال المشركون: ^(١) وقد سمعوه صلى الله عليه وآله وسلم يقول: يا الله يا رحمان: ينهانا ^(٢) أن نعبد إلهين وهو يدعو إلهين، أو قالت اليهود ^(٣): أنك لتقلّ ذكر «الرحمان» وقد اكثره الله في التوراة. ^(٤)

والدعاء بمعنى التسمية، يتعدى إلى مفعولين حذف أوليهما لظهوره، و«أو» للتخيير، والمعنى: سمّوه بأيّ الاسمين، فإنهما سواء في الإطلاق على ذاته ^(٥) ﴿آيَا﴾

(١) في «ب»: المؤمنون.

(٢) في «ج»: نهانا.

(٣) في «ب»: قال اليهود.

(٤) تفسير مجمع البيان ٣: ٤٦٦ عن الضحاك - ونقله البيضاوي في تفسيره ٣: ١٣٠.

(٥) جملة «على ذاته» غير موجودة في «ج».

شرطية وتزويدها عوض عن المضاف إليه ﴿مَّا﴾ صلة، زيدت تأكيداً للإيهام أي: أي هذين الإسمين ﴿تَذَعُّوْا﴾: تسمّوا، فهو حسن ودلّ على ذلك ﴿فَلَهُ﴾ أي للمسمّى بهما ﴿الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ الدّالة على صفات الجلال والإكرام وهذان منها ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ﴾ لا ترفع صوتك بها شديداً بحيث لا تعدّ مصلياً ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ بحيث لا تسمع اذنيك فلا تعدّ قارئاً ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ الجهر والمخافتة ﴿سَبِيلاً﴾ وسطاً. هذا مضمون ما روي عن الصادق عليه السلام في تفسيرها^(١).

وعلم من السّنة أنّ الوسط يشمل الجهر والإخفات المعروفين، وأنّ من الصّلوات ما الأرجح فيه أحدهما في الجملة وأما وجوب التفصيل المشهور فلم يعلم مأخذه.

نعم في الأخبار ما يعطى الوجوب اجمالاً وفيها ما ينفيه وجمع بينهما بحمل الأوّل على الندب وإيد بالأصل أو بحمل التّفني على التّقية، وإيد بالإحتياط.

وقيل: معناه لا تجهر بقراءة صلاتك فيسمعك المشركون فيسبّوك، ولا تسرّ بها فلا يسمع من خلفك، واقصد بين ذلك طريقاً وسطاً^(٢) وفيه مع عدم ظهوره -: منع وجوب الإسماع دائماً.

[١١١] - ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ أي الإلهية ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ﴾ من اجل ذلّ به ليدفعه بموالاته، أي لم يذلّ فيحتاج الى ناصر.

ورتب الحمد على نفي الولد والشريك والمعين بكمال ذاته وتفردّه بنعوت الجلال والإكرام ﴿وَكَثْرَةُ تَكْبِيرِهِ﴾ عظّمه تعظيماً لا يدانيه تعظيم. قيل كان صنّ الله عليه وآله وسلّم يعلم اهله هذه الآية^(٣).

(١) تفسير مجمع البيان ٣: ٤٤٦.

(٢) نقل معناه الطبرسي في تفسير مجمع البيان ٣: ٤٤٦ عن سعيد بن جبّير.

(٣) قاله ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبّير - كما في تفسير مجمع البيان ٣: ٤٤٦.

سورة الكهف

[١٨]

مائة وعشر آيات

مكية إلا ﴿واصبر نفسك﴾ الآية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] - ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ القرآن، رَبِّبَ الحمد على إنزاله

لأنه النعمة الكبرى على العالمين لإنتفاعهم به في امر الدنيا والدين ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ﴾ أي فيه ﴿عِوَجًا﴾ اختلافاً وتنافياً، أو انحرافاً عن الحق .

[٢] - ﴿قِيَمًا﴾ مستقيماً مستوياً لا تناقض فيه، أو: قِيَمًا بمصالح العباد، أو على

الكتب مصدقاً لها، وانتصابه بمقدّر أي جعله قِيَمًا، أو على الحال من «الكتاب» ان كان واو «ولم يجعل» للحال ﴿لِيُذِيرَ بَأْسًا﴾ ليخوف بالكتاب الكفار عذاباً ﴿شَدِيدًا﴾ فحذف المفعول الاول للقرينة ﴿مَنْ لَدُنْهُ﴾ صادراً من عنده، وسكّن «أبو بكر» الدال بإشمام وكسر النون والهاء ^(١) ﴿وَيُيَسِّرُ﴾ وخفّفه «حمزة» ^(٢) ﴿الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ

(١) حجة القراءات: ٤١٢ وكتاب السبعة في القراءات: ٣٨٨ .

(٢) تفسير مجمع البيان ٣: ٤٤٨ .

الصَّالِحَاتِ أَنْ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿١﴾ هو الجنة بدليل :

[٣] - ﴿مَا كَيْفَ فِيهِ أَبَدًا﴾ لا الى نهاية .

[٤] - ﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ كَرَّرَ الإنذار مخصصاً بهم لعظم كفرهم

وحذف المنذر به لسبق ذكره .

[٥] - ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾ أي بهذا القول ، وإنما صدر عن جهل وتقليد ، أو :

بالله اذ لو علموه لم ينسبوا إليه الإتحاذ^(١) ﴿وَلَا لِآبَائِهِمْ﴾ القائلين به من قبلهم

﴿كَبُرَتْ﴾ عظمت مقالتهم هذه ، والضمير مبهم يفتره ﴿كَلِمَةً﴾ وهي تمييز ﴿تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ صفة لها تؤذن بقبحتهم^(٢) إذ نطقوا بها واظهروها ﴿إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ .

[٦] - ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ﴾ قاتل ﴿نَفْسِكَ عَلَى آثَارِهِمْ﴾ بعد توليتهم منك .

﴿إِنْ لَمْ يُوْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ﴾ القرآن ﴿أَسَفًا﴾ حزناً وغصةً لحرصك على إيمانهم ، مفعول له أو مصدر .

[٧] - ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ﴾ من المواليد الثلاثة^(٣) وغيرها ﴿زِينَةً لَهَا﴾

ولأهلها ﴿لِيَبْلُوَهُمْ﴾ نختبرهم ﴿أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ فيه ، وهو الأزهد فيه ومن لا يفتخر به

[٨] - ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا﴾ أرضاً مستوية ﴿جُرْزًا﴾ يابساً لأنبات فيه .

[٩] - ﴿أَمْ﴾ بل أ ﴿حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ﴾ الغار الواسع في الجبل

﴿وَالرَّقِيمِ﴾ اسم الوادي ، أو الجبل الذي فيه كهفهم أو قريتهم أو لوح رقت فيه

قصتهم ، وجعل بالباب .^(٤)

(١) أي اتخاذ صاحبة والولد .

(٢) القح : الجافي من الناس قاموس اللغة .

(٣) المواليد هي الحيوان والنبات والمعادن .

(٤) تفسير القمي ٣١ : ٢ وتفسير العياشي ٣٢١ : ٢ - مع اختلاف يسير ، وتفسير مجمع البيان

٤٥٢ : ٣ عن ابن عباس والضحاك .

وقيل : اصحاب الرقيم ثلاثة نفر، دخلوا غاراً فانحطت صخرة سدّت بابها، فقالوا: لبدع الله كل واحد منا بحسنة عملها، لعله يفرّج عنا، ففعلوا فنجوا^(١) ﴿كَانُوا﴾ في قصّتهم وقد تعجب الكفرة منها فسألوه - صلى الله عليه وآله وسلم - عنها امتحاناً ﴿مِنْ آيَاتِنَا﴾ حال ﴿عَجَبًا﴾ خبر كان أي ما كانوا عجباً دون سائر آياتنا فإن خلق السماوات والأرض وما فيهن أعجب .

[١٠] - ﴿إِذْ﴾ اذكر إذ ﴿أَوَى﴾ التجأ ﴿الْفِتْيَةُ﴾ جمع فتى، كصبي وهو: الشاب الكامل ﴿إِلَى الْكَهْفِ﴾ هرباً بدينهم من دقيانوس، وقد ادعى الربوبية وكانوا من خواصّه ويسرّون الإيمان ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾ مغفرة ورزقاً وأمناً ﴿وَمَقِيَّةٌ﴾ اصلح ﴿لَنَا مِنْ أَمْرِنَا﴾ الذي نحن عليه ﴿رَشَدًا﴾ نكون به راشدين .

[١١] - ﴿فَقَصَرْنَا عَلَىٰ أَذَانِهِمْ﴾ أي أنعمناهم، واصله ضربنا عليها حجاباً يمنع السمع، فحذف المفعول ﴿فِي الْكَهْفِ سِنِينَ﴾ ظرف^(٢) لـ ﴿ضربنا﴾ ﴿عَدَدًا﴾ ذات عدد .

[١٢] - ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ﴾ أبقظناهم ﴿لِنَعْلَمَ﴾ ليظهر معلومنا ﴿أَيُّ الْحِزْبَيْنِ﴾ المختلفين في مدة لبثهم منهم أو من غيرهم والإستفهام^(٣) علّق نعلم فهو مبتدأ، خبره ﴿أَخْصَى﴾ فعل ماض أي اضبط ﴿لَمَّا لَبِثُوا﴾ للبثهم، حال من المفعول وهو ﴿أَمَدًا﴾ غاية .

[١٣] - ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ﴾ بالصدق ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ﴾ شباب ﴿ءَامَنُوا﴾ برّبهم وزدّناهم هُدًى بالتثيت^(٤) .

(١) قاله النعمان بن بشير - كما في تفسير مجمع البيان ٣: ٤٥٢ .

(٢) في جـ « ظرفان .

(٣) في جـ « ولتضمنه الإستفهام .

(٤) في جـ « بالتثيت .

[١٤] - ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ قويناها بالالطاف، فأظهروا الحق وصبروا على المشاق ﴿إِذْ قَامُوا﴾ بين يدي دقيانوس الجبار أو خلف المدينة ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوكَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾ قولاً ذا شطط أي بعد مفرط عن الحق ان دعونا إلهاً غيره.

[١٥] - ﴿هَؤُلَاءِ﴾ مبتدأ ﴿قَوْمُنَا﴾ عطف بيان ﴿اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهًا﴾ خبره ﴿لَوْلَا﴾ ملامة ﴿يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ﴾ على عبادتهم ﴿بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾ بحجة ظاهرة. يفيد بطلان كل دين لا دليل عليه ومنع التقليد ﴿فَمَنْ﴾ أي لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بنسبة الشريك إليه.

[١٦] - ﴿وَإِذْ اعْتَرَّتْهُمُ﴾ قول بعضهم لبعض ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ﴾ ومعبودهم ﴿إِلَّا اللَّهَ﴾ فإنهم كانوا يعبدونه والأصنام ﴿فَأَوَّلُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ يبسطها لكم في الدارين ﴿وَيُهِيمَ﴾ يسهل ﴿لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا﴾ ما ترثفون به أي تتفنون.

قالوا ذلك ثقة بفضلته تعالى وفتح «نافع» و«ابن عامر» الميم وكسر الفاء^(١) وعكس غيرهما.

[١٧] - ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ﴾ لو رأيتها ﴿إِذَا طَلَعَتْ تَرَاوُرُ عَنْ كَهْفِهِمْ﴾ تميل عنه واصلة تتزاور، ادغمت التاء في الزاي، وحذفها الكوفيون، وقرأ «ابن عامر»: «تزوّر» كتحتمر^(٢) ﴿ذَاتِ الْيَمِينِ﴾ ظرف، أي الجهة المستمسة باليمين ﴿وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُ إِلَهُمْ﴾ تقطعهم وتجوزهم ﴿ذَاتِ الشِّمَالِ﴾ فلا نصيبهم فتؤذيهم^(٣) لأن باب الكهف كان مستقبلاً للمقطب الشمالي، فتميل عنهم طالعة وغاربة، أو لأن الله أمالها

(١) حجة القراءات: ٤١٢ والسبعة القراءات: ٣٨٨.

(٢) حجة القراءات ٤١٣.

(٣) جملة فتؤذيهم غير موجود في «ب».

عنهم ﴿وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ﴾ متسع من الكهف، ينالهم روح النسيم ﴿ذَلِكَ﴾ أي ابواؤهم الى الكهف وحفظهم، أو: ميل الشمس عنهم ﴿مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ دلائل قدرته ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ﴾ بلطفه ﴿فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ كأهل الكهف. واثبت «نافع» و«أبو عمرو» «الياء» وصلاً^(١) ﴿وَمَنْ يَضِلْ﴾ يخذله ﴿فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ من يلبه ويرشده.

[١٨] - ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا﴾ لانفتاح عيونهم أو لتقلبهم ﴿وَهُمْ رَمُودٌ﴾ نيام ﴿وَتَقْلِبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾ لثلاثاً تأكلهم الأرض ﴿وَكَلْبُهُمْ﴾ واسمه «قطمير» كلب راع، مرزوا به فتبعهم وتبعه كلبه، أو كلب مرزوا به فتبعهم فطردوه، فقال: أنا أحب اولياء الله، فناموا حتى أحرسكم ﴿بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾ حكاية حال ماضية ولذا عمل ﴿يَالْوَصِيدِ﴾ بفناء الكهف أو العتبة أو الباب، لم ينم ولم يقم.

وقيل هو مثلهم في النوم والتقلب^(٢) ﴿لَوْ اَطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ﴾ ورأيتهم ﴿لَوَلَّيْتَ﴾ هربت ﴿مِنْهُمْ فِرَارًا﴾ مصدر لآتية بمعنى التولية، أو علة^(٣) ﴿وَلَمُلِّتْ﴾ ملئ قلبك، وشدده^(٤) «نافع» و«ابن كثير»^(٥) ﴿مِنْهُمْ رُحْبًا﴾ وضمه^(٦) «ابن عامر» و«الكسائي»^(٧) أي خوفاً لهيبة ألسنهم الله آياها أو لعظم أجرامهم وانفتاح عيونهم.

قال «ابن عباس»: غزا معاوية الروم فمرّ بالكهف فقال: لو كشف لنا عنهم فرأيناهم، فقلت له: قد منع ذلك من هو خير منك، قال تعالى: ﴿لَوْ اَطَّلَعْتَ﴾

(١) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ٥٣ و ٨٢.

(٢) تفسير مجمع البيان ٣: ٤٥٦.

(٣) لم نعثر على مصدره وقائله.

(٤) أي اللام.

(٥) حجة القراءات: ٤١٣ والسبعة القراءات: ٣٨٩.

(٦) أي ضمّ العين.

(٧) تفسير البضاوي ٣: ١٣٦.

الآية ، فلم يقبل فبعث ناساً فدخلوا ، فأتت ريح فاحرقتهم .^(١)

[١٩] - ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما أنماهم^(٢) بقدرتنا ﴿بَعَثْنَاهُمْ﴾ ايظنناهم ﴿لَيْسَانُلُوا يَبْنُهُمْ﴾ عن مدة لبثهم فيعرفوا صنع الله بهم فيزدادوا يقيناً ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ ظناً منهم ، إذ لا ضبط للنائم ، ثم ردوا العلم الى الله بأن ﴿قَالُوا رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ وقيل : دخلوا الكهف غدوة وبعثوا عصرًا^(٣) فظنوه يومهم أو الذي بعده فترددوا فيهما ، فلما رأوا تغير احوالهم قالوا هذا ، ثم أخذوا في مهم آخر وقالوا : ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ﴾ الورق : الفضة مضروبة كانت أم لا ، وسكن الزاء «أبو عمرو» و«أبو بكر» و«حمزة» وكسرهما غيرهم ،^(٤) وترودهم يفيد أنه لا ينافي التوكل ﴿إِلَى الْمَدِينَةِ﴾ افسوس أو طرسوس^(٥) ﴿فَلْيَنْظُرْ آيَاهَا﴾ أي أهلها ﴿أَزْكَى طَعَامًا﴾ حل وأطيب ﴿فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَسَلِّطْ﴾^(٦) في التخفي لثلاث يعرف ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ بفعل ما يوجب الشعور .

[٢٠] - ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا﴾ يطلعوا ﴿عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ﴾ يقتلوكم بالرجم ﴿أَوْ يُعَذِّبُوكُمْ فِي مَلْتَمِهِمْ﴾ من العود بمعنى الرجوع أو الصيرورة ﴿وَلَنْ تَقْلِحُوا إِذَا أَبَدًا﴾ ان عدتم في ملتهم .

[٢١] - ﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي كما انماهم وبعثناهم ﴿أَعْرَضْنَا﴾ اطلعنا ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أهل المدينة .

(١) نقله البيضاوي في تفسيره ٣ : ١٣٦ .

(٢) في «ج» اناهم .

(٣) نقله البيضاوي في تفسيره ٣ : ١٣٦ .

(٤) حجة القراءات : ٤١٣ والسبعة القراءات : ٣٨٩ .

(٥) افسوس بلد بغير طرسوس يقال : هو بلد اصحاب الكهف (مراسد الاطلاع) وفيه ايضاً :

طرسوس مدينة بغير الشام بين انطاكية وحلب وبلاد الروم .

(٦) في هامش الاصل هنا مايلي : نصف القرآن باعتبار الحروف .

قيل لما دخل المبعوث السوق وأخرج درهماً دقيانوسياً، اتهموه بوجدان كنز، فأتوا به الملك وكان نصرانياً عادلاً، فقص عليه قصتهم. فقال بعض: اخبرنا آباؤنا أن فتية فرّوا بدينهم من دقيانوس فلمعلمهم هؤلاء، فانطلق الملك بالناس فلما دنوا من الكهف استوقفهم الفتى ليدخل أولاً، لثلا يفرعوا، فدخل فدعوا الله أن يميتهم، فماتوا وطمس على الباب فلم يره الناس^(١) ﴿لِيَعْلَمُوا﴾ أي المطلقون عليهم ﴿أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بالبعث ﴿حَقٌّ﴾ فَإِنَّ من قدر على انامتهم وإيقاظهم، قدر على الموت والبعث ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ﴾ القيامة ﴿لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ لا شك في امكانها لأنها كإيقاظهم من رقدتهم الطويلة بالنسبة الى قدرة الله تعالى ﴿إِذْ يَتَنَزَّعُونَ مِنْهُمْ أَمْرٌ﴾ أمر دينهم من بعث الأرواح فقط، أو مع الأجساد أو: امر الفتية حين ماتوا بعد الإطلاع عليهم.

فقال بعض: ماتوا، وقال بعض: ناموا كأول مرة، أو في البناء حولهم^(٢) ﴿فَقَالُوا﴾ أي الكفار: ﴿إِنَّمَا هُمْ كُفَّارٌ﴾ ﴿إِنَّمَا هُمْ كُفَّارٌ﴾ حولهم ﴿بُنَيَانًا﴾ يستترهم من الناس ﴿وَرَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾ اعتراض من الله تعالى رداً على المتنازعين على عهدهم أو عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم. أو من المتنازعين إذ لم يتحققوا حالهم فردوه الى الله ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ﴾ أمر الفتية وهم المؤمنون ﴿لَنَجْجِدَنَّ عَنْهُمْ مَسْجِدًا﴾ نصلي فيه، فبنوه في جهة باب الكهف.

[٢٢] - ﴿سَيَقُولُونَ﴾ أي المتنازعون في عددهم في زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: هم ﴿ثَلَاثَةٌ رَأَيْتُهُمْ كُفَّابًا﴾ قاله اليعقوبية^(٣) من نصارى نجران ﴿وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ

(١) تفسير الكشاف ٢: ٧١٢ - مع اختلاف يسير.

(٢) ورد نظيره في تفسير مجمع البيان ٣: ٤٦٠.

(٣) اليعقوبية: فرقة من النصارى اتباع يعقوب البراذعي الذي ظهر في الجيل السادس للمسيح وذهب الى ان في المسيح طبيعة واحدة.

سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴿١﴾ قاله النسطورية^(١) منهم ﴿رَجُمَا بِالْغَيْبِ﴾ ظناً فيما غاب عنهم، مفعول له أو مصدر ويرجع الى القولين ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامَتُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ هو قول أمير المؤمنين، علموه من قول النبي^(٢) صلى الله عليه وآله وسلم بإيحاء الله تعالى إليه لرد القولين الأولين باتباعهما رجماً بالغيب، فتعين الثالث لأصالة عدم رابع، ولزيادة الواو في الجملة الوصفية تأكيداً للصوصق بالصفة بالموصوف ودلالة على ثبوتها، ولإتباعه: ﴿قُلْ رَبِّي﴾ وفتح «الحرميان» و«أبو عمرو» الياء^(٣) ﴿أَعْلَمُ يَعِدْتُهُمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا الْقَلِيلُ﴾ ولا ريب أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من ذلك القليل.

وعن «علي» عليه السلام: أنهم سبعة، أحدهم الراعي وثامتهم كلبهم.

وكذا عن «ابن عباس» وقال: أنا من القليل^(٤) وأما علما ذلك من النبي صلى الله عليه وآله وسلم ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ﴾ لا تجادل في شأن الفتية ﴿إِلَّا مِرَاءَ ظَاهِرٍ﴾ غير متعمق فيه وهو أن تلو عليهم ما أوحى اليك بلا تعنيف ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ ولا تسأل أحداً من أهل الكتاب عن شأن الفتية^(٥) فإنك اعلم بهم بهم منهم^(٦) بما أوحينا اليك أو النهي لغيره صلى الله عليه وآله وسلم فإنه كان واثقاً بخبره تعالى.

[٢٣] - ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ﴾ لأجل شيء تعزم عليه ﴿إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا﴾ أي

فيما يستقبل.

(١) نسطور: اسم رجل من مدينة مرعش كان سنة ٤٣٠ للمسيح وترى في انطاكية، واقيم بطرياً على القسطنطينية، وذهب الى ان في المسيح اثنونين، وانكر بكارة العذراء وكونها والدة الله وانبثاق الروح القدس من الابن - والنسطورية مذهب نسطور - هذا.

(٢) في «ج»: من النبي.

(٣) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ٢٨.

(٤) تفسير مجمع البيان ٣: ٤٦٠ وتفسير التبيان ٧: ٢٧.

(٥) في «ج»: حال الفتية.

(٦) كلمة «منهم» ليست موجودة في «ب».

[٢٤] - ﴿إِلَّا أَنْ﴾ أي بأن ﴿يَشَاءَ اللَّهُ﴾ أي إلّا متلبساً بمشيئته ^(١) قائلًا: ان شاء الله، نهى تأديب له صلى الله عليه وآله وسلم حين سئل عن قصة اصحاب الكهف وذوي القرنين، فقال: اخبركم غداً ولم يستثن، فأحتبس الوحي عنه أياماً حتى شقّ عليه ﴿وَأَذْكُرُ رَبَّكَ﴾ أي مشيئة مستثياً بها ﴿إِذَا نَسِيتَ﴾ الإِسْتِثْنَاء ثم تذكرته.

وعن «ابن عباس»: ولو بعد سنة، ^(٢) وروي ذلك عن ائمتنا عليهم السلام ^(٣).
ويوجه بأنه ليس استثناء من القول السابق حتى يؤثر فيه بل من مقدّر دلّ عليه السابق فهو لمجرد الإمثال، وظاهر الآية لا يأبى ذلك.

أو المعنى: اذكره بالتسبيح والإستغفار إذا نسيت الإستهناء أو اذكره إذا اعتراك نسيان ليدركك المنسى، ولعلّ الخطاب له صلى الله عليه وآله وسلم والمراد غيره لعصمته ﴿وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَا رَبِّي لِقُرْبٍ مِنْ هَذَا﴾ من بناء أهل الكهف ﴿رَشَدًا﴾ أي لما هو اظهر منه دلالة على نبوتي وقد فعل.

[٢٥] - ﴿وَلْيَسِّرُوا فِي كَهْفِهِمْ﴾ نياماً ﴿ثَلَاثَ مِائَةٍ﴾ بالتسوين ﴿يَمِينٍ﴾ بدل من «ثلاثمائة» وازدادوا تسعاً تسع سنين، وهذا بيان ما اجمل قبل من مدة نومهم.

[٢٦] - ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسُوا﴾ فخذوا بما اخبر به ودعوا قول أهل الكتاب.
قيل: سأل يهودي «علياً» عليه السلام عن ذلك، فأخبره بما في القرآن فقال:

(١) في «ب»: اي الإستهناء بمشيئته.

(٢) تفسير مجمع البيان ٣: ٤٦١ وتفسير البيضاوي ٣: ١٣٨.

(٣) تفسير مجمع البيان ٣: ٤٦١.

(٤) الكشف عن وجوه القراءات ٨٢.

(٥) تفسير البيضاوي ٣: ١٣٩ وحجة القراءات: ٤١٤.

في كتبنا ثلاثمائة، فقال عليه السلام: ذاك بسني الشمس وهذا بسني القمر^(١) ﴿لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ له علم ما غاب فيهما، اختص به دون غيره ﴿أَبْصَرُ بِهِ﴾ أي بالله ﴿وَأَسْمَعُ﴾ به، صيغتا تعجب بمعنى: ما أبصره وما اسمعه، أريد بهما المبالغة في ادراكه المبصرات والمسموعات، والهاء فاعل والباء زائدة.

وأصله أبصر أي: صار ذا بصر، فنقل الى صيغة الأمر، فبرز الضمير لزيادة الباء. أو: مفعول والفاعل ضمير المأمور وهو السامع والباء زائدة ان كانت الهمزة للتعدي، ومعديّة ان كانت للvisورة ﴿مَا لَهُمْ﴾ لأهل السماوات والأرض ﴿مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ يتولى أمورهم ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ﴾ في قضائه ﴿أَحَدًا﴾ منهم، وقرأ ابن عامر بالتاء والعزم نهياً لكل أحد.^(٢)

[٢٧] - ﴿وَأَنُتَلِّ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ﴾ من القرآن، فإن فيه الحق من خبر أهل الكهف وغيره ﴿لَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ لا أحد يقدر على تبديلها ﴿وَلَنْ نَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ ملجأ.

[٢٨] - ﴿وَاضْمِرْ نَفْسَكَ﴾ احبسها ﴿مَعَ الَّذِينَ يَدْْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشيِّ﴾ في عامة أوقاتهم، وقرأ ابن عامر بالغدوة.^(٣)

وغدوة علم، فاللام فيه على تأويل تنكيره ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ رضاه لا غير، وهم فقراء المؤمنين ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ ولا يجاوزهم نظرك الى غيرهم من الأغنياء الكفرة، الذين دعوك الى طردهم حتى يؤمنوا، وعدى بـ«عن» لتضمته معنى تنصرف ﴿فَتُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ حال من الكاف أي مريداً مجالسة الأشراف طمعاً في إيمانهم ﴿وَلَا تَطْغَمَنَّ أَغْفَلْنَا قُلُوبَهُ﴾ نسبناه الى الغفلة أو وجدناه غافلاً ﴿عَنْ ذِكْرِنَا﴾ بدلالة ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ بالسواو دون الفاء ﴿وَكَانَ أَمْرُهُ قَرْطًا﴾ متقدماً على

(١) تفسير مجمع البيان ٣: ٤٦٣.

(٢) حجة القراءات: ٤١٥ والسبعة في القراءات: ٣٩٠.

الحق ومنه الفرق .

[٢٩] - ﴿وَقُلِ الْحَقُّ الَّذِيْنَ الْحَقَّ حَصَلَ ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أَوْ هَذَا الْقُرْآنُ هُوَ الْحَقُّ مُتَزَلًّا مِنْ رَبِّكُمْ ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ تهديد لهم ، يفيد أن الله تعالى لا يتفجع بإيمان من آمن ، ولا يستضرب بكفر من كفر ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ﴾ للكافرين ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ فسطاطها .

شبه به النار المحيطة بهم أو دخانها ولها أو حائط من نار ﴿وَأَنْ يَسْتَفِيشُوا﴾ من العطش ﴿يُعَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ﴾ كالتحاس المذاب .

وقيل : ^(١) كدردي الزيت ^(٢) وهذا تهكم ، ^(٣) ﴿يَسْهُوِي الْوُجُوهُ﴾ بحره إذا قرب ليشرب ، صفة أخرى لـ «ماء» أو حال من «المهل» ﴿يَشْسُ الشَّرَابُ﴾ هو ﴿وَسَاءَتْ﴾ النار ﴿مُرْتَفَقًا﴾ متكأ من المرفق ، يقال : ارتفق أي إتكأ على مرفقه ، وهو لمقابلة «وحسنت مرتفقًا» وإلا فأي ارتفاق في النار .

[٣٠] - ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ وخبر «أن» جملة ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ بتقدير عائد ، أي : منهم أو : بوضع الظاهر ^(٤) موضعه أي : أجرهم ، لأنهم أحق بوصف من احسن عملاً ، أو الخير : ^(٥)

[٣١] - ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ وما بينهما اعتراض ، وعلى الأول خبر ثان أو استئناف لبيان الأجر ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ﴾ جمع اسورة وهي جمع ^(٦) سوار «من» للإبتداء ﴿مِنْ ذَهَبٍ﴾ بيان لـ «اساور» ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا

(١) قاله ابن عباس - كما في تفسير مجمع البيان ٣ : ٤٦٦ .

(٢) درددي الزيت : مايبقى راسباً في أسفله من الكدر .

(٣) التهكم : الإستهزاء .

(٤) أي قوله : من أحسن عملاً .

(٥) أي خبر قوله : أن الذين آمنوا . . . ، قوله : أولئك لهم جنات .

(٦) وقال بعض أهل اللغة : أن اساور و اسورة كليهما جمع للسوار .

خُضْرًا» وهي أبهى الألوان «مِنْ سُندُسٍ» مارق من الديباج «وإِسْتَبْرَقٍ» ما غلظ منه «مُتَكَيِّنٌ فِيهَا عَلَى الْأَرَاكِ» كهينة الملكوك، جمع اريكة وهي: السرير في الحجلة وهي بيت زين للعروس «نِعَمَ الثَّوَابِ» الجنة «وَحَسَنَتْ» الأراك «مُرْتَفَقًا» متكأ.

[٢٢] - «وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا» للكافر والمؤمن «رَجُلَيْنِ» بدل، وهما اخوان من بنى اسرائيل كافر ومؤمن، ورثا من ابيهما مالاً، فاشتري الكافر به ضياعاً وعقاراً، وتصدق المؤمن به «جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ» بستانين، والجملة صفة «رجلين» «مِنْ أَعْنَابٍ» كروم «وَحَفَفْنَاهُمَا بِتَخْلٍ» جعلنا النخل مطيفاً بهما والباء لتعديته الى مفعول ثان «وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا رِزْقًا» فهما جامعتان للفواكه والأقوات والمنافع المتواصلة.

[٢٣] - «كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا» ثمرها، وافرد الضمير لإفراد «كلتا» لفظاً «وَلَمْ تَظْلِمِ» تنقص «مِنْهُ» من أكلها «شَيْئًا» بل آذته تماماً «وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا» وسطهما «نَهْرًا» يسقيهما بسهولة ويزيدهما نصارة.

[٢٤] - «وَكَانَ لَهُ» مع جنتيه «ثَمَرٌ» اموال مشمرة نامية، وفتح «عاصم» الثاء والميم وضَمَّ «أبو بكر» الثاء وسَكَنَ الميم وضمَّهما الباقون^(١) وكذا الآتي^(٢) جمع نمرة، كشجر وبدن وخشب لشجرة وبدنة وخشبة «فَقَالَ لِبَصَاحِيهِ» المؤمن «وَهُوَ يُحَاوِرُهُ» يراجعه الكلام من حار، أي: رجع «أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا» رهطاً وولداً.^(٣)

[٢٥] - «وَدَخَلَ جَنَّتَهُ» بصاحبه يريه ما فيها ويفاخره بها،^(٤).

وافرد الجنة لأنهما في حكم الواحدة لتواصلهما «وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ» بكفره «قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ» تفني «هَذِهِ» الجنة «أَبَدًا» اغتراراً بما هو فيه.

(١) حجة القراءات: ٤١٦ ولم نعر على مذهب ابي بكر - وَثُمَّ جَمَعَ ثَمَارَ وَثَمَارَ جَمَعَ الثمر -.

(٢) وهو قوله تعالى «واحيط بشمره» في الآية ٤٢ من هذه السورة.

(٣) في «ج»: رهطاً اوخدماً وولداً.

(٤) كلمة «بها» غير موجودة في «ب».

[٣٦] - ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾ كائنة ﴿وَلَكِنْ رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي﴾ فرضاً كما تزعم ﴿لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا﴾ أي الجنة، وقرأ «الحرميان» و«ابن عامر»: «منهما»^(١) أي الجنتين «مُنْقَلَبًا» مرجعاً، اقسام على ذلك اعتقاداً أنه إنما اعطاء الله ذلك لاستحقاقه له فهو يجده حيث كان.

[٣٧] - ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ﴾ لانه مادة، اصله آدم، أو النطفة^(٢) ﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ هي مادتك القرية ﴿ثُمَّ سَوَّيَكَ﴾ عدلك وكملك ﴿رَجُلًا﴾ رتب انكار كفره بالله على خلقه من تراب المؤذن بأن من قدر على البدء قدر على الإعادة، لأن كفره به تعالى إنما كان بإنكار قدرته على الإعادة.

[٣٨] - ﴿لَكِنَّا﴾ أصله «لكن أنا»، حذفت الهمزة وادغمت التون في النون. واثبت «ابن عامر» الالف^(٣) مطلقاً وغيره وقفاً فقط ﴿هُوَ﴾ ضمير الشأن، يفسره الجملة بعده التي هي خبره والتقدير «أنا أقول هو» ﴿اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ وفتح «الحرميان» و«أبو عمرو» الياء الأخيرة، وياء «فعمسى ربّي» و«لم اشرك برّبّي»^(٤).

[٣٩] - ﴿وَلَوْ لَا﴾ وهلاً ﴿إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتِكَ﴾ وأعجبت بها ﴿قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ الأمر ما شاء الله، وما شاء كائن، ف«ما» موصولة أو أي شيء شاء كان، فهي شرطية، حذف جزاؤها ﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ اعترافاً بأنك إنما عمرتها بأقداره لا بقوتك ﴿إِنْ تَرَنِ﴾ واثبت «ابن كثير» الياء مطلقاً، وقالون و«أبو عمرو»^(٥) وصلاً^(٦) ﴿أَنَا﴾ فصل أو تأكيد للياء ﴿أَقَلُّ مِنْكَ مَالًا وَلَوْلَا﴾ يعضد تفسير التفر بالولد.

(١) حجة القراءات: ٤١٦ - السبعة في القراءات: ٣٩٠.

(٢) آدم بدل أو بيان للأصل وكذلك النطفة.

(٣) تفسير البضاوي ٣: ١٤٢.

(٤) السبعة في القراءات: ٣٩١.

(٥) في «ج»: «ابوحزمة» بدل «ابوعمر».

(٦) السبعة في القراءات: ٣٩١ - وليس فيه «قالون».

[٤٠] - ﴿فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي﴾ واثبت «ابن كثير» الياء مطلقاً و«نافع» و«أبو عمرو» وصلوا^(١) ﴿خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ﴾ عاجلاً وأجلاً وهو جواب الشرط ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا﴾ على جنتك ﴿حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ جمع «حسبانة» وهي سهم صغير يعني: الصواعق. أو: مصدر بمعنى الحساب، أي: الحكم بتخريبها أو عذاب حساب ما كسبت ﴿فَتَصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا﴾ أرضاً ملساء، يزلق عنها القدم.

[٤١] - ﴿أَوْ يُصْبِحُ مَاوْهَا غَوْرًا﴾ غائراً ﴿فَلَن نَّسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا﴾ حيلة تزدده بها.

[٤٢] - ﴿وَأُحِيطَ بِشَمْرِهِ﴾ أهلكتم أمواله وجنته، من احاط به العدو: إذا غلبه واهلكه ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾ تحسراً وندماً ﴿عَلَىٰ مَا أَتَقَفَ فِيهَا﴾ في عمارتها ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾ ساقطة ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ دعائم كرومها، سقطت عليها الكروم ﴿وَيَقُولُ﴾ - للنتبية -: ﴿يَلَيْتَنِي لَمْ أَشْرِكْ بِرَبِّي﴾ ندم على شركه وتاب.

وقيل: لم يندم عليه بل تمنى انه لم يشرك لتدوم له جنته. ^(٢)

[٤٣] - ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ﴾ جماعة، وقرأ «حمزة» و«الكسائي» بالياء^(٣) ﴿يَنْصُرُونَهُ﴾ يمدونه من انتقام الله ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ فإنه وحده القادر على ذلك ﴿وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾ ممتنعاً بقوته.

[٤٤] - ﴿هَٰذَا لَكَ﴾ في ذلك المقام، أو يوم القيامة ﴿الْوَلِيَّةُ﴾ بفتح الواو «النصرة» وكسرهما «حمزة» و«الكسائي»^(٤) أي الملك ﴿لِلَّهِ الْحَقُّ﴾ وحده، لا نصره أو لا ملك لغيره، ورفع «أبو عمرو» و«الكسائي» «الحق» صفة لـ «الولاية»^(٥) ﴿هُوَ خَيْرٌ نُّوَابِتًا﴾

(١) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ٨٢.

(٢) حجة القراءات: ٤١٨ والسبعة في القراءات: ٣٩٢.

(٣) حجة القراءات: ٤١٨.

(٤) تفسير البضاوي ٣: ١٤٢ وحجة القراءات: ٤١٨.

(٥) حجة القراءات: ٤١٩ والسبعة في القراءات: ٣٩٢.

من ثواب غيره لو كان يشيب ﴿وَحَيْرٌ عُقْبًا﴾ عاقبة للمؤمنين، وسكنه «عاصم» و«حمزة» ونصبه على التمييز. ^(١)

[٤٥] - ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ﴾ اذكر لقومك ﴿مَثَلِ الْحَيَةِ الدُّنْيَا﴾ صفتها ﴿كَمَاءٍ﴾ مي كماء، أو: صير مثلها كماء ﴿أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ﴾ فالتف بسببه ﴿نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾ أو امتزج الماء بالنبات، فروى ورق إذ الإختلاط يكون من الجانبين ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا﴾ كسيراً متفتتاً ﴿تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ﴾ تطيره وتذهبه، شبهت نبات اخضر بالماء فيس فتفتت فأذهبه الرياح، وقرأ «حمزة» و«الكسائي»: «الريح» ^(٢) ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ قادراً.

[٤٦] - ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَةِ الدُّنْيَا﴾ يتزين بهما فيها بلا بقاء ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾ الطاعات لله، الباقي ثوابها، وتعم ما فسترت به من الصلوات الخمس، ومودة أهل البيت عليهم السلام، وسبحان الله والحمد لله ولا اله إلا الله والله أكبر ^(٣) ﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾ من المال والبنين ﴿وَحَيْرٌ أَمَلًا﴾ لنيل فاعلها ما يأمله بها.

[٤٧] - ﴿وَيَوْمَ﴾ واذكر يوم ﴿تُسْفَرُ الْجِبَالُ﴾ في الجور كالسحاب، أو نذهب بها فنعدمها، وقرأ «ابن كثير» و«أبو عمرو» و«ابن عامر» بالتاء ^(٤) مبنياً للمفعول ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ لا يسترها جبل ولا غيره، أو بارزاً ما في بطنها ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ﴾ جمعناهم الى الموقف، وجاء ماضياً لتحققه ﴿فَلَمْ نَغَادِرْ﴾ نترك ﴿مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ من الأولين والآخرين.

[٤٨] - ﴿وَعَرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًا﴾ مصطفين لا يحجب بعضهم بعضاً ﴿لَقَدْ

(١) حجة القراءات: ٤١٩.

(٢) حجة القراءات: ١١٨.

(٣) تفسير العياشي ٢: ٣٢٧ مع اختلاف وتفسير مجمع البيان ٣: ٤٧٣-٤٧٤.

(٤) حجة القراءات: ٤١٩ والسبعة في القراءات: ٣٩٣ وتفسير مجمع البيان ٣: ٤٧٣.

حِثُّمُونَا﴾ بتقدير القول ﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي فوادي، عراة لا مال معكم ولا ولد ﴿بَلْ﴾ للخروج من حديث الى آخر ﴿رَزَعْنُمْ﴾ أن مخففة ﴿أَلَنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾ للبعث.

[٤٩] - ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ جنسه، أي صحائف الأعمال في الأيمان والشمائل. أو هو كتابة عن الحسنات ﴿فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُسْفِينِينَ﴾ خائفين ﴿مِمَّا فِيهِ﴾ من السيئات ﴿وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا﴾ هلكتنا، دعاء على انفسهم بالويل ﴿مَا لِهَذَا الْكِتَابِ﴾ أي شيء له، تعجب منه ﴿لَا يُغَادِرُ صَفِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ من سيئاتنا ﴿إِلَّا أَخَصَّاهَا﴾ عذدها وحواهها ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾ مثبناً في الصحف ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ لا يزيد عقاب مسيء ولا ينقص ثواب محسن.

[٥٠] - ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ ذكر القصة تقريراً للتشنيع على أهل الكبر، بأنه من سنن إبليس ﴿كَانَ مِنَ الْغِيَّةِ﴾ استئناف جواب قائل: ما له لم يسجد؟ أو: حال بتقدير «قد».

وسبق القول في إبليس في البقرة^(١) ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ خرج عن طاعته بترك السجود ﴿أَفَتَجِدُونَهُ﴾ اعقيب ما بدا منه، «تخذونه» استفهام انكار وتعجب ﴿وَذَرَيْتُهُ﴾ بنيه أو اتباعه، سموا ذرية^(٢) مجازاً ﴿أُولِيَاءَ مِنْ دُونِي﴾ تطيعونهم بدل طاعتي ﴿وَهُمْ لَكُمْ هَدًى﴾ اعداء ﴿يَنْسِلُ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ من الله، إبليس وذريته.

[٥١] - ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ﴾ ما أحضرت إبليس وذريته ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ﴾ أي لم استعن بهم على ذلك ﴿وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ﴾ وضع موضع الضمير أي متخذهم ﴿عَضُدًا﴾ أعواناً في الخلق، فكيف تطيعونهم.

(١) سورة البقرة: ٢: ٣٤.

(٢) في «ج» ذريته.

[٥٢] - ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ﴾ أي الله للمشركين، وقرأ «حمزة» بالنون ^(١) ﴿نَادُوا شُرَكَائِيَ﴾ اضيف على زعمهم توبيخاً ﴿الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ أنهم شركائي ليشفعوا لكم ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ لم يجيبوهم ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ بين الكفار وآلهتهم ﴿مَوْبِقًا﴾ مهلكاً، يعم جميعهم من «وبق»: هلك، أو جعلنا تواصلهم الذنوبى هلاكاً في الآخرة.

[٥٣] - ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا﴾ أيقنوا ﴿أَنَّهُمْ مُّوَاقِعُوهَا﴾ واقعون فيها ﴿وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ معدلاً.

[٥٤] - ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ يتنا ﴿فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ أي مثلاً من جنس كل مثل يحتاجون إليه ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ﴾ الكافر ﴿أَكْثَرُ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ خصومة بالباطل، وهو تمييز.

[٥٥] - ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا﴾ من الإيمان ﴿إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى﴾ الدلالة البينة ﴿وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ﴾ ومن استغفاره لذنوبهم ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأَوَّلِينَ﴾ إلا طلب أن تأتيهم سننهم من الإهلاك ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ﴾ بالسيف أو في الآخرة ﴿قِيلًا﴾ عياناً، وقرأ «الكوفيون» بضمّتين ^(٢) وهو بمعناه أو جمع قبيل أي انواعاً، حال من «العذاب».

[٥٦] - ﴿وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾ للمطيعين ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ للعصاة ﴿وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ﴾ بإنكار ارسال البشر ونحوه ﴿لِيُذْهِبُوا بِهِ﴾ ليطلبوا ويزيلوا بجذالهم ﴿الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي﴾ أي القرآن ﴿وَمَا أَنْذِرُوا﴾ من النار ﴿هُزُوا﴾ استهزاء.

[٥٧] - ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ﴾ بالقرآن ﴿فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾ فلم يتعظ بها

(١) حجة القراءات: ٤٢٠ والسبعة القراءات: ٣٩٣.

(٢) تفسير مجمع البيان ٣: ٤٧٦.

﴿وَنَبِّىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ ما عمل من الكفر والمعاصي ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ أغطية ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ كراهة أن يفهموا القرآن ﴿وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ صمماً، فلا يسمعون، مثل لنبؤ قلوبهم ومسامعهم عن قبوله .

واسند إليه تعالى ايذاناً بتمكنه منهم كالجبلة ﴿وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ وقد وقع ما اخبر به ، فماتوا كفاراً .

[٥٨] - ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ البليغ المغفرة، مالك الرحمة، ولذلك

أمهل اعداء رسوله صلى الله عليه وآله وسلم كما قال : ﴿لَوْ يَوَازِدُهُمْ يَمًا كَسَبُوا لَعَجَلْ لَهُمْ الْعَذَابُ﴾ في الدنيا ﴿بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ﴾ وهو يوم القيامة ﴿لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْثِقًا﴾ منجى وملجأ، يقال : وأل : نجا، وأل إليه : لجأ إليه .

[٥٩] - ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى﴾ أي أهلها كعاد وثمود وغيرهم ، وهو منصوب بما يفسره

﴿أَفْلَحْنَاهُمْ﴾ أو هما مبتدا وخبر ﴿لَمَّا ظَلَمُوا﴾ كفروا ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ﴾ بضم الميم^(١) أي لإهلاكهم، وفتح «أبو بكر» أي لهلاكهم وكسر «حفص» اللام^(٢) ﴿مَوْعِدًا﴾ وقتاً معلوماً .

[٦٠] - ﴿وَإِذْ﴾ واذكر إذ ﴿قَالَ مُوسَى﴾ هو ابن عمران ﴿لِفَتَاةٍ﴾ يوشع بن نون

بن افرايم بن يوسف عليهم السلام،^(٣) سمى فتاه لأنه كان يتبعه ويخدمه ﴿لَا أَبْرَحُ﴾ لا ازال أسير، حذف الخبر لدلالة حال السفر عليه .

أو لا أزول عما أنا عليه من السير ﴿حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾ ملتقى بحري فارس والروم ﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ أسير دهرًا طويلاً .

(١) في المصحف الشريف بقراءة حفص : «لِمَهْلِكِهِمْ» بفتح الميم وكسر اللام - كما يشير اليه المؤلف .-

(٢) حجة القراءات : ٤٢١ والسبعة القراءات : ٣٩٣ .

(٣) تفسير مجمع البيان ٣ : ٤٨٠ وفي تفسير البيضاوي : «افرايم» .

قيل خطب «موسى» الناس فُسِّل: هل تعلم احداً أعلم منك؟ فقال: لا، فأوحى الله إليه: بل عبدنا الخضر أعلم منك، وهو بمجمع البحرين، فقال «موسى» عليه السلام: كيف لي به؟ قال: تأخذ حوتاً في مِكتل^(١) فحيث فقدته فهو هناك، فقال لفتاه: إذا فقدت الحوت فأخبرني، فمضيا.

[٦١] - ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا﴾ بين البحرين أي موضع اجتماعهما ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ تركاه، أو ضلَّ عنهما، فسَمَّى ضلاله نسياناً له منهما.

وقيل: نسى «موسى» تعرّف حاله ويوشع أن يحمله، أو يذكر لموسى ما رأى من حياته، فإنهما لما أتيا الصخرة ناما واضطرب الحوت المشوّى وخرج من المِكتل وسقط في البحر^(٢) ﴿فَاتَّخَذَ﴾ الحوت ﴿سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾ مسلّكاً، مفعول ثان، و«في البحر» حال منه.

وأصله الشَّقُّ في الأرض لانفاذه له، قيل: امسك الله جرى الماء عن الحوت فصار كالكوّة لا يلتئم.

[٦٢] - ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾ ذلك المكان بالسّير الى وقت الغداء من ثاني يوم ﴿قَالَ لِفَتَاهُ إِنَّا نَاجِدَا غَدَاءَنَا﴾ هو طعام الغداء ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ تعباً: قيل لم ينصب حتّى جاوز الموعد.^(٣)

[٦٣] - ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ﴾ ما وقع ﴿إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ﴾ بذلك المكان ﴿فَلَزَنِي نَسِيتُ الْحُوتَ﴾ تركته أو نسيت ذكر خبره ﴿وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَن أذْكُرَهُ﴾ - بدل اشتغال من الهاء وضمتها «حفص» - ﴿الْحُوتَ﴾ ﴿وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾

(١) المِكتل: الزنبريل.

(٢) تفسير البضاوي ٣: ١٤٧.

(٣) تفسير مجمع البيان ٣: ٤٨١.

(٤) حجة القراءات: ٤٢٢.

مفعول ثان أي سبيلاً يتعجب منه «موسى» وفناه وقبل مصدر، اضمر فعله فتم به كلامه واجابه به «موسى» تعجباً من ذلك، وقيل: اتخذ «موسى» سبيل الحوت عجباً. ^(١)

[٦٤]- ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿ذَلِكَ﴾ أي فقد الحوت ﴿مَا كُنَّا نَبْعُ﴾ نطلبه لأنه علامة لمن نطلبه، وأثبت «ابن كثير» الياء مطلقاً، و«نافع» و«أبو عمرو» و«الكسائي» وصلوا ^(٢) ﴿فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا﴾ فرجعا في الطريق الذي جاء فيه يقصان ﴿قَصَصًا﴾ أي يتبعان آثارهما اتباعاً فاتيا الصخرة.

[٦٥]- ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا﴾ هو الخضر واسمه «بليان بن ملكان» وسمى خضراً لأنه إذا صلى في مكان، اخضر ﴿ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا﴾ نبوة أو ولاية ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِمَّا لَدُنَّا﴾ من قبلنا ﴿عِلْمًا﴾ من علم الغيب.

[٦٦]- ﴿قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَبِعَكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِي﴾ وأثبت «ابن كثير» الياء مطلقاً و«نافع» و«أبو عمرو» وصلوا ﴿مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾ بضم الراء وسكون الشين ^(٣) علماً ذا رشد، يرشدني الى الخير. وقرأ «أبو عمرو» بفتحتين ^(٤) وهما لغتان وهو علة لـ «أتبعك» أو ثاني مفعولي «تعلمني» من علم المتعدي الى واحد، فتعدي بالتضعيف الى اثنين وثاني مفعولي «علمت» العائد المقدر.

ولا يتأني رسالته تعلمه من غيره ما لم يتعلق بأداء ما بعث به من الدين وتواضعه باستيذانه أن يتبعه واستجهاال نفسه وسؤاله أن يرشده دال على فضل العلم وأهله.

[٦٧]- ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ وفتح «حفص» الياء في الثلاث ^(٥) أي يشق عليك الصبر معي، لأنني على علم من الله لا تعلمه، وأنت على علم

(١) تفسير مجمع البيان ٣: ٤٨١ وتفسير اليزاوي ٣: ١٤٨.

(٢) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ٨٣.

(٣) حجة القراءات ٢٢٢ والسبعة في القراءات: ٣٩٤.

(٤) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ٨٢.

منه لا أعلمه.

[٦٨] - ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ أي على ما ظاهره عندك منكرو

ولم تعلم باطنه و«خبراً» تمييز أو مصدر بمعنى «لم تحط به» أي لم تعلم بخبره.

[٦٩] - ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا﴾ على ما أرى منك، وفتح «نافع»

الياء^(١) ﴿وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ تأمرني به، عطف على «ستجدني» أو «صابراً» أي وغير

عاص، وقيد بالمشية للتيمّن أو لتجويزه أن لا يصبر لصعوبة الصبر على ما يخالف

المعتاد فلا خلف.

[٧٠] - ﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي﴾ وشدّد «نافع» و«ابن عامر» النون،^(٢)

وحذف «ابن ذكوان» الياء بخلاف عنه^(٣) ﴿عَنْ شَيْءٍ﴾ تنكره مني ولم تعلم باطنه،

واصبر ﴿حَتَّىٰ أَخَذَتْ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ ابتدئك بتفسيره.

[٧١] - ﴿فَانْطَلَقَا﴾ يمشيان على الساحل ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ﴾ التي مرت

بهما ﴿خَرَقَهَا﴾ «الخضر» بأن قلع لوحاً منها بفأس ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿أَخَرَقْتُهَا لِتُفَرِّقَ

أَهْلَهَا﴾ وقرأ «حمزة» و«الكسائي» «ليفرق»^(٤) بإسناده إلى أهلها ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا

إِمْرًا﴾ عظيماً منكراً، من امر الشيء: عظم.

[٧٢] - ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ فنذكر «موسى»

ما شرط له فاعتذر.

[٧٣] - ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ بنسياني، أو بالذي أو بشيء نسيت أي بما

تركت من وصيتك بأن لا انكر عليك، وقيل: بما غفلت^(٥) ﴿وَلَا تُرْهِقْنِي﴾ تكلفني

(١) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ٨٢.

(٢) حجة القراءات: ٤٢٣.

(٣) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ٨٣.

(٤) حجة القراءات: ٤٢٣ - السبعة في القراءات: ٣٩٥.

(٥) قاله ابن عباس - كما في تفسير مجمع البيان ٣: ٤٨٤.

﴿مِنْ أَمْرِ عُسْرًا﴾ مشقة في اتباعي لك أي عاملني فيه باليسر.
[٧٤] - ﴿فَانْطَلَقَا﴾ بعد ما خرجا من السفينة ﴿حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا﴾ يلعب مع الصبيان ﴿فَقَتَلَهُ﴾ أضجمه فذبحه، أو اقتلع رأسه بيده، أو ضربه برجله فمات ﴿قَالَ أَقْتَلْتُ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾^(١) يغير نفس طاهرة من الذنوب، وقرأ «الكوفيتون» و«ابن عامر» «زكية»^(٢) وهو أبلغ.

وقيل الزاكية: التي لم تذنّب، والزكية التي اذنبت ثم تابت،^(٣)
ونبه بذلك على أنّ القتل أنما يباح حدّاً أو قصاصاً وكلاهما متنف، فإن الغلام كان غير بالغ ولم يذنّب ما يوجب قتله ولم يقتل نفساً فيقاد بها ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ منكراً، وقرأ «نافع» و«أبو بكر» و«ابن ذكوان» بضمّتين.^(٤)
[٧٥] - ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ زاد فيه على ما قبله لتكرّر الإنكار منه، ولم يؤثر فيه التذكير أوّل مرة.

[٧٦] - ﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتَكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا﴾ بعد هذه المرة ﴿فَلَا تُصَاحِبْنِي﴾ فلا تتركني^(٥) اصحبك، وعن «يعقوب» فلا تصحبني^(٦) ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي﴾ من قبلي، وضّم «نافع» داله وخفف نونه و«أبو بكر» سكّن داله وخفف نونه^(٧) ﴿عَذْرًا﴾ في مفارقتك لي حيث خالفتك ثلاثاً.

(١) في المصحف الشريف بقراءة حفص «زكية».

(٢) السبعة في القراءات / ٣٩٥.

(٣) تفسير مجمع البيان ٣: ٤٨٤- وفيه: حكى ذلك عن أبي عمرو بن العلاء.

(٤) حجة القراءات: ٤٢٤- وليس فيه «ابن ذكوان» والسبعة في القراءات: ٣٩٥.

(٥) في «ج» فلا تدعني.

(٦) تفسير مجمع البيان ٣: ٤٨٤.

(٧) حجة القراءات: ٤٢٤- مع اختلاف يسير.

[٧٧] - ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَبَا أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ هي «انطاكية» أو «ايلة»^(١).

وعن «الصادق» عليه السلام: هي «ناصر»^(٢) ﴿اسْتَطَعْتَمَا أَهْلَهَا﴾ سألهم الطعام ضيافة ﴿فَأَتَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهُمَا﴾ يقال: ضافه: نزل به، وضيقه: أنزله. ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ﴾ يقرب أن يسقط، استعير الإرادة للمشاركة بميلانه ﴿فَأَقَامَهُ﴾ دفعه بيده فقام، أو نقضه وبناه. ﴿قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ جعلاً، نسد به جوعنا حيث لم يضيّقونا، وخفف «ابن كثير» و«أبو عمرو» التاء وكسر الخاء، وأظهر «ابن كثير» و«حفص» الذال وأدغمه الباقون^(٣).

[٧٨] - ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ أي هذا الإنكار سبب فراقنا، أو هذا الوقت وقته، واضيف المصدر الى الظرف اتساعاً ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ﴾ بيان باطن ﴿مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ لكون ظاهره منكراً.

[٧٩] - ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ﴾ عشرة اخوة خمسة زمنى،^(٤) وخمسة ﴿يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ﴾ يتكسبون فيه بالسفينة ﴿فَارَدْتُ أَنْ أُهَيِّئَهَا﴾ اجعلها معية ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ﴾ قدامهم أو خلفهم ورجوعهم عليه ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ﴾ صحيحة ﴿غَضَبًا﴾ مقتضى الظاهر أن يتأخر «فاردت أن اعييها» عن، «وكان ورائهم» لأن ارادة التعيب مسبب عن خوف الغضب، لكنه قدّم لأن السبب مجموع الأمرين خوف الغضب ومسكنة الملاك، فرتبه على أقوى الجزئين، وعقبه بالآخر على جهة التثمين.

[٨٠] - ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا﴾ يغشيهما «طغياناً

(١) قاله ابن عباس وابن سيرين - كما في تفسير مجمع البيان ٣: ٤٨٦.

(٢) تفسير مجمع البيان ٣: ٤٨٦.

(٣) حجة القراءات: ٤٢٥ - السبعة في القراءات: ٣٩٦.

(٤) الزمنى جمع زمن، والزمن: من لزمته الزمانة - وهي العاهة وعصم بعضى الأعضاء وتعطيل القوى.

وَكُفْرًا ﴿١﴾ باتباعهما له في طغيانه وكفره لِحَبَّهما له .

وقيل فخشينا قول الله تعالى أي فعلمنا أو فكرهنا .^(١)

[٨١] - ﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا﴾ وشدده «نافع» و«أبو عمرو»^(٢) أي يرزقهما بدله ولدًا ﴿خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً﴾ طهارة وصلاحًا ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ رحمة بأبويه وهو تمييز لـ «زكاة» .

وعن «الصادق» عليه السلام: ابدلهما الله تعالى جارية، فولدت سبعين نبيًا^(٣) .

وضمَّ «ابن عامر» الحاء .^(٤)

[٨٢] - ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا﴾ من ذهب وفضة .

وقيل: من كتب العلم،^(٥) وقيل: لوح ذهب كتب فيه كلمات وعظ^(٦) ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ فحفظا في انفسهما وما لهما بصلاحه، وكان بينهما وبينه سبعة آباء ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَ أَشُدَّهُمَا﴾ أي الحلم وايناس الرشد ﴿وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ﴾ علَّة لـ «اراد» أو مصدر له لأن ارادة الخير رحمة .
ولعل اسناد الارادة أولاً: الى نفسه لما بشرته التعيب .
وثانياً: الى الله وإليه لأن الإبدال بقتله الغلام^(٧) وايجاد الله بدله،^(٨) .

(١) تفسير البضاوي ٣: ١٥٠ .

(٢) حجة القراءات ٤٢٧ والسبعة في القراءات: ٣٩٧ .

(٣) تفسير مجمع البيان ٣: ٤٨٧ .

(٤) حجة القراءات ٤٢٧ .

(٥) قاله ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد - كما في تفسير مجمع البيان ٣: ٤٨٨ .

(٦) قاله ابن عباس والحسن - كما في تفسير مجمع البيان ٣: ٤٨٨ .

(٧) في «ج» بقتل الغلام .

(٨) وردت العبارة في تفسير البضاوي هكذا: لان التبدل بإهلاك الغلام وايجاد الله بدله .

وثالثاً: الى الله وحده لعدم دخله في بلوغ الغلامين ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ﴾ أي ما رأيته متى ﴿عَنْ أَمْرِي﴾ عن رأيي، بل بأمر الله تعالى ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ أي تستطع، حذفت التاء تخفيفاً.

[٨٣] - ﴿وَيَسْأَلُونَكَ﴾ أي اليهود أو قريش ﴿عَنْ ذِي الْقُرْنَيْنِ﴾ هو الإسكندر الرومي، قيل هو نبي، فتح الله على يديه الأرض، ^(١) وقيل ملك عادل. ^(٢)

وعن «علي» عليه السلام: كان عبداً صالحاً، أحب الله فأحبّه، أمر قومه بتقوى الله فضربوه على قرنه بالسيف، فغاب عنهم ثم رجع اليهم فدعاهم الى الله، فضربوه على قرنه الآخر، فذلك قرناه، وفيكم مثله، يعني نفسه عليه السلام. ^(٣)

وروي أنه عنى: «القائم» عليه السلام، وقيل سمى بذلك لأنه ملك فارس والروم. أو المشرق والمغرب أو انقراض في وقته قرنان من الناس أو كان له قرنان أي ظفيران ﴿قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ﴾ من قصته ﴿ذِكْرًا﴾ خبراً.

[٨٤] - ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ﴾ أمره ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ في التصرف فيها كيف شاء ﴿وَأَتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه ﴿سَبِيًّا﴾ طريقاً يوصله الى مراده.

[٨٥] - ﴿فَاتَّبَعَ سَبِيًّا﴾ فأخذ طريقاً نحو المغرب، وقطع «الكوفيين» و«ابن عامر» الألف وخففوا التاء في الثلاث. ^(٤)

[٨٦] - ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ﴾ أي آخر العمارة من جانب المغرب ﴿وَجَدَهَا تُغْرِبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ ذات حمأة، وهي الطين الأسود، وقرأ «ابن عامر»

(١) قاله مجاهد وعبدالله بن عمر - كما في تفسير مجمع البيان ٣: ٤٨٩.

(٢) تفسير مجمع البيان ٣: ٤٩٠ والغارات ٢: ٧٤٠.

(٣) تفسير البياضوي ٣: ١٥١، تفسير مجمع البيان ٣: ٤٩٠ - وفيه: عن الزمهرى واختاره الزجاج.

(٤) تفسير مجمع البيان ظ: ٤٨٩ والنشر في القراءات العشر: ٣١٤.

و«أبو بكر» و«حمزة» و«الكسائي» «حامية»^(١) أي حمئة، فقلبت الهمزة ياء.

أو حارة فلعلها جمعت الوصفين فلا تتنافى القرائتان.

وغروبها في العين وهي البحر المحيط في رأى العين وإلا فهي أعظم منه ولا تزايل الفلك ﴿وَوَجَدَ عِنْدَهَا﴾ عند العين ﴿قَوْمًا﴾ كفارًا ﴿قُلْنَا﴾ بوحى إن كان نبياً وإلا فبالإلهام ﴿يَا ذَا الْقُرْآنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ﴾ القوم بالقتل بكفرهم ﴿وَأِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ بالهداية الى الإيمان، وقيل بالأسر.^(٢)

[٨٧] - ﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ بالإصرار على شركه ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ﴾ أنا ومن معي بالقتل ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ﴾ في الآخرة ﴿فَيُعَذِّبُهُ﴾ بالنار ﴿عَذَابًا مُّكَرَّمًا﴾ منكراً غير معهود.
[٨٨] - ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ فعلته الحسنى.

أو الإضافة ببيانته، ونونه «حفص» و«حمزة» و«الكسائي» منصوباً حالاً^(٣) أي فله المثوبة الحسنى، مجزياً بها، أو مصدراً لفعله المقدر حالاً أي يجزى بها جزاء ﴿وَسَتَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا﴾ ممّا نأمر به ﴿يُسْرًا﴾ ذا يسر أي نأمره بما يسهل عليه.
[٨٩] - ﴿ثُمَّ اتَّبَعَ سَبِيلًا﴾ أخذ طريقاً نحو المشرق.

[٩٠] - ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ﴾ ابتداء العمارة من جانب المشرق ﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا﴾ من لباس، ولا بناء لانهم لم يعلموا صنعة البيوت، أو لأن أرضهم لا تتحمل بناء.

ولهم اسراب يغيبون فيها عند طلوع الشمس ويظهرون عند غروبها.

[٩١] - ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي امرذي القرنين كما حكينا، أو على قوم مثل ذلك القبيل الذين عند مغرب الشمس في الحكم ﴿وَقَدْ أَحْطَيْنَا بِمَا لَدَيْهِ﴾ من الجند والعدة

(١) حجة القراءات: ٤٢٨ والسبعة في القراءات: ٣٩٨.

(٢) تفسير مجمع البيان ٣: ٤٩٠ وتفسير البضاوي ٣: ١٥٢.

(٣) حجة القراءات: ٤٣٠ والسبعة في القراءات: ٣٩٩.

والأسباب ﴿خُبْرًا﴾ علماً.

[٩٢] - ﴿ثُمَّ اتَّيَعَ سَبَّيًّا﴾ طريقاً ثالثاً، أخذاً من الجنوب الى الشمال.

[٩٣] - ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ﴾ وهما جبلان بمنقطع أرض الترك، سدّ

الإسكندر ما بينهما، وضَمَّ السَّيْنِ «نافع» و«ابن عامر» و«حمزة» و«الكسائي» و«أبو بكر»^(١) ﴿وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ أي لا يفهمونه إلا بعد ببطء لغرابة لغتهم.

وضَمَّ «حمزة» و«الكسائي» الياء وكسر القاف^(٢) أي لا يفهمون احداً كلامهم.

[٩٤] - ﴿قَالُوا﴾ - بترجمان -: ﴿يَا أَيُّهَا الْقُرْآنُ إِنَّا يَا جُوجَ وَمَاجُوجَ﴾ اسمان

أعجميان لقبيلتين من ولد «يافث بن نوح» لمنع الصّرف.

وقيل: عريتان من «آج» أي: أسرع، واصله الهمز، وبه قرأ «عاصم»^(٣).

ومنع صرفه للتعريف والتأنيث ﴿مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بالقتل والنهب

والإتلاف.

قيل: كانوا يخرجون الرّبيع فيأكلون كلّ اخضر ويحملون كلّ بابس^(٤).

وقيل يأكلون الناس ومادب^(٥) ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ شيئاً نخرجه من مالنا،

وقرأ «حمزة» و«الكسائي» «خراجاً»^(٦) ﴿عَلَى أَنْ نَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ حاجزاً، فلا

يخرجون علينا، وضَمَّ «نافع» و«ابن عامر» و«أبو بكر»^(٧).

(١) حجة القراءات: ٤٣١ والسبعة في القراءات: ٣٩٩.

(٢) حجة القراءات: ٤٣٢ والسبعة في القراءات: ٣٩٩.

(٣) قاله الكلبي كما في تفسير مجمع البيان ٣: ٤٩٤.

(٤) نقله البضاوي في تفسيره ٣: ١٥٣ - مع اختلاف يسير.

(٥) حجة القراءات: ٤٣٢.

(٦) تفسير البضاوي ٣: ١٥٣ وفيه: قد ضَمَّ (أي سدّاً) من ضمّ «السدين» غير حمزة والكسائي.

[٩٥] - ﴿قَالَ مَا مَكْنِي﴾ وقرأ «ابن كثير» بنونين بلا ادغام^(١) ﴿فِي رَبِّي﴾ من المال والملك «خَيْرٌ» مما جعلتم لي من الخرج، ولا حاجة بي إليه ﴿فَأَعْيُونِي بِقُوَّةٍ﴾ بما اتقوى به من عمل أو آلة ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ حاجزاً حصيناً، متركباً بعضه على بعض.

[٩٦] - ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾ قطعة على قدر الحجارة التي يبنى بها.

ولا ينافي ردّ الخرج والإقتصار على الإعانة، لأنّ إعطاء الآلة من الإعانة لا الخرج أو لأنّ الإتياء بمعنى المناولة بشهادة قراءة «أبي بكر»: «ردماً آتوني»^(٢) بكسر التثوين ووصل الهمزة أي جيئوني، على حذف الباء من «زبر» ﴿حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾ بين جانبي الجبلين، بنضد الزبر وجعل الفحم بينها، وضّم «ابن كثير» و«ابن عامر» والبصريان الحرفين^(٣) وضّم «أبو بكر» الصاد وسكّن الدال^(٤) ﴿قَالَ انْفُخُوا﴾ بالمنافع في النار في الحديد، فنفخوا ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ﴾ أي الحديد ﴿نَارًا﴾ كالنار ﴿قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ نحاساً مذاباً، تنازعه الفعلان، فاعمل الثاني وحذف من الأول، إذ لو اعمل الأول لأضرع في الثاني.

وقرأ «حمزة» و«أبو بكر» قال اتوني^(٥) بوصل الهمزة من المجيء، فافرغ النحاس المذاب على الحديد المحمى، فدخل بين زبره فصار جبلاً صلباً.

[٩٧] - ﴿فَمَا اسْطَاعُوا﴾ بحذف الناء استيقالاً، وادغمها «حمزة» في الطاء^(٦) فجمع ساكنين لا على حدة ﴿أَن يَظْهَرُوهُ﴾ يعلوه لارتفاعه وملاسته ﴿وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ خرقاً لصلابته وثخنه.

(١) حجة القراءات: ٤٣٣.

(٢) حجة القراءات: ٤٣٤.

(٣) حجة القراءات: ٤٣٤ والسبعة في القراءات: ٤٠١.

(٤) السبعة في القراءات: ٤٠١.

قيل : كان ارتفاعه مائتي ذراع وثخنه خمسين .^(١)

[٩٨] - ﴿قَالَ﴾ - ذو القرنين - : ﴿هَذَا﴾ أي السّد والإقدار عليه ﴿رَحْمَةً﴾ نعمة ﴿مِنْ رَبِّي﴾ على عباده ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي﴾ بخروج يأجوج ومأجوج ﴿جَعَلَهُ دَكًّا﴾ مدكوكاً، مَسَوَى بالأرض، مصدر بمعنى مفعول .

ومذه «الكوفيون» غير منتون أي : أرضاً مستوية .^(٢)

قيل : يكون ذلك بعد قتل «عيسى» عليه السلام الدّجال^(٣) ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ كائنًا البتّة، قال تعالى :

[٩٩] - ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ جعلنا بعض يأجوج ومأجوج يوم خروجهم^(٤) ﴿يَمُوجٌ﴾ يختلط ﴿فِي بَعْضٍ﴾ كموج البحر لكثرتهم، أو بعض الخلق الجنّ والإنس يختلط ببعض مضطربين منهم، وبعضه ﴿وَتُفْجَعُ فِي الصُّورِ﴾ القرن لقيام الساعة ﴿فَيَجْمَعْنَاهُمْ﴾ أي الخلائق للجزاء ﴿جَمْعًا﴾ .

[١٠٠] - ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾ أبرزناها لهم .

[١٠١] - ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي﴾ عن آياتي التي يعتبر بها فاذكّر، ﴿وَكَانُوا لَا يَتَنَبَّهُونَ سَمْعًا﴾ أي يمرضون عن استماع ذكرى القرآن بغضاً له فكأنهم صمّ عنه .

[١٠٢] - ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي﴾ الملائكة و«عيسى» وعزيراً ﴿مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ﴾ آلهة، مفعول ثانٍ لـ «يتخذوا» وحذف ثاني مفعول «حسب» للقرينة أي افطنوا اتّخاذهم المذكور نافعا لهم ولا اعاقبهم عليه؟ كلا، وفتح

(١) تفسير مجمع البيان ٣ : ٤٩٥ .

(٢) تفسير البياضوي ٣ : ١٥٣ .

(٣) نقله الطبرسي في تفسير مجمع البيان ٣ : ٤٩٥ .

(٤) في «ج» : بعد خروجهم .

«نافع» و«أبو عمرو» الياء^(١) ﴿إِنَّا أَخَذْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾ أي هبناهما لهم كالشيء المهيأ للضييف.

[١٠٣] - ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ تمييز جمع لمطابقة المميز أو لتنوعه.

[١٠٤] - ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَبِيلُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بطل عملهم لكفرهم وعجبهم، رفع خبر محذوف^(٢) أو جز بدلاً أو نصب ذمًا ﴿وَهُمْ يَخْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُخْسِنُونَ صُنْعًا﴾ عملاً لزعيمهم أنهم على حق.

[١٠٥] - ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ بدلائله من القرآن وغيره ﴿وَلِقَائِهِ﴾ بقاء^(٣) جزائه ﴿فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ بطلت بكفرهم ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾ أي لا نجعل لهم قدراً، بل نهينهم ونعاقبهم.

[١٠٦] - ﴿ذَلِكَ﴾ ذلك المذكور من حبوط أعمالهم واهانتهم، وابتداء ﴿جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ﴾ أو «ذلك» مبتداً والجملة خبره، بتقدير عائد، أي: جزاؤهم به، أو جزاؤهم بدله وجهنم خبره ﴿يَمَّا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُولًا﴾ مهزوءاً بهما.

[١٠٧] - ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ﴾ في علم الله ﴿جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ﴾ هو أعلى درجات الجنة، والإضافة بيانية ﴿نُزُلًا﴾ منزلاً.

[١٠٨] - ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ﴾ يطلبون ﴿عَنْهَا جَوْلًا﴾ تحولاً الى غيرها، إذ لا أطيب منها.

[١٠٩] - ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ﴾ أي ماؤه ﴿مِدَادًا﴾ ما يكتب به، وهو اسم ما يمد به الشيء ﴿لَكَلِمَاتٍ رَبِّي﴾ الذالة على حكمه وعلمه بأن نكتب به ﴿لَتَقِدَّ الْبَحْرُ﴾ لفنى

(١) الكشف عن وجوه القراءات -: ٨٢.

(٢) اي: محله الرفع على الخبر.

(٣) في «ج» عقاب بدل «بلقائه».

في كتابتها ﴿قَبْلَ أَنْ تَنْقَدَّ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾ فإنها لا تنفذ لعدم تنهايتها كعلمه .

وقرأ «حمزة» و«الكسائي» بالياء ^(١) ﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ﴾ أي البحر «مَدَدًا» زيادة فيه لنفذ ولم تنفذ هي ، ونصب تمييزاً .

[١١٠] - ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ﴾ آدمي ﴿مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ أي يوحى إلى وحدانية الإله إذ «ما» الكسافة لم تخرج «أن» عن المصدرية ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ يأمل لقاء جزائه بالبعث ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ خالصاً لله ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ بأن يعبد معه أو يرائيه .

عن «الصادق» عليه السلام في هذه الآية قال : الرجل يعمل شيئاً من الثواب لا يطلب به وجه الله ، إنما يطلب تزكية الناس ، يشتهي أن تسمع به الناس ، فهذا الذي اشرك بعبادة ربه ، ^(٢) الحديث .

وعنه عليه السلام : من قرأها عند النوم يتيقظ في الساعة التي يريد . ^(٣)

(١) حة القراءات : ٤٣٦ .

(٢) تفسير العياشي ٢ : ٣٥٢ وتفسير مجمع البيان ٣ : ٤٩٩ .

(٣) تفسير مجمع البيان ٣ : ٤٩٩ ورواه البيضاوي في تفسيره ٣ : ١٥٥ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

سورة مريم

[١٩]

ثمان أو تسع وتسمون آية

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] - ﴿كَهَيْصَ﴾ أمال «أبو عمرو» «الهاء» و«ابن عامر» و«حمزة» الياء و«أبو بكر» و«الكسائي» كليهما^(١) لأن أَلِفَاتِ اسماء التَّهْجَى ياءَات .

[٢] - ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ﴾ خبر «كهيمص»، ان أوّل بالسّورة أو القرآن أو خير محذوف أي هذا ذكر رحمة ربك ﴿عَبْدُهُ﴾ مفعول «رحمة» ﴿زَكَرِيَّا﴾ بالمد والقصر، بدل أو بيان له .

[٣] - ﴿إِذْ﴾ ظرف لـ «رحمة» ﴿تَادَى رَبُّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ أما لأنّ الدّعاء الخفى أقرب للإجابة، أو: لئلاّ يلام على طلب الولد على الكبير .

[٤] - ﴿قَالَ رَبِّ﴾ تفسير للنداء ﴿إِنِّي وَهَنَ﴾ ضعف ﴿الْعَظُمُ﴾ جنسه ﴿مِنِّي﴾ .
وخصّ العظم لأنّه أساس البدن وأصلب ما فيه ، فإذا وهن ، فالباقي او هن

(١) حجة القراءات : ٤٣٧ والسبعة في القراءات : ٤٠٦ .

﴿وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ تمييز محوّل عن الفاعل، شبه الشيب في بياضه بالنار وانتشاره في الشعر باشتعالها فأبرزه بصورة الإستعارة ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ﴾ بدعائي إياك فيما مضى ﴿رَبِّ شَقِيًّا﴾ خائباً، بل عودتنى الإجابة، فلا تخيبنى بدعائك فيما يأتي .

[٥] - ﴿وَأِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ﴾ الذين يلونني في النسب وهم بنو عمّه ﴿مِنْ وَرَائِي﴾ بعد موتي أن يرثوا مالي فيصرفوه فيما لا ينبغي، إذ كانوا أشراراً، وهو متعلق بمقدّر حالاً مقدرة، أو بالموالي أي الذين يلون الأمر بعدي، وفتح «ابن كثير» الياء^(١) ﴿وَكَاثِرَ امْرِئِي عَاقِرًا﴾ لا تلد ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ ابناً .

[٦] - ﴿يَرْثُنِي﴾ صفته، وحزمه «أبو عمرو» و«الكسائي» جواباً للدعاء^(٢) ﴿وَيَرْثُ﴾ بالقراتين «مِنْ آلِ يَعْقُوبَ» بن ماثان، عمّ «مریم» بنت عمران من ولد سليمان أو يعقوب بن اسحاق ﴿وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ مرضياً عندك .

وهذا ينفي حمل السوراة على وراثة النبوة لشمولها الرضا فما فوقه، فيلغوا طلبه معها فأجاب تعالى دعاءه وقال :

[٧] - ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ﴾ أعجمي أو منقول من فعل^(٣) كـ «يعيش» ﴿لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ لم نسم أحدًا قبله^(٤) بـ «يحيى»، شرفه تعالى بأن تولّى تسميته وخصه باسم لم يسبق إليه .

وقيل : سميّاً مثل كـ ﴿هل تعلم له سميّاً﴾ .^(٥)

[٨] - ﴿قَالَ﴾ تعجباً من خرق العادة - لا من القدرة - : ﴿رَبِّ أَنَّى﴾ كيف ﴿يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ ييساً، وجفافاً وأصله

(٢٥١) حجة القراءات : ٤٣٨ .

(٢) في «ب» : عن فعل .

(٤) في «ج» : لم يسمى أحد قبل .

(٥) في الآية (٦٥) من هذه السورة .

عتو، كسرت التاء تخفيفاً وقلبت الواو الاولى ياء لمناسبة الكسرة والثانية ياء لتدغم.
 قيل: كان له تسع وتسعون سنة^(١) ولإمراته ثمان وتسعون سنة، وكسر «حمزة»
 و«الكسائي» و«حفص» و«أونل» «عتياً»^(٢) و«صلياً»^(٣) و«جثياً»^(٤) وكذا «بكياً»^(٥) للآخرين
 وضمّ الباقيون كلها.

[٩] - «قَالَ» الله أو الملك: «كَذَلِكَ» الأمر كذلك من خلق الغلام منكما
 «قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ» بأن اراد عليك قوة الجماع وافتنى رحم امرأتك بالولد «وَقَدْ
 خَلَقْنَكَ» وقرأ «حمزة» و«الكسائي»: «خَلَقْنَاكَ»^(٦) «مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا» موجوداً.
 ألهمه الله تعالى السؤال ليجاب بما يدل على كمال قدرته.

[١٠] - «قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً» علامة لوقت الحمل، وفتح «نافع»
 و«أبو عمرو» «الياء»^(٧) «قَالَ آيَتُكَ الْأُتُكْلِمَ النَّاسَ» لا تقدر على
 تكليمهم، اي: نجس لسانك إلا عن ذكر الله وشكر نعمته «ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا» سليماً
 بلا آفة، وتدخل الأيام كما في آل عمران «ثلاثة أيام»^(٨).

[١١] - «فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ» من المصلى «فَأَوْحَى» أوحى
 «إِلَيْهِمْ» وقيل: كتب لهم في الأرض^(٩) «أَنْ» مفسرة أو مصدرية «سَبِّحُوا» صلوا

(١) قاله قتادة - كما في تفسير مجمع البيان ٥٠٥: ٣.

(٢) في الآية (٨) من هذه السورة وينظر حجة القراءات: ٤٣٩ وتفسير البيضاوي ١٥٦: ٣.

(٣) في الآية (٧٠) من هذه السورة.

(٤) في الآية (٦٨) من هذه السورة.

(٥) في الآية (٥٨) من هذه السورة.

(٦) حجة القراءات: ٤٣٩.

(٧) الكشف عن وجوه القراءات ٩٤: ٢.

(٨) سورة آل عمران: ٤١ / ٣.

(٩) قاله مجاهد - كما في تفسير مجمع البيان ٥٠٥: ٣.

أو نزهوا الله ﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ طرفي النهار.

كان يخرج اليهم فيأذن لهم بالصلاة معه، فلمّا اعتقل لسانه خرج على عادته فأذن لهم بغير كلام، فعلموا وقوع الحمل بـ «يحيى».

[١٢] - ﴿يَا يَحْيَىٰ﴾ أي فوهبناه له وقلنا: يا يحيى ﴿خُذِ الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿بِقُوَّةٍ﴾ بجِدِّ ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ﴾ النبوة، أو فهم التوراة ﴿صَبِيًّا﴾ ابن ثلاث سنين.^(١)

[١٣] - ﴿وَحَنَانًا مِّنَ لَّدُنَّا﴾ ورحمة منّا عليه أو على العباد، عطف على «الحكم» ﴿وَزَكَاةً﴾ عملاً زاكياً، أو زكياه بالثناء عليه، أو صدقة منّا على أبيه أو على الناس ﴿وَكَانَ نَفِيًّا﴾ مطيعاً، لم يهّم بخطيئة.

[١٤] - ﴿وَبَرًّا﴾ باراً ﴿بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا﴾ متكبراً ﴿عَصِيًّا﴾ عاصياً لزبه.

[١٥] - ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ﴾ من الله ﴿يَوْمَ وُلِدَ﴾ من عبث الشيطان به ﴿وَيَوْمَ يَمُوتُ﴾ من عذاب القبر ﴿وَيَوْمَ يُنْعَثُ حَيًّا﴾ من هول المطلع والنار.

وهذه اخوف أيام الإنسان إذ يرى فيها ما لم يره قبلها فهو آمن فيها.

[١٦] - ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ﴾ القرآن ﴿مَرْيَمَ﴾ أي قصتها ﴿إِذْ انْتَبَذَتْ﴾ اعتزلت، بدل اشتغال من «مريم» لاشتغال الوقت على ما فيه ﴿مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ في مكان نحو المشرق من بيت المقدس، أو: من دارها.

[١٧] - ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا﴾ سترأ يسترها لتفلى رأسها^(٢) أو تغسل ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ جبرائيل فإنّ به حياة الدّين، والإضافة للتشريف ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ في صورة شاب تام الخلق لتسانس بكلامه.

[١٨] - ﴿قَالَتْ إِنِّي﴾ وفتح «الحرميّان» و«أبو عمرو» الياء^(٣) ﴿أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ﴾

(١) قاله ابن عباس - كما في تفسير مجمع البيان ٣: ٥٠٧.

(٢) فلي الرأس: تنظيفه وتنقيته من القمل.

(٣) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ٩٤.

إِنْ كُنْتَ نَجِيًّا ﴿١٩﴾ تَتَّقِي اللَّهَ وَتَرْتَدِعُ بِالِاسْتِعَاذَةِ ، فَإِنِّي عَائِذَةٌ بِكَ مِنْكَ أَوْ فَاتَعِظْ بِتَعْوِذِي .

[١٩] - ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ﴾ لَأَكُونَ سَبِيًّا لِلَّهِ بِالنَّفْعِ فِي الدَّرْعِ ،

وَقِرْأُ «ورث» و«أبو عمرو» بالياء ^(١) ﴿عَلَّامًا زَكِيًّا﴾ طَاهِرًا مِنَ الْإِنْسَانِ .

أَوْ نَامِيًّا عَلَى الْخَيْرِ أَوْ نَبِيًّا .

[٢٠] - ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ﴾ بِالْحَلَالِ ﴿وَلَمْ أَكُ يَتِيمًا﴾

زَانِيَةٌ وَهُوَ فِعْلٌ مِنَ الْبَغْيِ ، قَلْبَتْ وَأَوْهَ يَاءُ وَادْغَمَتْ وَكَسَرَتْ الْغَيْنَ .

[٢١] - ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَلَنَجْعَلَ لَكَ﴾ أَيِ نَخْلَةٍ لِنَبِيٍّ بِهِ قُدْرَتُنَا

وَلَنَجْعَلَ لَكَ ﴿آيَةً لِلنَّاسِ﴾ عِلَامَةً لَهُمْ عَلَيْهَا ﴿وَوَرَحْمَةً مِنَّا﴾ لِمَنْ يُؤْمِنُ بِهِ ﴿وَكَانَ﴾ خَلَقَهُ

﴿أَمْرًا مُّضِيًّا﴾ قَضَى اللَّهُ بِهِ فِي عِلْمِهِ .

[٢٢] - ﴿فَحَمَلْنَاهُ﴾ بِأَنْ نَفَخَ فِي جِيبِ دَرْعِهَا فَاحْتَسَتْ بِالْحَمْلِ ﴿فَانْتَبَذَتْ بِهِ﴾

تَنَحَّتْ بِالْحَمْلِ ﴿مَكَانًا قَصِيًّا﴾ بَعِيدًا مِنْ أَهْلِهَا حَيَاءً مِنْهُمْ ، وَكَانَتْ مَدَّةَ حَمْلِهَا

تِسْعَ سَاعَاتٍ . ^(٢)

وَقِيلَ : سِتَّةَ أَشْهُرٍ ^(٣) وَقِيلَ : ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ ^(٤) وَقِيلَ : سَاعَةً وَسِتِّهَا عَشْرَ سَنِينَ ^(٥)

أَوْ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً .

[٢٣] - ﴿فَأَجَاءَهَا﴾ أَلْجَأَهَا ، نَقَلَ مِنْ جَاءَ وَخَصَّ بِمَعْنَى الْإِلْجَاءِ ﴿الْمَخَاضُ﴾

الطَّلَقُ أَيِ وَجَعَ الْوِلَادَةِ ﴿إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ سَاقِهَا لِتَسْتَنْدَ إِلَيْهِ ، وَاللَّامُ لِلْجِنْسِ أَوْ

الْعَهْدِ إِذْ لَمْ يَكُنْ سِوَاهَا هُنَاكَ ، وَكَانَتْ شَجَرَةٌ لَا رَأْسَ لَهَا ، وَلَعَلَّهَا ارْتَدَتْ إِلَيْهَا لِتَطْعَمَ

الرَّطْبَ الْمَوَافِقَ لِلنِّسَاءِ ، وَتَرَى مِنَ الْآيَاتِ مَنْ تَطْمَئِنُّ بِهِ ﴿قَالَتْ﴾ اسْتَحْيَاءً مِنَ النَّاسِ

أَنْ يَتَّهِمُوهَا لِلتَّبَيُّهِ : ﴿يَلْبِسُنِي مِثُّ قَبْلِ هَذَا﴾ الْأَمْرُ ﴿وَكُنْتُ نِسِيًّا﴾ بِالْكَسْرِ ، مَا مِنْ حَقِّهِ

(١) حجة القراءات : ٤٤٠ .

(٢) تفسير مجمع البيان ٣ : ٥١١ .

(٣) قاله ابن عباس - كما في تفسير مجمع البيان ٣ : ٥١١ .

أن ينسى ويترك، وفتح «حمزة» و«حفص» ^(١) ﴿مَنْسِيًّا﴾ متروكاً لا يذكر.

[٢٤] - ﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا﴾ عيسى وقيل: جبرائيل ^(٢) وقرأ «نافع» و«حفص» و«الكسائي» بالكسر والعجز ^(٣) وفاعل «نادى» ضمير أحدهما ^(٤) ﴿أَلَا﴾ بأن لا، أو: أي لا ﴿تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ جدولاً، ضرب «عيسى» برجله أو جبرائيل، فظهر ما يجرى، وقيل: شريفاً وهو عيسى. ^(٥)

[٢٥] - ﴿وَهَمَزَى إِلَيْكَ بِجُنْعِ النَّخْلَةِ﴾ حركه بجذب ودفع، والباء زائدة، أو أفعلى الهزبه ﴿تَسَاقَطَ عَلَيْكَ﴾ تساقط، ادغمت التاء الثانية في السين وحذفها «حمزة» وضم «حفص» التاء من ساقطت ^(١) بمعنى: اسقطت ﴿رُطْبًا﴾ تمييزاً ومفعول ﴿جَنِيًّا﴾ طرياً وكان الجذع يابساً بلا رأس ولا ثمر، والوقت شتاء فأورق وأثمر وتساقط الرطب. [٢٦] - ﴿فَكُلِي﴾ من الرطب ﴿وَأَشْرَبِي﴾ من السرى ^(٢) ﴿وَقَرَى عَيْنًا﴾ بالولد، تمييز محوّل عن الفاعل أي لتقرّ عينك به وتسكن سروراً برويته، فلا تطمع الى غيره. جمع لها في الرطب والسرى الأكل والشرب والتسليه بما فيهما من المعجزات المنزهة لها ﴿فَإِمَّا﴾ ان الشرطية ادغمت في «ما» الزائدة ﴿تَرَيْنَ﴾ اصله تراين، حذفت الهمزة ولام الفعل وكسرت ياء الضمير لالتقاء الساكنين ﴿مِنْ الْبَشَرِ أَحَدًا﴾ يسألك عن ولدك ^(٣) ﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ امساکاً عن تكليم الأناسي بدليل: ﴿فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ أَنْسِيًّا﴾ بعد اخباري بنذري.

(١) حجة القراءات: ٤٤١ والسبعة في القراءات: ٤٠٨.

(٢) قاله السدي وقتادة والضحاك - كما في تفسير مجمع البيان ٥١١: ٣.

(٣) حجة القراءات: ٤٤١.

(٤) قاله الحسن وابن زيد والجبائي كما في تفسير مجمع البيان ٥١١: ٣.

(٥) حجة القراءات: ٤٤٢.

(٦) السرى: الجدول وقد مر ذكره آنفاً.

(٧) في «ج»: عن ذلك.

وقيل : اخبرتهم به بالإشارة ، وامرت بذلك لكرهاته الجدال والإكتفاء بكلام
« عيسى » الأقوى في نفي التهمة .^(١)

[٢٧] - ﴿فَأَنْتَ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ﴾ حال عنها أو عنه أو عنهما ﴿قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ
جِئْتِ شَيْئًا فَرِيئًا﴾ منكراً عظيماً ، إذ ولدت من غير زوج .

[٢٨] - ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ﴾ هو رجل صالح ، كان في زمانهم ، شبهوها به نهكماً .
أو : طالح شتموها به ، أو : هو أخو « موسى »^(٢) لأنها من ولده وكان بينهما الف
سنة^(٣) ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ﴾ زانياً ﴿وَمَا كُنْتَ أُمًّا بَغِيًّا﴾ زانية ، فكيف
أتيت بولداً ؟ .

[٢٩] - ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾ الى « عيسى » أن كلموه ليجيبكم ﴿قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ
كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ « كان » بمعنى صار ، أو تامة أو زائدة ، والظرف صلة « مَنْ »
و« صبيّاً » حال من المستكن فيه .

[٣٠ - ٣١] - ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ انطقه الله به - أولاً - رداً على من يزعم ربوبيته
﴿إِنِّي الْكَتَّابُ﴾ الإنجيل ، وسكن « حمزة » الياء^(٤) ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ * وَجَعَلَنِي
مُبَارَكًا﴾ نفاعاً معلماً للخير .

اكمل الله عقله واستنبأه طفلاً ، أو اخبر بما كتب له أو جعل المحقق وقوعه
كالواقع ﴿إِنِّ مَا﴾ حيث ﴿كُنْتُ وَأَوْصَانِي﴾ أمرني ﴿بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾ الصدقة أو
تطهير البدن من الآثام ﴿مَا ذُمْتُ حَيًّا﴾ .

[٣٢] - ﴿وَبَرًّا﴾ وجعلني باراً ﴿بِوَالِدَتِي﴾ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا﴾ متكبراً ﴿شَقِيًّا﴾

(١) تفسير البيضاوي ٣ : ١٥٨ و ١٥٩ .

(٢) في « ج » : أو أخو موسى .

(٣) تفسير مجمع البيان ٣ : ٥١٢ عن ابن عباس وقتادة و . . . وعن سعيد بن جبير مع اختلاف يسير

- ينظر تفسير البيضاوي ٣ : ١٥٩ .

(٤) الكشف عن وجوه القراءات ٢ : ٩٤ .

عاصياً لربي .

[٣٣] - «وَالسَّلَامُ عَلَيَّ» من الله «يَوْمَ وَلَدْتُ وَيَوْمَ أُمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا» فسر في قصّة «يحيى»^(١) والتعريف للعهد أو للجنس : والتعريض بأنّ ضده وهو اللعن على أعدائه .

[٣٤] - «ذَلِكَ» الذي وصفناه هو: «عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ» لا ما تصفه النصارى «قَوْلُ الْحَقِّ» خبر محذوف، أي هذا الكلام قول الحق، والإضافة بيانية أو صفة «عيسى» أو بدله، ومعناه كلمة الله ونصبه «عاصم» و«ابن عامر» مصدرًا بتقدير قلت «الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ» يشكون، فقالت اليهود: ساحر، وقالت النصارى: ابن الله.^(٢) [٣٥] - «مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ» زيدت «مِنْ» لتأكيد النفي «سُبْحَانَهُ» تنزيهاً له عن ذلك «إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» فهو يكون، ومن ذلك خلق «عيسى» من غير أب .

[٣٦] - «وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ» فسّر في آل عمران^(٤) وكسر «الكوفيين» و«ابن عامر»: «إِنْ» وفتحها غيرهم.^(٥) [٣٧] - «فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ» اليهود والنصارى، أو فرق النصارى، يعقوبية قالت: هو الله، ونسطورية قالت: هو ابن الله، وملكانية فسالت: هو ثالث ثلاثة^(٦) وقيل: هذا قول الاسرائيلية^(٧) .

(١) قد مرّ في تفسير الآية (١٥) من هذه السورة .

(٢) حجة القراءات: ٤٤٣ .

(٣) تفسير مجمع البيان ٣: ٥١٣ .

(٤) عند تفسير الآية (٥١) من سورة آل عمران .

(٥) تفسير مجمع البيان ٣: ٥١٤ .

(٦) قاله قتادة - كما في تفسير مجمع البيان ٣: ١٤ هـ .

(٧) قاله مجاهد - كما في تفسير مجمع البيان ٣: ١٤ هـ .

وامّا الملكانية^(١) فقالوا: هو عبد الله ونبيّه ﴿قَوْلٌ﴾ شدة عذاب ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بقولهم في عيسى ﴿مِنْ مَّشْهَدٍ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ من حضورهم يوم القيامة وهوله العظيم، أو وقت حضورهم أو مكانه فيه .

أو: من شهادة ذلك اليوم بأن تشهد عليهم الأنبياء والملائكة وجوارحهم فيه بالكفر. أو: من وقت الشهادة أو مكانها .

[٢٨] - ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ أي ما اسمهم وابصرهم ﴿يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ في الآخرة ﴿لَكِنِ الظَّالِمُونَ﴾ اقيم مقام الضمير ﴿الْيَوْمَ﴾ أي في الدنيا ﴿فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ بين .
والمعنى ان سمعهم وابصارهم في الآخرة جديران بأن يتعجب منهما بعد أن كانوا في : الدنيا صتاً وعمياً عن الحق .

[٢٩] - ﴿وَأَنْذَرُكُمْ﴾ خوف كفار مكة ﴿يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ هو يوم القيامة، يتحسر المسىء فيه، هلاً احسن العمل ﴿إِذْ قَضَى الْأَمْرُ﴾ فرغ من الحساب وادخل قوم الجنة وقوم النار، واذ بدل من «يوم» ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ حال متعلقة به «انذرهم» تعطي التعليل أو بقوله : «في ضلال مبين» وما بينهما اعتراض .

[٤٠] - ﴿إِنَّا نَحْنُ﴾ تأكيد ﴿نَرْثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ من العقلاء وغيرهم بأن نهلكهم، فلا يبقى فيها مالك ولا ملك [لأحد]^(٢) «غيسرنا» ﴿وَالِئِنَّا يَرْجِعُونَ﴾ يردون للجزاء .

[٤١] - ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا﴾ مبالغاً في الصدق، أو كثير التصديق للحق ﴿نَبِيًّا﴾ لله .

(١) الملكانية أو الملكية فهم طائفة من النصارى، لقبوا به لاتباعهم الملك وتطلق غالباً على تبعة الكنيسة الرومانية من الروم .

(٢) زيادة اقتضاها السياق . وفي تفسير البضاوي ٣ : ١٦١ : لا تبقى لأحد غيرنا عليها وعليهم ملك ولا ملك .

[٤٢] - ﴿إِذْ قَالَ﴾ بدل من «إبراهيم» وما بينهما اعتراض ﴿لِإِبْرَاهِيمَ﴾ أزر وهو عمّه .
أو جدّه لأمه ، سَمَى أباً مجازاً ﴿يَا أَبَتِ﴾ التاء عوض عن ياء الإضافة ولذا لا
يجتمعان وفيها استعطف ، ولذا كررت ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا﴾ أي الذي ، أو معبوداً ﴿لَا يَسْمَعُ
وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ﴾ لا يكفيك ﴿شَيْئاً﴾ من جلب نفع ودفع ضرر .

حاول هدايته فبين ضلاله بأبلغ حجة وأرق أسلوب ، إذ لم يصرح به بل طلب
العلّة الدّاعية له الى عبادة أخس الموجودات وهو الجماد مع أنّ العقل التسليم يأبى
عبادة كلّما شاركه في الإمكان والحاجة ، وإن كان أشرف الممكنات كالأنبياء
والملائكة فضلاً عن اختسائها كالجماد ، إذ العبادة غاية التعظيم ولا تحقق إلا
للوّاجب الغني المنعم السميع البصير العليم القدير .

[٤٣] - ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا﴾ أي شيء ﴿لَمْ يَأْتِكَ﴾ لم يسمّه
بفرط الجهالة ولا نفسه بكمال العلم ، بل جعل نفسه كذي معرفة بالدلالة في مفارقة^(١)
دونه ﴿فَأَنبِئْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً﴾ طريقاً مستقيماً .

[٤٤] - ﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ﴾ أي لا تطعه في عبادة الأصنام ، فتكون كمن
عبده ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ﴾ المولى للنعم كلّها ﴿عَصِيّاً﴾ عاصياً ، فالمطيع له
عاص والعاصي حزى بسلب النعمة واستحقاق النّعمة كما أنّه عليه قوله :

[٤٥] - ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ ذكر الخوف والمسّ
ونكر العذاب مجاملة ، أو تجويزاً لتوبته ، وفتح «الحرميّان» و«أبو عمرو» الباء^(٢)
﴿فَتَكُونَنَّ لِلشَّيْطَانِ وَلِيّاً﴾ لاحقاً في اللّعن ، أو قريناً في النار .

[٤٦] - ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ إِلَهِي يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ قابل ملاطفاته بالفضاضة ،
فقدّم الخبر على المبتدأ مصدراً بالهمزة لإنكار رغبته مع تعجب .

(١) في «ب» على مفارقة .

(٢) الكشف عن وجوه القراءات ٢ : ٩٤ .

وناداه باسمه ولم يقابل يا أبت ، بـ «يا بني» وآخره ثم هدده بقوله : ﴿لَنْ نَمَسَّهُ﴾
عن التعرض لها ﴿لَا رَحْمَتَكَ﴾ بالحجارة أو بالشتم ، فاحذرني ﴿وَأَهْجُرْني مَلِيًّا﴾
دهراً طويلاً .

[٤٧] - ﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ﴾ سلام ترديع ومهاجرة أي لا اصيبك بمكروه
﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾ بأن يوفقك لما يوجب مغفرته ، وفتح «نافع» و«أبو عمرو»
الياء ^(١) ﴿إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ باراً لطيفاً .

[٤٨] - ﴿وَأَعِزِّ لَكُمْ﴾ اجانبكم ﴿وَمَا تَذْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي﴾
أعبداه ﴿عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي﴾ بعبادته ﴿شَقِيًّا﴾ خائباً مثلكم في دعاء الأصنام ،
و«عسى» للتواضع .

[٤٩] - ﴿فَلَمَّا افْتَرَقْلَهُمْ وَمَا يَغْبُذُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ بالهجرة الى الشام ﴿وَوَعَيْنَا لَهُ﴾
إسحق وَيَعْقُوبَ ﴿عَوْضاً عَمَّنْ فَارَقَهُمْ﴾ وَكَلًّا ﴿مِنْهُمَا أَوْ مِنْهُمْ﴾ جَعَلْنَا نَبِيًّا .

[٥٠] - ﴿وَوَعَيْنَا لَهُمْ﴾ للثلاثة ﴿مِنْ رَحْمَتِنَا﴾ نعم الدين والدنيا ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ﴾
لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿ثَنَاءً حَسَنًا رَفِيعاً فِي جَمِيعِ أَهْلِ الْأَدْيَانِ﴾ عبّر باللسان عما يوجد به .

[٥١] - ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلِصًا﴾ أخلص عبادته أو نفسه لله
وحده ، وفتح «الكوفيين» ^(٢) على أن الله أخلصه ﴿وَوَكَانَ رَسُولًا﴾ من الله الى الناس
﴿نَبِيًّا﴾ ينبئهم عنه ، وهو أعم من الرسول ، وآخر لتأخر الإنباء عن الإرسال وللفاصلة .

[٥٢] - ﴿وَتَأَذِّنْ لَهُمْ﴾ بـ «يا موسى إني أنا الله» ^(٣) ﴿مِنْ جَانِبِ الطُّورِ﴾ جبل
بالشام ﴿الْأَيْمَنِ﴾ الذي يلى يمين موسى ، أو الميمون من اليمين ﴿وَقَرَّبْنَاهُ﴾ تقريب
كرامة ﴿نَجِيًّا﴾ مناجياً ، شبهه بمن قرّبه الملك لمناجاته .

[٥٣] - ﴿وَوَعَيْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا﴾ من أجل نعمتنا أو بعضها ﴿أَخَاهُ﴾ أي موازنة

(٣) سورة طه : ٢٠ / ١٤ .

(١) الكشف عن وجوه القراءات ٢ : ٩٤ .

(٢) حجة القراءات : ٤٤٤ - والقراءة لعاصم وحزمة والكسائي .

أخيه اجابة لدعوته ﴿وَجَعَلَ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي﴾^(١) إذ كان أسنّ من «موسى» وهو مفعول أو بدل ﴿هُرُونَ﴾ عطف بيان له ﴿نَبِيًّا﴾ حال تدلّ على المقصود بالهبة .

[٥٤] - ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾ إذا وعد شيئاً وفي به ،

وقد وعد الصبر على الذبح فوفى ، وانتظر من وعده سنة حتى أتاه وهو في مكانه^(٢) ﴿وَكَانَ رَسُولًا﴾ الى «جرهم»^(٣) بشريعة أبيه ابراهيم .

ويفيد أنه قد لا يكون الرسول صاحب شريعة ﴿نَبِيًّا﴾ .

[٥٥] - ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾ يبدأ بإصلاح من هو أقرب إليه لآته

الاهم [كما قال تعالى :]^(٤) ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ .^(٥) ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَاهْلِيكُمْ نَارًا﴾^(٦) وقيل : أهله : امته^(٧) ﴿وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ في أفعاله وأقواله ، وأصله بواوين ، قلبتا يائنين ، والضمة كسرة .

[٥٦] - ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ﴾ هو جدّ أبي نوح ، أعجمي لمنع صرفه .

وقيل : من الدرس لكثرة دراسته كتاب الله ،^(٨) ولعلّ معناه بالعجميّة قريب من

ذلك ، واسمه «اخنوخ» والمنجمون يسمونه «هرمس» وهو أوّل من خطّ بالقلم وخطّ الثياب ونظر في علم الهيئة والحساب ﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ .

(١) سورة طه : ٢٩/٢٠ .

(٢) وفي بعض التفاسير : ان اسماعيل صادق الوعد هو غير اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام .

(٣) قبيلة عربية قديمة ، قيل : انها جاءت من اليمن ، منها البائدة والعارية ، اما العارية فكانت تقيم في مكة .

(٤) زيادة اقتضاها السياق .

(٥) سورة الشعراء : ٢١٤/٢٦ .

(٦) سورة التحريم : ٦/٦٦ .

(٧) قاله الحسن - كما في تفسير مجمع البيان ٣ : ١٨ هـ .

(٨) نقله الطبرسي في تفسير مجمع البيان ٣ : ٥١٩ مع اختلاف يسير .

[٥٧] - ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ هو شرف النبوة وسمو القدر، وقيل: السماء الرابعة أو السادسة، ^(١) وقيل الجنة بعد أن قبض روحه في الرابعة واحيى. ^(٢)

[٥٨] - ﴿أُولَئِكَ﴾ المذكورون من «زكريا» الى «ادريس» عليهم السلام ﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ بالنعم الدينية والدنيوية ﴿مِنَ النَّبِيِّينَ﴾ بيان للموصول ﴿مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ﴾ بعضها، والمراد به «ادريس» ﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا﴾ في السفينة ﴿مَعَ نُوحٍ﴾ أي: أو من ذرية من حملنا وهو «ابراهيم» من ذرية سام ﴿وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: «اسماعيل» و«اسحاق» و«يعقوب» ﴿وَإِسْرَءِيلَ﴾ أي: ومن ذرية اسرائيل وهو «يعقوب» أي: «موسى» و«هارون» و«زكريا» و«يحيى» و«عيسى».

وفيد أن ولد البنت من الذرية ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا﴾ أي: من حملتهم ﴿وَاجْتَبَيْنَا﴾ واخترنا ﴿إِذَا تَنَكَّلَى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا﴾ خبر «اولئك» - إن جعل الموصول صفة -، واستئناف - إن جعل خبره - - ﴿سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ حالان جمع ساجد وباك. وأصل بكى بكوى، قلبت الواو ياء وادغمت وكسر ما قبلها.

قيل: لعل المراد بالآيات: الكتب المنزلة عليهم. ^(٣)

[٥٩] - ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ جاء بعدهم عقب سوء والخلف بالفتح: الصالح، وبالسكون لضده ﴿أَصَاغُوا الصَّلَاةَ﴾ بتركها أو تأخيرها عن وقتها، ﴿وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ﴾ فيما حرم عليهم ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ شرأ أو جزاء غي كـ «يلق اثمًا»، ^(٤) أو: غيًّا عن طريق الجنة، أو: هو واد في جهنم. ^(٥)

(١) قاله أنس وأبو سعيد وابن عباس والضحاك - كما في تفسير مجمع البيان ٥١٩: ٣.

(٢) روى عن الباقر عليه السلام - كما في تفسير مجمع البيان ٥١٩: ٣.

(٣) معناه في تفسير مجمع البيان ٥١٩: ٣ عن ابن عباس.

(٤) سورة الفرقان: ٢٥ / ٦٨.

(٥) قاله ابن مسعود - كما في تفسير مجمع البيان ٥٢٠: ٣ وتفسير البضاوي ١٦٣: ٣.

[٦٠] - ﴿إِلَّا﴾ لَكِنْ ﴿مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾
 ويناه للمنعول «ابن كثير» و«أبو عمرو» و«أبو بكر» من أدخل^(١) ﴿وَلَا يُظَلَّمُونَ شَيْئًا﴾
 ولا ينقصون شيئاً من ثوابهم، ويجوز كون «شيئاً» مصدراً.

[٦١] - ﴿جَنَّاتٍ عَذْنٍ﴾ بدل بعض من «الجنة» و«عدن» علم لمعنى العدن
 وهو: الإقامة أو: لأرض الجنة، لكونها مكان إقامة، ولذلك وصف ما اضيف إليه
 بقوله: ﴿الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ﴾ حال أي غائبين عنها أو غائبة عنهم ﴿إِنَّهُ
 كَانَ وَعْدُهُ﴾ أي موعوده ﴿مَأْتِيًا﴾ بمعنى: آتٍ، أو: موعوده الجنة يأتيها أهلها.^(٢)

[٦٢] - ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ قولاً لا طائل تحته ﴿إِلَّا﴾ لكن يسمعون
 ﴿سَلَامًا﴾ من الملائكة عليهم، أو من بعضهم على بعض، أو الإسماء متصل أي:
 إن كان التسليم لغواً فلا يسمعون سواه^(٣) ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ أي على
 قدرهما في الدنيا إذ لا نهار ثم، ولا ليل، بل ضوء ونور، وقيل: أريد دوام الرزق.^(٤)
 [٦٣] - ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ﴾ نعطي ونملك كما يملك الوارث مال مورثه
 ﴿مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ بطاعته.

[٦٤] - ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ نزل لما استبطأ النبي صلى الله عليه وآله وسلم
 «جبرئيل» فقال له: ما يمنحك أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟^(٥)

والتنزل: النزول على مهل، أي: ما ننزل وقتاً غيب وقت^(٦) إلا بأمر الله تعالى

(١) حجة القراءات: ٤٤٥ - وجملة: «من أدخل» ليست موجودة في «ج».

(٢) تفسير مجمع البيان ٣: ٥٢١.

(٣) وفي تفسير البضاوي: كقوله:

ولا عيب فيهم غير أن سيفهم بهنّ فلول من قراع الكتائب

(٤) نقله البضاوي في تفسيره ٣: ١٦٤.

(٥) رواه الطبرسي في تفسير مجمع البيان ٣: ٥٢١ عن ابن عباس -.

(٦) يقال غيب الرجل، أي جاء زائراً بعد أيام، أو كل أسبوع ومنه الحديث: «فرغباً تردد حباً»

﴿لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾ من الأماكن أو الأزمنة الماضية والآتية ﴿وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ من المكان أو الزمان الذي نحن فيه، أي: لا نتقل من مكان الى مكان، أو في زمان دون زمان إلا بأمره.

وقيل: له ما يستقبل من امور الآخرة وما مضى من امور الدنيا وما بين النفختين أربعون سنة^(١) أي: له علم جميع ذلك ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ ناسياً تاركاً لك، أي: إنما تأخر النزول لعدم الأمر به لا لترك الله لك: كقوله: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾^(٢).

[٦٥] - ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ خبر محذوف ﴿فَاعْبُدْهُ﴾ خطاب للرسول صلى الله عليه وآله وسلم مرتب على ما قبله أي: لما عرفت أنه رب [السموات والأرض ورب]^(٣) العالمين فاعبده وحده ﴿وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾ أي اصبر عليها. وعدى باللام لتضمنته معنى الثبات للعبادة ومشاقها، تشبيهاً لها بالقرن المحارب ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ أي ليس له مثل، أو لا شريك له في اسمه فإن الصنم وإن سمي إلهاً لم يسم الله قط.

[٦٦] - ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ﴾ أي جنسه، اسند إليه باعتبار أن القائل منهم. أو: المنكر للبعث، نزلت في «أبي بن خلف» حين أخذ عظماً بالياً ففثه وقال: زعم «محمد» أنا نبعت بعد أن نموت^(٤) ﴿أَئِذَا مَاتِمْ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ من القبر أو من حال الموت، وقدم الظرف مصدراً بهمة الإنكار لأن المنكر كون ما بعد الموت وقت الحياة وناصبه ما دل عليه «اخرج» لا نفسه، لأن ما بعد «اللام» لا يعمل فيما

(١) قاله مقاتل - كما في تفسير مجمع البيان ٣: ٥٢١.

(٢) سورة الضحى: ٣/٩٣.

(٣) ما بين المعقوفين ليس في «أ» و«ب».

(٤) نقله البيضاوي في تفسيره ٣: ١٦٥.

قبلها، وتمحضت للتأكيد وجردت عن معنى الحال، فدخلت على «سوف»، وعن «ابن ذكوان»: «إذا» بهمزة واحدة مكسورة، على الخبر.^(١)

[٦٧] - «أَوَّلًا يَذْكُرُ الْإِنْسَانَ» أصله «يتذكر» قلبت التاء ذالاً وادغمت في الذال وقرأ «نافع» و«عاصم» و«ابن عامر»: «يذكر» من الذكر بمعنى التفكير^(٢) عطف على «يقول» ووسطت همزة الإنكار بينه وبين العاطف «أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا» كائناً فيستدل بالابتداء على الإعادة.

[٦٨] - «فَوَرَّكَ لَئِخْشِرْتَهُمْ» أي منكري البعث، أقسم باسمه مضافاً إلى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم تحقيقاً للإعادة وتشريفاً للرسول صلى الله عليه وآله وسلم «وَالشَّيَاطِينَ» عطف أو مفعول معه أي نجم كل كافر مع شيطانه بسلسلة، وإذا حشر الجنس بأسره وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين، فقد حشر الكل معهم، وإن عاد الضمير إلى الكفرة فواضح «ثُمَّ لَنُخْصِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثًا» على الركب لما يدهشهم من الهول جمع «جاث» وأصله جنواً أو جنوى، فعول من جثا يجثو ويجثي.

[٦٩] - «ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ» لَنَمِيزَنَّ «مِنْ كُلِّ شَيْعَةٍ» فرقة «أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا» أي الأعتى فالأعتى فنلقبهم فيها، و«أيهم» قيل: مبني على الضم لأنه من الموصولات لكنه أعرب حملاً على كل وبعض للزوم الإضافة، فإذا حذف صدر صلتته عاد إلى البناء لزيادة نقصه، ومحلّه النصب بـ«ننزعن».

وقيل: مرفوع بالابتداء على أنه استفهام وخبره «أشد»، والجملة محكية والتقدير لننزعن من كل شيعه الذين يقال فيهم أيهم أشد، أو: معلق عنها لننزعن وإن لم يكن فعل قلب أو مستأنفة والمفعول «من كل شيعه» على زيادة «من» أو كونها للتبعيض و«على» متعلق بـ«أشد».

(١) تفسير البياضوي ٣: ١٦٥.

(٢) حجة القراءات: ٤٤٥ وتفسير التبيان ٧: ١٤٠.

[٧٠] - ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أُولَىٰ بِهَا﴾ أحقّ بجهنّم ﴿صَلِيًّا﴾ دخولاً فنقدّم أولاهم بها فأولاهم .

[٧١] - ﴿وَإِنْ﴾ وما ﴿مِنْكُمْ﴾ أحد ﴿إِلَّا وَارِدُهَا﴾ واصلها ومشرف عليها .
وقيل : داخلها ، فلا يبقى برّ ولا فاجر إلّا ويدخلها^(١) فتكون برداً وسلاماً على المؤمنين وعذاباً لازماً للكافرين ، وقوله تعالى : ﴿اولئك عنها مبعدون﴾^(٢) أي : عن عذابها .

وعنه ملى الله عليه وآله وسلم : إنّ الله تعالى يجعل النار كالسمن الجامد ويجمع عليها الخلق ثم ينادي المنادي : أن خذي أصحابك ، وذري أصحابي ، فوالذي نفسي بيده لهنّ أعرف بأصحابها من الوالدة بولدها^(٣) ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ واجباً أوجبه على نفسه وقضى بأنّه يكون .

[٧٢] - ﴿ثُمَّ نُنَجِّي﴾ وخفقه «الكسائي» و«يعقوب»^(٤) ﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الشّرك ﴿وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ﴾ بالشّرك على حالهم ﴿فِيهَا جِثْيًا﴾ على الركب .

[٧٣] - ﴿وَإِذَا تَنَالَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾ ظاهرات الإعجاز أو الحجج ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ﴾ أي أنحن أم أنتم ﴿خَيْرٌ مَّقَامًا﴾ موضع قيام ، وضمّه «ابن كثير»^(٥) أي موضع اقامة أو منزلاً ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ مجلساً .

والمعنى أنّهم عجزوا عن معارضة الآيات فعدلوا الى المفاخرة بحظّهم من الدنيا ، والاستدلال بما نالوه منه على حسن حالهم عند الله فردّ عليهم بقوله :

[٧٤] - ﴿وَكَمْ﴾ وكثيراً ، مفعول ، ﴿أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ﴾ أهل عصر ، بيان

(١) قاله ابن عباس وجابر - كما في تفسير مجمع البيان ٣ : ٥٢٥ .

(٢) سورة الأنبياء : ١٠١ / ٢١ .

(٣) رواه الطبرسي في تفسير مجمع البيان ٣ : ٥٢٦ .

(٤) حجة القراءات : ٤٤٦ .

(٥) تفسير التبيان ٧ : ١٤٢ .

لـ«كم» «هُمْ أَحْسَنُ» صفة لها «أَنَاثًا» تمييز أي متاعاً وزينة «وَرِيثًا» ومنظراً من الرثوة، وشدد «الياء» بلا همزة «قالون» و«ابن ذكوان»، ^(١) فكما أهلكنا أولئك لكفرهم، نهلك هؤلاء.

[٧٥] - «قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا» أمر بمعنى الخبر للتأكيد أي يمدّه بطول العمر والتمتع استدراجاً له «حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ» غاية المد وتفصيل الموعود «إِنَّمَا الْعَذَابُ» بالقتل والأسر «وَرِثًا السَّاعَةِ» أي: القيامة ودخولهم النار فيها «فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرُّ مَكَانًا» أهم أم المؤمنون؟ جواب «إذا» مقابل لـ«خير مقاماً» «وَأَضْمَقُ جُنْدًا» أعواناً، مقابل لـ«أحسن ندياً» ^(٢) من حيث أن حسن الندى ^(٣) باجتماع أعيانهم وأعوانهم.

[٧٦] - «وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى» الواو للإستئناف أو العطف على الشرطيّة الواقعة بعد القول. كأنه قيل: يزيد الضلال ضلالاً بالخذلان، ويزيد المهتدين هداية بالتوفيق «وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ» الطاعات الباقي ثوابها.

وتعمّ ما فسّرت به من الصلوات الخمس ومودة أهل البيت عليه السلام والتسبيحات الأربع ^(٤) «خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا» عاقبة ومنفعة، يرثها ممّا متّع به الكفرة من النعم الزائلة التي يفشخرون بها، والخير هنا لمجرد الزيادة.

[٧٧] - «أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا» أي: أخبر بقصة هذا الكافر عقيب قصة أولئك، وهو العاص بن وائل «وَقَالَ» لـ«خباب بن الأرت» حين طالبه بدین وقال له: تبعث بعد الموت؟ «لَا وَبَيْنَ» على تقدير البعث كما تزعم «مَالًا وَوَلَدًا» فأقضيك

(١) حجة القراءات: ٤٤٦ - والقراءة لنافع وابن عامر.

(٢) في آخر الآية ٧٣ من هذه السورة.

(٣) في وج، أن أحسن الندى.

(٤) مر مثله في سورة الكهف: ٤٦/١٨.

ثمة^(١) وقرأ «حمزة» والكسائي: «وُلِدَا» جمع ولد، كَأُسْدٍ لِأُسْدٍ^(٢) أو: لغة فيه كحزن وحزن وكذا فيما بعده.

[٧٨] - ﴿أُطْلِعَ الْغَيْبَ﴾ أي: أشرف على علم الغيب المتفرّد به الله تعالى حتّى علم أن يؤتى مالاً وولداً، حذفت همزة الوصل استغناءً بهمزة الإستفهام ﴿أَمْ اِتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ أم عهد الله إليه أن يؤتیه ذلك.

وقيل: العهد: العمل الصّالح أو كلمة الشّهادة.^(٣)

[٧٩] - ﴿كَلَّا﴾ ردع وتنبیه على خطئه فيما قاله ﴿سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾ سنظهر له بالتعذيب أنّا كتبنا قوله، إذ الحفظة يكتبونه في الحال ﴿وَنُمَدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ ونزيده بذلك عذاباً فوق عذاب كفره.

[٨٠] - ﴿وَتَرْتَأْتُهُ﴾ بإهلاكه ﴿مَا يَقُولُ﴾ من المال والولد ﴿وَيَأْتِينَا﴾ يوم القيامة ﴿فَرْدًا﴾ لا مال له ولا ولد.

[٨١] - ﴿وَاتَّخَذُوا﴾ أي كفّار مكّة ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً﴾ أصناماً، يعبدونهم ﴿لِيَكُونُوا لَهُمْ حِزًّا﴾ شفعاء عند الله يتعرّزون بهم.

[٨٢] - ﴿كَلَّا﴾ ردع وانكار لما أملوا منها ﴿سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾ ستجحد الآلهة عبادتهم وتكذبهم كقوله تعالى: ﴿فَالْقَوْلُ الْبِهم الْقَوْلُ انكم لكاذبون﴾^(٤) أو ستجحد الكفرة انهم عبدوها ويقولون: ﴿والله ربّنا ما كنا مشركين﴾^(٥) ﴿وَيَكُونُونَ﴾ أي الآلهة ﴿عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ لهم. أي: اعداء وأعاوناً في عذابهم، أو: ضدّ العزّ وهو الدّلّ أي:

(١) نقله البيضاوي في تفسيره ٣: ١٦٧.

(٢) حجة القراءة ٤٤٧.

(٣) تفسير البيضاوي ٣: ١٦٧.

(٤) سورة النحل: ٨٦/١٦.

(٥) سورة الأنعام: ٢٣/٦.

يكونون عليهم ذلاً في مقابلة ﴿لَهُمْ عَزَا﴾، ^(١) ووَحَدَ لَأَنَّهُمْ كَالنَّاسِ، الواحد باتفاقهم فيما به مضادتهم ويجوز كون «الواو» للكفرة. أي: يكونون أعداء لها بعد أن كانوا يعبدونها.

[٨٣] - ﴿الَّذِينَ تَرَأَوْا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ خَلَيْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُمْ. كما يقال لمن خَلَى بين الكلب وغيره: أرسله عليه ﴿تَوَوَّهُمُ أَزْوَاجًا﴾ تَغْرِيهِمْ وَتَحْتَهُمْ عَلَى الْمَعَاصِي بِالتَّسْوِيلَات.

[٨٤] - ﴿فَلَا تَنْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾ بطلب هلاكهم ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمُ الْأَيَّامَ وَالْأَنْفَاسَ﴾ عَدَدًا وما دخل تحت «العَدَّ» فكأنه قد نفذ.

[٨٥] - ﴿يَوْمَ نَخْشُرُ الْمُتَّقِينَ﴾ نجتمعهم نصب بـ «اذكر» مقدر أو بـ «لا يملكون» ﴿إِلَى الرَّحْمَنِ﴾ إلى دار كرامته.

ولعل العدول من قوله الينا، لما في لفظ «الرحمن» من البشارة ﴿وَفُتْدًا﴾ وافدين. عن «علي» عليه السلام: ^(٢) ركبانا على نوق، رجالها مذهبة. ^(٣)

[٨٦] - ﴿وَتَسْوِقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِثًا﴾ نحْتُم على السير إليها واردين أي عطاشاً مشاة، كالإبل التي ترد الماء.

[٨٧] - ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ﴾ أي النَّاسُ المعلوم من القسمين ﴿إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ إِلَّا مَنْ استظهر بالإيمان والعمل الصالح، أو بكلمة الشهادة، أو: إِلَّا مَنْ وعده أن يشفع كالأنبياء والمؤمنين.

وعن «الصادق» عليه السلام: هو عهد الميت، المروي عن النبي صلى الله عليه وآله

(١) المذكور في الآية السابقة.

(٢) تفسير مجمع البيان ٣: ٥٣١.

(٣) في «ج»: ذهب.

وَسَمِ: اللَّهُم فاطر السَّمَوَاتِ . . . الْآيَةِ، ^(١) ومحلّه رفع على البدل من الواو أو نصب على الإستثناء .

[٨٨] - ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ الضمير لليهود والنصارى، ومن زعم أنّ الملائكة بنات الله .

[٨٩] - ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ﴾ التفات للنسجيل عليهم بالجرأة على الله ﴿شَيْئًا﴾ على حذف الباء وايصال الفعل إليه ^(٢) ﴿إِذَا﴾ منكرًا .

[٩٠] - ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ﴾ وقرأ «نافع» والكسائي «بالياء» ^(٣) ﴿يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾ يتشققن، وقرأ «أبو عمرو» و«ابن عامر» و«حمزة» و«أبو بكر» بالنون. ^(٤)

والتفعل مطاوع فعل فهو أبلغ من الإنفعال مطاوع فعل ﴿وَتَشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ

(١) الآية من سورة الزمر: ٣٩/٤٦، وعهد الميت هو ما رواه الطبرسي في تفسير مجمع البيان ٥٣١/٣ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

من لم يحسن وصيته عند الموت كان نقصاً في مروءته: قيل يا رسول الله وكيف يوصى الميت؟ قال: إذا حضرته وفاته واجتمع الناس اليه قال: اللَّهُم فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، اني اعهد اليك في دار الدنيا اني اشهد ان لا اله الا انت وحدك لا شريك لك، وان محمداً صلى الله عليه وآله وسلم عبدك ورسولك، وان الجنة حق وان النار حق، وان البعث حق والحساب حق والقدر والميزان حق، وان الذين كما وصفت وان الإسلام كما شرعت وان القول كما حدثت وان القرآن كما انزلت وانك انت الله الحق المبين، جزى الله محمداً عنا خير الجزاء وحيّا الله محمداً وآله بالسلام .

اللهم يا عذتي عند كربتي ويا صاحبي عند شدتي ويا وليي نعمتي .
الهي وإله آبائي لا تكلني الى نفسي طرفة عين فإنك ان تكلني الى نفسي أقرب من الشر وأبعد من الخير وأنس في القبر وحشتي واجعل له عهداً يوم الفاك منشوراً . ثم يوصى بحاجته وتصديق هذه الوصية في سورة مريم [٨٧/١٩] في قوله: «لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهداً» فهذا عهد الميت . (انتهاء) .

(٢) من باب الحذف والإيصال .

(٣) حجة القراءات ٤٤٨ .

الْجِبَالُ ﴿تَسْقُطُ عَلَيْهِمْ هَٰذَا﴾ كسراً، أو هدماً بشدة صوت، مصدر أو حال.
 [٩١] - ﴿أَنْ دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ منصوب بنزع الخافض علة لـ «تكاد» أو لـ «هَذَا»، أو مجرور بدل من هاء «منه»، أو مرفوع خبر محذوف، أي: الموجب لذلك الدعا، وهو بمعنى التسمية، فيكون أول مفعوليه متروكاً ليعم كل ما دعى ولد له، أو بمعنى النسبة أي: نسبوا إليه ولداً.

[٩٢] - ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ أي لا يليق به اتخاذ الولد ولا يتطلب له لإستحالاته، لأنّ الرحمان المولى للنعم كلها لا يجانس غيره من نعمه، أو منعم عليه، وهذه من فوائد تكرير هذا الاسم في المقام.

[٩٣] - ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي ما منهم ﴿إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ مقرأ بالعبودية خاضعاً ذليلاً، ومنهم «عزيز» و«عيسى» والملائكة.

[٩٤] - ﴿لَقَدْ أَحْصَاهُمْ﴾ أحاط بهم علماً وقدره ﴿وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ بعلمه، فلا يخفى عليه شيء من أحوالهم.

[٩٥] - ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا﴾ لا مال له ولا نصير.

[٩٦] - ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾.

عن «ابن عباس»: أنها في «علي» عب التلام خاصة^(١) فما من مؤمن إلّا في قلبه محبته. وعن «الباقر» عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعليّ عليه السلام: قل: اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِي عِنْدَكَ عَهْدًا واجْعَلْ لِي فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ وُدًّا، فقالها عليّ عليه السلام، فنزلت الآية. ^(٢) وعن جابر نحوه. ^(٣)

(١) تفسير مجمع البيان ٣: ٥٣٢.

(٢) شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ١: ٣٦٠ - كتاب العمدة لابن البطريق: الفصل الخامس والثلاثون نقلاً عن تفسير الثعلبي.

(٣) كتاب العمدة لابن البطريق: الفصل الخامس والثلاثون.

وقيل : انشأ عامّة في جميع المؤمنين ، جعل الله لهم المحبة في قلوب المؤمنين والصالحين .^(١)

[٩٧] - ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ﴾ أي القرآن ﴿بِلِسَانِكَ﴾ بأن أنزلناه بلغتك ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ﴾ للشرك والكبائر بالجنة ﴿وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَّدَا﴾ جمع «لذ» أي شديد الجدل بالباطل ، وهم قريش .

[٩٨] - ﴿وَكَمْ﴾ أي كثيراً ﴿أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ﴾ أمة من الأمم الماضية بتكذيبهم الرسل ، تسلياً له صلى الله عليه وآله وسلم وتهديداً للكفرة ﴿هَلْ نُنَاجِسُ﴾ تبصر ﴿مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ﴾ من مزيدة ﴿أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ صوتاً خفياً ، فكما اهلكناهم نهلك هؤلاء .

سورة طه

[٢٠]

مائة وأربع وثلاثون آية مكية وهي ^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] - ﴿طه﴾ أمالهما «أبو بكر» و«حمزة» و«الكسائي» ^(٢) وأمال الهاء - خاصة -

«ورش» و«أبو عمرو» ^(٣) وفتحهما الباقون، وهما من اسماء الحروف.

وقيل : معناه : يا رجل بلغه عكّ - ^(٤).

[٢] - ﴿مَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ لتعب بالعبادة وقيام الليل على ساق، أو

بالحزن على كفر قومك.

وقيل : هو ردّ لقول الكفرة : أنك لتشفى بترك ديننا، ^(٥) وهو خبر «طه» إن جعل

مبتدأ اسماً لل سورة، وأقيم «القرآن» مقام الزابط.

(١) العنوان وما يليه اخذناه من تفسير البضاوي ٣ : ١٦٩ .

(٢) حجة القراءات : ٤٥٠ .

(٣) حجة القراءات : ٤٤٩ وفيه «أبو عمرو» فقط .

(٤) نقله البضاوي في تفسيره ٣ : ١٧٠ .

- وجواب إن جعل قسماً ، وابتداء كلام إن جعل تعديداً للحروف ، أو منادى .
- [٣] - ﴿إِلَّا تَذَكُّرُ﴾ استثناء منقطع ، أي لكن تذكيراً ، أو علةٌ لمحذوف ، أي أنزلناه تذكيراً ، لا بدل من محلّ «لتشقى» لاختلاف الجنيين ولا علة للمذكور ، إذ لا يعمل بعلتين ، وقيل : حال من «القرآن»^(١) ﴿لَمَنْ يَخْشَى﴾ الله فإنه المستفاد به .
- [٤] - ﴿تَنْزِيلًا﴾ نصب بتقدير نزل ، أو على المدح أو البدل من «تذكرة» إن جعل حالاً لا علة ، إذ الشيء لا يعمل بنفسه ﴿مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ﴾ صلة «تنزيلًا» أو صفته . وانتقل من المتكلم الى الغيبة تفناً في الكلام وتفخيماً للمنزل بإسناد انزاله الى الواحد المختص بصفات العظمة والتمجيد ، وإيضاحاً بوجوب الإيمان به من حيث أنه كلام الموصوف بهذه الصفات وبدأ بخلق الأرض لأنها أقرب الى الحسن ثم ثنى بقوله : ﴿وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى﴾ جمع «عليا» مؤنث أعلى ، لأنّ الحسن لا يتجاوزها بعد الأرض .
- [٥] - ﴿الرَّحْمَنُ﴾ رفع على المدح ، أي : هو الرحمن ﴿عَلَى الْقُرْشِ اسْتَوَى﴾ من كل شيء ، فليس شيء أقرب إليه من شيء . أو : استقام أمره و^(٢) استولى . أو : قصده أي : أقبل على خلقه .
- [٦] - ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ من المخلوقات ملكاً وتديراً ﴿وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ هو التراب الندى ، وهو ما جاور البحر من الأرض فما تحته هو سائر طبقاتها وما فيها من المعادن وغيرها .
- [٧] - ﴿وَإِنْ تَجَهَّرَ بِ الْقَوْلِ ﴾ بذكر الله ودعائه فهو غنى عن جهرك ﴿فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ﴾ ما أسررت^(٣) الى غيرك ﴿وَأَخْفَى﴾ منه ما خطر ببالك . أو : السر هذا . وأخفى : الغيب الذي لا يخطر ببال .

(١) في تفسير البضاوي ٣ : ١٧٠ - وقيل : هو مصدر في موقع الحال من الكاف او القرآن .

(٢) في «ب» : أو .

(٣) في «ج» : ما أسررت به .

عن الصادقين عليهما السلام: السر ما أخفيت في نفسك^(١) و«أخفي»: ما خطر ببالك ثم أنسيته .

وفيه تنبيه على أن الجهر ليس لإسماع الله تعالى بل لغرض آخر كرسوخ الذكر^(٢) في النفس وكسرها بالتضرع، ثم ذكر أن الموصوف بالقدرة والعلم على الوجه المذكور هو المنفرد^(٣) بالالوهية بقوله :

[٨] - ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ مؤنث الأحسن .

وكونها أحسن الأسماء لدلالاتها على أشرف المعاني، ولما بين رسالته صلى الله عليه وآله وسلم قفاها بقصة موسى تثبيتاً له ليتأسى به ويصبر كما صبر فقال :

[٩] - ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ أي لم يأتك الى الآن، وقد أتاك الآن فتنبه له .

[١٠] - ﴿إِذْ رَأَى نَارًا﴾ ظرف لـ «حديث» أو مفعول «اذكر»، قيل : استأذن شعبياً في المسير الى أمه، فخرج بأمله فأضل الطريق في ليلة مظلمة مثلجة، وتفرقت ماشيته، فرأى ناراً من بعيد^(٤) ﴿فَقَالَ لِإِلهِهِ امْكُثُوا﴾ : الزموا مكانكم، وضمت «حمزة» الهاء^(٥) ﴿إِنِّي ءَانَسْتُ نَارًا﴾ أبصرتها، وفتح «الحرميّان» و«أبو عمرو» الياء وياء ﴿إِنِّي رَبُّكَ﴾ و«إِنِّي أنا الله»^(٦) ﴿لَعَلِّي ءَاتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ﴾ بشعلة،^(٧) اقتبسها بعود ونحوه وسكن «الكوفيون» الياء^(٨) ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ هادياً، يهديني الطريق، أو

(١) تفسير مجمع البيان ٤: ٣ .

(٢) في «ج» : لرسوخ الذكر .

(٣) في «ب» : المنفرد .

(٤) تفسير البياضوي ٣: ١٧١ - تفسير الكشاف ٣: ٥٣ .

(٥) حجة القراءات : ٤٥٠ .

(٦) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ١٠٨ .

(٧) في «ج» : شعلة .

(٨) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ١٠٩ .

ابواب النّدين، فإنّ همم الأبرار معقودة بها في كلّ حال، وبنى الأمر فيهما على الرّجاء، لأنّ حصولهما مترقّب، فلم يجزم بالوفاء بالوعد بخلاف الإيناس فإنّه لما كان محققاً حقّقته بـ «أنّ» تظميناً لهم. ومعنى «على النار» اشراف أهلها عليها أو استعلاؤهم المكان القريب منها.

[١١] - ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا﴾ أي النار، رآها تتقد في شجرة خضراء ﴿نُودِيَ يَا مُوسَى﴾.

[١٢] - ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾ بكسرها بتقدير القول. أو: لأنّ النداء قول، وفتحها «ابن كثير» و«أبو عمرو»^(١) أي «باني»، وكرّر الضمير توكيداً للذّلاله.

قيل: لما نودي، قال: من المتكلّم؟ قال: «أنسى انا ربك» فوسوس إليه ابليس: لعلك تسمع كلام شيطان، فقال: إنّي عرفت انه كلام الله بسماعي له من كلّ جهة وبكلّ عضو.^(٢)

وقيل: رأى النار في الشجرة لم تضرّ خضرتها، والخضرة لم تطفئها، فعرف أنّه لا يقدر عليه إلا الله^(٣) ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ أمر به، لأنّ الحفاء تواضع. وقيل: لياشر الوادي بقدميه متبركاً به^(٤) ﴿إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ﴾ المطهر أو المبارك ﴿طَوًى﴾ عطف بيان للوادي، لم يصرف بتأويل البقعة، ونوّته «ابن عامر» و«الكوفيتون» بتأويل المكان^(٥) وقيل: هو كـ «ثنى» مصدر للقدس، أي قدّس مرتين.^(٦)

[١٣] - ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ﴾ للرّسالة وقرأ «حمزة»: «وَأَنَا اخْتَرْنَاكَ»^(٧) ﴿فَاسْتَمِعْ لِمَا

(١) حجة القراءات: ٤٥١.

(٢) تفسير الكشاف ٣: ٥٤ مع اختلاف يسير - وتفسير البياضوي ٣: ١٧٢.

(٣) تفسير مجمع البيان ٤: ٥.

(٤) قاله السدي وقتادة كما في تفسير الكشاف ٣: ٥٥.

(٥) تفسير مجمع البيان ٤: ٣.

(٦) ينظر صحاح اللغة مادة «طوى».

(٧) حجة القراءات: ٤٥١.

يُوحَىٰ ﴿الْيَك مَنَى، وَمَتَعَلَى اللَّامَ: «اسْتَمْع» أَوْ: «اخْتَرْتِكَ».

[١٤] - ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ استئناف لبيان «ما يوحى»، وابتدأ بالتوحيد ورتب عليه: ﴿فَاعْبُدْنِي﴾ ليعلم أن عبادته إنما ألزمت لإلهيته ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ لتذكركني فيها، أو لأذكرك بالثناء، أو لأتي ذكركها وامر بها، أو لذكركي خاصة لا تشوبها بغيره.

أو لاوقات ذكري أي: لمواقيت الصلاة، أو لذكر صلاتي لقوله من الله عليه وآله وسلم: من نسي صلاة فليقضا إذا ذكرها، وقرأ ﴿اقم الصلاة لذكركي﴾^(١) وفتح نافع و«أبو عمرو» «الياء»: ^(٢)

[١٥] - ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ﴾ لا محالة ﴿أَكَادُ أَخْفِيهَا﴾ أريد اخفائها لثاني بغته أو اكاد اظهرها من أخفائه: أزال خفائه، أي قرب إظهارها ﴿لِيُخْزِي كُلَّ نَفْسٍ بِمَا تَسْمَى﴾ متعلق بـ «آتية» أو بـ «اخفياها» - على الثاني -.

[١٦] - ﴿فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا﴾ عن الإيمان بالساعة أو عن الصلاة ﴿مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا﴾ نهى للكافر أن يصده، أريد به نهيه عن الإنصداد ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ ميل نفسه إلى شهواتها، فأعرض عن غيرها ﴿فَتَرَدَّى﴾ فتهلك إن انصدت عنها.

[١٧] - ﴿وَمَا تِلْكَ﴾ سؤال تقرير ليقع المعجز بها بعد التثبت فيها ﴿بِإِيمَانِكَ﴾ حال من معنى «تلك». وقيل: صلتها ﴿بِأَمُوسَى﴾.

[١٨] - ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَنُوكِّذُهَا﴾ اعتمد ﴿عَلَيْهَا﴾ إذا مشيت أو وثبت ﴿وَأُمُشُ﴾ اخبط ورق الشجر ﴿بِهَا﴾ ليسقط ﴿عَلَى غَمَمِي﴾ فترعاه ﴿وَلِي﴾ وفتح «ورش» و«حفص» «الياء»^(٣) ﴿فِيهَا مَارِبٌ﴾ جمع ماربة - مثلث الراء - أي حاجات ﴿أُخْرَى﴾

(١) هذا من تنمة الحديث أي قرأ رسول الله الآية وقال . . . ينظر تفسير مجمع البيان ٦: ٤ وتفسير

البضاري ١٧٢: ٣.

(٢) (٣٤٢) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ١٠٩.

كحمل الزاد والإداوة^(١) في السفر بها، وإلقاء الكساء عليها للإستظلال به، ووصل الرشاء^(٢) بها إذا قصر، وطرده السباع بها.

وقيل: كأنه أحسّ بأنه تعالى إنما سألها عنها لمنافع عظيمة، فقال: هي من جنس العصي، تنفع منافع امثالها ولكنك لما سألت عنها عرفت أن لي فيها «مآرب أخرى».

قيل: كان فيها من المعجزات أن تضيء بالليل كالشمعة وتطول بطول البئر، وتصير شعباتها دلواً إذا استقى، ويركزها فينبع الماء وتحارب عنه العدو وإذا اشتوى ثمرة ركزها فتورق وتثمر.^(٣)

[١٩] - ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى﴾.

[٢٠] - ﴿فَالْقَهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ﴾ اسم يعم الصغير وهو الجان، والعظيم وهو الثعبان، قيل: صارت حية صفراء دقيقة ثم تورمت وكبرت، فالتعبير عنها بالجان والثعبان نظراً إلى الحالين.^(٤)

وقيل: كانت في شخص الثعبان، وسرعة الجان^(٥) ولهذا وصفها بقوله ﴿تَسْعَى﴾ أي تمشي بسرعة، فلما رآها تسعى وتبتلع الشجر والحجر، خاف وهرب.

[٢١] - ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾ حالتها السابقة، ونصبها بنزع الخافض أو على الظرف أي في طريقتهما، أو بتقدير فعلها أي سنعيدها تسير سيرتها الأولى، حيث كنت تستمتع بها، فاطمأن بذلك وادخل يده في فيها وأخذ بلحبيها فعادت عصا، وإذا يده في موضع مسكها^(٦) بين شعبتيها، وأرى ذلك في

(١) أي موضع اخذها.

(١) الإداوة: المطهرة.

(٢) الرشاء: الحبل الذي يتوصل به إلى الماء.

(٣) قاله ابن عباس - كما في تفسير مجمع البيان ٤: ٨.

(٤) نقله الزمخشري في تفسير الكشاف ٣: ٥٨.

ذلك الوقت لئلا يخافها عند عدوه .

[٢٢] - ﴿وَأَضْمُكُمْ يَدَكُمْ إِلَى جَنَاحِكُمْ﴾ تحت العضد .

يقال لكل ناحيتين : جناحان ، استعارة من جناحي الطائر وهما من الجنوح ، لأنه يميل بهما إذا طار ﴿تَخْرُجُ بَيَظًا﴾ تضيء كشعاع الشمس على خلاف لونها من الأدمة ﴿مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ مرض وقبح ، كنى به عن البرص لنفرة الطباع عنه ﴿آيَةً أُخْرَى﴾ معجزة ثانية ، وهي «بيضاء» حالان من ضمير «تخرج» أو متداخلان .

[٢٣] - ﴿لِنُرِيكَ﴾ متعلق بمحذوف أي فعلنا ذلك لِنُرِيكَ ﴿مِنْ ءَانِنَا الْكُبْرَى﴾ صفة «آياتنا» أو مفعول «نريك» والظرف حال منه .

[٢٤] - ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ﴾ وادعه الي ﴿إِنَّهُ طَغَى﴾ تجبر في كفره .

[٢٥] - ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ وسعه لتحمل أعباء الرسالة ، ذكر «لي» ابهاماً للمشروح أولاً ، ثم بيته بذكر «الصدر» تأكيداً وكذا :

[٢٦] - ﴿وَوَسَّسَ لِي أَمْرِي﴾ أي سهله بالتوفيق للقيام بهذا الخطب العظيم ، وفتح «نافع» و«أبو عمرو» ياء «لي» .^(١)

[٢٧] - ﴿وَأَخْلَلْتُ عُقْدَةً مِّنْ لِّسَانِي﴾ حصلت من جمرة ادخلها فاه وهو طفل لما امر فرعون بقتله لأنه حمله فأخذ لحيته فتفتها ، فقالت آسية : أنه صبي ، لا يميز بين الذرة والجمرة ، فأحضرتا لديه فأخذ الجمرة ووضعها فيه .^(٢)

قيل : انحل بعض العقده^(٣) لقوله : ﴿وَلَا يَكَادُ بَيِّنُ﴾^(٤) ورد بأنه اراد لا يأتي ببيان وحجة تمويهاً على الناس ، وقيل : انحلت كلها^(٥) لقوله : «أوتيت سؤلك» .

(١) الكشف عن وجوه القراءات ٢ : ١٠٩ .

(٢) نقله البيضاوي في تفسيره ٣ : ١٧٣ .

(٤) سورة الزخرف : ٤٣ / ٥٢ .

(٥) نقله البيضاوي في تفسيره ٣ : ١٧٣ .

ورَدَّ بَأَنَّهُ لَمْ يَسْأَلْ حَلَّتْهَا مَظْلَمًا، بَلْ حَلَّ عَقْدَةٌ تَمْنَعُ الْإِفْهَامَ لِتَنْكِيرِهَا، وَجَعَلَ:

[٢٨] - ﴿يَقْفَهُوا قَوْلِي﴾ جواب «احلل».

[٢٩-٣٠] - ﴿وَأَجْعَلْ لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي * هَرُونَ أَخِي﴾ يعاضدني في التبليغ،

وكان أسن منه وأفصح وألين.

والوزير من الوزر - بالكسر - : الثقل، لتحمله ثقل الملك، أو بالفتح: الملجأ،

لالتجاء الملك الى رأيه، والمفعولان «وزيراً» و«هارون»^(١) قدّم ثانيهما، أو: «لي»

و«وزيراً». و«هارون» عطف بيان و«أخي» على الوجهين بدل من «هارون» أو مبتدأ خبره:

[٣١] - ﴿أَشْذُوبُهُ أَوْزَرِي﴾ ظهري على الذعاء وقرأه «ابن عامر»: بلفظ الخبر جواباً

لـ «اجعل»^(٢) وكذا:

[٣٢] - ﴿وَأُشْرِكُهُ فِي أَمْرِي﴾ أي الرسالة، وفتح «ابن كثير» و«أبو عمرو»

ياء «أخي»^(٣).

[٣٣] - ﴿كَئِنِّي نَسِيحًا﴾ نسيحاً «كثيراً».

[٣٤] - ﴿وَتَذَكَّرُكَ﴾ ذكراً «كثيراً» فَإِنَّ التَّعَاوُنَ يَتَزَايَدُ بِهِ الْخَيْرُ.

[٣٥] - ﴿إِنَّكَ كُنْتَ بَنًا بَصِيرًا﴾ بأحوالنا عالماً فأليك فوضنا أمرنا.

[٣٦] - ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾ السؤل بمعنى المسؤل كالخبز

بمعنى المخبوز.

[٣٧] - ﴿وَلَقَدْ مَتَنَّا﴾ أنعمنا «عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى».

[٣٨] - ﴿إِذْ﴾ تفسير «مرة» «أَوْحَيْنَا إِلَى أَمِّكَ﴾ الهامأ، أو منامأ أو على لسان

(١) أي مفعولي «اجعل» أمأ وزيراً والثاني «هارون» الأول وقدم ثانيهما، أي قال وزيراً من أهلي هارون

ولم يقل «واجعل لي هارون»... وزيراً، وإما قوله «لي» و«وزيراً».

(٢) حجة القراءات: ٤٥٢.

(٣) الكشف عن وجوه القراءات ١٠٩: ٢.

ملك أو نبي في عصرها، لما ولدتك وخافت أن يقتلك «فرعون» في جملة من يولد ﴿مَا يُوحَى﴾ ما يجب أن يوحى لعظم شأنه، أو ما لا يعلم إلا بالوحي.

[٣٩] - ﴿أَنْ﴾ «بأن» أو: أي ﴿أَفَذِيهِ﴾ ضعيه ﴿فِي التَّابُوتِ فَأَقْذِيهِ﴾ بالتأبوت

﴿فِي النِّيمِ﴾: البحر، يعني: «النيل» ﴿فَلْيُلْقِهِ النِّيمُ بِالسَّاحِلِ﴾ أي بشاطئه.

أمر معناه الخبر ﴿يَأْخُذْهُ﴾ جواب «فليلقه» ﴿عَدُوِّي﴾ في الحال ﴿وَعَدُوُّ لَهُ﴾

في المآل وهو «فرعون» وكَرَّرَ «عدو» مبالغة.

قيل: جعلت في التابوت قطناً ووضعته فيه وقبرته وألقته في «النيل» وكان يشرع

منه إلى بستان «فرعون» نهر، فدفعه الماء فيه إلى بركة، كان فرعون جالساً عليها مع

«آسية» فأمر به فأخرج ففتح فإذا صبي أصبح الناس وجهاً فأحبّه حباً شديداً،^(١) كما

قال: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً﴾ كاتبة «مَئِنِّي» أي جعلتك بحيث يحبك من يراك حتى

أحبك «فرعون» أو أحبيتك، ومن أحبيته أحبته القلوب ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ تُرَبِّي

وأنا مراعيك وحافظك. عطف على مقدر، مثل ليتعطف عليك، وفتح

«نافع» وأبو عمرو: الياء.^(٢)

[٤٠] - ﴿إِذْ﴾ ظرف لـ «ألقى» أو «لتصنع» ﴿تَمْشِي أَخْتُكَ﴾ مريم لتعرف

خبرك، فرأتهم يطلبون لك مرضعة تقبل ثديها بعد أن أحضروا مراضع فلم تقبل

جميعها، ﴿فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ﴾ فقالوا: نعم، فجاءت بأمه فقبل ثديها.

﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ﴾ لوعدنا: «أنا رادوه إليك». ﴿كَئِن تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ برؤيتك

﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ بفراقك. ﴿وَوَقَّلتَ نَفْسًا﴾ هو «القبطي» فاغتمت خوفاً من اقتصاص

«فرعون» ﴿فَتَجْنَبْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ﴾ بالأمن منه ﴿وَوَقَّلتَ نَفْسًا﴾ واختبرناك اختباراً، أو

اختبارات متعددة، على أنه جمع فتن فخلصناك من محنة بعد محنة.

(١) نقله البيضاوي في تفسيره ١٧٤: ٣ والزمخشري في تفسير الكشاف ٦٣: ٣ مع اختلاف يسير.

(٢) الكشف عن وجوه الفراءات ١٠٩: ٢.

ولد عام قتل الأطفال، والنبي في اليم وهم «فرعون» يقتله، وقتل قبطياً وهاجر راجلاً خائفاً بلا زاد، وأجر نفسه ﴿فَلَيْسَتْ سِينِينَ﴾ عسراً ﴿فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ عند شعيب بعد هجرتك إليها، وهي على ثمان مراحل من مصر ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى﴾ على وقت قدرته لإرسالك، أو يوحى فيه إلى الأنبياء وهو رأس أربعين سنة.

[٤١] — ﴿وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ اخترتك لرسالتني وإقامة حجتي، وسكن الكوفيتين و«ابن عامر» ياءه وياء «ذكرى»^(١)، فيسقطان للساكين.

[٤٢] — ﴿أَذْهَبَ أَنتَ وَأُخُوكَ بِآيَاتِي﴾ اتسع، أو التي في العصا واليد فإن فيهما آيات ﴿وَلَا تَنِيَا﴾ تفترا أو تقصرا ﴿فِي ذِكْرِي﴾ بتسبيح ونحوه، أو في تبليغ رسالتي.

[٤٣] — ﴿أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ﴾ أمر لهما، والأول لموسى فلا تكرر.

قيل: أوحى إلى هارون أن يتلقاه فتلقيه^(٢) ﴿إِنَّهُ طَغَى﴾ بكفروه.

[٤٤] — ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ نحو ﴿هل لك إلى أن تزكى﴾^(٣) بصورة العرض، لئلا

يزداد عتراً أو لحق تربيته لك.

وقيل: كنياه، وكنيته: أبو الوليد أو: أبو العباس أو: أبو مرة.^(٤)

وقيل: عداه^(٥) شباباً بلا هرم وملكا لا ينزع حتى يموت^(٦) ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ﴾ يتعظ

﴿أَوْ يَخْشَى﴾ العقاب فيرجع أي ادعوا على رجاكما اجابته، لا على يأس منها لتجهدا في دعائه وفائدته - مع علمه تعالى بأنه لا يجيب -: الزامه الحجة.

(١) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ١٠٩ وفيه: قرأ الحرمان وابوعمر بالفتح.

(٢) نقله الزمخشري في تفسير الكشاف ٣: ٦٥.

(٣) سورة النازعات ٧٩: ١٨.

(٤) نقله الزمخشري في تفسير الكشاف ٣: ٦٥.

(٥) فعل امر مثني من الوعد.

(٦) نقله اليزاوي في تفسيره ٣: ١٧٥.

[٤٥] - ﴿قَالَ رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يُفْرَطَ عَلَيْنَا﴾ أي يجعل عقوبتنا قبل اضطرار الحجة، من فرط: تقدم ﴿أَوْ أَنْ يَفْغَى﴾ يتكبر علينا أو يزداد كبراً.

[٤٦] - ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا﴾ بالحفظ والتصرة ﴿أَسْمَعُ﴾ قوله ﴿وَأَرَى﴾ فعله، فأدفع شره عنكما.

[٤٧] - ﴿فَأَنبَأَهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ اطلقهم ﴿وَلَا تُعَذِّبُهُمْ﴾ باستعمالهم بالأعمال الشاقة وقتل ولدانهم ﴿قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ﴾ بحجة تصدق دعوانا، والمراد جنسها فلا ينافي تعددها ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مِنْ أَتَيْعِ الْهُدَى﴾ أي السلامة من العذاب لهم.

[٤٨] - ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ﴾ بما جئنا به ﴿وَتَوَلَّى﴾ أعرض عنه، فأنباه وقال له ما أمراه.

[٤٩] - ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾ خصه بالنداء لأنه الأصل ولتربيته له.

[٥٠] - ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ﴾ من المخلوقات ﴿خَلْقَهُ﴾ صورته التي هو عليها المطابقة لكماله الممكن له.

أو أعطى خليقته كل شيء يحتاجون إليه - على تقديم المفعول الثاني - ﴿ثُمَّ هَدَى﴾ دله على جلب النفع ودفع الضرر اختياراً أو طبعاً.

[٥١] - ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾ ما حال الأمم الماضية كقوم نوح وعاد وثمود من السعادة والشقاوة؟ بهت بالحجة فصرف الكلام عنها.

[٥٢] - ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿عِلْمُهَا﴾ أي علم حالهم مثبت ﴿عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ﴾ هو اللوح المحفوظ ﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي﴾ لا يخطئ شيئاً ﴿وَلَا يَنْسَى﴾ لا يذهل عن شيء.

[٥٣] - ﴿الَّذِي جَعَلَ﴾ صفة «رَبِّي» أو خبر محذوف أو منصوب على الممدح ﴿لَكُمْ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾^(١) فراشاً، وقرأ «الكوفيون»:

(١) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «مهذا» وسبب في إليه المصنف.

«مهداً»^(١)، مصدر سَمِيَ به كالفرش ﴿وَسَلَّكَ﴾ جعل ﴿لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ طرقاً تسلكونها ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ مطراً ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾ التفت الى التكلم على الحكاية لقول الله تعالى ايذاناً باختصاصه بانقياد الأشياء المتخلفة لأمره، ولهذا نظائر في آيات أخر ﴿أَزْوَاجًا﴾ أصنافاً ﴿مِنْ ثَبَاتٍ﴾ صفة «أزواجاً» وكذا ﴿شَتَى﴾ جمع شتيت، كمرضئ لمرض من شت: تفرق، اي: متفرقات في الألوان والطعوم والمنافع.

[٥٤] - ﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْفُسَكُمْ﴾ حال من ضمير «اخرجنا» بتقدير: قائلين، والأمر للإباحة والتذكير بالنعمة، والمعنى: مبيحين لكم الأكل منها ورعى انعامكم فيها ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لَايَاتٍ﴾ لعمراً ﴿لِأُولَى النَّهْيِ﴾ لدوي العقول، جمع «نهي» سَمِيَ بها العقل لنهيهِ عن الفبيح.

[٥٥] - ﴿مِنْهَا﴾ أي الأرض ﴿خَلَقْنَاكُمْ﴾ فإنها اصل خلقه أيكم آدم والنطف التي خلقت منها ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ إذا امتناكم ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ﴾ إذا بعشناكم ﴿تَارَةً﴾ مرة ﴿أُخْرَى﴾ كما أخرجناكم حين ابتدأنا خلقكم.

[٥٦] - ﴿وَلَقَدْ أَزْنَاهُ﴾ بصرنا فرعون ﴿ءَايَاتِنَا كُلَّهَا﴾ التسع ﴿فَكَذَّبَ﴾ بها عناداً ﴿وَأَبَى﴾ قبولها.

[٥٧] - ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِنُخْرِجَكَ مِنْ أَزْمِنَا﴾ مصر وتسئولى عليها ﴿بِسِحْرِكَ﴾ ياموسى ﴿نسبه الى السحر تليساً على قومه.

[٥٨] - ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ﴾ يقابله ﴿فَأَجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾ وعداً ﴿لَّا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا﴾ نصب بما دل عليه المصدر لا به،^(٢) لوصفه أو بإبداله من موعداً، إن جعل مكان الوعد، فالهاء في «نخلقه» للوعد المعلوم من

(١) حجة القراءات: ٤٥٣.

(٢) اي: «موعداً».

الموعد ﴿سَوَىٰ﴾ وسطاً، تستوي مسافته إلينا وإليك، وضمّه «ابن عامر» و«عاصم» و«حمزة».^(١)

[٥٩] - ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ﴾ إن جعل مصدراً فالتقدير: «وعدكم وعد يوم الزينة» وإن جعل اسم مكان فالتقدير: مكان وعدكم مكان يوم الزينة، وهو يوم عيد لهم يتزينون فيه ويجتمعون.

وانما عينه ليعلو الحق على الباطل على رؤس الأشهاد ﴿وَأَنْ يُخَشِّرَ النَّاسُ﴾ عطف على «يوم» أو «الزينة» أي يجمع أهل مصر ﴿صُحَّى﴾ فينظرون في أمرنا.
[٦٠] - ﴿فَنُكِّلَ فِرْعَوْنَ﴾ انصرف ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُ﴾ أي أسباب كيده من السحرة وآلائهم ﴿ثُمَّ أَتَى﴾ الموعد.

[٦١] - ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَى﴾ وعظ السحرة، وهم اثنان وسبعون مع كل واحد «حبل» وعصا، أو أربعمائة أو أكثر ﴿وَيُلَكِّمُ﴾ نصب على أنه مصدر لا فعل له، أو على النداء ﴿لَا تَقْرَءُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بإشراك أحد معه ﴿فَيَسْحِثَكُمْ بِعَذَابٍ﴾ فيستأصلكم به، وضمّه «حفص» و«حمزة» و«الكسائي» من «أسحت»^(٢) لغتان ﴿وَقَدْ خَابَ﴾ خسر ﴿مَنْ افْتَرَى﴾ على الله كذباً كفرعون.

[٦٢] - ﴿فَتَنَّا زُعْرًا أَمْرُهُمْ يُتُنَّهُمُ﴾ أي السحرة في أمر موسى حين قال: «ويلكم...» الآية، فقالوا: ما هذا بقول ساحر ﴿وَأَسْرَأُوا النَّجْوَى﴾ الكلام بينهم بأن موسى ان غلبنا اتبعناه، أو الضمير لفرعون وقومه، ويفسر النجوى:

[٦٣] - ﴿قَالُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سَاحِرَانِ﴾ «هذان» اسم «إن» على لغة من يجعل المثنى كالمقصور في تقدير الإعراب، وقيل: اسمها ضمير شأن محذوف، ورد: بأن

(١) حجة الفراءات: ٤٥٣.

(٢) حجة الفراءات: ٤٥٤ - وفيه: قال الفراء: هما لغتان، يقال: سحته وأسحته إذا استأصله وأهلكه.

اللام لا تدخل خبر المبتدأ، وكذا جعل «ان» بمعنى نعم، ولو قدر نعم هذان لهما ساحران فحذف المبتدأ ينافي التأكيد، وقرأ «أبو عمرو»: «هذين» وهو واضح و«ابن كثير» و«حفص»: «ان هذان» على المخففة^(١) واللام فارقة أو النافية واللام بمعنى «إلا» ﴿يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى﴾ «بدينكم الأفضل باظهار دينهما، وقيل: الطريقتين أشرف القوم،^(٢) أي باشرافكم بصرف وجوههم اليهما، و«المثلى» مؤنث الأمتل، أي: الأفضل والأشبه بالحق».

[٦٤] - ﴿فَاجْمِعُوا كَيْدَكُمْ﴾ «احكموه واجعلوه مجمعا عليه، وقرأ «أبو عمرو» «فاجمعوا» من جمع^(٣) ﴿ثُمَّ اتَّخَذُوا صَفًّا﴾ «مصطفين» ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَقْلَى﴾ «فاز من غلب».

[٦٥] - ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾ «راعوا الأدب، أي اختر القائك أو القاءنا، أو الأمر القاووك أو القاونا».

[٦٦] - ﴿قَالَ بَلْ أُلْقُوا﴾ «مقابلة لأدبهم، وعدم احتفال بكيدهم، وجوداً بما مالوا إليه من البدء كما يفهمه ذكر «أول» في شقهم، وليبرزوا ما معهم ثم يأتي الحق فيبطله ﴿فَلَمَّا جِبَالُهُمْ وَعِصْبُهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾ «إذا» للمفاجأة وأصلها: الوقت، وتستدعى متعلّقاً ناصباً وهو فعل المفاجأة، وجملة ابتدائية تضاف إليها.

والمعنى: فالفقوا ففاجأ موسى وقت تخيل سعي جبالهم وعصبتهم من سحرهم، قيل: لطحوها بالزريق فلما حميت الشمس تحرك فحركها، فخيّل إليه أنها تسعى،^(٤)

(١) حجة القراءات: ٤٥٤ و٤٥٦.

(٢) قاله امير المؤمنين علي عليه السلام كما في تفسير مجمع البيان ١٨: ٤.

(٣) حجة القراءات: ٤٥٦.

(٤) تفسير مجمع البيان ١٨: ٤ وتفسير الكشاف ٧٣: ٣ وتفسير البضاوي ١٧٨: ٣.

وقرأ «ابن ذكوان»: «تَخِيلُ» بالتاء^(١) على اسناده الى ضمير الجبال والعصا وبدلية «انها تسعى» منه بدل اشتغال.

[٦٧] - ﴿فَأَوْجَسَ﴾ فأضمر ﴿فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى﴾ من أن يشك الناس فلا يتبعوه أو للطبع البشري.

[٦٨] - ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ تعليل النهي^(٢) مؤكّد بالإستئناف وإنّ والفصل ولفظ العلوّ، ومعناه: الغلبة وصيغة التّفضيل.

[٦٩] - ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ﴾ أبهم تصغيراً للعصا وتهويناً لأمر السّحرة، أي ألق العويد الذي معك، أو تعظيماً لها، أي لا تستعظم ما معهم فإنّ معك ما هو أعظم منه ﴿تَلَقَّفْ﴾ تلتقّف، حذف احد التّائسين، ورفع «ابن ذكوان» حالاً أو استئنافاً، وخفّفه «حفص» جازماً^(٣) أي تبتلع ﴿مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا﴾ انّ الذي افعلوه ﴿كَيْدُ سَاحِرٍ﴾ أفرد لقصد الجنس، ونكّر لشكّير «الكيد»، وقرأ «حمزة» و«الكسائي» سحر،^(٤) أي ذي سحر، أو سمى به السّاحر مبالغة أو الإضافة بيانية ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ﴾ أي جنسه ﴿حَيْثُ أَتَى﴾ ابن كان^(٥) فألقاها فتلقّفت فحقّقوا انه ليس سحراً.

[٧٠] - ﴿فَالْقَى السَّحَرَةُ سُجُودًا﴾ لله تعالى، ألقاهم تحقّق الحقّ لهم ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ آخر للمفاصلة، قيل رأوا في سجودهم منازلهم في الجنّة.^(٦)

[٧١] - ﴿قَالَ﴾ فرعون: ﴿ءَاْمَنْتُمْ لَّهِ﴾ أي لـ «موسى»، وقرأه «قنبل» و«حفص»

(١) حجة القراءات: ٤٥٦ وفيه: ابن عامر.

(٢) كذا في النسخ - وفي تفسير البضاوي ١٧٩: ٣ تعليل للنهي.

(٣) حجة القراءات: ٤٥٧

(٤) حجة القراءات: ٤٥٨.

(٥) في «ج» اي كائناً.

(٦) نقله البضاوي في تفسيره ١٧٩: ٣.

على الخبر^(١) ﴿قَبْلَ أَنْ نَعْلَمَ لَكُمْ﴾ في ذلك ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ﴾ رئيسكم أو استاذكم ﴿الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ وتواطأنم على ما فعلتم ﴿فَلَا قِطْعَنَ أَبَدِيَّكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ﴾ حال أي مختلفات الأيدي اليمنى والأرجل اليسرى، و«من» ابتدائية أي ابتداء القطع من الجهتين المتخالفتين ﴿وَلَا صِلَيْنَكُمُ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾ شبه تمكن المصلوب بالجذع بتمكن المظروف بالظرف ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا﴾ يعني نفسه و«موسى» أو رب «موسى» ﴿أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ وأدوم.

[٧٢] - ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْمِرَكَ﴾ نختارك ﴿عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾ المعجزات الظاهرة ﴿وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾ عطف على «ما» أو قسم ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾ أي صانعه أو حاكم به ﴿إِنَّمَا تَقْضِي﴾ تصنع أو تحكم بسلطانك ﴿هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا﴾ أي فيها ونصير إلى النعيم الباقي في الآخرة.

[٧٣] - ﴿إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِنُغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا﴾ من الشرك والمعاصي ﴿وَمَا أَكْرَفْتْنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ﴾ أي تعلمه، وعمله في معارضة المعجزة.

قيل: قالوا لفرعون: اربنا «موسى» نائماً [ففعّل]^(٢) فراؤه تحرسه عصاه، فقالوا: ما هذا بسحر وإلا لبطل بنومه، فأبى إلا أن يعارضوه^(٣) ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ﴾ منك ثواباً للمطيع ﴿وَأَبْقَى﴾ عقاباً للعاصي.

[٧٤] - ﴿إِنَّهُ﴾ أي الشأن ابتداء كلام من الله تعالى أو من كلام السحرة ﴿مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا﴾ كافراً ﴿فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ فيستريح ﴿وَلَا يَحْيَى﴾ حياة ممتعة. [٧٥] - ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ﴾ الفرائض قيل: والنوافل ﴿فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾ جمع عليا مؤنث «أعلى».

(١) حجة القراءات: ٤٥٨ وفيه قرأ القواس عن ابن كثير وورش.

(٢) الزيادة من تفسير الكشاف ٣: ٧٧.

(٣) قاله عبدالعزيز بن أبان - كما في تفسير مجمع البيان ٤: ٢١ وتفسير الكشاف ٣: ٧٧.

[٧٦] - ﴿جَنَّتْ عَذْنِي﴾ بدل من «الدرجات» ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾ تطهر من دنس الذنوب.

[٧٧] - ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى﴾ بعد سنين اقامها بينهم يدعوههم بالآيات الى الله ولا يجيبون ﴿أَنْ أَسْرِ بِعَبَادِي﴾ بقرائتي: القطع والوصل، أي: سر بهم ليلاً من مصر ﴿فَاضْرِبْ﴾ اجعل أو يسن ﴿لَهُمْ﴾ بالضرب بعصاك ﴿طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا﴾ يابساً، مصدر وصف به كاليبس ونحوهما العدم والعدم ﴿لَا تَخَافُ دَرْكًا﴾ حال أي آمناً أن يدرككم «فرعون»، وجزمه «حمزة» جواباً للامر ^(١) ﴿وَلَا تَخْشَى﴾ غرقاً، استئناف في قراءة «تخف» أو عطف عليه وألفه للإطلاق كـ «السَّيْلَا» ^(٢).

[٧٨] - ﴿فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ﴾ أي الحق بهم جنوده، أو تبعهم ومعه جنوده ﴿فَغَشِيَهُمْ﴾ أي علاهم ﴿مِنَ النَّيْمِ﴾ من البحر ﴿مَا غَشِيَهُمْ﴾ ايجاز بليغ، أي غشيهم ما سمعته ولا يعلم كنهه إلا الله تعالى.

[٧٩] - ﴿وَأَصْلَ فِرْعَوْنُ قَوْمُهُ﴾ عن الحق ﴿وَمَا هَدَى﴾ رد لقوله: ﴿وما اهديكم إلا سبيل الرشاد﴾ ^(٣).

[٨٠] - ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ خطاب لهم بعد انجائهم من «فرعون» والغرق، أو للمعاصرين بما انعم على آبائهم ﴿قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ﴾ فرعون ﴿وَوَاعَدْنَاكُمْ جَابِطَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ ليؤتى «موسى» التوراة بياناً لما يحتاجون إليه ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمْ﴾ في النيه ﴿الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾ الترنجيبين والطيور السماني بتخفيف الميم والقصر. [٨١] - ﴿كُلُوا﴾ بتقدير القول ﴿مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ لذائذه، وقرأ «حمزة»

(١) حجة القراءات: ٤٥٨.

(٢) سورة الاحزاب: ٦٧/٣٣.

(٣) سورة المؤمن: ٢٩/٤٠.

والكسائي: «انجيتكم» و«واعدنكم» «ما رزقتكم»^(١) ﴿وَلَا تَقْطَعُوا فِيهِ﴾ بترك شكره وتعدي حدود الله فيه ﴿فَيَحْلِلْ عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾ بكسر «حاء» أي: يجب ﴿وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي﴾ بكسر «اللام» أي يجب، وضمهما «الكسائي» من حلّ يحلّ: نزل^(٢) ﴿فَقَدْ هَوَىٰ﴾ هلك أو سقط في النار.

[٨٢] - ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَنْ تَابَ﴾ من^(٣) الكفر ﴿وَوَءَامَنَ﴾ بالله ورسله ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ اذى الفرائض ﴿ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ استمر على ما ذكر .

قال الباقر عليه السلام: ثم اهتدى الى ولايتنا أهل البيت، فوالله لو أنّ رجلاً عبد الله عمره ما بين الركن والمقام ثم مات ولم يجيء بولايتنا، كبه الله في النار على وجهه.^(٤)
[٨٣] - ﴿وَمَا أَغْضَبَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ﴾ سؤال عن سبب عجلته عنهم الى ميعاد اخذ التوراة، وفيه انكار لها، فقدم جواب الإنكار لأهميته.^(٥)

[٨٤] - ﴿قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي﴾ ما تقدمتهم^(٦) إلا يسيراً وهم يدركونني عن قريب ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ طلباً لزيادة رضاك .

[٨٥] - ﴿قَالَ﴾ تعالى: ﴿فَإِنَّا قَدْ فُتْنَا قَوْمَكَ﴾ امتحناهم بتشديد التكليف لما اخرج لهم العجل فالزنا هم النظر ليعلموا انه ليس بـ«اله» ﴿مِنْ بَعْدِكَ﴾ بعد انطلاقتك منهم وهم الذين خلفهم مع هارون وكانوا ستمئة الف، وما سلم من عبادة العجل منهم إلا اثني عشر ألفاً ﴿وَأَصْلَهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ بالدعاء الى عبادة العجل فعبدوه .

(١) حجة القراءات: ٤٦٠.

(٢) حجة القراءات: ٤٦٠ والسبعة في القراءات: ٤٢٢.

(٣) في «ج»: عن.

(٤) تفسير مجمع البيان ٤: ٢٣ وورد الحديث في تفسير التبيان ٧: ١٩٦ باختصار.

(٥) وهو قوله تعالى في الآية التالية: «هم اولاء على اثري».

(٦) في «ج»: أعد منهم.

والتسامري منسوب الى السامرة، قبيلة من بنى اسرائيل، وقيل: كان علقماً^(١) من كرماني اسمه «موسى بن ظفر» وكان منافقاً.^(٢)

[٨٦] - ﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ﴾ بعد الأربعين وأخذ التوراة ﴿غَضَبَانَ﴾ عليهم ﴿أَسِفًا﴾ حزناً لضلالهم ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَلَسُمُ يَعِدُكُمْ رَبُّكُمْ وَغَدًا حَسَنًا﴾ أي صدقاً ان يعطيكم التوراة ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ﴾ زمان مفارقتي إياكم ﴿أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَجَلَ﴾ يجب ﴿عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ بعبادتكم العجل ﴿فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي﴾ وعدكم إياي بالإقامة على ديني أو باللاحاق بي.

[٨٧] - ﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا﴾ بالكسر، وفتح «نافع» و«عاصم»، وضمه «حمزة» و«الكسائي»^(٣) لغات في مصدر «ملك»، أي بأن ملكنا رأينا، إذ لو ملكناه ولم يغلبنا كيد السامري لما اخلفناه ﴿وَلَكِنَّا حُمِلْنَا﴾ وفتح «مخففاً» «أبو عمرو» و«أبو بكر» وفتح «حمزة» و«الكسائي»^(٤) ﴿أَوْرَااَ مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ﴾ انقالاً من حلّي القبط، استعاروها^(٥) منهم بعلّة عيد لهم،^(٦) فبقيت عندهم، وقيل: هي ما القاه البحر على الساحل بعد اغراقهم فأخذوه^(٧) ﴿فَقَذَفْنَاهَا﴾ ألقيناها في النار بأمر السامري قال هي حرام فآلقوها ﴿فَكَذَلِكُ﴾ كما ألقينا ﴿أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ ما معه منها.

[٨٨] - ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا﴾ صاغه من الحلّي المذابة ﴿جَسَدًا﴾ بدل منه لحماً ودماً، أو جسماً بلا روح ﴿لَهُ خَوَائِصُ﴾ صوت العجل ﴿فَقَالُوا﴾ أي السامري ومن تبعه:

(١) العلق بالكسر والسكون: الكافر ويطلق على كل ذي لحية.

(٢) تفسير البضاوي ١: ١٨١.

(٣) حجة القراءات: ٤٦١ والسبعة في القراءات: ٤٢٢ و٤٢٣.

(٤) في «ج»: استعاروا.

(٥) في «ج»: عندهم.

(٦) تفسير البضاوي ١: ١٨١.

﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾ أي فكره «موسى» هنا وذهب يطلبه أو ترك السامري الإيمان.

[٨٩] - ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ﴾ يعلمون، ﴿أَنْ﴾ مخففة من الثقيلة واسمها محذوف، أي أنه ﴿لَا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ لا يرد عليهم جواباً ﴿وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ لا يقدر على ضررهم ونفعهم.

[٩٠] - ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ﴾ قبل عود موسى ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ﴾ امتحنكم الله أو أضلكم السامري ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ﴾ لا غيره ﴿فَاتَّبِعُونِي﴾ في عبادته ﴿وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾ بلزومها.

[٩١] - ﴿قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ﴾ على عبادته مقيمين ﴿حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾.

[٩٢] - ﴿قَالَ﴾ موسى - لما رجع -: ﴿يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا﴾ عبادة العجل؟

[٩٣] - ﴿أَلَا تَتَّبِعُنِي﴾ أن تلحقني أو تتبني في قتالهم بمن اطاعك إذ لو كنت فيهم لقاتلتهم ولا زائدة ﴿أَفَقَصَيْتُ أَمْرِي﴾ بإقامتك فيهم أو ترك مجاهدتهم. ويراد بعصيان الأمر: ترك الأولى، لعصمة الانبياء.

[٩٤] - ﴿قَالَ يَنْتَوِمُّ﴾ بالكسر والفتح أيضاً كما مر في «الأعراف»^(١) وذكر «الأم» ترفيقاً وكانا لأب وأم ﴿لَا تَأْخُذْ بِالْخَيْسَى وَلَا بِرَأْسِي﴾ أخذ بلحيته وذؤابته، بجزه فعل الغضبان بنفسه، وفتح «نافع» و«أبو عمرو»: «الياء»^(٢) ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ لو فارتق أو قاتلت بعضهم ببعض ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ لك:

(١) سورة الأعراف: ٧/ ١٥٠.

(٢) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ١٠٩.

﴿اٰخِلْنِيْ فِيْ قَوْمِيْ وَاصْلِحْ﴾^(١) فَإِنَّ الْإِصْلَاحَ كَانَ فِيْمَا فَعَلْتَ .

[٩٥] - ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ﴾ شَأْنُكَ الَّذِي حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ ﴿يَا سَامِرِيُّ﴾ .

[٩٦] - ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ أَيِ عَلِمْتُ مَا لَمْ يَعْلَمُوهُ ، أَوْ رَأَيْتُ مَا

لَمْ يَرَوْهُ ، وَقَرَأَ «حَمْزَةً» وَالْكَسَانِيَّ «بِالْتَّاءِ»^(٢) ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾ مِنْ تَرَابِ مَوْطِئِ جِبْرِئِيلَ ، أَوْ مَوْقِعِ حَافِرِ فَرْسِهِ ﴿فَنَبَذْتُهَا﴾ أَلْقَيْتُهَا فِيْ حَوْفِ الْعَجَلِ أَوْ الْحَلِيِّ ﴿وَكَذَلِكَ سَوَّلْتُ﴾ زَيْنَتُ ﴿لِيْ نَفْسِيْ﴾ وَحَدَّثَنِي أَنْ أَخَذَ الْقَبْضَةَ وَأَلْقَيْهَا فِيهِ .

[٩٧] - ﴿قَالَ فَاذْهَبْ﴾ طَرِيداً ﴿فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَوةِ﴾ أَيِ مَا دُمْتَ حَيّاً ﴿أَنْ

تَقُولَ﴾ لِمَنْ لَقَيْتَهُ ﴿لَا مِسَاسَ﴾ أَيِ لَا تَمَسَّنِيْ ، وَكَانَ إِذَا مَسَّهُ أَحَدٌ حَمًّا^(٣) هُوَ وَمِنْ مَسِّهِ ، فَسَارَ بِهِمْ^(٤) فِي الْبَرِّيَّةِ وَحِيداً يَتَحَامَى النَّاسُ وَيَتَحَامُونَهُ^(٥) ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِداً﴾ لِعَذَابِكَ ﴿لَنْ تَخْلَفَهُ﴾ لَنْ يَخْلُفَكَ اللَّهُ إِيَّاهُ فِي الْآخِرَةِ ، وَكَسَرَ اللَّامَ «إِبْنُ كَثِيرٍ» وَ«أَبُو عَمْرٍو»^(٦) أَيِ لَنْ تَخْلُفَ الْوَعْدَ إِيَّاهُ وَوَسَاتِيهِ ، فَحَذَفَ الْمَفْعُولَ الْأَوَّلَ ، أَوْ لَنْ تَجِدَهُ خَلْفاً ﴿وَانْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفاً﴾ ظَلَلْتَ عَلَى عِبَادَتِهِ مَقِيماً ، فَحَذَفْتَ الْأَوَّلَى الْمَكْسُورَةَ تَخْفِيفاً ﴿لَتَنَحْرِقَنَّهُ﴾ بِالنَّارِ ﴿ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ نَذْرِيهِ^(٧) فِي الْبَحْرِ ، فَفَعَلَ بِهِ مَا ذَكَرَ تَنْبِيْهاً .

[٩٨] - ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ﴾ الْمُسْتَحَقُّ لِلْعِبَادَةِ ﴿اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ

عِلْماً﴾ تَمَيِّيزَ مُحَوَّلٍ عَنِ الْفَاعِلِ أَيِ وَسِعَ عِلْمُهُ كُلَّ شَيْءٍ .

(١) سورة الاعراف: ١٤٢ / ٧ .

(٢) حجة القراءات: ٤٦٢ .

(٣) أَيِ أَخَذَتْهُ الْحُمَى وَهِيَ حَرَارَةٌ غَرِيْبَةٌ تَنْتَشِرُ فِي الْبَدَنِ ، فَتَحْدُثُ فِيهِ مَا يَبْضُرُ بِالْأَفْعَالِ الطَّبِيعِيَّةِ .

(٤) أَيِ لَا يَدْرِي أَيْنَ يَتَوَجَّهُ .

(٥) تَحَامَى : تَبَاعَدَ .

(٦) حجة القراءات: ٤٦٢ .

(٧) ذَرَأَهُ : طَبَّرَهُ وَفَرَّقَهُ ، وَفِي التَّنْزِيلِ «فَأَصْبَحَ مُشِيماً» (الكهف: ٤٥ / ١٨) تَذَرُوهُ الرِّيحَ .

[٩٩] - ﴿كَذَلِكَ﴾ كما قصصنا عليك يا «محمد» قصة «موسى» ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ﴾ اخبار ﴿مَا قَدْ سَبَقَ﴾ مضى من الأمور والأمم، تبصرة لك وتكثيراً لمعجزاتك وعظة لأمتك. ﴿وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا﴾ أعطيناك من عندنا قرآناً فيه ذكر ما يحتاج إليه في الدين والدنيا.

[١٠٠] - ﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾ عن الذكر فلم يؤمن به ﴿فَإِنَّهُ يَخْمَلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا﴾ حملاً ثقيلاً، من الإنم أي: عقوبته.

[١٠١] - ﴿خَالِدِينَ فِيهِ﴾ في الوزر، والجمع لمعنى «من» ﴿وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ حِمْلًا﴾ تمييز بفسر الضمير المبهم في «ساء»، والمخصوص بالذم محذوف، أي: ساء حملاً وزرهم، واللام للبيان.

[١٠٢] - ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ بدل من «يوم القيامة»، وقرأ «أبو عمرو» بالنون^(١) اسناداً إلى الأمر.

والصُّور: القرن، أو: جمع صورة، ويؤيده قراءة «الصُّور»^(٢) ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ﴾ المشركين ﴿يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ عيونهم.

والزُّرْقَةُ أبغض ألوان العيون إلى العرب. أو: عمياً، إذ الأعمى تزرق عينه.

[١٠٣] - ﴿يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ﴾ يتسازون من شدة الهول ﴿إِنْ لَبِثُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾ ليلي في الدنيا استقصاراً لمدة لبثهم فيها لزوالها ودوام عذابهم أو في القبور.

[١٠٤] - ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ فيه وهو مدة لبثهم ﴿إِذْ يَقُولُ الْمَتَلَهَّمُ طَرِيقَهُ﴾ أصوبهم رأياً ﴿إِنْ لَبِثُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ وهو بالقياس إلى طول لبثهم في النار أقرب من العشر.

[١٠٥] - ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ﴾ ما حالها في القيامة ﴿فَقُلْ يَنْسَفُهَا رَبِّي

(١) حجة القراءات: ٤٦٣.

(٢) انظر إلى هذه القراءات في تفسير البيضاوي ١٨٣: ٣.

نَسْفًا ﴿ وَيَجْعَلُهَا كَالرَّمْلِ ثُمَّ يَطِيرُهَا بِالرَّيَّاحِ .

[١٠٦] - ﴿فَيَذَرُهَا﴾ فيدع أماكنها أو الأرض المعلومه من الجبال ﴿قَاعًا﴾ أملس

﴿صَفْصَفًا﴾ مستويًا .

[١٠٧] - ﴿لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا﴾ انخفاضًا ﴿وَلَا أَمْتًا﴾ ارتفاعًا .

[١٠٨] - ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم إذ نسفت الجبال ﴿يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ﴾ داعي الله الى

المحشر وهو «اسرافيل» بالتفخ أو بقوله : هلموا الى العرض على الرحمان ﴿لَا عِوَجَ لَهُ﴾ لا يعوج له أحد ولا يميل عنه ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾ سكنت لعظمته ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ صوتاً خفياً، وهو صوت وطىء الأقدام .

[١٠٩] - ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ إلا شفاعة من أذن له أو

لا تنفع أحداً إلا من أذن أن يشفع له ﴿وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ ورضى قوله في الشفاعة لمكانه عند الله أو رضى لأجله قول الشافع في حقّه .

[١١٠] - ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ ما كان في حياتهم ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ بعد مماتهم

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ لا يحيط علمهم بمعلوماته أو بذاته .

[١١١] - ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ خضعت له خضوع العاني، أي : الأسير

في يد من قهره ﴿وَقَدْ خَابَ﴾ خسر ﴿مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ أي شركاً .

[١١٢] - ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ﴾ بعض الطاعات ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ بما يجب

الإيمان به إذ لا تصح طاعة غيره ﴿فَلَا يَخَافُ﴾ وقرأ «ابن كثير» : «فلا يخف» على النهي ^(١) ﴿ظُلْمًا﴾ بزيادة في سيئاته ﴿وَلَا هَضْمًا﴾ بنقص من حسناته .

[١١٣] - ﴿وَكَذَلِكَ﴾ عطف على ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ﴾ ^(٢) أي وكما انزلنا ما ذكر

﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ أي القرآن ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ كله ﴿وَصَرَّفْنَا﴾ كررنا ﴿فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ

(١) حجة القراءات : ٤٦٤ .

(٢) وقد سبق في الآية (٩٩) من هذه السورة .

يَتَّقُونَ ﴿المعاصي﴾ «أَوْ يُخْدِثُوا» القرآن ﴿لَهُمْ ذِكْرًا﴾ عظة بعثوبات الأمم الماضية فيتعطون .

[١١٤] - ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ﴾ ارتفع عن مماثلة المخلوقين ﴿الْمَلِكُ﴾ النافذ تصرفه في ملكوته ﴿الْحَقُّ﴾ الذي يحق له الملك أو الثابت ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ لا تعجل بقراءته قبل أن يفرغ جبرئيل من ابلاغه .

كان صلى الله عليه وآله وسلم يسأوه في القراءة حرصاً عليه ، أو : في تبليغ ما كان مجملاً قبل أن يأتيك بيانه ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ الى ما علمتني .
أو : قرآنًا ، فإنه كلما نزل عليه شيء منه : زاد به علمه .

ومن فضائل العلم ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يؤمر بطلب الزيادة إلا فيه .
[١١٥] - ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ﴾ أمرنا بالكف عن الأكل من الشجرة ﴿مِنْ قَبْلِ﴾ قبل زمانك يا محمد ﴿فَنَسِيَ﴾ ترك الأولى وهو ما أمر به من الكف ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾^(١) ثباتاً وتصلباً فيما أمر به ، بحيث يؤيس «الشیطان» من التسويل .

أو : عزمًا في العود الى الذنب ، وقيل : عزمًا على الذنب لأنه لم يتعمده^(٢) على جعل نسي بمعنى سها ، وفيه منافاة السهو للعصمة .

[١١٦] - ﴿وَإِذْ﴾ واذكر إذ ﴿قُلْنَا لِلْمَلٰٓئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾
فسر في البقرة .^(٣)

[١١٧] - ﴿قُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَمَا مِنَ الْجَنَّةِ﴾

(١) في هامش «الف» هنا مايلي : «له» يتعلق بـ : «نجد» او حال من «عزمًا» اذا كان معنى الوجود : الإصابة والإدراك ، وان كان «نجد» بمعنى العلم ، فـ «له» مفعوله الثاني ، و«عزمًا» مفعوله الاول (ع. ق.) .

(٢) قاله ابن زيد وجماعة - كما في تفسير مجمع البيان ٤ : ٣٢ .

(٣) سورة البقرة : ٢ / ٣٤ .

فلا يكونَنَّ سبباً لإخراجكما أي لا تطيعاه ﴿فَتَشْقَى﴾ تعب بالكذب في كسب المعاش .
 وخصَّ بإسناد الشفاء إليه لأنَّ الإكتساب وظيفته الرَّجل ، ولرعاية الفاصلة .
 ثمَّ بيَّن ذلك الشفاء بذكر ماله في الجنة من كفاية المؤمن لأصول المتاعب من
 الشَّبع والرِّيِّ والكن^(١) بقوله :

[١١٨] - ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى﴾ .

[١١٩] - ﴿وَأَنَّكَ﴾ بالفتح ، عطف على اسم «أَنْ» وجاز مع امتناع «أَنْ» أنك
 قائم ، للفصل بالخبر ولأنه يجوز في المعطوف ما لا يجوز في المعطوف عليه ،
 وكسرهما «أبو بكر» و«نافع»^(٢) عطفاً على الجملة ﴿لَا تَقْظَمُونَ فِيهَا وَلَا تَضْحَى﴾
 لا تعطش ولا يصيبك حرُّ الشَّمس ، إذ لا شمس في الجنة .

[١٢٠] - ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ﴾ أنهى إليه وسوسته . وبياناها : ﴿قَالَ يَا آدَمُ هَلْ
 أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ﴾ أي التي من أكل منها ، خلد ولم يمِت ﴿وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى﴾
 لا ينقطع .

[١٢١] - ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ
 الْجَنَّةِ﴾ فسر في «الأعراف»^(٣) ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ﴾ خالف أمره النَّديي ، فإنَّ تارك
 النفل يسمَّى عاصياً ﴿فَفَقَوْا﴾ خاب من ثوابه أو مآرجاه من الخلد .

[١٢٢] - ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ﴾ اختاره للرسالة ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ قبل توبته ﴿وَهَدَى﴾ الى
 حفظ أسباب العصمة .

[١٢٣] - ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ خطاب لآدم وحواء بما اشتملا عليه من
 الذرية ﴿بَعْضُكُمْ﴾ بعض الذرية ﴿لِيَبْغِضَ عَدُوٌّ لِلظَّالِمِ﴾ في أمر المعاش ﴿فِيمَا﴾

(١) الكن : السرة والبيت - قاموس اللغة ومجمع البحرين .

(٢) حجة القراءات : ٤٦٤ .

(٣) سورة الاعراف : ٢٢ / ٧ .

«ان» الشرطية، ادغمت في «ما» الزائدة ﴿يَأْتِيَكُم مِّنْهُ هُدًى﴾ شريعة وبيان ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَصِلْ﴾ في الدنيا ﴿وَلَا يَسْقَى﴾ في الآخرة.

[١٢٤] - ﴿وَمَنْ أَغْرَضَ عَنْ ذِكْرِي﴾ أي: القرآن ومساثر كتب الله ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ مصدر وصف به، ولذا استوى فيه المذكر والمؤنث أي ضيقة لحرصه على جمع اعراض الدنيا وازديادها، وخوفه من انتقاصها، فلم يزل نكد العيش.^(١)
وقيل: هو عذاب القبر،^(٢) وقيل: الضريع والزقوم في جهنم^(٣) ﴿وَنَخْشِرُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ أعمى القلب أو البصر، ويعضده:

[١٢٥] - ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾ في الدنيا وعند البعث، قيل: يخرج من قبره بصيراً فيعمى في حشره،^(٤) وفتح «الحرميان» الياء.^(٥)
[١٢٦] - ﴿قَالَ كَذَلِكَ﴾ مثل ذلك فعلت، ثم بيته بقوله: ﴿أَتُنْكِ آيَاتُنَا﴾ دللنا ﴿فَنَسِيهَا﴾ تركتها، وأعرضت عنها ﴿وَكَذَلِكَ﴾ وكما تركتها ﴿الْيَوْمَ تُنْشَى﴾ تترك في العذاب أو العمى.

[١٢٧] - ﴿وَكَذَلِكَ﴾ الجزاء ﴿تَجْزَى مَنْ أَسْرَفَ﴾ أشرك ﴿وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ﴾ من عذاب الدنيا وعذاب القبر ﴿وَأَبْقَى﴾ وأدوم.

[١٢٨] - ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ يبين لقريش، الله أو الرسول أو ما دلّ عليه ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ﴾ أي اهلاطنا كثيراً من الأمم الماضية المكذبة للرسل كـ «عاد» و«ثمود» «يَمْشُونَ» حال من ضمير «لهم» ﴿فِي مَسَاكِينِهِمْ﴾ ويرون آثار هلاكهم فيعتبروا ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ﴾ لعبراً ﴿لأُولَى النَّهْيِ﴾ لذوي العقول.

[١٢٩] - ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ بتأخير عذابهم الى الآخرة ﴿لَكَانَ﴾ الأخذ

(١) في «ج»: للعيش.

(٤٢) قاله ابن مسعود وبوسعيد الخدري والسدي والفراء - كما في تفسير مجمع البيان ٤: ٣٤.

(٥) الكشف عن وجوه التفراءات ٢: ١٠٩.

العاجل ﴿لِرَآءَا﴾ لازماً لهم، مصدر وصف به ﴿وَأَجَلَ مُسَمًّى﴾ عطف على «كلمة» أي: لولا العدة بتأخير عذابهم وأجل مضروب له وهو الآخرة.

أو يوم بدر للزهم الأخذ العاجل، أو على مستكن «كان» أي: لكان الأخذ العاجل واجلاً مسمى لازمين لهم.

[١٣٠] - ﴿فَاضِرٌ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ من تكذيبك ﴿وَسَيَحِبُّ حَمْدُ رَبِّكَ﴾ صلّ متلبساً بحمده ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ صلاة الفجر ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ صلاة العصر أو الظهرين ﴿وَمِنْ ءَآثَاءِ اللَّيْلِ﴾ ساعاته ﴿فَسَيَحِبُّ﴾ صلّ العشائين.

وقدّم الظرف عليه اهتماماً بالصلاة فيه، لأنها أشقّ، والبال^(١) فيه أجمع ﴿وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾ صلاة الظهر لأنّ أوّل وقتها نهاية النصف الأول وبداية النصف الثاني.

وجُمع لأمن اللبس، أو تكريراً لصلاتي الصبح والعصر اعتناء بهما نحو ﴿والصلاة الوسطى﴾^(٢) ويمكن حمل الأمر على الرجحان المطلق، فيعمّ الفرائض والتوافل النهارية والليّلية.

وقيل: التسييح: التنزيه^(٣) والمراد الحثّ على ملازمته في كلّ الاوقات ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ بما يعطيك ربك في الدارين وبناء «الكسائي» للمجهول.^(٤)

[١٣١] - ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ لا تنظرن ﴿إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ﴾ رغبة فيه ﴿أَزْوَاجًا مِّمَّنْهُمْ﴾ اصنافاً من الكفّار ﴿زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ زيتها وبهجتها، ونصبت على الذمّ أو البدل من محلّ «به» أو من «ازواجاً» بتقدير: ذوي زهرة، وفتح «يعقوب»

(١) البال: الخاطر.

(٢) سورة البقرة: ٢/٢٣٨.

(٣) تفسير مجمع البيان ٤: ٣٥.

(٤) حجة القراءات: ٤٦٤.

الهاء^(١) لغة فيها ﴿لِنَقْتَنَّهُمْ فِيهِ﴾ لنختبرهم أو لنعذبهم به ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ﴾ ما وعذك به في الآخرة أو ما رزقك من العلم والنبوة ﴿خَتِينَ﴾ ممّا متّعهم به في الدنيا ﴿وَأَبْقَى﴾.

[١٣٢] - ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ﴾ أهل بيتك ﴿بِالصَّلَاةِ﴾ قال «الباقر» عليه السلام: امره الله تعالى أن يخص أهله دون الناس، ليعلم الناس أن لأهله منزلة عند الله ليست للناس، فأمرهم مع الناس عاقمة، ثم أمرهم خاصة.^(٢)

وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد نزولها يأتي باب فاطمة وعليّ عليهما السلام تسعة اشهر، عند كلّ صلاة فيقول: الصلاة رحمكم الله، «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً»^(٣) ﴿وَاضْطَرَّ عَلَيْهَا﴾ حافظ عليها ﴿لَا تَسْتَلُكَ﴾ لا تكلف ﴿رِزْقًا﴾ لنفسك ولا لأهلك ﴿تُحْنُ رِزْقُكَ﴾ وآياهم ﴿وَالْعَاقِبَةُ﴾ المحمودة ﴿لِلتَّقْوَى﴾ لأهلها.

[١٣٣] - ﴿وَقَالُوا لَوْلَا﴾ هلا ﴿يَأْتِينَا﴾ «محمد» ﴿بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ مقترحة لم يعتدوا بما أتى به من الآيات، فردّ عليهم بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَأْتِهِمْ﴾^(٤) بالياء لـ «نافع» و«ابي عمرو» و«حفص» وبالناء للباقيين^(٥) ﴿بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ بيان ما في سائر الكتب المنزلة يعني القرآن، لتضمّنه اصول ما فيها من العقائد والأحكام الكلية مع أن الاتي به أمي، لم يقرأها ولم يسمعها من أحد، فهو معجز يشهد بنبوته وبصحة تلك الكتب

(١) تفسير البضاوي ٣: ١٨٧.

(٢) تفسير مجمع البيان ٤: ٣٧.

(٣) للحديث مصادر كثيرة يراجع كتاب العمدة لابن البطريق الفصل الثامن ويراجع ايضاً مناقب الخوارزمي / ٦٠ - والآية من سورة الاحزاب: ٣٣ / ٣٣.

(٤) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «تأتهم» - كما سيشير اليه المؤلف ..

(٥) حجة القراءات: ٤٦٥.

المحتاجة الى مصدق لها، لعدم اعجازها.

وقيل: اراد به بيان ما فيها من أنباء الأمم المكذبة واهلاكهم باقتراح الآيات. ^(١)

[١٣٤] - ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ﴾ قبل «محمد» أو القرآن المراد بالبيّنة ﴿لَقَالُوا﴾ يوم القيامة ﴿رَبَّنَا لَوْلَا هَـذَا﴾ «أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَتَّبِعَ أَتَابِكَ» المرسل بها ﴿مِن قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ﴾ في المحشر أو في الدنيا بالقتل والأمير ﴿وَنُخْرِجَ﴾ في جهنم.

[١٣٥] - ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنَّا وَمِنكُمْ﴾ «مُتَرَبِّصٌ» منتظر عاقبة الأمر ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ تهديد ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَن أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ﴾ وهو ^(٢) الذين المستقيم ﴿وَمَن اهْتَدَى﴾ لطريق الحق. أنحن أم أنتم.

وكلمتا «مَن» استفهامية معلقة للفعل مرفوعة بالإبتداء.

(١) نقله الطبرسي في تفسير مجمع البيان ٤: ٣٧.

(٢) ليس في «ب»: وهو.

سورة الأنبياء

[٢١]

مائة واثنى عشرة آية مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] - ﴿اَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ﴾ الكفار، لوصفهم المتعقب، واللام صلة «اقترب» أو تأكيد الإضافة في ﴿حِسَابُهُمْ﴾ أي: قرب وقته، وهو يوم القيامة لأن كل ما هو آت قريب، أو بالنسبة الى ما مضى لقوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«بعثت أنا والساعة كهاتين»^(١) أو عند الله [لقوله تعالى: ﴿وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾^(٢)].

﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ عنه ﴿مُعْرِضُونَ﴾ عن التأهب له.

[٢] - ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ﴾ من قرآن و«من» زائدة أو تبعيضية ﴿مِّنْ رَبِّهِمْ﴾ صفة «ذكر» أو صلة «يأتيهم» ﴿مُحَدِّثٍ﴾ تنزيهه شيئاً فشيئاً ﴿إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ يستهزئون به، حال من الواو وكذا

(١) تفسير مجمع البيان ٤: ٣٩.

(٢) الزيادة اقتضاها السياق.

(٣) سورة المعارج: ٧٠ / ٧.

[٣] - ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ غافلة عن تدبره، أو حال من واو «يلعبون» ﴿وَأَسْرَوْا النَّجْوَى﴾ بالغوا في اخفائها، أو اخفوا التناجي فلم يفظن له ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بدل من واو «اسرؤا» أو ذم مرفوع، أو منصوب بتقدير «هم» أو «اعني» ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ بدل من «النجوى» أو مفعول له «قالوا» مضمراً أي: هو ليس بملك، فليس برسول، فما يأتي به سحر ﴿أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ﴾ افتحضونه وتقبلونه ﴿وَأَنْتُمْ تَبْصِرُونَ﴾ ترون أنه بشر. أو: تعلمون أنه سحر.

[٤] - ﴿قُلْ﴾^(١) وقرأ «حفص» و«حمزة» و«الكسائي»: «قال»^(٢) بالإخبار عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ﴿رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ﴾ كائناً ﴿فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ فيعلم ما اسروه ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوالهم ﴿الْعَلِيمُ﴾ بأحوالهم.

[٥] - ﴿بَلْ﴾ للإنتقال من حكاية تشاورهم في أمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى حكاية ما قالوا في القرآن ﴿قَالُوا أَضْغَاتٌ أَحْلَامٌ﴾ تخاليط أباطيل، رآها في النوم، ثم اضربوا عنه وقالوا: ﴿بَلْ افْتَرَاهُ﴾ اختلقه من نفسه، ثم اضربوا عنه وقالوا: ﴿بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ فما أتى به شعر.

وجعل الأول اضرباً لهم أيضاً عن قولهم أنه سحر أي أنه تخاليط، فتكون الإضرابات كلها لهم غير ظاهر ﴿فَلْيَأْتِنَا بآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾ به كالناقة والعصا.

[٦] - ﴿مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ﴾ أي أهلها ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ بتكذيب الآيات المقترحة عند مجيئها ﴿أَفَلَمْ يُؤْمِنُوا﴾ أي: لا يؤمنون لو أتيتم بها، وإذا لم يؤمنوا استحقوا الإهلاك كمن قبلهم فلم نجبهم بقاءاً عليهم.

[٧] - ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ لا ملائكة، جواب لقولهم: ﴿هَلْ هَذَا

(١) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «قال» - كما سيثير اليه المؤلف.

(٢) حجة القراءات: ٤٦٥.

إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ». ^(١) ﴿يُوحَىٰٓ إِلَيْهِمْ﴾ وقرأ حفص «بالتَّوْن وكسر الحاء» ^(٢) ﴿فَسْتَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ أهل الكتاب لوثوقكم بهم، أو أهل العلم، أو أهل القرآن.

وعن أهل البيت عليهم السلام: «نحن أهل الذِّكر والذِّكر، الرسول صلَّ الله عليه وآله وسلم» ^(٣) ﴿إِنْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك، فإنهم يعلمونه.

[٨] - ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ﴾ أي الرُّسل ﴿جَسَدًا﴾ اجساداً على إرادة الجنس ﴿لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ بل جعلناهم اجساداً يأكلونه ﴿وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾ بل يموتون، فهم بشر مثلك، لخلطوهم من خاصنَى الملائكة: عدم الطعم والخلود - على اعتقادهم -.

[٩] - ﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ﴾ بالإنجاء والنصر ﴿فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَّشَاءُ﴾ مَنْ آمَنَ بِهِمْ ﴿وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾ المكذِّبين لهم.

[١٠] - ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ﴾ يا قريش ﴿كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ شرفكم، أو ما يوجب حسن الذِّكر لكم، ان تمسكتم به ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ فتؤمنون به.

[١١] - ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا﴾ أهلكنا ﴿مِنْ قَرْيَةٍ﴾ أي أهلها ﴿كَأَنَّ ظِلْمَ لَيْلَةٍ﴾ كافرة ﴿وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ مكانهم.

[١٢] - ﴿فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا﴾ أدرك أهل القرية عذابنا بحواسهم ﴿إِذَا هُمْ مِنْهَا﴾ من القرية ﴿يَرْكُضُونَ﴾ يهربون مسرعين.

والركض: ضرب الذَّابَّة بالرجل، ويقال للعدو بشدة.

[١٣] - ﴿لَا تَرْكُضُوا﴾ - أي قالت لهم الملائكة استهزاء: لا تهربوا ﴿وَارْجِعُوا

(١) الآية ٣ من هذه السورة.

(٢) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «نوحى».

(٣) حجة القراءات: ٤٦٦.

(٤) للحديث مصادر كثيرة - ينظر كتاب العمدة لابن البطريق الفصل الخامس والثلاثون.

إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ ﴿فِيهِ وَمَسَاكِينُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَسْتَلُونَ﴾ عن أعمالكم، أو يستلکم الناس شيئاً من دنياكم.

[١٤] - ﴿قَالُوا﴾ - ندماً حين عاينوا العذاب -: ﴿يَا وَيْلَنَا﴾ هلاكنا ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ بتكذيب الرسل.

[١٥] - ﴿فَمَا زَالَتْ تِلْكَ﴾ الذعوى أي قولهم: «يا ويلنا» ﴿دَعْوَاهُمْ﴾ يدعون بها ويردونها ﴿حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا﴾ كالزرع المحصود ﴿خَامِدِينَ﴾ موتى، لا يتحركون كما تخمد النار أي: أهلكناهم بالعذاب أو بقتل «بخت نصر» لهم.

[١٦] - ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾ عابثين، بل خلقناها لغرض صحيح ومنافع للخلق دينية ودنيوية.

[١٧] - ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوًا﴾ ما يلهى به، قبل هو الولد، وقيل الزوجة^(١) ﴿لَا نَتَّخِذُنَا مِنْ لَدُنَّا﴾ من قدرتنا^(٢) أي من الملائكة والحوور، لا من الإنس.

رد على اليهود والنصارى في نسبة الولد والزوجة إليه تعالى، أو من عندنا خفية، فلا يعرفونه فيكون رداً على كل من نسب إليه ولداً ولو من الملائكة ﴿إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ ذلك، لكننا لم نفعله ولم نرده، وجوابه علم من جواب «لو»، وقيل: «ان» نافية.

[١٨] - ﴿بَلْ﴾ إضراب عن اتخاذ اللهو إلى وصفه تعالى بما يضاده ﴿تَقْدِفُ﴾ بالحق عَلَى الْبَاطِلِ الذي من جملة اللهو ﴿فَيَذْمُوهُ﴾ فيعلوه، واستعير لذلك القذف وهو الرمي بنحو الحجر.

والذمغ: وهو إصابة الدماغ بالشجرة تصويراً لإذهاب الباطل بالحق للمبالغة ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ مضمحل.

(١) قاله الحسن وقتادة وابن عباس - كما تفسير مجمع البيان ٤: ٤٢.

(٢) في «ج»: من عندنا.

والزُّهوق: خروج الروح. وهو ترشيح^(١) للإستعارة ﴿وَلَكُمْ﴾ أيها الكفرة ﴿الْوَيْلُ﴾ الهلاك ﴿مِمَّا تَصِفُونَ﴾ الله به مما يستحيل عليه.

[١٩] - ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ﴾ أي الملائكة المقربون منه بالشرف لا بالمسافة، وهو عطف على «من في السماوات». افرّد تعظيماً، أو مبسّداً، خبره: ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ لا يترفعون ﴿عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ لا يعيون منها.

[٢٠] - ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ يتزّهونه دائماً ﴿لَا يَفْتُرُونَ﴾ عن التّسبيح، فهو لهم كالنفس لنا، لا يشغلهم عنه شاغل.

[٢١] - ﴿أَمْ اتَّخَذُوا﴾ بل اتّخذوا، والهمزة للإنكار والتوبيخ ﴿ءَالِهَةً﴾ كاتبة ﴿مِنْ الْأَرْضِ﴾ الحجر أو غيره، أو «من» ابتدائية تتعلق بـ «اتّخذوا» ﴿هُمْ يُنْشِرُونَ﴾ يحيون الموتى، إذ من لوازم الإلهية القدرة على كلّ ممكن.

وأورد الضمير المخصّص للإنشار بهم مبالغة في التّهمك، يقال انشره ونشره.

[٢٢] - ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا﴾ أي السماوات والأرض ﴿ءَالِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ﴾ غير الله، وصف بـ «إلا» حين تعذر الإستثناء لعدم دخول ما بعدها فيما قبلها، وإفادته لزوم الفساد لوجود آلهة دونه، ومفهومه عدم لزومه لوجودها معه وهو خلاف المراد ﴿لَقَسَدَاتَا﴾ لما استقامتا لوقوع التّمانع بينهما؛ أمّا عند تخالفهم في المراد فظاهر، وأمّا عند توافقهم فيه فلأنّ تأثير كلّ منهم فيه يمنع تأثير الآخر فيه مرة أخرى لاستحالته^(٢) ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾

(١) الترشيح: هو أن يذكر ما يلائم المستعار منه، وهنا حيث استعار القذف والدمغ لإثبات الحقّ ذكر زهوق الروح الذي يلائم ويلزم القذف والدمغ.

(٢) والغرض أنّ كلّ واحد منها علّة تامّة، لأنّ واجب الوجود لا يكون جزء مركب للزوم الإفتقار المعنوي له.

رَبِّ الْعَرْشِ ﴿الْحَاوِي لِأَجْرَامِ الْعَالَمِ﴾ ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ﴿مَنْ الشَّرِيكَ وَالصَّاحِبُ﴾ ^(١) وَالْوَلَدُ .
 [٢٣] - ﴿لَا يُسْتَلَّ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ لَأَنَّ كُلَّ مَا يَفْعَلُهُ حَكْمَةٌ وَصَوَابٌ، وَلَا يُقَالُ
 لِلْحَكِيمِ: لَمْ تَفْعَلِ الصَّوَابَ؟ ﴿وَهُمْ﴾ أَيُّ الْآلِهَةِ أَوْ الْعِبَادِ ^(٢) ﴿يُسْتَلُونَ﴾ عَنْ أَعْمَالِهِمْ .
 [٢٤] - ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهَةً﴾ كَزَرِ اسْتِفْظَاعًا لِكُفْرِهِمْ وَزِيَادَةً فِي تَوْبِيخِهِمْ
 لِيَرْتَبَ عَلَيْهِ ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ عَلَى ذَلِكَ عَقْلًا أَوْ نَقْلًا، إِذْ لَا صَحَّةَ لِدَعْوَى بِلَا
 حُجَّةٍ مَعَ أَنَّ الْبِرْهَانَ الْعَقْلِيَّ قَدْ أَبْطَلَهُ مِنْ اسْتِلْزَامِهِ لِلْفُسَادِ، وَكَذَا الثَّقَلَيْنِ الْمَدْلُولِ عَلَيْهِ
 بِقَوْلِهِ: ﴿هَذَا ذِكْرٌ مَنْ مَعِيَ﴾ عِظَةُ امْتِنِي وَهُوَ الْقُرْآنُ، وَفَتْحُ «حَفْص» «الْيَاء» ^(٣) ﴿وَذِكْرٌ
 مَنْ قَبْلِي﴾ مِنَ الْأُمَمِ وَهُوَ سَائِرُ كُتُبِ اللَّهِ، لَيْسَ فِيهَا أَنْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا، وَأَمَّا فِيهَا مَا يَنْفِيهِ
 مِنَ الْأَمْرِ بِتَوْحِيدِهِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْإِشْرَاقِ .

وَصَحَّ اثْبَاتُ التَّوْحِيدِ بِالنَّقْلِ لِعَدَمِ تَوَقُّفِ الْبَعْثَةِ عَلَيْهِ ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ
 الْحَقَّ﴾ أَيُّ تَوْحِيدِ اللَّهِ لِتَرْكِهِمُ النَّظَرَ ﴿فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ عَنِ الْحَقِّ لِعَدَمِ تَمْيِيزِهِمْ بَيْنَهُ
 وَبَيْنَ الْبَاطِلِ .

[٢٥] - ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا يُوحَىٰ إِلَيْهِ﴾ ^(٤) وَقَرَأَ «حَفْص»
 وَ«حَمْزَةٌ» وَ«الْكَسَانِي» بِالنُّونِ وَكَسَرَ الْحَاءَ ^(٥) ﴿أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ فَوَخَدُونِي .
 [٢٦] - ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ رَدَّ عَلَى الْقَائِلِينَ [بِأَنَّ]: ^(٦) الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ
 ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تَنْزِيهًا لَهُ عَنْ ذَلِكَ ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ لَدَيْهِ، وَالْعِبَادُ لَيْسُوا بِأَوْلَادٍ .

(١) فِي «ج»: الصَّاحِبُ .

(٢) فِي «ج»: وَالْعِبَادُ .

(٣) الْكَشْفُ عَنْ وَجْهِ الْقُرَّاءَاتِ ٢: ١١٥ .

(٤) فِي الْمَصْحَفِ الشَّرِيفِ بِقِرَاءَةِ حَفْصٍ: «نُوحِي» - كَمَا سَيُشِيرُ إِلَيْهِ الْمُؤَلِّفُ .

(٥) حُجَّةُ الْقُرَّاءَاتِ: ٤٦٦ .

(٦) الزِّيَادَةُ اقْتَضَاهَا السِّيَاقُ .

[٢٧] - ﴿لَا يَسْقُونَهُ بِالْقَوْلِ﴾ لا يقولون إلا ما يقوله ﴿وَهُمْ بِآمِرِهِ يَمْعَلُونَ﴾ فهم التابعون لأمره في أقوالهم وأفعالهم.

[٢٨] - ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أي ما عملوا وما هم عاملون ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ أن يشفع له ﴿وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ﴾ من مهابته ﴿مُشْفِقُونَ﴾ وجلون.

[٢٩] - ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ﴾ من الملائكة - فرضاً -، وقيل: عنى به ابليس لأنه دعا الى طاعته ^(١) ﴿إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ﴾ من دون الله، وفتح «نافع» و«أبو عمرو»: «الياء» ^(٢) ﴿فَذَلِكْ نَجْرِي بِهِمْ جَهَنَّمَ﴾ والتعذيب ينافي بالنسبة ﴿كَذَلِكَ﴾ الجزاء ﴿نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ المشركين.

[٣٠] - ﴿أُولَئِكَ﴾ وترك «ابن كثير» «الواو» ^(٣) ﴿يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعلموا ﴿أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي جماعتهما، ولذلك قال: ﴿كَانَتَا﴾ دون كن ﴿رَتْقًا﴾ ذواتي رتق، أو مرتوتين أي ملتصقتين ﴿فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ ففصلنا بينهما بالهواء، أو جعلنا كلا منهما سبعا.

أو كانتا رتقا السموات لا تمطر، والأرض لا تنبت، ففتقناهما بالمطر والنبات. وتمكن الكفرة من العلم بذلك بالنظر أو الاستعلام بمنزلة علمهم به، فذلك صحح الإستفهام التقريري ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ خلقنا منه كل حيوان، لفرط حاجته إليه وقلة صبره عنه، أو صيرنا كل شيء حي بسبب من الماء لا بد له منه. وقيل: بشمول الحي للنبات أيضا ^(٤) ﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ وقد لزمهم الحجة.

(١) قاله ابن جريج وقتادة - كما في تفسير مجمع البيان ٤: ٤٥.

(٢) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ١١٥.

(٣) حجة القراءات: ٤٦٧.

(٤) قاله ابو مسلم كما في تفسير مجمع البيان ٤: ٤٥.

[٣١] - «وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ» جبلاً ثوابت «أَنْ تَمِيدَ» كراهة أن تتحرك «بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا» «في الأرض» أو «الزواصي» «فِجَاجًا» طرقاً واسعة «سُبُلًا» بدل أو «فِجَاجًا» وصف له قَدَم، فصار حالاً تنفيذ أنه خلقها واسعة «لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ» الى مقاصدهم في الأسفار. أو: الى وحدانية الله بالإعتبار.

[٣٢] - «وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا» للأرض في النظر «مُحْفُوظًا» عن السقوط بقدرته، أو الشياطين بالشهب «وَهُمْ عَنْ آيَاتِنَا» اوضاعها واحوالها الذالّة على وجود مبدعها ووحده وقدرته وحكمته «مُعْرِضُونَ» لا يتفكرون فيها. وبين بعض آياتها بقوله:

[٣٣] - «وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ الْبَلَّ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ» التنوين عوض المضاف إليه، أي كلّهم من الشمس والقمر وتابعهما وهو النجوم «فِي فَلَكٍ» أي جنسه، نحو كسانا الأمير حلة «يَسْبَحُونَ» يسرون كالسباح في الماء، وجميع جمع العقلاء تشبيهاً لها بهم في امثال أمر خالقها، أو لأنها ذوات انفس عاقلة كما قيل.

[٣٤] - «وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ» أي: البقاء في الدنيا، نزلت حين قالوا: ان «محمداً» سيموت «أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ» والفاء في الشرط^(١) لتعلقه بما قبله، والهمزة لإنكار جملة الجزاء أي: فهم أيضاً يموتون فلا يسمتوا بموته.

[٣٥] - «كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ» تقرير للإنكار «وَتَبْلُوكُمْ» نخبركم «بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ» بالمحن والمنح^(٢) «فِتْنَةً» ابتلاء، مصدر من غير لفظه «وَالَّذِينَ تَرْجِعُونَ» فتبكم إن صبرتم وشكرتم، ونعاقبكم إن جزعتم وكفرتهم.

[٣٦] - «وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ» ما «يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا» مهزواً به، يقولون: «أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ» أي يعيبها «وَهُمْ يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ» بتوحيد المولى للنعم

(١) أي الفاء انما جيء به هنا لتعلق الشرط بما قبله.

(٢) المنحة - بكسر الميم -: الإعطاء.

كلها، أو بكتابه المنزل ﴿هُمْ﴾ كَرَّرَ تأكيداً أو لبعد الخبر بحلولة صلته ﴿كَافِرُونَ﴾ جاحدون، فهم أحق بالهزم بهم.

[٣٧] - ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ﴾ نزل في استعجالهم العذاب أي لفرط عجله في اموره كأنه خلق منه.

وقيل: هو «آدم» عليه السلام هم بالقيام حين بلغ الروح صدره^(١) ﴿سَأُورِيكُمْ آيَاتِي﴾ وهي القتل في الدنيا والعذاب في الآخرة ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُون﴾ فيها وقد أراهم القتل ببدر.

[٣٨] - ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ وعد القيامة ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيه. قال تعالى:

[٣٩] - ﴿لَوْ يَظُنُّمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ومفعوله: ﴿حِينَ لَا يَكْفُونُ﴾ أي لو يعلمون الوقت الذي لا يدفعون فيه ﴿عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ﴾ لإحاطتها بهم من كل جانب ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ يمنعون منها فيه، وهو الوقت الذي استعجلوا به بقولهم «متى هذا الوعد» وجواب «لو» محذوف أي لما استعجلوا.

[٤٠] - ﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ﴾ القيامة أو النار ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة، مصدر أو حال ﴿فَتَبْهَتُهُمْ﴾ فتحيرهم أو تغلبهم ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا﴾ عنهم ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ لا يمهلون بعد امهالهم في الدنيا.

[٤١] - ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَأَ يَرْسُلُ مِنْ قَبْلِكَ﴾ تسلياً له صلى الله عليه وآله وسلم ﴿فَحَقَّ﴾ حل ﴿بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ من العذاب أو جزاء استهزائهم، فكذا يحق بمن استهزه بك.

[٤٢] - ﴿قُلْ مَنْ يَكْلَأُكُمْ﴾ يحفظكم ﴿بِالْيَلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ من بأسه. ونبه بلفظ «الرحمن» على انه لا كالماء إلا رحمته الواسعة ﴿بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ

رَبِّهِمْ ﴿أَيُّ الْقُرْآنِ أَوْ الْمَوَاعِظِ﴾ ﴿مُعْرِضُونَ﴾ لَا يَلْتَفِتُونَ إِلَيْهِ فَضْلًا عَنْ أَنْ يَخَافُوا
بِأَسْه، فهم لَا يَصْلَحُونَ لِلتَّوَالٍ عَنِ الْكَالِي .

[٤٣] - ﴿أَمْ﴾ بِمَعْنَى بَلْ، وَهَمْزَةُ الْإِنْكَارِ، أَيُّ بَلْ أَلَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ ﴿مِنَ
الْعَذَابِ﴾ ﴿مِنْ دُونِنَا﴾ مِنْ غَيْرِنَا ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ أَيُّ الْآلِهَةِ، اسْتِثْنَاءٌ لِبَيَانِ عِزِّهِمْ
﴿نَضَّرَ أَنْفُسَهُمْ﴾ فَكَيْفَ يَنْصُرُونَهُمْ ﴿وَلَا هُمْ مِّنَّا يُضْحِكُونَ﴾ بِالنَّصْرِ. أَوْ مِنْ عَذَابِنَا
يَجَارُونَ فَكَيْفَ يَجِيرُونَ؟ وَقِيلَ: ضَمِيرُ «هُمْ» لِلْكَفَرَةِ.

[٤٤] - ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ﴾ أَضْرَابٌ عَنِ ابْطَالِ مَا زَعَمُوهُ بَيَانٌ مَا أَوْهَمَهُمْ
ذَلِكَ، وَهُوَ تَمْتِيعُهُ تَعَالَى إِيَّاهُمْ بِنِعَمِ الدُّنْيَا وَآمِهَالِهِ إِيَّاهُمْ ﴿حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾
فَاغْتَرَوْا بِذَلِكَ وَحَسَبُوا أَنَّهُ سَبَبٌ مَا هُمْ عَلَيْهِ ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ﴾ نَقْصِدُ أَرْضَ
الشَّرْكِ أَوْ الْأَعَمِّ مِنْهَا ﴿نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ بَفَتْحِهَا عَلَى الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.
أَوْ بِتَخْرِيبِهَا وَمَوْتِ أَهْلِهَا أَوْ بِمَوْتِ الْعُلَمَاءِ ﴿أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ أَيُّ لَيْسُوا غَالِبِينَ،
بَلْ نَحْنُ الْغَالِبُونَ.

[٤٥] - ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ﴾ بِمَا أَوْحِيَ إِلَيْهِ ﴿وَلَا يَسْمَعُ﴾ وَقَرَأَ «ابْنُ عَامِرٍ»
بِنَاءِ الْخُطَابِ ^(١) مِنَ الْأَسْمَاءِ ﴿الضَّمُّ الدُّعَاءُ إِذَا مَا يُنْذَرُونَ﴾ أَيُّ هُمْ لِتَصَامَتِهِمْ وَعَدَمِ
التَّضَامَتِ إِلَى الْإِنْذَارِ كَالضَّمِّ.

[٤٦] - ﴿وَلَيْتَنَّا مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ﴾ أَقْلٌ أَثَرُ ﴿مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَتَنَا﴾
هَلَاكُنَا ^(٢) ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ بِتَكْذِيبِ «مُحَمَّدٍ».

[٤٧] - ﴿وَتَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ﴾ الْعَدْلَ، وَصَفٌ بِالمَصْدَرِ مَبَالِغَةً، أَوْ ذَوَاتِ
الْعَدْلِ ﴿لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ لِأَمَلِهِ أَوْ فِيهِ ﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ مِنْ حَقِّهَا أَوْ مِنْ الظُّلْمِ

(١) حجة القراءات: ٤٦٧.

(٢) في «ب»: أهلاكنا.

﴿وَإِنْ كَانَ الْعَمَلُ مُنْقَلًا﴾ ورفع «نافع» على كان التامة أي زنة^(١) ﴿حَبِيبٌ مِنْ خَرَدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا﴾ أحضرناها.

وأنت ضمير «منقال» لإضافته الى الحبة ﴿وَوَكَّفَى بَنَى حَاسِبِينَ﴾ عالمين أو محصين.

[٤٨] - ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ﴾ التوراة الفارقة بين الحق والباطل ﴿وَوَضِئًا﴾ يستضاء بها ﴿وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ﴾ عظة لهم بها، أو ذكر ما يحتاجون إليه.

[٤٩] - ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ صفة أو مدح لهم ﴿بِالْغَيْبِ﴾ حال أي: غائباً عن حواسهم، أو غائبين عن الناس، أي: في خلواتهم ﴿وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ﴾ من أهوالها ﴿مُنْفِقُونَ﴾ خانفون.

[٥٠] - ﴿وَهَذَا﴾ أي القرآن ﴿ذِكْرٌ مُبَارَكٌ﴾ كثير الخير ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ على محمد ﴿أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ استفهام توبيخ.

[٥١] - ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ﴾ هداة أو النبوة. وإضافته تفيد أن لهذا الرشد شأنًا ﴿مَنْ قَبْلُ﴾ قبل «موسى» و«هارون» أو قبل بلوغه ﴿وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ أي بأنه أهل لما آتيناه.

[٥٢] - ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ﴾ ظرف لـ «آتيناه» أو مفعول اذكر مقدراً ﴿مَا هَلِجُ التَّمَاثِيلُ﴾ الصور الممثلة التي لا تضر ولا تنفع، تحقير لها وتوبيخ لهم ﴿الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ أي على عبادتها مقيمون، وعدى باللام لتضمينه معنى العبادة.

وقيل: اللام للاختصاص أي فاعلون العكوف لها.

[٥٣] - ﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾ فافتدنا بهم، لم يجدوا جواباً سوى التقليد.

[٥٤] - ﴿قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ ظاهر، لعدم استناد

الجميع الى حجة .

[٥٥] - ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ﴾ بالجذ فيما تقوله ﴿أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ﴾ فيه ، قالوه استبعاداً لتضليلهم فيما ألفوه .^(١)

[٥٦] - ﴿قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ﴾ خلقهن .

اضرب عما قالوا بإثبات دعواه بالحجة و«هن» للسموات والأرض ، أو للتمائيل وهو ادخل في تضليلهم وإلزامهم الحجة ﴿وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ﴾ الذي ذكرته «مِنْ الشَّاهِدِينَ» المتحققين له .

[٥٧] - ﴿وَتَاللَّهِ لَيَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾ لا دبرن في كسرهما ، و«الناء» بدل «الواو» المبدلة عن «الباء» وتفيد تعجباً كأنه تُعْجِب من كيده لها ، لصعوبته ﴿بَعْدَ أَنْ تُولُوتُوا﴾ إلى عيدكم «مُذِيرِينَ» عنها ، قاله سراً ، فسمعه رجل فأفشاه .

[٥٨] - ﴿فَجَعَلَهُمْ﴾ بعد ذهابهم الى عيدهم ﴿جُذَاذًا﴾ قطاعاً ، وكسره «الكسائي» لغة فيه^(٢) ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ﴾ لم يكسره وعلّق الفأس في عنقه ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ الى «إبراهيم» . رجا ذلك لتفرده بسبب آلهتهم فيبكتهم بقوله : ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ﴾^(٣) أو الى الكبير فيسألونه عن الكاسر كما يرجع الى الرب في المشكل فيعلمون جهلهم .

[٥٩] - ﴿قَالُوا﴾ - بعد رجوعهم - : ﴿مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ بجرأته عليها أو بتعريض نفسه للقتل .

[٦٠] - ﴿قَالُوا﴾ أي بعضهم : ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ يعيهم ، صفة له «فتى» نصّح تعلق السمع به أو مفعول ثان له «سمع» «يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ» رفع به «يقال» ،

(١) يقال ألف فلان الشيء : اذا تعوده واستأنس به .

(٢) حجة القراءات : ٤٦٨ .

(٣) في الآية (٦٣) من هذه السورة .

أو خبر محذوف أو منادى .

[٦١] - ﴿قَالُوا فَاتَّبِعُوهُ عَلَىٰ أَغْيُنِ النَّاسِ﴾ أي مريئاً مشهوراً ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾

بقوله أو فعله أو يحضرون عقابه .

[٦٢] - ﴿قَالُوا﴾ - له بعد احضاره - : ﴿أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْإِهْتِنَاءِ يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ .

[٦٣] - ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْتَلَوْهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ اسند الفعل إليه

لنسيبه له ، لأن غيظه لزيادة تعظيمهم له أو لتقرير نفسه مع تبيكيت^(١) بطريق التعريض كما لو عملت عملاً وقال لك من لا يحسنه : أنت عملته ؟ فنقول : بل عملته انت أو حكاية لما يلزمهم كأنه قال : ما تنكرون أن يفعله كبيرهم ، فإن من حق الإله أن يقدر على ذلك ؟ أو على تعليقه بالشرط وتقديره : فعله كبيرهم إن نطقوا ، فأسألوهم .

[٦٤] - ﴿فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾ الى عقولهم ﴿فَقَالُوا﴾ أي بعضهم لبعض :

﴿إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ بعبادة ما لا ينطق ، أو بسؤال ابراهيم .

[٦٥] - ﴿ثُمَّ نَكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ انقلبوا الى الجدال بعد استقامتهم بالتفكير

فقالوا : ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾ فكيف تأمرنا بسؤالهم ، وهو اعتراف بما هو حجة عليهم . فانكر عليهم عبادتهم لها .

[٦٦] - ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي بدله ﴿مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً﴾ إن عبدتموه

﴿وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ إن تركتموه .

[٦٧] - ﴿أَيُّ﴾ بالكسر مع تسوين وبدونه ، وبالفتح كما مر في «الإسراء»^(٢)

وهو صوت المتضجر بمعنى تنأ وقبحاً ﴿لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ قبح فعلكم .

(١) التبيكيت : التثريب والغلبة بالحجة (قاموس اللغة) .

(٢) سورة الإسراء : ٢٣ / ١٧ .

[٦٨] - ﴿قَالُوا﴾ - حين ألزمهم الحجة -: ﴿حَرِّقُوهُ﴾ إذ لا عتوبة أفتطع^(١) من النار ﴿وَأَنْصُرُوا إِلَهَتَكُمْ﴾ بتحريقه ﴿إِنْ كُنْتُمْ قَاعِلِينَ﴾ ناصرها .
قاله نمرود، وقيل : رجل من أكراد فارس، خسف به الأرض فجمعوا له الحطب الكثير وأضرموا فيه النار، وجعلوه في المنجنيق مغلولاً ومروم فيها .
فقال له جبرئيل : ألك حاجة ؟ فقال : أما إليك فلا .
قال : فاسأل ربك، فقال : حسبي من سؤالي علمه بحالي وكان ابن ست عشرة سنة .^(٢)

[٦٩] - ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ ذات برد وسلامة أي أبردي برداً لا يضره، فلم تحرق إلا وثاقه، وزال حرها وبقي نورها، فجلس في روضة ومعه جبرائيل .

[٧٠] - ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾ وهو تحريقه ﴿فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ فيما أرادوا لانقلابه عليهم .

[٧١] - ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا﴾ من قرية «كوثى»^(٣) «إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ» بالخصب والسعة والمنافع الدينية وهي الشام، فإن أكثر الأنبياء بعثوا فيها، فنزل «إبراهيم» بـ«فلسطين» و«لوط» بـ«المؤتفكة» وبينهما مسيرة يوم .

[٧٢] - ﴿وَوَعَدْنَاهُ﴾ لـ«إبراهيم» حين سأل ولداً ﴿إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ عطية، حال منهما أو زيادة على ما سأل، وهي ولد الولد فتختص بـ«يعقوب» ﴿وَكُلًّا﴾ من الثلاثة ﴿جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾ للنسب، أو وفقناهم للصالح أو حكمنا بصلاحهم .

(١) أفتطع : اشنع وأشد وفي «ج» : أفضع .

(٢) قاله ابن عمر ومجاهد - كما في تفسير مجمع البيان ٥٤ : ٤ وتفسير البيضاوي ١٩٦ : ٣ .

(٣) في مراصد الاطلاع ٣٤٦ : وكوني بالعراق في موضعين : كوثى الطريق وكوثى ربا، وبها مشهد إبراهيم الخليل عليه السلام، وهما قريتان وبينهما تلؤل من رماد يقال انها رماد النار التي اوقدها نمرود لاحتراقه

[٧٣] - ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً﴾ يقتدى بهم ﴿يَهْدُونَ﴾ الناس الى الحق ﴿يَأْمُرُنَا﴾ لهم بذلك ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾ أي: أن تفعل ﴿وَأِقَامَ الصَّلَاةِ﴾ وأن تقام وحذف تاء اقامة تخفيفاً ﴿وَأَيَّاءَ الزَّكَاةِ﴾ وأن تؤتي، وعطف الخاص على العام للأفضلية ﴿وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ مخلصين في العبادة.

[٧٤] - ﴿وَلَوْطًا﴾ أتيناك حكماً فصلاً بين الناس أو حكمة أو نبوة ﴿وَعِلْمًا﴾ بما يحتاج الى العلم به ﴿وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ﴾ سدوم ﴿الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ﴾ أي أهلها ﴿الْفَحْشَاءِ﴾ من اللواط وغيره ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوِئٍ فَاسِقِينَ﴾ حال من «قوم» أو خبر ثان.

[٧٥] - ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا﴾ في أهلها أو الجنة ﴿إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ عملاً، تعليل لما قبله.

[٧٦] - ﴿وَنُوحًا﴾ وادكره ﴿إِذْ نَادَى﴾ بدل منه، وكذا في الآتي ذكرهم، أي دعا ربه على قومه بالنقمة ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ قبل من ذكر ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾ دعاءه ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾ من معه في الفلك ﴿مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ الغرق وأذى قومه.

[٧٧] - ﴿وَنَصْرَانًا﴾ منعه أو جعلناه متصراً أي متقماً ﴿بِمَنْ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بَيَاتِنًا﴾ الدالة على صدقه ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوِئٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ بالطوفان.

[٧٨] - ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَخْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ﴾ الزرع أو الكرم ﴿إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَمَمُ الْقَوْمِ﴾ رعته ليلاً ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ لحكم الحاكمين والخصوم عالمين، حكم داود بالغنم لأهل الحرث.

وقال سليمان - وهو ابن احدى عشره سنة -:

الأرق أن يتنفع أهل الحرث بدرهما ونسلها وصوفها، ويقوم أهلها على الحرث حتى يعود كما كان، ثم يترادان وحكمهما بوحى من الله تعالى، والثاني ناسخ

للاول لا بالإجتهاد لقيام الدليل على نفيه عن الانبياء^(١) وبعضه:

[٧٩] - ﴿فَقَهَمْنَاهَا﴾ أي الحكومة ﴿سُلَيْمَانَ﴾ وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال في حائط افسدته ناقة البراء: ^(٢) «على أهل الماشية حفظها ليلاً، وعلى أهل الحرث حفظه نهاراً». ^(٣) ﴿وَكُلًّا﴾ منهما ﴿ءَاتَيْنَا حُكْمًا﴾ حكمة أو نبوة ﴿وَعَلَّمْنَا﴾ بأمور الدين ﴿وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾ ينزهن الله معه بإنطاقه آياها، أو بلسان حالها كما فسر بـ «يسرن معه» ^(٤) سمّاه تسييحاً لأنه آية تدعوا إليه وهو حال أو استئناف و«مع» متعلق به أو بـ «سخرنا» ﴿وَالطَّيْنَ﴾ عطف على «الجبال» أو مفعول معه ﴿وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ لمثل ذلك وإن استغربتوه.

[٨٠] - ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صِنْعَةَ لُبُوسٍ﴾ أي الدرع لأنها تلبس وكانت صفائح فحلقتها وسردها^(٥) ﴿لَكُم﴾ صفة «لبوس» أو متعلق بـ «علم» ﴿لِيُخَصِّنْكُمْ﴾ أي داود، أو: اللبوس، وقرأ «ابن عامر» و«حفص» بالتاء^(٦) والضمير للـ «صنعة» أو: لـ «لبوس» بتأويل الدرع و«أبو بكر» بالنون^(٧) والضمير لله ﴿مِنْ بَأْسِكُمْ﴾ حربكم بالسلاح ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ نعمي؟، استفهام أريد به الأمر - مبالغة -.

[٨١] - ﴿وَلَسُلَيْمَانَ﴾ وسخرنا له ﴿الرَّيْحَ عَاصِفَةً﴾ شديدة الهبوب في عملها، طيبة في نفسها، كما قال «رخاء»^(٨) أو يختلف حالها حسب ارادته ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ﴾

(١) على ما فضله الطبرسي عند تفسيره لهذه الآية - ينظر تفسير مجمع البيان ٤: ٥٧.

(٢) اي: البراء بن عازب.

(٣) تفسير مجمع البيان ٤: ٥٨ وتفسير البضاوي ٣: ١٩٧.

(٤) نقله البضاوي في تفسيره ٣: ١٩٧.

(٥) سردها: اي نسجها.

(٦) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «لتحصنكم».

(٧) حجة القراءات: ٤٦٩.

(٨) سورة ص: ٣٨/٣٦.

حال مرادفة أو مداخلة ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ وهي الشام ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾ فلا نفعل إلا ما تقتضيه الحكمة .

[٨٢] - ﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ﴾ في البحر، فيخرجون جواهره و«مَنْ» موصوفة عطف على «الرياح» أو: مبتدأ، خبره ما قبله ﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ﴾ سوى الغوص من البناء وغيره ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾ أن يمتنعوا عليه أو يفسدوا ما عملوا .

[٨٣] - ﴿وَأَيُّوبَ﴾ هو من ولد عيص بن اسحاق ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾ لما ابتلى بفقد اولاده وامواله وتناثر لحمه وإلقائه على كناسة^(١) خارج القرية لا يقربه أحد سوى زوجته «رحمة بنت افرائيم بن يوسف» عليه السلام وكانت تأتيه بالقوت سبع سنين أو ثماني عشرة، فصبر ﴿أَيُّ﴾ أي باتي ﴿مَسْنَى الضُّرِّ﴾ الجهد والشدة وسكن «حمزة» الياء^(٢) ﴿وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ ألطف في سؤاله بذكر نفسه بما يوجب الرحمة وريه بتناهيها فيها .

[٨٤] - ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾ نداءه ﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ﴾ بإذهاب مرضه ﴿وَأَنَّا إِنَّا﴾ أَهْلُهُ وَمِثْلُهُمْ مَعَهُمْ ﴿بِأَن وُلِدَ لَهُ ضَعْفٌ مَا هَلَكَ، أَوْ أَحْيَاهُمْ وَوُلِدَ لَهُ مِثْلُهُمْ﴾ ﴿رَحْمَةً﴾ مفعول له، كاتنة ﴿مِنْ عِنْدِنَا﴾ عليه ﴿وَوَدَّ كَرَى لِلْعَابِدِينَ﴾ ليصبروا كما صبر، فيثابوا كما اثيب .

[٨٥] - ﴿وَأَسْمِعِمْ لِي وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ﴾ قيل هو «الياس» وقيل «يوشع»^(٣)

(١) انكر السيد المرتضى ابتلاء ايوب في جسمه بما تستقذره الطباع، لمنافاته مقام العصمة - ينظر تنزيه الأنبياء : ٧٥ - ٨٢ - وهناك من قال : بأن ايوب انما امتحن في نفسه بضعف البدن وانعدام الأموال مما لا يميل اليه المشغوفون بالدنيا ولم يكن بالشكل الذي تصوره العامة قط .

(٢) الكشف عن وجوه القراءات ٢ : ١١٥ .

(٣) نقله البيضاوي في تفسيره ٣ : ١٩٨ .

وقيل: رجل صالح وليس بنبي.

وعن الباقر عليه السلام: أنه نبي مرسل اسمه «عدويا بن ادارين»^(١) سمي به لأنه تكفل بصيام نهاره وقيام ليله وأن يقضي بالحق ولا يغضب، فوفى به.
أو لأنه ذو حظ عند الله، أو له ضعف ثواب انبياء زمانه ﴿كُلُّ﴾ كل المذكورين ﴿مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ على بلاء الله وطاعته وعن معصيته.

[٨٦] — ﴿وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا﴾ من النبوة ونعم الآخرة ﴿إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ عملاً.

[٨٧] - ﴿وَذَا التَّوْنِ﴾ صاحب الحوت وهو يونس بن متى ﴿إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا﴾ لقومه أي غضبان عليهم لما كابد منهم وهاجر قبل أن يؤذن له، فترك الأولى، وهو الصبر حتى يؤذن له ﴿فَنَظُنُّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ نصيق عليه بشدة أو نقضي عليه ما قضينا من حبسه بطن الحوت، وبناء «يعقوب» للمفعول بالياء^(٢) ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ﴾ ظلمات الليل والبحر وبطن الحوت، أو الظلمة المتكاثفة^(٣) ﴿أَنْ﴾ بأنه ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ﴾ عما لا يليق بك ﴿إِنِّي كُنْتُ﴾ في ذهابي بلا إذن ﴿مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ انفسهم بترك الأولى.

[٨٨] - ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ﴾ بطن الحوت، بأن قذفه الى الساحل بعد ثلاثة أيام أو أكثر ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما نجيناه ﴿نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ﴾ من غمهم، إذا دعونا مخلصين وشدد «ابن عامر» و«أبو بكر» الجيم بنون واحدة على أن أصله «ننجي» من التنجية، فحذفت الثانية.^(٤)

(١) في «ب»: ادرين والصحيح ما في «ج» ويؤيده ما في تفسير مجمع البيان ٤: ٦٠.

(٢) تفسير البضاوي ٣: ١٩٨.

(٣) المتكاثفة: المتراكمة.

(٤) حجة القراءات: ٤٦٩.

وقيل هو ماض مجهول اسند الى ضمير مصدره وسكن آخره، ورد بمنع جوازه .
 [٨٩] - ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾ قال : ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾ بلا ولد يرثني ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ الباقي بعد فناء خلقك .
 [٩٠] - ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى﴾ ولداً ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾ بجعلها ولوداً بعد عقمها، أو بتحسين خلقها وكان سيئاً ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي زكريا وأهله، أو من ذكر من الأنبياء ﴿كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ الطاعات ﴿وَيَدْعُونََنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ راغبين في ثوابنا وراهبين من عقابنا ﴿وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ خاضعين أو ثابتين^(١) الخوف .
 وبهذه الخصال استحقوا ما منحناهم .

[٩١] - ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ من حلال وحرام - اي : مريم - ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا﴾ في «عيسى» فيها^(٢) ﴿مِنْ رُوحِنَا﴾ أي : أحييناه في بطنها، أو فعلنا النفخ فيها من جهة روحنا جبرئيل حيث نفخ في جيبها، فحملت بـ«عيسى» ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا﴾ أي حالهما حيث ولدته من غير أب ﴿آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ دالة على كمال قدرتنا .
 [٩٢] - ﴿إِنَّ هَذِهِ﴾ أي ملة الإسلام ﴿أُمَّتُكُمْ﴾ ملتكم التي يجب أن تكونوا عليها ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ حال أي : مجتمعة غير متفرقة ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ﴾ لا غيري ﴿فَاعْبُدُونِ﴾ وحدي .

[٩٣] - ﴿وَتَقَطَّعُوا﴾ ألفت من الخطاب الى الغيبة تقيحاً لفعلهم الى غيرهم ﴿أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ جعلوا أمر دينهم قطعاً مفرقة، فتفرقوا فيه ﴿كُلُّ﴾ كل الفرق ﴿إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾ فنجازيهم .

[٩٤] - ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ﴾ فلا جحود،

(١) كذا في النسخ والصحيح : ثابتي .

(٢) كذا في النسخ وفي تفسير البضاوي ٣ : ١٩٩ مايلي : «نفخنا فيها» اي في عيسى عليه الصلاة والسلام «فيها» اي احييناه في جوفها . وقيل : فعلنا النفخ فيها .

استعير لمنع الثواب كالشكر لإعطائه ونفي جنسه مبالغة ﴿وَأَنَّا لَهُ﴾ لسميه ﴿كَاتِبُونَ﴾ مثبتون في صحيفته ، فنجز به .

[٩٥] - ﴿وَحَرَامٌ﴾ ممتنع ، وكسر «أبو بكر» و«حمزة» و«الكسائي» : «الحاء» وسكنوا «الراء»^(١) ﴿عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ قدزنا اهلاك أهلها ﴿أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ مبتدأ ، خبره «حرام» ، أو فاعل له ، ساذ مسدّ خبره أي ممتنع عليهم عدم رجوعهم للجزاء ، أو رجوعهم الى الدنيا على زيادة «لا» .

أو تعليل ، أو «حرام» خبر محذوف أي ما ذكر .

قيل : حرام على قرية وجدناها هالكة بالكفر لأنهم لا يرجعون عنه .

وقيل : حرام : واجب وحكم عليهم عدم رجوعهم الى الدنيا .

[٩٦] - ﴿حَتَّى﴾ متعلق بـ«حرام» أو بـ«لا يرجعون» أي يبقى الإمتناع أو عدم الرجوع الى قرب الساعة ﴿إِذَا فُتِحَتْ﴾ وشدّه «ابن عامر»^(٢) و«يعقوب» ﴿يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ أي سدهما ، وتأنيث الفعل لأنهما قبيلتان ، وسبق ما فيهما في الكهف^(٣) ﴿وَهُمْ﴾ أي يأجوج ومأجوج أو الخلق ﴿مِنْ كُلِّ حَدَبٍ﴾ نشز^(٤) من الأرض ﴿يَسْرِعُونَ﴾ يسرعون .

[٩٧] - ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾ أي القيامة ﴿فَإِذَا هِيَ﴾ الفاء جواب الشرط «وإذا» الفجائية تنوبها ، فإذا اجتمعنا تأكد ربط الجزاء بالشرط ، والضمير للقصة وخبره جملة ﴿شَاحِصَةً أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أو مبهم ، يفسره «أبصار» وخبره «شاحصة» أي لا تطرف لهول المطلع ﴿يَا وَيْلَنَا﴾ أي قائلين : يا هلاكنا ﴿قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا﴾ الأمر ﴿بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ لأنفسنا بعبادة الاوثان وترك النظر .

(٢٥١) حجة القراءات : ٤٧٠ .

(٣) عند تفسير الآية (٩٤) من سورة الكهف .

(٤) النشز من الأرض : المكان المرتفع .

[٩٨] - ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي غيره من الاوثان والشياطين فإنهم عبدوهم بطاعتهم، لهم ﴿حَصَبٌ جَهَنَّمَ﴾ محصوبها - وهو ما يحصب فيها، أي - : يرمى يعني : وقودها ﴿أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ داخلون .

[٩٩] - ﴿لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ الْمَعْبُودُونَ إِلَٰهًا﴾ كما زعمتم ﴿مَا وَرَدُوهَا﴾ إذ دخولها ينافي الألوهية ﴿وَكُلٌّ﴾ من العبدية والمعبودين ﴿فِيهَا خَالِدُونَ﴾ دائمون .

[١٠٠] - ﴿لَهُمْ فِيهَا زُرِّيٌّ﴾ تنفس بشدة، نسبت^(١) الى الكل تغليظاً لغير الجماد ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ ما يسرهم، أو شيئاً لشدة العذاب .

ولما نزلت الآيات قال «ابن الزبيري» : قد عبد «عزير» و«عيسى» والملائكة فهم في النار؟ فقال النبي (ص) : إنما عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك،^(٢) ونزل :

[١٠١] - ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ﴾ الخصلة الحسنى وهي : العدة بالجنة، أو السعادة أو التوفيق للطاعة ومنهم المذكورون ﴿أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾،^(٣)

والآية جواب ابن الزبيري، كأنه قيل : نمنع أنهم عبدوا حقيقة، ولئن سلم فالآية تخصصهم . وقد يجاب - أيضاً - : بأن ما تعبدون لا يتناول العقلاء، ويردّه : ﴿وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَاهَا﴾^(٤) ونحوه .

[١٠٢] - ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ حال من ضمير «مبعدون» ﴿وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ﴾ من الملاذ ﴿خَالِدُونَ﴾ أبداً .

[١٠٣] - ﴿لَا يَخْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ النفخة الأخيرة، أو : الإنصراف الى النار،

(١) أي نسب التنفس الصادر من ذي نفس الى الكل الذي يعم من الجماد - وهي الاوثان التي عبدوها من جهة تغليب غير الجماد على الجماد .

(٢) تفسير مجمع البيان ٦٤ : ٤ .

(٣) في النسخ هنا زيادة : «فتم من الحديث» ولم يتضح لنا وجهها .

(٤) سورة الشمس : ٥ / ٩١ .

أو: إطباقها على أهلها ﴿وَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَكَةُ﴾ تستقبلهم بالتهنئة، قائلين: ﴿هَذَا يَوْمُكُمْ﴾ وقت ثوابكم ﴿الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ في الدنيا.

[١٠٤] - ﴿يَوْمٌ﴾ مقدر بـ «اذكر» أو: ظرف «لا يحزنهم» أو «تلقاهم» ﴿نَطْوَى السَّمَاءَ﴾ طياً ﴿كَطَي السَّجِّلِ﴾ الطومار^(١) ﴿لِلكِتَابِ﴾^(٢) لأجل الكتابة.

أو لما كتب فيه، وبعضه قراءة «حمزة» و«الكسائي» و«حفص»: «للكتب»^(٣) جمعاً، أي: للمعاني المكتوبة فيه.

وقيل: السجل: ملك يطوى كتب بني آدم إذا ماتوا ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ الكاف صفة مصدر محذوف و«ما» مصدرية و«أول» مفعول «بدأنا» أو فعل يفسره «نعيده» أي نعيد ما خلقناه أولاً إعادة مثل بدأنا له في كونهما ابجاءاً عن العدم أي قدرتنا على الإعادة كقدرتنا على الإبداء.

وقيل: «ما» موصولة و«الكاف» مفعول فعل يفسره «نعيده» أي: نعيد مثل الذي بدأناه. و«أول خلق» ظرف «بدأنا» أو حال من العائد المقدر ﴿وَعَدْنَا﴾ وعدنا وعداً وهو يؤكد ما قبله ﴿عَلَيْنَا﴾ انجازه ﴿إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ ما وعدنا.^(٥)

[١٠٥] - ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ﴾ جنس الكتاب، أي: الكتب المنزلة ﴿مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ أي أم الكتاب وهي اللوح.

وقيل: الزبور: كتاب داود، والذكر: التوراة^(٦) ﴿أَنَّ الْأَرْضَ﴾ أرض الجنة أو الدنيا

(١) الطومار: الصحيفة يجمع على طوامير.

(٢) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «للكتب» - كما يشير إليه المؤلف -.

(٣) حجة القراءات: ٤٧٠.

(٤) حجة القراءات: ٤٧٠ عن ابن عباس مع اختلاف يسير.

(٥) كلمة «ما» غير موجودة في «ج».

(٦) قاله الشعبي كما في تفسير مجمع البيان ٤: ٦٦.

﴿يَرْثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ المطيعون ، أو أمة «محمد» صلى الله عليه وآله وسلم بالفتوح .

وقال «الباقر» عليه السلام : هم اصحاب «المهدي» عليه السلام ، ^(١) .

ويدل عليه ما استفاض من قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : لو لم يبق في الدنيا إلا يوم واحد ، لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث رجلاً من أهل بيتي ، يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً ^(٢) وسكن «حمزة» «الياء» . ^(٣)

[١٠٦] - ﴿إِنَّ فِي هَذَا﴾ المذكور ﴿لَبَلاَغًا﴾ لكفاية ، أو : لوصله الى البغية ﴿لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾ لله بإخلاص .

[١٠٧] - ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ الملائكة والثقلين للبر في الدارين والفاجر في الدنيا لأمنه به من الخسف والمسح وعذاب الإستصال .

[١٠٨] - ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ أي ما يوحى الي في شأن الإله ، إلا أنه مقصور على الوحدانية لا يتصف بضدها ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ﴾ متقادون للموحى الي من وحدانية الله فتخلصوا له العبادة؟ وهو أبلغ من : فاسلموا .

[١٠٩] - ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن ذلك ﴿فَقُلْ أَذُنُكُمْ﴾ اعلمتكم بالحرب أو بما كلفتم ﴿عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾ مستوين انتم في الإيدان . أو : أنا وانتم في علمه . أو : ايذاناً على سواء ﴿وَإِنْ﴾ وما ﴿أَذْرَىٰ أَقْرَبُ أَمْ يَعِيدُ مَا تُوعَدُونَ﴾ من نصر المسلمين أو البعث ما لم

(١) تفسير مجمع البيان ٦٦: ٤ ونظيره في تفسير الشبان ٢٨٤: ٧ .

(٢) هذا حديث مشهور عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وله مصادر كثيرة ينظر تفسير مجمع

البيان ٦٦: ٤ وصحيح ابى داود ١٠٦: ٤ - ونظيره في فردوس الاخبار لابن شيرويه الديلمي ٤٩٦: ٤

عن حذيفة بن اليمان

(٣) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ١١٥ .

يعلمنيه^(١) الله تعالى .

[١١٠] - ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ﴾ منكم ومن غيركم ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾

تسرونه انتم وغيركم ، فيجازيكم به .

[١١١] - ﴿وَإِنْ﴾ وما ﴿أُدْرِي لَعَلَّهُ﴾ أي تأخير «ما تواعدون» أو ابهام وقته أو نعيم

الدنيا ﴿فَتِنَّةٌ﴾ امتحان ﴿لَكُمْ﴾ ليظهر صنيعكم ﴿وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ وتمتع الى انقضاء آجالكم .

[١١٢] - ﴿قُلْ﴾^(٢) وقرأ «حفص» : «قال»^(٣) ﴿رَبِّ احْكُم﴾ بيني وبين مكذبي

﴿بِالْحَقِّ﴾ بما يظهر به الحق من تعذيبهم والنصر عليهم ، فعذبوا ببدر ونصر عليهم ﴿وَرَبَّنَا الرَّحْمَنُ﴾ ذو الرحمة البالغة ﴿الْمُسْتَعَانُ﴾ المسؤول الممونة ﴿وَعَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ من شرككم وكذبكم على الله تعالى بنسبة الولد إليه ، وعلى رسوله صلى الله عليه وآله بأنه ساحر ، وعلى القرآن بأنه سحر .

(١) في هامش «أ» في هذا الموضع مايلي :

التفيد بقولنا «ما لم يعلمنيه الله لدفع ما لو قيل لا يصح تفسير» ما تواعدون بالبعث لانه علم انه قريب بقوله تعالى : «اقرب للناس حسابهم» و «اقرب الوعد الحق» فتدبر (منه) . .

(٢) في المصحف الشريف بقراءة حفص : «قال» - كما سيذكره المؤلف - .

(٣) حجة القراءات : ٤٧١ .

سورة الحج

[٢٢]

نُفِّسَ وَسَبْعُونَ آيَةً مَكِّيَّةً إِلَّا آيَاتٍ، أَوْ مَدَنِيَّةً إِلَّا آيَاتٍ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] - ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ بفعل الطاعات وترك المعاصي ﴿إِنَّ زَلْزَلَةً

السَّاعَةِ﴾ من اضافة المصدر الى فاعله المجازي، أي: تحريكها للأشياء. أو: الى ظرفه، أي: تحريك الأشياء فيها.

وقيل: هي زلزلة تتقدم «السَّاعَةُ» فأضيفت اليها لأنها من اشراطها^(١) ﴿شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ فظيع، علل بذلك أمرهم بالتقوى حثاً عليها فإنها خير زاد الى المعاد.

[٢] - ﴿يَوْمَ تَرْوُفُهُا﴾ أي الزلزلة ﴿تَذْهَلُ﴾ تغفل بدهشة ﴿كُلُّ مَرْضِعَةٍ﴾ بالفعل.

والمرضع أعم وهي ما من شأنها الإرضاع ﴿عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ «ما» مصدرية أو موصولة، والمراد تصوير هولها بأنه بحيث لو ألقيت المرضعة الرضيع ثديها نزعتة عن فيه ونسيته لدهشتها ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾ جنيها ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى﴾ من شدة الفزع، وأفرد بعد جمعه لأن الزلزلة يراها الكل، والسكر انما يراه كل واحد من

(١) قاله علقمة والشعبي - كما في تفسير مجمع البيان ٤: ٧٠ - .

غيره، وقرأ «حمزة» و«الكسائي»: «سكرى» فيهما^(١) كان السكر علّة، فجمع جمع
أهل العلل كمرضى ونحوه ﴿وَمَا هُمْ بِسُكَارَى﴾ من الشراب ﴿وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ
شَدِيدٌ﴾ فأفزعهم بحيث أزال عقولهم.

[٣] - ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ﴾ في شأنه، ويعمّ كل مجادل وإن نزل
في «النضر بن الحارث» وكان جدلاً،^(٢) يقول: الملائكة بنات الله والقرآن أساطير
الاولين وينكر البعث، واعرابه مر في البقرة^(٣) ﴿يَغْيِرْ عِلْمٌ﴾ برهان ﴿وَيَتَّبِعُ﴾ في جداله
أو الأعم منه ﴿كُلُّ شَيْطَانٍ مَرِيدٌ﴾ متجرد للفساد.

[٤] - ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ﴾ على الشيطان في علم الله ﴿أَنَّهُ﴾ أي الشأن ﴿مَنْ تَوَلَّاهُ﴾
تبعه ﴿فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ﴾ خبر أو جواب له ﴿مَنْ﴾ ﴿وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ بدعائه
إلى ما يوجهه.

[٥] - ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ شك ﴿مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ﴾ أي
فنظركم في بدأ خلقكم يزيل ريحكم، فإننا خلقنا أصلكم آدم وما يتكون منه المنى ﴿مِّنْ
تُرَابٍ ثُمَّ﴾ خلقنا نسل آدم ﴿مِّنْ نُّطْفَةٍ﴾ مني، من نطف: سال ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ دم
جامد ﴿ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ﴾ لحمه قدر ما يمضغ ﴿مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ تامّة الخلق وغير
تامّة، أو مصوّرة بالتخطيط وغير مصوّرة ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ بتقليبكم قدرتنا، فإن من قدر
عليه أولاً، قدر على إعادتكم ثانياً.

وحذف المبيّن ايذاناً بأنه ممّا لا يحيط به الوصف ﴿وَنَقُرُّ﴾ عطف على
«خلقناكم» أو مستأنف ﴿فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ هو وقت وضعه ﴿ثُمَّ
نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾ حال، ووحد ارادة للجنس، أو كل واحد منكم ﴿ثُمَّ﴾ نريكم شيئاً

(١) حجة القراءات: ٤٧٢.

(٢) الجدل: اللدد في الخصومة.

(٣) عند تفسير الآية (١٩٧) من سورة البقرة.

فَشَيْئًا ﴿لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ﴾ كمال قوتكم، جمع شدة كـ «انعم» لنعمة، وهو من ثلاثين سنة الى اربعين، أو الحلم ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى﴾ عند بلوغ الأشد أو قبله ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَزْدَلِ الْعُمُرِ﴾ ارداه، وهو الهرم والخرف ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ ليصير كالطفل في النسيان وسوء الفهم.

وتعاقب هذه الأحوال عليه يدل أيضاً على أنّ من قدر عليها قدر على البعث ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً﴾ دارسة يابسة، من حمد الثوب: بلى ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ﴾ تحركت بالنبات ﴿وَوَرِيَتْ﴾ انتفخت ﴿وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ﴾ بعض كل صنف ﴿بِهَيْجٍ﴾ حسن نضر، وهذا أيضاً من دلائل البعث.

[٦] - ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور من احوال الإنسان والأرض ﴿يَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ بسبب أنه الثابت المحق للأشياء ﴿وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتَى﴾ بقدرته وإلا لما أحيى موتى النطف والأرض ﴿وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ لاستواء نسبة قدرته الذاتية الى كل ممكن، وهذا كالبيان لما قبله إذ إحياء الموتى ممكن فتتاله القدرة الشاملة.

[٧] - ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ هذا سببان غائبان لخلق الإنسان وما يتعيش به، فإنه إنما خلق وكلف لجزاء الآخرة، ولا يصل إليه إلا ببعثه في الساعة وما سبق من حقيقته تعالى وإحيائه الموتى وعموم قدرته فأسباب فاعليته لذلك.

[٨] - ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ كرّر تأكيداً أو الاول في الأتباع وهذا في المتبوعين ﴿وَلَا هُدًى﴾ ولا دلالة عقلية معه ﴿وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ ذي نور أي: ولا حجة سمعية من جهة الوحي.

[٩] - ﴿ثَانِي عِطْفِهِ﴾ متكبراً أو معرضاً عن الحق.

و«ثني العطف» كناية عن التكبر والإعراض عن الشيء ﴿لِيُضِلَّ﴾ الناس، علة

للجدال، وفتح الياء «ابن كثير» و«أبو عمرو»^(١) و«ورش» على أنّ ضلاله كالغرض لجداله الذي خرج به من الهدى الى الضلال ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينه ﴿لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ بوقعة بدر ﴿وَيُنذِقُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ النار المحرقة .

[١٠] - ﴿ذَلِكَ﴾ أي يقال له يوم القيامة : ذلك الخزي والعذاب ﴿بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ أي قدمته من الكفر .

وعبر عنه بهما لأنهما آلة لأكثر الأفعال ﴿وَأَنَّ﴾ عطف على «ما» ﴿اللَّهُ لَيَسَّ بِظُلَامٍ لِّلْمُتَّعِدِ﴾ فيأخذ بغير جرم، والمبالغة لكثرة العبيد .

[١١] - ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَغْبُتُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ طرف من الدين مضطرباً فيه كالقائم على طرف جبل ، وباقي الآية بيان هذا المجمل ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ﴾ نعمة ورخاء ﴿اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ﴾ محنة وبلاء ﴿انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ﴾ عاد الى كفره .
 قيل : نزلت في قوم قدموا المدينة وكان أحدهم إذا صحّ جسمه ونتجت فرسه وولده غلام وكثر ماله قال : ما اصببت بديني هذا إلا خيراً واطمأن .

وان كان الأمر بخلافه قال : ما اصببت إلا شراً وانقلب^(٢) ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا﴾ بفقد عصمته ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ بدخول النار بكفره ﴿ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ البين .

[١٢] - ﴿يَدْعُوا﴾ يعبد ﴿مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا نَفْعَ لَهُ﴾ أي : جماداً عاجزاً عن الضر والنفع ﴿ذَلِكَ﴾ الدعاء ﴿هُوَ الضَّلَالُ الْبُعِيدُ﴾ عن الرشد .

[١٣] - ﴿يَدْعُوا لَمَن صَرُّهُ﴾ بكونه معبوداً من ايجابه عذاب الدارين ﴿أَقْرَبُ مِنَ نَفْعِهِ﴾ الذي زعمه من الشفاعة ، واللام معلقة لـ «يدعو» لتضمنه معنى الزعم وهو قول باعتقاد أو داخله على جملة محكية لأن «يدعو» بمعنى يقول أي يقول ذلك بصراخ حين يرى استضراره به ، أو مستأنفة و«يدعو» تكرير للاول و«من» في الكل مبتدأ، خبره

(١) حجة القراءات : ٤٧٢ .

(٢) قاله ابن عباس - كما في تفسير التبيان ٧ : ٢٩٦ - .

﴿لَيْسَ الْمَوْلَىٰ﴾ الناصر ﴿وَلَيْسَ الْعَشِيرُ﴾ الصاحب .

[١٤] - ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ من نفع المؤمن المطيع وضرر المنافق العصي لا يعجزه شيء .

[١٥] - ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾^(١) الهاء «المحمد» صلى الله عليه وآله وسلم إذ كان اعداؤه يغيظهم ، نصر الله له ويتوقعون خلافه ، أو لـ «من» ويراد بالنصر: الرزق ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ﴾ بحبل ﴿إِلَى السَّمَاءِ﴾ سماء بيته يشده فيه وفي عنقه ﴿ثُمَّ لِيَقْطَعْ﴾ كسر اللام «أبو عمرو» و«ابن عامر» و«ورش» وسكنها الباقون^(٢) أي ليختنق ، من قطع : اختنق ، إذ الإختناق قطع النفس بسد مجراه ، والمعنى : ليجهد في دفع غيظه أو جزعه بأن يفعل فعل المغتاض أو الجازع بنفسه .

وقيل : فليمدد جبلاً الى السماء المظلمة ثم ليقطع المسافة اليها ، فيجهد في دفع نصره^(٣) أو نيل رزقه^(٤) ﴿فَلْيَنْظُرْ﴾ فليتفكر ﴿هَلْ يُدْهِنُ كَبِدُهُ﴾ صنعه ذلك ﴿مَا يَغِيظُ﴾ غيظه .

[١٦] - ﴿وَكَذَلِكَ﴾ الإنزال لما سبق ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ أي القرآن ﴿ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ ظاهرات ﴿وَأَنَّ﴾ ولأن ﴿اللَّهُ يَهْدِي﴾ يوفق به أو يثبت على الهدى ﴿مَنْ يُرِيدُ﴾ توفيقه أو تثبيته ، أنزله كذلك مبيناً .

[١٧] - ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِحِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ يميز بينهم في احوالهم ومعالجتهم ، فيكرم

(١) ما بين المعقوفتين ليس في النسخ .

(٢) حجة القراءات : ٤٧٣ .

(٣) أي نصر الله له .

(٤) تفسير مجمع البيان ٤ : ٧٥ .

المؤمنين ويدخلهم الجنة، ويهين غيرهم ويدخلهم النار، وكُرِّرت «أَنَّ» في الخبر زيادة تأكيد ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ مطلع عليهم.

[١٨] - ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم ﴿أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ ينقاد

لقدرته وتدبيره ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ﴾ ان عَمَت «من» غير العقلاء فإفراد هذه بالذكر لظهورها ﴿وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ﴾ عطف عليه - ان سَوَّغ استعمال المشترك في معنييه معاً -، إذ المراد بسجودهم: وضع الجبهة لا المعنى المذكور، لشموله لكل النَّاس. ^(١)

أو فاعل لمقدَّر أي: ويسجد له بوضع الجبهة كثير، أو: مبتدأ حذف خبره بقرينة خبر قسمه وهو ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ بإيائه أن يسجد طاعة.

وقيل: «وكثير» تكرير للسابق مبالغة في كثرة من حَقَّ عليه العذاب ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ﴾ يشقه بالعقاب ^(٢) ﴿فَعَالَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾ مسعد بالثواب ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ من اهانة واکرام.

[١٩] - ﴿هَذَانِ﴾ الجمعان من المؤمنين والكفار، أهل الملل الخمس ﴿خَصَمَانِ﴾ كلُّ منهما خصم للآخر ﴿اخْتَصَمُوا﴾ جمع، نظراً إلى المعنى ﴿فِي رَبِّهِمْ﴾ في دينه.

وقيل: نزلت في ستة تبارزوا بيدر: «علي» و«حمزة» و«عبدة» - من المسلمين -، وعتبة وشيبة والوليد - من المشركين - . ^(٣)

وقيل: في المسلمين واليهود حين قال كلُّ منهما: نحن أحقُّ بالله ^(٤) ﴿قَالِذِينَ

(١) أي لشمول المعنى.

(٢) في «ج» بالعذاب.

(٣) للحديث مصادر كثيرة، ينظر كتاب العمدة لابن البطريق الفصل السادس والثلاثون.

(٤) معناه في تفسير مجمع البيان ٤: ٧٧ عن ابن عباس.

كَفَرُوا ﴿فَصَلَ خَصُومَتَهُمُ الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾. ^(١) ﴿قُطِعَتْ لَهُمْ﴾ قدرت على مقاديرهم ﴿يُنَابُ مِنْ نَارٍ﴾ نيران تشملهم كالتياب ﴿يُصَّبُ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ الماء المغلي .

قيل : لو نقطت منه نقطة على الجبال لأذابتها . ^(٢)

[٢٠] - ﴿يُضْهِرُّ﴾ يذاب ﴿بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ﴾ من الأحشاء ﴿وَالْجُلُودُ﴾ فباطنهم كظواهرهم في التأثير به .

[٢١] - ﴿وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ﴾ يضربون بها .

والمقمعة : ما يقيم به أي : يردع .

[٢٢] - ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا﴾ من النار ﴿مِنْ غَمٍّ﴾ يأخذ بأنفاسهم فقاربوا الخروج ﴿أَعِيدُوا فِيهَا﴾ .

قيل : يضربهم لهما فيرفهمهم الى اعلاها فيضربون بالمقامع فيهرون فيها ^(٣) ﴿وَذُقُوا﴾ وقيل لهم : ذوقوا ﴿عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ النار المحرقة .

[٢٣] - ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ ما مرّ حال أحد الخصمين ، وهذا حال الآخر أي : المؤمنين ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا﴾ يلبسون حللاً ﴿مِنْ أَسَاوِرَ﴾ جمع أسورة وهي جمع سوار ومن «للبتداء» ﴿مِنْ ذَهَبٍ﴾ بيان لها ﴿وَلَوْلُؤُوءٍ﴾ ^(٤) عطف عليها أو على «ذهب» بأن يرّصع به ، ونصبه «نافع» و«عاصم» عطفاً على محلّها ، أو بتقدير «ويؤتون» ^(٥) ﴿وَلِبَاسُهَا مِنْهَا﴾ .

(١) في الآية (١٧) من هذه السورة .

(٢) قاله ابن عباس - كما في تفسير الكشاف ٣ : ١٥٠ .

(٣) تفسير الكشاف ٣ : ١٥٠ عن الحسن .

(٤) في المصحف الشريف بقراءة حفص : «ولؤلؤاً» - بالنصب - كما يشير اليه المؤلف - .

(٥) تفسير البيضاوي ٣ : ٢٠٥ والنشر في القراءات : ٣٢٦ - وفيه العاصم والمدنيان .

[٢٤] - ﴿وَهْدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ هو كلمة التوحيد وقول «الحمد لله» .

أو القرآن ﴿وَهْدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ دين المحمود وهو الله، أو طريق المحل المحمود وهو الجنة .

[٢٥] - ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ﴾ عطف على الماضي بقصد الإستمرار أو

حال من واو «كفروا» وخبر «أَنَّ» مقدَّر أي : معذبون . بدليل عجز الآية ^(١) ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ عن طاعته ﴿وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً﴾ ^(٢) بالرفع خبر، مبتدأه ﴿الْعَاكِفُ فِيهِ﴾ المقيم ﴿وَالْبَادِ الطَّارِئِ﴾ والجملة ثاني مفعولي «جعلناه» وللناس «حال من الهاء، أو هو المفعول أي جعلناه متعبداً أو مستقراً لهم، والجملة حال أو بدل من «جعلناه» ونصبه «حفص» على أنه المفعول أو الحال ^(٣) و«العاكف» فاعله .

والمراد استواؤهما في العبادة في المسجد، ليس لأحدهما منع الآخر.

وقيل : في السكنى. ^(٤) ويراد بالمسجد : مكة، أي لا يمنع احد غيره سكنى

دورها وللساكن اولوية السبق ولا يملك إلا ما يعمله فيها واثبت «ابن كثير» الباء مطلقاً و«ورش» و«أبو عمرو» وصلاً ^(٥) ﴿وَمَنْ يُرِذْ فِيهِ بِالْعَادِ يَظْلَمُ﴾ حالان مترادفان، والباء فيهما للملابسة، و«الإلحاد» عدول عن القصد، وترك مفعول «يرد» ليعم أي من يرد فيه امرأ ما، ملابساً للعدول عن القصد والظلم ﴿نَذْفُهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ جواب «من» .

[٢٦] - ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ أي واذكر إذ بيَّناه له لبنينه .

قيل : رفع البيت وانظمس زمن الطوفان فبعث الله ريحاً فكنست مكانه فبناه، ^(٦)

(١) أي آخرها .

(٢) في المصحف الشريف بقراءة حفص : «سواء» - بالنصب - كما يشير اليه المؤلف ..

(٣) تفسير البياضي ٣ : ٢٠٥ .

(٤) قاله ابن عباس وقتادة وسعيد بن جبير - كما في تفسير مجمع البيان ٤ : ٨٠ .

(٥) الكشف عن وجوه القراءات ٢ : ١٢٤ و ١٢٣ .

(٦) تفسير مجمع البيان ٤ : ٨٠ مع اختلاف يسير .

وقيل : اللام زائدة و«مكان» ظرف أي : انزلناه فيه ﴿أَنْ﴾ مفسرة لـ«بوتنا» لتضمنه معنى تعبدنا أو بتقدير وامرناه أن ﴿لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾ من الأوثان، وفتح «نافع» وحفص و«هشام» ياء «بَيْتِي»^(١) ﴿لِلطَّائِفِينَ﴾ حوله ﴿وَالْقَائِمِينَ﴾ المقيمين عنده أو القائمين في الصلاة ﴿وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ المصلين، جمع راعع وساجد.

[٢٧] - ﴿وَأَذِّنْ﴾ ناد ﴿فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ بالأمر به، روى أنه صعد أبا قيس فقال : أيها الناس حجوا بيت ربكم .^(٢)

وقيل : الخطاب لنبيينا صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع^(٣) ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ مشاة جمع راجل، كقيام لقائم ﴿وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ﴾ بغير مهزول أي ركبانا ﴿يَأْتِينَ﴾ صفة «كُلِّ ضامِر» لأنه بمعنى الجمع ﴿مِنْ كُلِّ فِجٍّ عَمِيقٍ﴾ طريق بعيد.

[٢٨] - ﴿لِيَشْهَدُوا﴾ ليحضروا ﴿مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ دينية ودنيوية، والتشكير للتعظيم أو التكثير ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ هي أيام النحر الأربعة أي ليسموا الله فيها ﴿عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ أي على ذبح ونحر ما رزقهم من الإبل والبقر والغنم، هدايا أو ضحايا، وقيل كنى بالذكر عن الذبح ؛ إذ لا ينفك ذبح المسلمين عنه ايذاناً بأنه الغرض مما يتقرب به إلى الله .^(٤)

وقال «الصادق» ع السلام : هو التكبير بمنى عقيب خمس عشرة صلاة، أولها : ظهر العيد .^(٥)

وقيل : الأيام : عشر ذي الحجة^(٦) وهو خلاف الظاهر ﴿فَكُلُّوا مِنْهَا﴾ وجوباً

(١) الكشف عن وجوه القراءات ٢ : ١٢٣ .

(٢) قاله ابن عباس - كما في تفسير مجمع البيان ٤ : ٨١ وتفسير البيضاوي ٣ : ٢٠٦ .

(٣) تفسير البيضاوي ٣ : ٢٠٦ .

(٤) تفسير مجمع البيان ٤ : ٨١ .

(٥) تفسير البيضاوي ٣ : ٢٠٦ .

في الواجبة وندباً في المندوبة وكذا ﴿وَأَطِيعُوا النَّبِيَّ﴾ من مته: بؤس، أي: ضرر
﴿الْفَقِيرِ﴾ المحتاج.

[٢٩] - ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَشْتُهُمْ﴾ ليزيلوا شعثهم بقص الشارب والظفر وحلق الشعر
والغسل إذا أحلوا، وكسر اللام «ورش» و«قبل» و«أبو عمرو» و«ابن عامر»^(١) ﴿وَلْيُوفُوا﴾
وشدده «أبو بكر»^(٢) ﴿نَذُورُهُمْ﴾ ما نذروا من البر في حجهم ﴿وَلْيَطُوفُوا﴾ طواف الزيارة
أو النساء أو الوداع أو ما يعتمها، وكسر «ابن ذكوان» اللامين^(٣) ﴿بِالنَّبِيِّ الْعَتِيقِ﴾
القديم لأنه أول بيت وضع.

أو: الكريم، أو: المعتق من الغرق، أو: من تسلط الجبابرة، فمن قصده بهدم
هلك، ولم يهلك الحجاج ببركة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم لعصمة أمته من عذاب
الإستصال.^(٤)

[٣٠] - ﴿ذَلِكَ﴾ أي الأمر، ذلك المذكور ﴿وَمَنْ يُعْظِمُ حُرْمَاتِ اللَّهِ﴾ وهي ما
لا يحل هتكه من جميع التكليف، أو ما يتعلق بالحج.

وتعظيمها: رعايتها وحفظها ﴿فَهُوَ﴾ أي تعظيمها ﴿خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ ثواباً
﴿وَأَحَلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامَ﴾ كلها أكلًا ﴿إِلَّا مَا يُنْتَلَى عَلَيْكُمْ﴾ تحريمه في ﴿حرمت
عليكم الميتة﴾^(٥) - الآية ونحوها، فلا تحرموا منها ﴿ما أحل الله﴾ كالبهيمة^(٦)
﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ «من» ببيانية أي الذي هو الأوثان ﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ
الزُّورِ﴾ هو الكذب أو شهادة الزور أو قولهم: «هذا حلال وهذا حرام»^(٧).

(٧) سورة النحل: ١٦ / ١١٦

(١) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ١١٦.

(٢) تفسير البضاوي ٣: ٢٠٦.

(٣) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ١١٦.

(٤) تفسير التبيان ٧: ٣١١ - ونظيره في تفسير البضاوي ٣: ٢٠٦.

(٥) سورة المائدة: ٥ / ٣.

(٦) تقدم الكلام عنها في سورة المائدة: ٥ / ٨٧ وهي الناقة والشاة التي كانوا يحرمونها في الجاهلية.

وَالزَّوْرَ مِنَ الزَّوْرِ: الميل. ^(١)

[٣١] - «حُنْفَاءَ اللَّهِ» موحدين له «غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ» تأكيد لـ «حنفاء» وهما حالان من «الواو» «وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ» أي فقد أهلك نفسه هلاك من سقط منها «فَتَخَطَّفَهُ الطِّيْرُ» تأخذه بسرعة، فترفعه قطعاً في حواصلها. وشدّده «نافع» ^(٢) «أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ» تسقطه «فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ» بعيد، و«أو» للإباحة في التشبيهين.

[٣٢] - «ذَلِكَ» أي الأمر ذلك «وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ» دينه أو مناسك الحج أو الهدايا، ويعضده ظاهر ما بعده.

وتعظيمها: استحسانها والمغالة بأثمانها «فَأَئْتَهَا» فإن تعظيمها ناش «مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ» أي قلوبهم.

[٣٣] - «لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ» دزها وظهرها «إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى» وقت نحرها «ثُمَّ مَحِلُّهَا» مكان حل نحرها «إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ» أي ما يقرب منه. قيل: هو الحرم كله. ^(٣)

وعندنا أنه في الحج: منى، وفي العمرة المفردة «مكة» بالحزورة. ^(٤)

ومن فسرهما بالدين قال: لكم فيها منافع الثواب مذخوراً الى يوم القيامة، وبأول البيت العتيق بالمعمور أو الجنة.

ومن فسرهما بالمناسك، قال: لكم فيها منافع التجارات الى وقت عودكم، وإنها

(١) في تفسير البضاوي ٣: ٢٠٧: والزور من الزور هو الاعراف - كما ان الإنك من الإنك وهو الصرف، فان الكذب منحرف مصروف عن الواقع.

(٢) حجة القراءات: ٤٧٦.

(٣) تفسير مجمع البيان ٤: ٨٤.

(٤) تقدم الكلام في الحزورة في الآية ٩٥ من سورة مائدة فراجع.

تنتهي الى البيت بالتحلل بالطواف به .

[٣٤] - ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ من الأمم ﴿جَعَلْنَا مَنَسَكًا﴾ قرباناً أو متعبداً، وكسره حمزة «والكسائي» أي مكان نسك^(١) ﴿لِتَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾ علة للجعل تفيد أن الغرض من المناسك تذكّر المعبود ﴿وَعَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ عند ذبحها ويفيد اختصاص القربان بها ﴿فَالِهَكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ لا شريك له فلا تذكروا على ذبائحكم إلا اسمه ﴿فَلَهُ أَسْلِمُوا﴾ انقادوا ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ الخاضعين الخاشعين .
[٣٥] - ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ لهيبته ﴿وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ﴾ من المصائب ﴿وَالْمُتَّقِينَ الصَّلَاةَ﴾ في أوقاتها ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ في سبيل الخير .

[٣٦] - ﴿وَالْبُدْنَ﴾ الإبل ، جمع بدنة ، من بدن بدانة : ضخم ، ونصب بفعل يفترسه ﴿جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ أعلام دينه ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ نفع ديني ودنيوي ﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾ عند نحرها ﴿صَوَافٍ﴾ قائمات ، قد صففن ايديهن وارجلهن ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ سقطت الى الأرض أي ماتت بالنحر ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا الْقَانِعَ﴾ الذي يقنع بما يعطى ﴿وَالْمُعْتَرِ﴾ المعترض بسؤال أو بدونه ﴿كَذَلِكَ﴾ التسخير أي هكذا ﴿سَخَّرْنَاهَا لَكُم﴾ مع ضخمتها وقوتها فتقودونها وتحبسونها ثم تنحرونها ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمنا عليكم .

[٣٧] - ﴿لَن يَنَالَ اللَّهُ﴾ لن يصعد إليه ﴿لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ﴾ يصعد إليه ﴿التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾ الموجبة لإخلاص العمل لله وقبوله منه .

وقيل : كان أهل الجاهلية يلطخون الكعبة بدماء قرايبهم قربة الى الله تعالى فنزلت^(٢) ﴿كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ﴾ كرر ليعلل بقوله : ﴿لِتَكْبِرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَذَا كُمْ﴾

(١) حجة القراءات : ٤٧٦ .

(٢) تفسير البضاوي ٢٠٨ : ٣ .

ارشدكم لإعلام دينه ومناسك حجّه، ولتضمّن «تكبروا» معنى تشكروا، تعلّقت به على: ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ أي الموحّدين.

[٢٨] - ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ﴾ بصيغة المغالبة^(١) للمبالغة، وقرأ «ابن كثير» و«أبو عمرو»، «يدفع»^(٢) ﴿عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ كيد المشركين ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ﴾ لله بإشراكه به ﴿كَفُورٍ﴾ جحود لنعمه أي لا يرضى عنهم.

[٣٩] - ﴿أُذِّنْ﴾ وبناء «ابن عامر» و«حمزة» و«الكسائي» للفاعل، أي: الله^(٣) ﴿لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ﴾^(٤) المشركين، وحذف المأذون فيه لدلالته عليه، وفتح التاء «نافع» و«ابن عامر» و«حفص» أي: للذين يقاتلهم المشركون^(٥) ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ بسبب أنهم ﴿ظَلَمُوا﴾ وهم المؤمنون.

كان المشركون يؤذونهم بضرب وغيره فيتظلمون الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيقول لهم: اصبروا فإنّي لم أؤمر بالقتال، حتّى هاجر، فأنزلت وهي أوّل آية في القتال^(٦) ﴿وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ عدة لهم بالنصر.

[٤٠] - ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا﴾ مدح مرفوع أو منصوب ﴿مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ مكة ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ أي بغير موجب سوى التوحيد الموجب للإقرار لا الإخراج.

قال «الباقر» عليه السلام: نزلت في المهاجرين وجرت في آل محمد صلى الله عليه وآله

(١) كذا في النسخ.

(٢) حجة القراءات: ٤٧٧.

(٣) تفسير البضاوي ٣: ٢٠٨.

(٤) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «يقاتلون» بفتح التاء - كما سيثير اليه المؤلف -.

(٥) حجة القراءات: ٤٧٨.

(٦) تفسير مجمع البيان ٤: ٨٧.

وسلم، اخرجوا واخيفوا^(١) ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ﴾ وقرأ «نافع» و«دفاع»^(٢) ﴿اللَّهُ النَّاسَ بَعْضُهُمْ﴾ بدل البعض من الناس ﴿بِبَعْضٍ﴾ بنصر المسلمين على الكفار ﴿لَهُدَمَتْ﴾ وخففه «ابن كثير» و«نافع»^(٣) ﴿صَوَامِعُ﴾ للزهبان ﴿وَبَيْعُ﴾ كنائس للنصارى ﴿وَصَلَوَاتُ﴾ كنائس لليهود، سميت بها لأنها يصلّى فيها.

وقيل: هي بالعبرية «صلوتا» فعزبت^(٤) ﴿وَمَسَاجِدُ﴾ للمسلمين ﴿يُذَكِّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ صفة للأربع بالنظر الى ما قبل انحراف من انحراف، أو للمساجد، خصت بها تشریفاً.

وقيل: الكل اسماء للمساجد^(٥) ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ ينصر دينه، وقد انجز وعده ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ﴾ على النصر ﴿عَزِيزٌ﴾ لا يغالب.

[٤١] - ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ وصف لـ «الذين اخرجوا» أو بدل من «من ينصره».

قال «الباقر»: نحن هم^(٦) ﴿أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ جواب الشرط وهو وجوبه صلة «الذين» ﴿وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ لا يملكها في الآخرة سواه.

[٤٢-٤٣] - ﴿وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ﴾ وقوم إبراهيم وقوم لوط.

(١) تفسير مجمع البيان ٤: ٨٧.

(٢) حجة القراءات: ٤٧٩.

(٤) قاله ابن عباس والضحاك وقتادة - كما في تفسير مجمع البيان ٤: ٨٧ - وفي تفسير البيضاوي ٢٠٩: ٣.

(٥) تفسير مجمع البيان ٤: ٨٧.

(٦) تفسير مجمع البيان ٤: ٨٨.

[٤٤] - ﴿وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ﴾ تسلياً له صلى الله عليه وآله وسلم عن تكذيب قومه له بتكذيب تلك الأمم لرسولهم ﴿وَكَذَبَ مُوسَى﴾ كذبه «القطب» لا قومه: بنو اسرائيل، ولذا غير فيه النظم ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ﴾ فاميلتهم وأخرت عقوبتهم ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾ بالعذاب ﴿فَكَيفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ انكارى عليهم بالانتقام منهم بتكذيبهم، واثبت «ورش» الياء حيث وقع. ^(١)

[٤٥] - ﴿فَكَأَيُّنَ﴾ فكم ﴿مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ وقرأ «أبو عمرو»: «أهلكناها» ^(٢) ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ أي أهلها بالكفر، حال ﴿فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ ساقطة حيطانها على سقفوها، أو خالية مع بقاء سقفوها، عطف على «أهلكناها» لا على الحال ﴿وَبُيِّرَ مُعْطَلَةٌ﴾ عطف على «قربة»، أي بشر متروكة بموت أهلها ﴿وَقُضِرَ مَشِيدُ﴾ مجصص أو: مرفوع هلك أهله فخلا.

[٤٦] - ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ ليتعرفوا حال المكذبين قبلهم فيعتبروا ﴿فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ ما أصاب اولئك بتكذيبهم ﴿أَوْ أَعَادَانُ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ اخبار إهلاكهم سماع تدبر ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ﴾ الهاء للقصّة، أو مبهم يفسره الأبصار وفاعل «تعمر» ضميره ﴿وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ أي لا عمى لأبصارهم، وإنما العمى لقلوبهم عن الإعتبار، وقيد بالصدور تأكيداً أو رفعاً للتجوز.

[٤٧] - ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ الذي أوعده ^(٣) ﴿وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ بإنزاله وقد أنجزه يوم «بدر» ﴿وَإِنَّ يَوْمًا﴾ من أيام عذابهم ﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾ في الآخرة ﴿كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ في الدنيا.

(٢) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ١٢٤ و ١٢١.

(٣) في «ج» العذاب الذي أوعده.

وقيل: المراد بيان طول اثنائه باستقصاءه المدة الطويلة، ^(١) وقرأ «ابن كثير» و«حمزة» و«الكسائي» بياء الغيبة. ^(٢)

[٤٨] - ﴿وَكَايُنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمَلْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا﴾ المراد أهلها، وعطف السابق بالفاء لأنه بدل من «فكيف كان نكير» وهذا بالواو لسوقه لبيان وقوع العذاب بهم وإن امهلوا كالجملتين قبله ﴿وَالْيَوْمِ الْمَقْصُورِ﴾ مرجع الكل.

[٤٩] - ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ لما انذركم به.

[٥٠] - ﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ نعيم الجنة، فإنه أفضل رزق.

[٥١] - ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا﴾ القرآن بالإبطال ﴿مُعَاجِرِينَ﴾ المعاجزة: المسابقة أي مسابقين لنا، ظانين أن يفوتونا. أو: يتم كيدهم، وقرأ «ابن كثير» و«أبو عمرو» «معجزين» مشدداً حيث كان ^(٣) أي مشطبين من يتبع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أو ناسبيهم إلى العجز ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ النار.

[٥٢] - ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ قيل: الرسول من بعث بشريعة يبلغها، والنبي يعمه ومن يحفظها. ^(٤)

وقيل: الرسول من يأتيه الملك بالوحي، والنبي يعمه، ومن يوحى إليه بالمنام. ^(٥)
وعن أهل البيت عليهم السلام نحوه ^(٦) ﴿إِلَّا إِذَا تَمَنَّى﴾ بقلبه أُمْنِيَةً ﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ

(١) تفسير البيان ٣٢٧: ٧.

(٢) تفسير البضاوي ٢١٠: ٣ - وورد نظيره في تفسير البيان ٣٢٧: ٧ وحجة القراءات: ٤٨٠.

(٣) تفسير البضاوي ٢١٠: ٣ وحجة القراءات: ٤٨٠.

(٤) تفسير البضاوي ٢١٠: ٣.

(٥) تفسير البيان ٣٢٩: ٧ وتفسير مجمع البيان ٩١: ٤.

(٦) اصول الكافي ١: ١٧٦.

فِي أُمْنِيَّتِهِ ﴿ وَسُوسَ إِلَيْهِ فِيهَا بِالْبَاطِلِ يَدْعُوهُ إِلَيْهِ ﴾ ﴿فَيَنْسُخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾ فيبطله
 ويزيله بعصمته وهدايته الى ما هو الحق ﴿ثُمَّ يُخَكِّمُ اللَّهُ آيَاتِهِ﴾ يثبت دلائله الداعية
 الى مخالفة الشيطان ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بكل شيء ﴿حَكِيمٌ﴾ في تدييره .
 أو المعنى : إذا تمنى أي قرأ ما يُلغى قومه حرفوه وزادوا فيه ونقصوا كما
 فعله اليهود .

واسند الى الشيطان لأنه بتسويله ، فيزيل الله تحريفهم بإقامة حجة .
 وهذا تسليه له حين افترى عليه المشركون ونسبوا الى قرآنه ما لم يكن فيها من
 المدح لآلهتهم يوافق تعليل تمكين الشيطان من الإلقاء بقوله :
 [٥٣] - ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً﴾ الذال على ظهور الملقى للناس بخلاف
 الأول لخفاء تمنى القلب فكيف يكون امتحاناً ﴿لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ شك ونفاق
 ﴿وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ المشركين ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ أي الحزبين ، وضع موضع ضميرهم
 ايذاناً بظلمهم ﴿لَقِيَ شِقَاقٍ﴾ خلاف ﴿يَعِيدُ﴾ عن الحق أو عن الرسول وتبعته .
 [٥٤] - ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ بتوحيد الله وحكمته ﴿أَنَّهُ﴾ أي القرآن
 ﴿الْحَقُّ﴾ الذي لا يأتيه الباطل منزلاً ﴿مِنْ رَبِّكَ فَيَكُونُوا بِهِ﴾ يثبتوا على إيمانهم
 أو يزدادوا إيماناً ﴿فَتَخِثَ﴾ تخشع وتطمئن ﴿لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى
 صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ طريق مستو أي يثبتهم على الدين أو يهديهم الى طريق الجنة
 [٥٥] - ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ﴾ شك ﴿مِنْهُ﴾ من القرآن ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ
 السَّاعَةُ﴾ القيامة ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ يوم بدر .

سمي به لأنه لا خير فيه للكفار كالريح العقيم التي لا تأتي بخير ، أو لأنه لا مثل
 له ، لقتال الملائكة فيه ، أو : يوم القيامة لأنه لا ليل - أو : لا مثل - له . ويراد
 بالساعة : أشراتها . أو : الموت .

[٥٦] - ﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ﴾ أي يوم القيامة ﴿هُوَ﴾ وحده ﴿يَخْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ بين

المؤمنين والكافرين بما بيّنه بقوله: ﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾.

[٥٧] - ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ لهم، لشدة.

[٥٨] - ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ في طاعته من مكة الى المدينة أو من اوطانهم في سرية ﴿ثُمَّ قُتِلُوا﴾ في الجهاد، وشدده «ابن عامر»^(١) ﴿أَوْ مَاتُوا لَيَزُفَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ نعيم الجنة، وسوى بين من قتل ومن مات بالوعد لاستوائهما في النية ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ لانتهاه كل رزق إليه.

[٥٩] - ﴿لِيَدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا﴾ بالضم، وفتح «نافع» وهو مصدر أو اسم مكان^(٢)

﴿يَرْضَوْنَهُ﴾ هو الجنة ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ﴾ بأحوالهم ﴿حَلِيمٌ﴾ لا يعجل العقوبة.

[٦٠] - ﴿ذَلِكَ﴾ الأمر ذلك ﴿وَمَنْ عَاقَبْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ﴾ جازى من ظلمه

بمثل ما ظلمه به.

وسمى الابتداء بالظلم عقوبة وهي الجزاء، للإزدواج^(٣) ﴿ثُمَّ يُفْنَى عَلَيْهِ﴾ عاوده الظالم بالظلم ﴿لِيَصْرُفَهُ اللَّهُ﴾ على الباغي ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ للمبغى عليه، إذا انتصر وترك الاولى المندوب إليه وهو العفو.

[٦١] - ﴿ذَلِكَ﴾ النصر ﴿يَأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤْلِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾

بسبب أنه القادر الذي من قدرته ادخال كل من الملوين^(٤) في الآخر بالزيادة والنقصان ﴿وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ للأقوال ﴿بَصِيرٌ﴾ بالأفعال.

[٦٢] - ﴿ذَلِكَ﴾ الوصف بالقدرة والعلم ﴿يَأَنَّ اللَّهَ﴾ بسبب أنه ﴿هُوَ الْحَقُّ﴾

الثابت الإلهية المستلزمة للقدرة والعلم ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ﴾ يعبدون، وقرأ «نافع»

(٢٥١) حجة القراءات: ٤٨١.

(٢) الإزدواج - في البديع - : تناسب المتجاورين، نحو: من ساء نبأ يقين (سورة النمل).

(٤) الملوين: الليل والنهار.

و«ابن عامر» و«أبو بكر» بناء الخطاب للمشركين^(١) ﴿مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ الرّائل المَعْدوم الإلهية ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ﴾ على كل شيء ﴿الْكَبِيرُ﴾ عن أن يعده شيء.

[٦٣] - ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ استفهام تقرير ﴿أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ مطراً ﴿فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ بالنّبات، وهذا من قدرته الكاملة ونعمته الشّاملة، عطف بصيغة المضارع على «انزل» ايذاناً ببقاء أثر المطر مدّة طويلة، ولم ينصب جواباً لإيهامه نفي الإخضرار كقولك: ألم تر اني زرتك فذكرني؟ والمراد اثباته ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ﴾ في أفعاله ﴿خَبِيرٌ﴾ بتدبير خلقه.

[٦٤] - ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ﴾ عن كل شيء ﴿الْحَمِيدُ﴾ المستحقّ الحمد لذاته.

[٦٥] - ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ﴾ من البهائم وغيرها، ذلكها لمنافعكم ﴿وَوَلَّفَكَ﴾ عطف على «ما» ﴿تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ﴾ حال منها ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ﴾ من أن أو كراهة أن ﴿تَنفَعَّ عَلَى الْأَرْضِ﴾ بأن طبعها على الإستمساك ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ بمشيئته، فإذا شاء أبطل استمساكها فتهبط ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ حيث فعل لهم ما فيه منافع الدارين.

[٦٦] - ﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ﴾ بعد ان كنتم امواتاً جماداً ﴿ثُمَّ يَمِيتُكُمْ﴾ عند آجالكم ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ عند بعثكم ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ﴾ أي المشرك ﴿لَكَفُورٌ﴾ لجحود للنعم بشركه.

[٦٧] - ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْشَكًا﴾ بالقرائتين،^(٢) شريعة أو متعبداً ﴿هُم نَاسِكُوهُ﴾ عاملون به، أو فيه ﴿فَلَا يُنَازِعُنَكَ﴾ أي بقايا الأمم ﴿فِي الْأَمْرِ﴾ زجر لهم عن منازعته صلّى الله عليه وآله وسلّم في أمر الذين اذ كانوا يقولون ما لكم تأكلون ما قتلتم ولا

(١) تفسير البضاوي ٣: ٢١٢ وحجة القراءات: ٤٨٢.

(٢) المتقدمين في الآية (٢٤) من هذه السورة.

تأكلون ما قتل الله؟ .

أو نهى له صلى الله عليه وآله وسلم عن منازعتهم لتضمن المفاعلة للعكس ﴿وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ إلى دينه الذي انت عليه ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٌ﴾ دين قيم .

[٦٨] - ﴿وَإِنْ جَادَلُوكَ﴾ بعد لزوم الحجة ﴿فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من المرء

وغيره ، فيجازيكم به ، وعيد برفق .

[٦٩] - ﴿اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ أيها المؤمنون والكافرون ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ

تَخْتَلِفُونَ﴾ من أمر الدين بإثابة المحق وتعذيب المبطل .

[٧٠] - ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ ومنه أمر هؤلاء ﴿إِنَّ ذَلِكَ

فِي كِتَابٍ﴾ هو اللوح المحفوظ ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ العلم به وكتبه في اللوح ﴿عَلَىٰ اللَّهِ يَسِيرٌ﴾

لاستواء نسبة ذاته إلى كل المعلومات والمقدورات .

[٧١] - ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ حجة على صحة عبادته

﴿وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ من ضرورة العقل ونظره ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ بالشرك ﴿مِنْ

نَصِيرٍ﴾ يمنعهم من العذاب .

[٧٢] - ﴿وَإِذَا تَنَادَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا﴾ من القرآن ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ ظاهرات الدلالة على

الحق ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ﴾ الإنكار لها ، أي اثره من العبوس لشدة

بغضهم للحق ﴿يَكَادُونَ يَسْطُونِ بِالَّذِينَ يَثْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا﴾ يبطشون بهم ﴿قُلْ

أَفَأَنْتُمْ بِشِرِّ مَن دَلِكُمْ﴾ من غيظكم على التالين ، أو بأكره اليكم من القرآن ﴿النَّارُ﴾

أي هو النار . كأنه جواب قائل : ما هو؟ أو «النار» مبتدأ وخبره : ﴿وَعَذَابُ اللَّهِ الَّذِينَ

كَفَرُوا﴾ والجملة استئناف ، وعلى الأول «وعذابها» استئناف أو حال ﴿وَيُنَسَّ

الْمَصِيرُ﴾ هي .

[٧٣] - ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ﴾ بينت قصة كالمثل في الاستغراب

﴿فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾ فتدبروه وهو : ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ تعبدونهم غيره وهم

الأصنام ﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾ يعجزون عن خلقه مع حقارته وهو اسم جنس ، واحده

ذبابه ﴿وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ «ولو» للمبالغة وجوابها مقدر، أي: ولو اجتمعوا لخلقه لن يخلقوا - أيضاً - ﴿وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذَّبَابُ شَيْئًا﴾ مما عليهم من طيب وزعفران، إذ كانوا يطلونهم به، فيأتى الذباب فيأكله ﴿لَا يَسْتَفِيدُونَ مِنْهُ﴾ لعجزهم، فإذا عجزت عن خلق هذا الضعيف بل عن مقاومته واستخلاص ما يسلبها منه كيف تشارك الخالق المتفرد بالقدرة على كل شيء في الإلهية؟ فهذا أمر مستغرب ومنه يتعجب ﴿ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ العابد والمعبود، أو الذباب والصنم أو عكسه.

[٧٤] - ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ ما عرفوه حق معرفته إذا شركوا به ما يعجز عن ذب الذباب عن نفسه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ﴾ قادر ﴿عَزِيزٌ﴾ غالب، فكيف يشاركه العاجز المغلوب لأضعف خلقه.

[٧٥] - ﴿اللَّهُ يَضْطَرِّي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رَسُولًا﴾ الى انبيائه بالوحي ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ رسلاً الى سائرهم يبلغونهم ما اوحى اليهم، وهذا رد لمعتقدهم في الرسالة من ان الرسول لا يكون بشراً بعد رد عقيدتهم في الإلهية، وعلى من جعل الملائكة أو الأنبياء اولاداً ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ للأقوال ﴿بَصِيرٌ﴾ بالمصالح والأحوال.

[٧٦] - ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ما مضى وما غير^(١) من احوالهم ﴿وَالِإِلَهِ اللَّهِ﴾ الى علمه أو تديره ﴿تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ كلها.

[٧٧] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾ أي صلوا ﴿وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ بكل ما تعبدكم به، ﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ﴾ كصلة الرّحم ومكارم الإخلاق ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾ أي: راجين للفوز بنعيم الجنة، غير قاطعين به، متكئين على أعمالكم.

[٧٨] - ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ﴾ لوجهه بخلاف النفس والهوى في طاعته وبقتال الكفرة لإقامة دينه ﴿حَقَّ جِهَادِهِ﴾ أي جهاداً حق الجهاد فيه بأن تخلصوه لوجهه أو تستفرغوا وسعكم فيه ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾ اختاركم لدينه ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ أي ضيق لا مخرج عنه، بل جعل التوبة والكفارات وردّ المظالم والرخص

(١) الغبر: البقاء ويستعمل بمعنى المضى ايضاً فيكون من الأضداد.

في الضرورات مخرجاً من الذنوب .

أو: ضيق بتكليفكم ما لا تطيقون أو يصعب عليكم .

وهذا ينفي خلقه تعالى للكفر بدون تأثير لقدرتهم واختيارهم فيه ، وإلا كان نهيهم عنه من أعظم الحرج ، ولا يلزم مثله في علمه تعالى بوقوع الكفر ، لأن العلم لا يرفع قدرة المكلف لأنه تابع للمعلوم فلا أثر له فيه ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ نصب على الإغراء - أو: الاختصاص أو: بتزج الخافض - «الكاف» .

وسماه أباهم لأنه أبو الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهو كالأب لأمته ، أو لأنه أبو أكثر العرب ، فغلبوا على غيرهم ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ قبل القرآن في الكتب السابقة ﴿وَفِي هَذَا﴾ وفي القرآن ، والضمير لله أو لـ «إبراهيم» وكانت تسميتهم فيه بسبب تسميته من قبل في قوله : ﴿وَمَنْ ذَرَيْتَنَا أمة مسلمة لك﴾ .^(١) ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ يوم القيامة بأنه بلغكم أو بطاعتكم وعصيانكم ﴿وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ بتبليغ رسلهم اليهم ﴿فَأَقِمْوُا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللهِ﴾ وثقوا به ﴿هُوَ مَوْلَاكُمْ﴾ ناصركم ومتولي أموركم ﴿فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ أي : الناصر لكم هو .

عن «الباقر» عليه السلام في : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ الى آخره ﴿هو اجتباكم﴾ قال :

أيانا عنى ، ونحن المجتوبون ، ولم يجعل الله تبارك وتعالى علينا في الدين من حرج .
«ملة ابيكم إبراهيم» أيانا عنى خاصة ، «هو سماءكم المسلمين» الله - عز وجل - سمأنا المسلمين ، «من قبل» في الكتب التي مضت ، «وفي هذا» القرآن «ليكون الرسول» الى آخره ، فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الشهيد علينا بما بلغنا عن الله تبارك وتعالى ، ونحن الشهوداء على الناس ، فمن صدق يوم القيامة [صدقناه] ومن كذب كذبناه .^(٢)

(١) سورة البقرة: ١٢٨ .

(٢) اصول الكافي ١ : ١٩١ الحديث (٤) وما بين المعقوفتين من المصدر .

سورة المؤمنون

[٢٣]

مائة وتسع عشرة آية^(١) وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] - ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ فازوا بما طلبوا، وقد «للتحقيق وإثبات المتوقع

وتقريب الماضي من الحال، ولأريب أنّ المؤمنين كانوا متوقعين ذلك فصدرت بها بشارتهم، وعن «ورش» إلقاء فتحة الهمزة على الذال وحذفها.^(٢)

[٢] - ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ متذلّلون لله، خاضعون^(٣) ساكنون لا

تعدوا أبصارهم مساجدهم.

قيل: كان صلى الله عليه وآله وسلم يصلي رافعاً بصره الى السماء فلما نزلت، رمى به

الى مسجده.^(٤)

(١) كذا ورد في الاصول مع أنّ عدد آيات السورة هو مائة وثمانية عشرة آية، وفي تفسير البيضاوي

٢١٥: ٣ . . . وهي مائة وتسع عشرة آية عند البصريين وثمانية عشرة عند الكوفيين.

(٢) تفسير البيضاوي ٢١٥: ٣.

(٣) ليس في «ب»: «خاضعون».

(٤) نقله البيضاوي في تفسيره ٢١٥: ٣.

[٣] - ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ السَّاقِطِ مِنْ قَوْلٍ وَفَعَلَ ﴿مُعْرِضُونَ﴾ لَا يَلْتَفِتُونَ إِلَيْهِ وَلَا يَقَارِبُونَهُ فَضْلاً عَنْ فَعْلِهِ .

[٤] - ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ مدحهم باستكمالهم الطاعات البدنية من الخشوع في الصلاة وتجنب ما يجب شرعاً أو عرفاً تجنبه، والمالية من فعل الزكاة والمراد بها الحدث لأنَّ الفاعل أنما يفعله لا العين المخرجة إلا أن يقدر مضاف أي لأداء الزكاة فاعلون .

[٥] - ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ .

[٦] - ﴿إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ زوجاتهم أو سرّياتهم و«على» بمعنى «عن» أو: حال بتقدير: إلا والين^(١) على أزواجهم أي: حفظوها في عامة الأحوال إلا في حال تزوجهم أو تسريهم .

وعبر بـ«ما» لقلة عقولهنّ وتملكن كسائر السلع،^(٢) وافردت هذه بعد دخولها في الإعراض عن اللغو لأن الملامسة ألدّ لهو للنفس وقمعها عنه صعب ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَكْمُولِينَ﴾ على اتیانهنّ .

[٧] - ﴿فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ﴾ المحدود ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ المتجاوزون ما حدّ لهم .

[٨] - ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ﴾ لما ائتمنوا عليه وعاهدوا من جهة الله أو الناس ﴿رَاعُونَ﴾ حافظون، وقرأ «ابن كثير»: «لأمانتهم» مفرداً لأن أصلها مصدر.^(٣)

(١) قال الزمخشري في تفسير الكشاف ٣: ١٧٦- «على أزواجهم» في موضع الحال، أي إلا والين على أزواجهم، أو قوامين عليهنّ، من قولك: كان فلان على فلانة، فمات عنها فخلف عليها فلان، ونظيره: كان زياد على البصرة أي والياً عليها . . .

(٢) السلعة - بالكسر -: المتاع .

(٣) تفسير البضاوي ٣: ٢١٥- ٢١٦ .

- [٩] — ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ﴾^(١) وافردها «حمزة» و«الكسائي»^(٢) ﴿يُحَافِظُونَ﴾ يؤدونها لأوقاتها بحدودها، ولفظ المضارع لتجددها وتكررها. والمحافضة اعم من الخشوع فلا تكرار ولفظها^(٣) وقع الإلتفات والختم بها.
- [١٠] — ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ دون غيرهم.
- [١١] — ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ﴾ بيان للموروث، واستعيرت الوراثة لإستحقاقهم الفردوس بأعمالهم مبالغة فيه.
- وقيل: يرثون منازل الكفار فيها وهي الجنة، أو أعلى الجنان^(٤) فلذا أنت ضميرها في: ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.
- [١٢] — ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ﴾ صفوة سلّت^(٥) من الكدر ﴿مِنْ طِينٍ﴾ متعلق بـ«سلالة» أو بمحذوف لأنه صفتها، فـ«من» للإبتداء كالاولى، أو بيانية.
- و«الإنسان» آدم خلق من صفوة استلّت من الطين أو الجنس لأنهم خلفوا من نطف استلّت موادها من طين أو من آدم على تسميته طيناً لخلق منه.
- [١٣] — ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ﴾ أي الإنسان نسل آدم يعني جوهره، أو جعلنا السلالة على تأويل الماء ﴿نُطْفَةً﴾ منياً ﴿فِي قَرَارٍ﴾ مستقر هو الرحم ﴿مَكِينٍ﴾ وصف المحل بصفة الحال مبالغة.
- [١٤] — ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا﴾ صيرنا ﴿النُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ دماً جامداً ﴿فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ قطعة لحم ﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ﴾ جمعت لاختلافها شكلاً

(١) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «صلواتهم» - بالإفراد -.

(٢) تفسير البضاوي ٢١٦: ٣ وتفسير التبيان ٧: ٣٥٠ وحجة القراءات: ٤٨٣.

(٣) أي الصلاة.

(٤) تفسير البضاوي ٢١٦: ٣.

(٥) في «ج» سلمت.

وصلاية، ووحدها «ابن عامر» و«أبو بكر» فيهما على إرادة الجنس^(١) ﴿لَحْمًا﴾ انبتاه عليها ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ بنفخ الروح فيه و«ثم» في الموضعين لتراخي الرتبة ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ﴾ دام خيره وتعالى شأنه ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ المقدرين.

[١٥] - ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ المذكور من تمام الخلق ﴿لَمَيِّتُونَ﴾ عند آجالكم.

[١٦] - ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ تُبْعَثُونَ﴾ للحساب والجزاء.

[١٧] - ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ﴾ سماوات، جمع طريقة لأنها طريق

الملائكة والكواكب فيها مسيرها، أو لأنها طروق بعضها على بعض أي اطبق ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ﴾ أي كل المخلوقات ﴿غَافِلِينَ﴾ تاركين تدبيرها، بل ندبر أمرها ونتقن صنعها على مقتضى الحكمة والمصلحة.

[١٨] - ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾ بمقدار يوافق المصلحة أو بتقدير بعم

نفعه ويؤمن ضره ﴿فَأَنشَأْنَاهُ﴾ انبتاه ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ مدداً للنبات واليابس ﴿وَأَنَّا عَلَى دَهَابٍ بِهِ﴾ على اذهابه ﴿لَقَادِرُونَ﴾ ولو فعلنا لهلك كل حيوان ونبات.

[١٩] - ﴿فَأَنشَأْنَا لَكُمْ بِهِ﴾ بالماء ﴿جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا﴾

في الجنات ﴿فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ﴾ تنفكهون بها ﴿وَمِنْهَا﴾ من^(٢) الجنات أي ثمارها وزرعها

﴿تَأْكُلُونَ﴾ تطعمون أو تتعيشون، أو الضمير لـ «نخيل» و«الأعناب» أي لكم من ثمرها

أنواع من الفواكهة وطعام تأكلون.^(٣)

[٢٠] - ﴿وَشَجَرَةً﴾ عطف على «جنات» ﴿تَخْرُجُ مِنْ تَوْرٍ سَيِّئَةٍ﴾ وطور سينين

جبل «موسى» بين «مصر» و«إيلة».^(٤)

(١) تفسير التبيان ٧: ٣٥٢ - حجة القراءات: ٤٨٤.

(٢) كلمة «من» موجود في «ج».

(٣) في «ج» تأكلونه.

(٤) إيلة - بالفتح -: مدينة على ساحل بحر القلزم مماليك الشام.. مرادف الاطلاع/ ٥٣.

والطور: الجبل . وسيناء : بقعة اضيف اليها ، أو : هما علم مركب له ، ومنع صرفه - لأنه فعلاء كصحراء ، وعلى قراءة الكسر لـ «نافع» و«أبي عمرو» و«ابن كثير»^(١) فالتعريف والعجمة ، أو التانيث بتأويل البقعة ، لا بالألف لأنه فيعال كقيراط ﴿تَبَيَّنْتُ بِالذَّهْنِ﴾ الباء للمصاحبة أي متلبساً بالذهن أو للتعدية ، وقراء «ابن كثير» و«أبو عمرو» رباعياً^(٢) بتقدير : تبنت زيتونها متلبساً (بالذهن . أو : من انبت بمعنى : نبت)^(٣) ﴿وَصَبَّغَ لِلْأَكْلِيلِينَ﴾ عطف على «الذهن» أي ادام يصبغ فيه الخبز أي يغمس فيه للإندام .

[٢١] - ﴿وَإِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ﴾ اعتباراً ﴿نُتْفِكُمْ﴾ استئناف لبيان العبرة ، وفتح «نافع» و«ابن عامر» و«أبو بكر»^(٤) ﴿مِمَّا فِي بُطُونِهَا﴾ من اللبن ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ﴾ في أصوافها وأوبارها وغير ذلك ﴿وَمِنْهَا﴾ من لحومها ﴿تَأْكُلُونَ﴾ .

[٢٢] - ﴿وَعَلَيْهَا﴾ على الإبل منها لأنها المحمول عليها عادة وسفن البر فتاسب الفلك ﴿وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ في البر والبحر .

[٢٣] - ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وحده ﴿مَا لَكُمْ﴾ خبر «ما» ﴿مِنْ إِلَهٍ﴾ اسمها بزيادة «من» ﴿غَيْرُهُ﴾ صفته على المحل ، وجزءه «الكسائي» على اللفظ^(٥) ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ تخافون نعمته بعبادتكم غيره .

[٢٤] - ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ﴾ الأشراف ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ ليعتصم ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ﴾ يترأس ﴿عَلَيْكُمْ﴾ فيجعلكم اتباعاً له ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ ارسال رسول ﴿لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً﴾ رسلاً ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾ الذي يدعوننا إليه «نوح» من

(١) تفسير التبيان ٧ : ٣٥٥ وحجة القراءات : ٤٨٤ .

(٢) من باب الإفعال - تفسير التبيان ٧ : ٣٥٥ .

(٣) ما بين القوسين ليس في «ج» .

(٤) حجة القراءات : ٤٨٥ .

(٥) تفسير البضاوي ٣ : ٢١٧ .

التوحيد ﴿فِي آيَاتِنَا الْأُولَى﴾ قالوه عناداً أو لطول فترة كانوا فيها .

[٢٥] - ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ﴾ جنون ﴿فَتَرْبُصُوا بِهِ﴾ فانتظروه ﴿حَتَّىٰ جِيئَ﴾

الى زمن افاقته أو زمن موته .

[٢٦] - ﴿قَالَ﴾ - بعد يأسه من اجابتهم -: ﴿رَبِّ انصُرْنِي﴾ عليهم بإهلاكهم

﴿بِمَا كَذَّبُون﴾ بسبب تكذيبهم آيائي .

[٢٧] - ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ برعايتنا وحفظنا ﴿وَوَحَيْنَا﴾

وتعليمنا ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ بتعذيبهم ﴿وَفَارَ الْفُتُورُ﴾ ارتفع منه الماء، وموضعه

في مسجد الكوفة أو في الشام ﴿فَأَسْلُكْ فِيهَا﴾ ادخل في الفلك ﴿مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ﴾

ذكر واثى من انواعهما ﴿اثنَيْنِ﴾ ذكراً واثى، ونون «حفص» كل^(١) أي من كل نوع

زوجين اثنين ﴿وَأَمْلَكْ﴾ هم: زوجته وبنوه ﴿إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾ الوعد

بإهلاكه وهو ابنه: «كنعان» وأمّه: «واغلة» ﴿وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ كفروا

بإمهالهم ﴿إِنَّهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ لا محالة .

[٢٨] - ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ﴾ ركبت واعتدلت ﴿أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ بإسراهم .

[٢٩] - ﴿وَقُلْ رَبِّ أُنزِلْنِي﴾ في السفينة وفي الأرض ﴿مُنْزَلاً﴾ بضم الميم وفتح

الزاي، مصدر أو اسم مكان، وقرأ «أبو بكر» بفتح الميم وكسر الزاي^(٢) ﴿مُبَارَكًا﴾ يكثر

فيه خير الدارين ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ أمره أن يشفع الدعاء بهذا الشاء المطابق له

لأنه ادعى الى الإجابة .

[٣٠] - ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ﴾ في امر نوح وقومه ﴿لَايَاتٍ﴾ دلالات وعبراً للمعتبرين

﴿وَإِنْ﴾ هي المخففة ﴿كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ مختبرين عبادنا ليتذكروا، أو مصيبين قوم

(١) حجة القراءات: ٤٨٦ .

(٢) تفسير التبيان ٧ : ٣٦١ وحجة القراءات: ٤٨٦ .

«نوح» بالبلاء، واللام فارقة.

[٣١] - «ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ» هم عاد.

[٣٢] - «فَارْزَلْنَاهُمْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ» هو «هود» وعدّي «ارسل» بـ«في» ايذاناً بأنه اوحى إليه وهو بين اظهرهم «أَنْ» أي: أو: أي «اغْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ» عذابه.

[٣٣] - «وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِلقاءِ الْآخِرَةِ» أي بالبعث فيها «وَأَنزَلْنَاهُمْ» نعمناهم «فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» بضروب الملائد «مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ» حذف عائده منصوباً، أي: تشربونه أو: مع «من» بقرينة قرينه.

[٣٤] - «وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ» فيه قسم وشرط، والجواب للقسم يغني عن جزاء الشرط وهو: «إِن كُنْتُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ» مغبونون باتباعه.

[٣٥] - «أُعِيدْكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْكُمْ تُخْرَجُونَ» من قبوركم احياء، و«مخرجون» خبر «انكم» الاول، ولطول الفصل بينهما أكد بالثاني، أو: «انكم مخرجون» مبتدأ، خبره: الظرف المقدم، أي اخراجكم إذا مِتُّم أو فاعل لفعل يقدر جزاء للشرط أي: إذا مِتُّم وقع اخراجكم، والجملة الاسمية أو الشرطية خبر الاول.

[٣٦] - «هَيِّئَاتْ هَيِّئَاتْ» اسم فعل ماضٍ أي: بعد الثبوت «لَمَّا تُوْعَدُونَ» أو بعد ما توعدون، واللام زائدة لبيان المستبعد ما هو بعد التصويت بهيئات.

وفي إضمار الفاعل وتبيينه تأكيد كما في التكرير، وقيل: هو بمعنى البعد^(١) لما توعدون.

[٣٧] - «إِنْ هِيَ» ما الحياة، جيء بضميرها للدلالة: «إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا» عليها.

والمعنى لا حياة إلا هذه الحياة لأن مدخول «ان» في معنى الجنس، فتفتيه

(١) فيكون هيئات مبتدأ، وخبره: «لَمَّا تُوْعَدُونَ».

نفسى لا للجنس ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ (يموت قوم ويولد قوم)^(١) ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ بعد موتنا .

[٣٨] - ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بدعواه الرسالة ووعدته بالبعث ﴿وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾ بمصدقين .

[٣٩] - ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كُذِّبْتُ﴾ سبق مثله .^(٢)

[٤٠] - ﴿قَالَ﴾ تعالى : ﴿عَمَّا قَلِيلٍ﴾ من الزمان و«ما» زائدة لتوكيد معنى القلة ﴿لَيُصِخِرَنَّ نَادِمِينَ﴾ على تكذيبهم إذا رأوا العذاب .

[٤١] - ﴿فَأَخَذْنَاهُمُ الصَّيْحَةَ﴾ صاح بهم جبرئيل صيحة فماتوا، وبه استدل على أن القرن : ثمود^(٣) ﴿بِالْحَقِّ﴾ بإستحقاقهم أخذها ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً﴾ هو ما احتمله السيل من نبات بالٍ ونحوه، شبهوا به في هلاكهم ﴿فَبَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أي بعدوا من الرحمة بعداً . دعاء عليهم بالهلاك، وهو من المصادر المحذوفة الناصب، و«الآلام» للبيان، وأحل الظاهر محل ضميرهم للتعليل .

[٤٢] - ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَيْنِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ﴾ هم قوم «صالح» و«لوط» و«شعيب» .

[٤٣] - ﴿مَا تَسْقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾ بأن تهلك قبله ﴿وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ عنه، وذكر ضميرها للمعنى .

[٤٤] - ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا﴾ فعلى ، من المتواترة أي : متواترين يتبع بعضهم بعضاً، وأصلها «وترى» فأبدلت الواو تاء، ونوته «ابن كثير» و«أبو عمرو»^(٤) على أنه

(١) ما بين القوسين ليس في «ج» .

(٢) في الآية (٣٦) من هذه السورة .

(٣) أي القرن المذكور في الآية (٣١) «ثم أنشأنا من بعدهم قرناً آخرين» .

(٤) حجة القراءات : ٤٨٧ .

مصدر كالمشواترة، وقع حالاً ﴿كُلَّمَا جَاءَ أُمَّهُ رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ﴾ الرسول يضاف الى المرسل والمرسل اليه لملاسته لكليهما ﴿فَأَتَيْنَا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾ في الإهلاك ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ لم ينبق منهم سوى اخبار يتحدث بها، وهو اسم جمع للحديث أو جمع احداثه ﴿فَبَعْدُ لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[٤٥] - ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا﴾ المعجزات ﴿وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ برهان ظاهر، ويحتمل أن يراد به: العصا، وافردت لاشتمالها على معجزات شتى وان يراد بكليهما المعجزات فإنها آيات للنبوة وحجج بيّنة عليها،

[٤٦] - ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَارُونَ فَاسْتَكْبَرُوا﴾ عن قبول الحق ﴿وَكَانُوا قَوْمًا غَالِينَ﴾ قاهرين بالظلم.

[٤٧] - ﴿فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ مِثْلَنَا وَقَوْمُهُمَا﴾ أي بنو اسرائيل ﴿لَنَا عَابِدُونَ﴾ مطيعون خاضعون كالعباد.

[٤٨] - ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ﴾ بالفرق.

[٤٩] - ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ أي قومه بني اسرائيل لا قوم فرعون لانهم اغرقوا قبل نزولها ﴿يَهْتَدُونَ﴾ به الى الدين.

[٥٠] - ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾ بأن ولدته بغير فعل، فهي آية واحدة فيهما. أو: ابن مريم آية بكلامه في المهد، وآمه آية بولادتها بلا فعل، فحذفت الاولى لقرينة الثانية ﴿وَوَعَدْنَاهُمَا إِلَى رُبُوعٍ﴾ ارض مرتفعة هي ارض بيت المقدس أو الرملة^(١) أو دمشق أو مصر، وفتح «عاصم» و«ابن عامر»: «الراء» وضمها الباقون^(٢) ﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾ استواء، يستقر عليها، أو ثمار لأجلها يستقر فيها ﴿وَمَعِينٍ﴾ ماء جار ظاهر للعيون، مفعول من عتته اعينه: ادركته، أو: فعيل من معن الماء: جرى.

(١) الرملة مدينة بفلسطين... وكانت رباطاً للمسلمين (مراسد الاطلاع: ١٩٣).

(٢) حجة القراءات: ٤٨٨.

[٥١] - ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ المستلذات المباحات وهو إعلام بأن كل رسول في زمانه نودى بذلك، وحثٌ للسامع على العمل به.

وقيل خطاب لـ «عيسى» بلفظ الجمع لشرفه أو لنبيّا صلى الله عليه وآله وسلم^(١) ﴿وَاعْتَلُوا صَالِحًا﴾ أي الطاعات ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ فأجازيكم به.

[٥٢] - ﴿وَأَنْ﴾ أي ولأنّ، علّل به «فائقون» أو «واعلموا» أو: عطف على «ما» وخففها «ابن عامر» وكسرهما «الكوفيون» استئنافاً^(٢) ﴿هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أي ملة الإسلام ملتكم حال كونها ملة مجتمعة، أو ملل الأنبياء ملتكم ملة متحدة في اصول الشرائع، أو هذه جماعتكم جماعة متفقة على التوحيد ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ في التفرق في الدين.

[٥٣] - ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ جعلوا أمر دينهم ادياناً مختلفة ﴿زُبُرًا﴾ كتباً، يدينون بها جمع «زبور» أو قطعاً وهو مفعول ثانٍ لـ «تقطعوا» أو حال من «أمرهم» أو من الواو. وهذا على تفسير الأمة بالجماعة، أي: تفرقوا احزاباً متخالفين ﴿كُلِّ حِزْبٍ﴾ فريق ﴿بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ من الدين ﴿فَرِحُونَ﴾ مسرورون، يرون الحق.

[٥٤] - ﴿فَذَرُّهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ﴾ ضلالتهم، شبهت بغمرة الماء التي تغمر القامة لانغمارهم فيها ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ الى وقت موتهم.

[٥٥] - ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ﴾ نعطيهم ﴿مِنْ مَّالٍ وَبَيْنٍ﴾ بيان لـ «ما».

[٥٦] - ﴿نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ خبرها. والرباط محذوف، أي: «به» أي: ليس الأمر كما يظنون، وإنما ذلك استدراج لهم ﴿بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أنه استدراج.

[٥٧] - ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ﴾ من خوفه ﴿مُتَشَفِّقُونَ﴾ لازمون لطاعته.

[٥٨] - ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ القرآن وغيره ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ يصدقون.

[٥٩] - ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ غيره في عبادته.

[٦٠] - ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا﴾ يعطون ما اعطوا من الصدقة أو اعمال البر كلها ﴿وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَّةٌ﴾ خائفة، أن لا يقبل منهم ﴿أَنَّهُمْ﴾ أي لانهم ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ وهو علام السرائر.

[٦١] - ﴿أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ يسادرون الطاعات، رغبة فيها أو يتعجلون خيرات الدنيا بمبادرتهم الطاعات الموجبة لها ليقابل اثباته لهم نفيه عن اضدادهم ﴿وَهُمْ لَهَا﴾ لأجلها ﴿سَائِقُونَ﴾ الناس الى الجنة أو فاعلون السبق.

[٦٢] - ﴿وَلَا تَكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ دون طاقتها، وفيه حث على ما وصف به الصالحون بتسهيله ﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ﴾ اللوح أو صحيفة الأعمال ﴿يُنْطَقُ بِالْحَقِّ﴾ بالصدق فيما كتب فيه من اعمالها ﴿وَهُمْ﴾ أي النفوس ﴿لَا يَظْلُمُونَ﴾ بنقص ثواب أو زيادة عقاب.

[٦٣] - ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي الكفار ﴿فِي غَمَرَةٍ﴾ غفلة ﴿مِنْ هَٰذَا﴾ مما وصف به هؤلاء، أو من كتاب الأعمال ﴿وَلَهُمْ أَعْمَالٌ﴾ سيئة ﴿مِنْ دُونِ ذَٰلِكَ﴾ سوى ما هم عليه من الكفر، أو متجاوزة لما ذكر للمصالحين ﴿هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴾ لا يتركونها.

[٦٤] - ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ﴾ منعميهم ﴿بِالْعَذَابِ﴾ في الآخرة أو القتل يسدر أو الجوع حين دعا عليهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم به، فقحطوا حتى أكلوا الجيف والكلاب ﴿إِذَا هُمْ يَجْثَرُونَ﴾ يصرخون بالاستغاثة.

[٦٥] - ﴿لَا تَجْنَرُوا الْيَوْمَ﴾ مقدر بالقول ﴿إِنكُم مِّنَّا لَا تَتَصَرَّوْنَ﴾ لا تمنعون منا أو لا يأتيكم نصر من جهتنا.

[٦٦] - ﴿قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ أي القرآن ﴿فَكَتُمُّ عَلَىٰ أَغْصَابِكُمْ تَكْصُونَ﴾ تدبرون عن سماعها وقبولها كمن رجع القهقري.

[٦٧] - ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ﴾ الهاء للبيت^(١) وسوخ اضماره شهرة استكبارهم

(١) أي بيت الله الحرام.

وافتحارهم بولايته ولنكوصهم،^(١) أو: للقرآن بتضمين الاستكبار معنى التكذيب
 أو: لأن استكبارهم بسبب سماعه . أو: لتعلق الباء بقوله ﴿سَامِرًا﴾ أي تسمرون
 بالظن فيه، ونصبه على أنه مصدر على فاعل، أو على الحال لأنه اسم جمع، أو
 جمع كالحاضر^(٢) ﴿تَهْجُرُونَ﴾ تتركون القرآن أو تهذون في شأنه من الهجرة بمعنى:
 القطيعة أو الهذيان، وقرا «نافع» «تهجرون» من الإهجار، وهو: الإفحاش.^(٣)

[٦٨] - ﴿أَقْلَمَ يَذَّبُرُوا الْقَوْلَ﴾ أي القرآن فيستدلوا بإعجاز نظمهم ووضوح حججه
 على صدق رسولنا ﴿أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ من الرسل، تقرير أنه أتى
 آباءهم رسل كـ «نوح» ومن بعده وقد عرفوا مجيئهم ونجاة مصدقيهم وهلاك مكذبيهم
 أفما دعاهم ذلك الى تصديق هذا الرسول؟!

[٦٩] - ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ﴾ بالصدق والأمانة ومكارم الأخلاق وكمال العلم
 وشرف النسب ﴿فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ بل عرفوا كل ذلك فلا وجه لإنكارهم له .

[٧٠] - ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ﴾ وكانوا يعلمون أنه أكملهم عقلاً ﴿بَلْ﴾ للإنتقال
 ﴿جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ﴾ الذين القيم ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ لمخالفته أهوائهم .
 ولعل التقييد بالأكثر لأن منهم من لم يكره الحق لكنه لم يؤمن لقلّة فطته
 أو حسداً له صلى الله عليه وآله وسلم .

[٧١] - ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ﴾ الذين^(٤) ﴿أَهْوَاءَهُمْ﴾ بأن أتى بما يهوونه من الشركاء
 ﴿لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ لما استقامت، للتمانع^(٥) كما قرّر في

(١) نكص: نكأكا واحجسم، ومنه: نكص على عقبيه (سورة الانفال ٨/٤٨) رجع الى ورائه
 يمشي القهقري .

(٢) في الإطلاق على الجمع لأن السامر اسم جمع كالحاضر .

(٣) حجة القراءات: ٤٨٩ .

(٤) كلمة: «الدين» ليست في «ج» .

(٥) كلمة: «للتمانع» ليست في «ج» .

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَهِ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾^(١) وقيل : لو اتبع الله اهلهم بأن انزل ما يشتهونه من الشرك لما كان إلهاً ، فلا يقدر على امساك السماوات والأرض ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ﴾ بالقرآن الذي هو شرفهم أو عظمهم ﴿فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ .

[٧٢] - ﴿أَمْ تَسْتَلْهُمْ خُرْجًا﴾ أجراً على تبليغ الرسالة ، وقرأ «حمزة» و«الكسائي» : «خراجاً»^(٢) ﴿فَخَرَجَ رَبُّكَ﴾ رزقه في الدنيا وثوابه في الآخرة ﴿خَيْرٌ﴾ منه لدوامه وكثرته ، وقرأ «ابن عامر» : «فخرج»^(٣) ﴿وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ أفضل من أعطى .

[٧٣] - ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ هو دين الإسلام فإنه الطريق السوي إلى السعادة الباقية .

[٧٤] - ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ بالبعث وما يتبعه ﴿عَنِ الصِّرَاطِ﴾ المستقيم ﴿لَتَكْبُرُونَ﴾ لعادلون .

[٧٥] - ﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ﴾ جوع اصابهم بـ«مكة» سبع سنين ﴿لَلْجُوعُ﴾ لتماذوا ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ كفرهم وعتوهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾ يترددون .

[٧٦] - ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ﴾ بالجوع ﴿فَمَا اسْتَكَانُوا لَهُمْ﴾ ما خضعوا له ﴿وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ ما يرغبون إليه في الدعاء أي : ما من عاداتهم ذلك .

[٧٧] - ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَتَخْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ هو القتل بيد أو الجوع ، ويراد بالعذاب السابق : القتل ﴿إِذَاهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ متحيرون ، آيسون من كل خير .

[٧٨] - ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمْ السَّمْعَ﴾ وحدّ لآته في الأصل مصدر أو بتقدير حواس السمع ﴿وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ القلوب ، لتدركوا الدلائل المسموعة والمبصرة وتفكروا فيها ، وغير ذلك من منافع الدارين ﴿فَلْيَلَّا مَا تَشْكُرُونَ﴾ «ما» مزيدة ، أي :

(١) سورة الأنبياء : ٢١/٢٢ .

(٢) تفسير البيان ٧ : ٣٨٢ وحجة القراءات : ٤٨٩ .

(٣) حجة القراءات : ٤٨٩ .

تشكرونها شكراً قليلاً.

وشكرها: استعمالها فيما خلقت له والإخلاص لخالفها.

[٧٩] - ﴿وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُخْشَرُونَ﴾

تجمعون بالبعث.

[٨٠] - ﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ مختص به

اختلافهما بالظلمة والضياء والطول والقصر، أو تعاقبهما أي ذهاب أحدهما ومجيء الآخر ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ تفكرون، فتعلمون أن من هذا صنعه لا يستحق الإلهية سواء وأنه قادر على البعث.

[٨١] - ﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ﴾ المنكرون للبعث.

[٨٢] - ﴿قَالُوا﴾ - استبعاداً له -: ﴿أَوَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾

ولم يتفكروا في بدأ خلقهم.

[٨٣] - ﴿لَقَدْ وَعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾

أكاذيبهم التي سطروها، جمع اسطورة أو: أسطار جمع سطر.

[٨٤] - ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ذلك، فأجيبي.

[٨٥] - ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ يقرّون بأنه خالقها لأن ذلك لا يجهله من له أدنى نظر

﴿قُلْ﴾ عند ذلك ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ تذكرون، فتعلمون أن من قدر على ابتداء الخلق، قدر على إعادته.

[٨٦] - ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ زيادة في الحجّة.

[٨٧] - ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ باللام فيه وفيما بعده على المعنى، وقراهما «أبو عمرو»

و«يعقوب» بدونها على اللفظ^(١) ﴿قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ عذابه على جحد وحدانيته وقدرته على البعث.

(١) تفسير البضاوي ٣: ٢٢٣ وحجة القراءات: ٤٩٠ وليس فيه «يعقوب».

[٨٨] - ﴿قُلْ مَنْ يَدِينُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ ملكه، والتناء للمبالغة ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ يمنع من يشاء ولا يمنع منه أحد ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ .

[٨٩] - ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُشْعِرُونَ﴾ فمن أين تخدعون، ويخيل اليكم الحق باطلاً مع وضوحه .

[٩٠] - ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ﴾ من نفي الولد والشريك ﴿وَلَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ في اثباتهما .

[٩١] - ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ﴾ لسنّزه عن مجانسة خلقه ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا﴾ جواب لمن حاجه وجزاء شرط مقدّر، علم مما قبله اي لو كان معه آلهة اذن^(١) ﴿لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ﴾ منهم ﴿بِمَا خَلَقَ﴾ وانفرد به وامتاز ملكه عن ملك الآخرين .
﴿وَلَعَلَّا بَغَضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ بالتغالب كفعل ملوك الدنيا ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ من الولد والشريك .

[٩٢] - ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ ما غاب وما حضر، صفة، ورفعها «نافع» والكوفيون، غير «حفص»^(٢) خبر محذوف ﴿فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ تعظم عن اشراكهم أو ما يشركونه به .

[٩٣] - ﴿قُلْ رَبِّ إِمَّا﴾ «ان» الشرطيّة ادغمت في «ما» الزائدة ﴿ثُمَّ يَنْتَ﴾ يُوَعِّدُونَ ﴿مِنَ النَّعْمَةِ﴾ .

[٩٤] - ﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ معهم فيها وهو اظهار للعبودية والتضرّع ويؤكد تكرير: «رب» .

[٩٥] - ﴿وَإِنَّا عَلَى أَنْ نُرِيكَ مَا نَعِدُّهُمْ لِقَادِرُونَ﴾ وإنما نمهلهم لمصلحة

(١) في «ج» إذا .

(٢) تفسير مجمع البيان ٤: ١٢٦ وحجة القراءات: ٤٩١ .

وحكمة، قيل: وقع ما وعدهم بعد موته ولم يره، وقيل: أراه وهو قتل بدر. ^(١)
 [٩٦] - ﴿وَأَدْفَعِ بِلَايِي﴾ بالخلة التي ﴿هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ﴾ وهي الإغضاء عنها والصَّفح ومقابلتها بإحسان ما لم يؤذ إلى محذور.
 وقيل «هي» كلمة التوحيد، و«النسيئة»: الشُّرك ^(٢) ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ يصفونك به أو بوصفهم إياك بغير صفتك فنجازيهم به. ^(٣)
 [٩٧] - ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾ وسواسهم.
 والهمز: النَّخس، شبه حشهم النَّاس على المعاصي بهمز الرانض الذَّابة - بمهمازة - على المشي.

[٩٨] - ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ فيقرَّبوني في حال من الأحوال.
 [٩٩] - ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ وعابن ما أعدَّ له من النكال وهو متعلِّق بـ«يصفون» وما بينهما اعتراض ﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ إلى الدُّنيا، والجمع للتعظيم.
 [١٠٠] - ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا يَمَّا تَرَكْتُ﴾ من الإيمان أي: لعلِّي آتي به وأعمل صالحاً فيه.

وقيل: في تركتي أو في الدُّنيا، وسكَّن «الكوفيين» الباء ^(٤) ﴿كَلَّا﴾ ردع أي لا يرجع ﴿إِنَّهَا﴾ أي: مسألة الرَّجعة ﴿كَلِمَةً﴾ وهي الطَّائفة من الكلام ﴿هُوَ قَائِلُهَا﴾ وحده لا إيجاب إليها ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمْ﴾ امامهم ﴿يَرْزُقُ﴾ حاجز بينهم وبين الرَّجوع وهو مدَّة ما بين الموت ﴿إِلَى يَوْمٍ يُعْتَسُونَ﴾ والضمير اما لجماعة مخصوصة أو للناس.

(١) تفسير البضاوي ٣: ٢٢٣-٢٢٤.

(٢) تفسير البضاوي ٣: ٢٢٤.

(٣) في «ج»: فيجازيهم به.

(٤) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ١٣٢.

ويخصّص بما نطق به القرآن من احياء «عزيز» والألوف^(١) وغيرهم في الدنيا وما صحّ عن أهل البيت عليه السلام من وقوع رجعتهم .

[١٠١] - ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ نفخة الصّوق أو نفخة البعث ﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ يتعاطفون بها لدeshتم بحيث ﴿يَفْرَ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ﴾^(٢) أو يفتخرون بها ﴿وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ لا يسئل بعضهم بعضاً لشغله بنفسه ولا ينافيه : ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾^(٣) لاختلاف الموطنين .

[١٠٢] - ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ بالطاعات ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون بالمراد .

[١٠٣] - ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ بالمعاصي ﴿فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ ضيعوها ولم يتفعوا بها ﴿فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ بدل من «خسروا» أو خبر آخر له «اولئك» أو لمحذوف .

[١٠٤] - ﴿تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ﴾ تضربها فتحرقها ﴿وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ عابسون ، تقلصت شفاههم عن اسنانهم .

[١٠٥] - ﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ أي يقال لهم ذلك ﴿فَكُنتُمْ بِهَا﴾ بالآيات وهي القرآن ﴿تُكَذِّبُونَ﴾ .

[١٠٦] - ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ ملكنا سوء عاقبتنا الذي استوجبناه بسوء عملنا ، قرأ «الكساني» : «شقاوتنا» كضلالنا^(٤) ﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ عن الحق .

(١) اشارة الى «الألوف» التي ذكرها الله تعالى في الآية (٢٤٣) من سورة البقرة .

(٢) سورة عبس : ٣٧/٨٠ .

(٣) ذكر ذلك في الكتاب العزيز في مواضع منها سورة الصافات : ٣٧/٢٧ وسورة الطور : ٢٥/٥٢ .

(٤) حجة القراءات : ٤٩١ .

[١٠٧] - ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ من النار ﴿فَإِنْ عُدْنَا﴾ الى الكفر ﴿فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾

قيل: هذا آخر ما يتكلمون به ثم لا يكون لهم إلا زفير وشهيق وعواء. ^(١)

[١٠٨] - ﴿قَالَ اخْشَوْا فِيهَا﴾ انزعجوا صاغرين، من خسأت الكلب: زجرته

فخسأ ﴿وَلَا تُكَلِّمُون﴾ رأساً أو في رفع العذاب.

[١٠٩] - ﴿إِنَّهُ﴾ أي الشأن ﴿كَانَ قَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي﴾ هم أهل الصفة أو من

الصحابة: «سلمان» و«عمار» و«صهيب» و«بلال» ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾.

[١١٠] - ﴿فَاتَّخَذُوا لَهُمْ سَخِرِيًّا﴾ هزواً، وضمه «نافع» و«حمزة» و«الكسائي» ^(٢)

وهما مصدران «سَخَر» ألحقاياه النسبة مبالغة، وقيل: المكسور الهزة والمضموم التسخير ^(٣) والإستبعاد ﴿حَتَّى أَتَسَوْكُمُ ذِكْرِي﴾ لاشتغالكم بالإستهزاء بهم، نسب النساء اليهم لأنهم سبه ﴿وَكُنتُمْ مِنْهُمْ تَضَحَكُونَ﴾.

[١١١] - ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا﴾ على إذاكم ﴿أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ مفعول

شان أي جزيتهم فوزهم بمرادهم دون غيرهم، وكسرهما «حمزة» و«الكسائي» استئنافاً. ^(٤)

[١١٢] - ﴿قَالَ﴾ أي الله بلسان الملك، وقرأ «ابن كثير» و«حمزة» و«الكسائي»:

﴿قُلْ أَمْرٌ آلِهَ ^(٥)﴾ كَمْ لَيْسَ فِي الْأَرْضِ﴾ في الدنيا والقبور ﴿عَدَدَ سِينِينَ﴾ مميّزكم.

[١١٣] - ﴿قَالُوا لَيْسَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ استقلوا لبثهم فيها بالنسبة الى خلودهم

(١) قاله الحسن - كما في تفسير مجمع البيان ٤: ١١٨ -.

(٢) حجة القراءات: ٤٩١ و٤٩٢.

(٣) قاله الكسائي والقراء - كما في تفسير الكشاف ٣: ٢٠٥ -.

(٤) حجة القراءات: ٤٩١ و٤٩٢.

(٥) حجة القراءات: ٤٩٢.

في النار، أو نسوه لعظم الهول فقالوا: لا ندري غير أنا نستقله ﴿فَسَتِلِ الْعَايِينَ﴾^(١) المتمكنين من العذ، فإنه ليس من شأننا لما نحن فيه من العذاب . أو: الملائكة المحصين أعمار الخلق وأعمالهم .

[١١٤] - ﴿قَالَ﴾ وقرأ «الكوفيون» «قُل»^(١) «إِنْ لَيْسَ مِنْكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ» نسبة إليكم الى خلود النار.

[١١٥] - ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ عابثين أو لأجل العبث والتلهي بكم ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ وبناء «حمزة» و«الكسائي» للفاعل؛^(٢) ليس الأمر كما حسبتم بل لتعبدكم وترجعوا إلينا ونجازيكم بعملكم .

[١١٦] - ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ﴾ عما لا يليق به «المَلِكُ الْحَقُّ» الذي يحق له الملك بالذات ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ وصفه بالكرم لنزول الرحمة والخير من جهته، أو لآله عرش الكريم .

[١١٧] - ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ يعبد «لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ» صفة ثانية لـ«إله» لازمة له، إذ لا برهان للباطل، وتفيد^(٣) أن ما لا دليل له لا يصح التدين به ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ فيجازهه بقدر ما يستحقه «إِنَّهُ» أي الشأن ﴿لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ لا يظفرون بخير، بدأ السورة بتقرير الفلاح للمؤمنين وختمها بنفيه عن الكافرين .

[١١٨] - ﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ للمؤمنين «وَارْحَمْ» وانعم عليهم ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ المنعمين، لأنك المنعم الحقيقي .

(١) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ١٣٢ .

(٢) حجة القراءات: ٤٩٤ .

(٣) في «ج»: يفيد .

سورة النور

[٢٤]

اثنان أو اربع وستون آية مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] - ﴿سُورَةٌ﴾ أي هذه سورة، أو فيما اوحينا اليك سورة ﴿أَنْزَلْنَاهَا﴾ صفتها ﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾ فرضنا احكامها التي فيها، وشدده «ابن كثير» و«أبو عمرو» بالغة أو لكثرة فرائضها^(١) ﴿وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ ظاهرات الدلالة ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ بإدغام التاء الثانية في الدال، تتعظون بها.

[٢] - ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾ مبتدأ حذف خبره، أي: فيما انزلنا وفرضنا حكمهما، أو الخبر ﴿فَأَجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ و«الفاء» لتضمنها معنى الشرط، إذ اللام موصول.

وقدّم «الزَّانِيَةُ» لأن المرأة هي الأصل في الزنا ولأنه منهنّ أشنع.

والجلد: ضرب الجلد، هذا حكم الحرّ المكلف، وقد ثبت بالسنة الرجم له إذا كان محصناً ويضمّ الى الجلد اما مطلقاً وهو الأقوى. أو: في الشيخ والشيخة،

(١) حجة القراءات: ٤٩٤.

والتغريب للحرّ غير المحصن أما مطلقاً أو فيمن املك ولم يدخل على الخلاف، وهل يختص بالذكر أو يعمهما، قولان.

والإحصان بالحرّية والتكليف والإصابة لفرج مملوك بعقد دائم أو ملك يمين يغدو عليه ويروح، والمملوك بجلد خمسين مطلقاً ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ﴾ رحمة، وفتح الهمزة «ابن كثير»^(١) ﴿فِي دِينِ اللَّهِ﴾ في حكمه، فتعطلوا حذّه أو تسامحوا فيه ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ فيه تحريض على ما قبله الدال على جواب الشرط، إذ الإيمان يقتضي الجدّ في أمر الدين ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا﴾ ليحضر جلدها للتشهير ﴿طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

عن «الباقر» عليه السلام: أقلّها واحد^(٢) وقيل: اثنان وثلاثة وأربعة^(٣).

[٣] - ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُسْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾

أي: الذي من شأنه الزنا لا يرغب في نكاح الصوالح غالباً، والمسافحة لا يرغب فيها الصالحاء غالباً، وأنما يرغب الإنسان الى شكله.

وقدّم «الزاني» لأنّ الرجل هو الأصل في الرغبة والخطبة، ولذلك لم يقل «والزانية» لانتكح إلا زانياً» للمقابلة ﴿وَحَرَّمَ ذَلِكَ﴾ أي صرف الرغبة في الزواني ﴿عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي نزهوا عنه لأنه تشبه بالفسقة وتعرض للتهمة والطعن في النسب.

وعبر بالتحريم مبالغة في التنزيه، وقيل: النفي بمعنى النهي^(٤) والحرمة على ظاهرها.

والحكم مخصوص بفقرء المهاجرين حين هموا أن يتزوجوا بغايا موسرات

(١) حجة القراءات: ٤٩٥.

(٢) تفسير مجمع البيان ١٢٤: ٤.

(٣) تفسير مجمع البيان ١٢٤: ٤ عن قتادة والزهري وعكرمة.

(٤) تفسير مجمع البيان ١٢٥: ٤.

لينفقن عليهم، فاستأذنوا الرسول متى الله عليه وآله وسلم فنزلت، ^(١) أو عامّ نسخه: ﴿وَانكحوا الأيامى منكم﴾ ^(٢) وقيل: هو باق، ويعضده بعض الأخبار الغير السليمة سنداً ومتناً. ^(٣)

والأقوى: الكراهة جمعاً بين عمومات الكتاب والأخبار الصحيحة الدالة على الجواز.

[٤] - ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ يقذفون العفاف بالزنا وكذا الرجال اجمعاً، وتخصيصهن لخصوص الواقعة، وكسر «الكسائي»: «الصاد» ^(٤) ﴿ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةٍ شُهَدَاءَ﴾ بأنهم رأوهن يزني «فَاجْلِدُوهُنَّ ثَمَانِينَ جَلْدَةً» ويستوي في ذلك الحر والملوك عند أكثر اصحابنا ^(٥) ومنهم من وافق العامة في تنصيف الحد على المملوك وهو ضعيف ^(٦) ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُنَّ شَهَادَةً﴾ في شيء قبل الجلد وبعده.

وقال «أبو حنيفة»: لا ترد قبله نظراً الى ترتيب العطف وفيه منع افادة «الواو» له ﴿أَبْدًا﴾ ما لم يتب، وقال «أبو حنيفة»: الى موته ^(٧) ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ بفعل الكبيرة.

[٥] - ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ عن القذف بأن يكذبوا أنفسهم، والإستثناء من الجملتين. وقيل: من الأخيرة ومحله النصب بالإستثناء، ويجوز الجزر على البدل

(١) تفسير الكشاف ٣: ٢١١.

(٢) هي الآية: ٣٢ من هذه السورة.

(٣) يراجع وسائل الشيعة ١٤: ٣٢ الباب (١٢).

(٤) النشر في القراءات العشر ٢: ٢٤٩.

(٥) ينظر كتاب الخلاف ٣: ١٥٧ باب الحدود.

(٦) كتاب المبسوط ٨: ١٦ باب الحدود.

(٧) كتاب الخلاف ٣: ٢٣٩ باب الشهادات المسألة (١١).

[من هم في لهم^(١)] إن جعل للاولى «وَأَصْلَحُوا» عملهم «فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ» لهم «رَحِيمٌ» بهم .

[٦] - «وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَرْوَاجَهُمْ» بالزنا «وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ» عليه «إِلَّا أَنْفُسُهُمْ» بدل من «شهداء» وقع ذلك لـ «هلال بن أمية» أو غيره، فنزلت «فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ» مبتدأ حذف خبره، أي: تقوم مقام الشهداء في درء حدّ القذف عنه، أو خبر محذوف أي فالواجب شهادة أحدهم «أَرْبَعٌ^(٢) شَهَادَاتٍ» نصب مصدراً ورفع «حمزة» و«الكسائي» و«حفص» خبر شهادة^(٣) «بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ» فيما رماها به من الزنا .

[٧] - «وَالْخَامِسَةُ» والشهادة الخامسة: «أَنْ لَعَنْتَ اللَّهَ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ» في ذلك، فإذا فعل الرجل ذلك سقط عنه الحدّ وحرمت عليه مؤبدأ ولا يفتقر الى حكم الحاكم بالفرقة خلافاً لأبي حنيفة^(٤) .

وانتفى عنه الولد وثبت حدّ الزنا على المرأة لقوله :

[٨] - «وَيَذَرُهَا» يدفع «عَنْهَا الْعَذَابَ» أي الجلد «أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَافِرِينَ» فيما رماها به .

[٩] - «وَالْخَامِسَةُ» مبتدأ، وما بعدها الخبر، ونصبها «حفص» عطفاً على «أربع»^(٥) «أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ» في ذلك، واختير «الغضب» هنا تغليظاً عليها لأنها أصل الفجور، وخفف «نافع» «نون» «إِنَّ لَعْنَةً» و«أَنَّ غَضِبَ»

(١) ما بين المعقوفين من تفسير البضاوي ٣: ٢٢٧ .

(٢) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «أربع و - القم -» - كما يشير اليه المؤلف - .

(٣) حجة القراءات: ٤٩٥ .

(٤) كتاب الخلاف ٣: ٦٣ كتاب اللعان، المسئلة (٢٥) .

(٥) حجة القراءات: ٤٩٥ .

ورفع «النَّاء» وكسر «الضَّاد» وفتح «الباء»^(١) ورفع «هاء» الجلالة، والباقون بتشديد «النون» ونصب «النَّاء» وفتح «الضَّاد» وجرّ «الهاء»^(٢).

[١٠] - ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ بالإمهال والستر ﴿وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ﴾ يقبل التوب ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما يحكم به، وحذف جواب «لو لا» أي لعاجلكم بالعقوبة وفضحكم.

[١١] - ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ﴾ بالكذب العظيم، وأصله القلب، لأنّه قول قلب عن وجهه، وهو ما افترى على عائشة وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم استصحبها في غزاة وفي قوله^(٤).

اذن ليلة بالرحيل فمشت لحاجة ثم عادت الى الرجل فإذا عقدها قد انقطع فرجعت تلمسه فحملوا هودجها يحسبونها فيه، فعادت بعد ما ساروا، فجلست كي يرجع اليها أحد.

وكان صفوان قد عرس من وراء الجيش فأصبح عندها فعرفها فأناخ راحلته فركبتها فقادها حتى أتيا الجيش، فرميت به «عُصْبَةً» جماعة «مِنْكُمْ» هم: «ابن ابي» و«حَسَّان» و«مسطح» و«زيد بن رفاعه» و«حمنة» بنت «جحش» ومن عضدهم «لَا تَحْسَبُوهُ» أي الإفك «شَرًّا لَكُمْ» خطاب لجميع من سائهم ذلك من المؤمنين «بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ» لأن الله يشيكم عليه ويرى «عائشة» و«صفوان» منه «لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ» جزاء ما اكتسب منه بقدر ما خاض فيه «وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ» تحمل معظمه «مِنْهُمْ» من الإفكين وهو «ابن ابي» بدأ به وأشاعه

(١) ليس في «ج»: وفتح الباء.

(٢) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ١٣٤.

(٣) يراجع تعليقنا على الآية (٦١) من سورة البقرة.

(٤) اي رجوعه.

أو «حَسَن» و«مُسَاطَح» ﴿لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في الآخرة أو في الدنيا بجلدهم وطرد ابن أبيه وعمي حسان ومسطح .

[١٢] - ﴿لَوْلَا﴾ هَلَا ﴿إِذْ﴾ حِينَ ﴿سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ﴾ ظَنَّ بَعْضُهُمْ بَعْضٌ ﴿خَيْرًا﴾ وعدل عن الخطاب الى الغيبة مبالغة في التوبيخ وايداناً باقتضاء الإيمان ظَنَّ الخير بالمؤمنين .

وردة الطعن عنهم كردهم له عن انفسهم وفصل «لولا» عن فعله بالظرف اتساعاً تنزيلاً له منزلته لأهميته لوجوب ظن الخير اول ما سمعوا ﴿وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ كذب بين .

[١٣] - ﴿لَوْلَا﴾ هَلَا ﴿جَاءُوكَ﴾^(١) أي العصبية ﴿عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾ شاهدوه ﴿فَإِذْ﴾ فحين ﴿لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ﴾ في حكمه ﴿هُمْ الْكَاذِبُونَ﴾ انتهى المقول .

[١٤] - ﴿وَلَوْلَا﴾ هي الإمتناعية ﴿فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحِمْتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ أي فضله عليكم في الدنيا بالنعم التي منها امهالكم للتوبة ورحمته لكم بالعفو في الآخرة ﴿لَمَسَّكُمْ﴾ عاجلاً أو في الآخرة ﴿فِي مَا أَفَضْتُمْ﴾ خضتم ﴿فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ .

[١٥] - ﴿إِذْ﴾ ظرف «المسكم» أو «افضتم» ﴿تَلَقَّوْنَهُ﴾ بحذف احد التائين ﴿بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ أي يأخذه بعضكم من بعض بالسؤال عنه ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ أي قولاً لا وجود له إلا بالعبارة ولا حقيقة لمؤذاه في الواقع ﴿وَتَحْسِبُونَهُ هَيِّئًا﴾ لا اثم فيه ﴿وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ في الإثم .

[١٦] - ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ﴾ ما يحل ﴿لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ تعجب ممن يقوله أو تنزيه له تعالى عن أن تكون زوجة نبيه فاجرة إذ فجورها منقر عنه بخلاف كفرها .

(١) ينظر الهامش (٤) في الصفحة السابقة .

[١٧] - ﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ﴾ ينهاكم أو يحرم عليكم ﴿أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا﴾ ما حييتُمْ ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ تقبلون الوعظ . (١)

[١٨] - ﴿وَيُتَيْنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ﴾ الدالة على حكمته فيما شرع لعباده ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بأحوالهم ﴿حَكِيمٌ﴾ في تدييره لهم .

[١٩] - ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ﴾ تفشوا ﴿فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بأن ينسبوا اليهم ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا﴾ بالحد للکذف ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ بالنار ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ ما في القلوب فيعاقب على حب الإشاعة ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ فعاقبوا على ما يظهر لكم .

[٢٠] - ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ تكرير للمنة بترك المعالجة بالمعقاب مع المبالغة فيها بقوله : ﴿وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ وحذف الجواب اكتفاء بذكره سابقاً .

[٢١] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ﴾ اثره وتسويله ، اشاعة الفاحشة ، وسكن طاءها «نافع» و«أبو بكر» و«حمزة» (٢) ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ﴾ أي المتبع أو الشيطان بتقدير عائد ﴿يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ اقبح الفبيح ﴿وَالْمُنْكَرِ﴾ شرعاً وعقلاً ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ بتوفيقكم لما تصيرون به ازكياء ﴿مَا زَكَى مِنْكُمْ مَنْ أَحَدٌ أَبَدًا﴾ ما طهر من دنس الذنوب ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي﴾ يطهر بلفظه ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ ممن يعلمه اهلاً للطفه ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لأقوالكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بأحوالكم ومن يصلح للطفه .

[٢٢] - ﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾ : ولا يحلف - من الألية - أو : لا يقصر - من الإلو - ﴿أُولُوا الْقُضْلِ مِنْكُمْ﴾ أهل الغنى ﴿وَالسَّعَةِ﴾ في المال ﴿أَنْ يُؤْتُوا﴾ أن لا يؤتوا ، أو في أن يؤتوا ﴿أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ .

(١) في «ج» تقبلوا الوعظ .

(٢) النشر في القراءات العشر ٢ : ٢١٦ .

قيل: نزلت في أبي بكر، كان ينفق على مسطح - وهو ابن خالته، مسكين مهاجر بدري - فلما خاض في الإفك حلف أن لا ينفق عليه. ^(١)

أو: ناس من الصحابة حلفوا أن لا يتصدقوا على من خاض فيه ﴿وَلْيُغْفُوا﴾ اساتتهم ﴿وَلْيُصْفَحُوا﴾ عنهم ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ على غفوكم وصفحكم عن أساء اليكم ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ للمؤمنين.

[٢٣] - ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ العفاف ﴿الْغَافِلَاتِ﴾ عن الفواحش ﴿الْمُؤْمِنَاتِ﴾ بالله ورسوله ﴿لَعَنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ وعيد عام لكل قاذف ما لم يتب.

[٢٤] - ﴿يَوْمٌ﴾ ظرف لمتعلق «لهم» أي استقر «تشهد» وقرأ «حمزة» والكسائي «بالياء لتقدمه» ^(٢) وفصل: ﴿عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ بها وبغيرها بانطاق الله إياها.

[٢٥] - ﴿يَوْمَئِذٍ يُؤْفِكُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾ جزائهم المستحق ﴿وَيَعْلَمُونَ﴾ ضرورة ﴿أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ الثابت البين الإلهية، أو العادل الظاهر العدل.

[٢٦] - ﴿الْخَيْثَاتِ﴾ من الكلمات ﴿لِلْخَيْثِثِينَ﴾ من الناس من الرجال والنساء ﴿وَالْخَيْثُونَ﴾ من الناس ﴿لِلْخَيْثَاتِ﴾ من الكلمات ﴿وَالطَّيِّبَاتِ﴾ منها ﴿لِلطَّيِّبِينَ﴾ منهم ﴿وَالطَّيِّبُونَ﴾ منهم ﴿لِلطَّيِّبَاتِ﴾ منها ﴿أُولَئِكَ﴾ أي الطيبون ﴿مَبْرُؤُونَ مِمَّا بَقُولُوا﴾ أي أهل الإفك، أو «الخيثون» أي مبرؤون من أن يقولوا كقولهم ﴿لَهُمْ﴾ أي للطيبين ﴿مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ في الجنة.

وقيل: الخيئات من النساء للخيثين من الرجال، وكذا الطيبات

(١) قاله ابن عباس وعائشة وابن زيد - كما في تفسير مجمع البيان ٤: ١٣٣.

(٢) يعني لتقدم الفعل على الفاعل المؤنث المجازي واسناده الى الظاهر مع الفصل بـ «عليهم» بينها - حجة القراءات: ٤٩٦.

لِلنَّاسِ^(١) وَالْإِشَارَةُ لِلرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَعَائِشَةُ وَصَفْوَانُ وَكَذَا ضَمِيرُ «الهِم» :

قِيلَ فِيهِ وَعَدٌ لِعَائِشَةَ بِالْجَنَّةِ .^(٢)

قلنا : مشروط بالثبات على الإيمان ولم تثبت لمحاربتها علماً عليه السلام ، وحرره حرب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لقوله له : حاربك حربي ،^(٣) ودعوى توبتها ممنوعة كيف والبغل^(٤) يشهد بالإصرار على الجمل .

والمبالغة في هذه الآيات المبرزة لها إنما هي لإظهار جلاله الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ورفعة شأنه وعلو مرتبته .

[٢٧] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا﴾ تستأذنوا من أنفسه : ابصره ، فَإِنَّ الْمَسْتَأْذِنَ مُسْتَبْصِرٌ أَيَّ مُسْتَعْلِمٍ لِلْحَالِ أَيْرَادَ دَخُولِهِ أَمْ لَا؟ أَوْ يُؤْذِنُ لَكُمْ مِنَ الْإِنْسِ خِلَافَ الْوَحْشَةِ فَإِنَّ الْمَسْتَأْذِنَ مُسْتَوْحِشٌ خَوْفًا أَنْ يَرَدَّ فَإِذَا أُذِنَ لَهُ اسْتَأْذَنَ ، أَوْ : تَبَيَّنُوا هَلْ ثَمَّ إِنْسَانٌ مِنَ الْإِنْسِ ؟ ﴿وَتَسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾ فيقول الواحد :^(٥) السَّلام عليكم ، ءَدْخَلَ ثَلَاثًا ، فَإِنْ أُذِنَ لَهُ دَخَلَ وَإِلَّا رَجَعَ ﴿ذَلِكُمْ﴾ أَيَّ الْإِسْتِذَانِ ﴿غَيْرَ لَكُمْ﴾ مِنَ الدَّخُولِ فَجَاءَ أَوْ بِتَحِيَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ .

كان أحدهم إذا دخل بيتاً قال : حَيَّتُمْ صَبَاحاً أَوْ مَسَاءً وَدَخَلَ ، فَرَبَّمَا رَأَى الرَّجُلَ وَزَوْجَتَهُ فِي لِحَافٍ ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أَيَّ انْزَلَ عَلَيْكُمْ هَذَا ارَادَةَ أَنْ تَتَعَطَّوْا وَتَعْمَلُوا بِهِ .

[٢٨] - ﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا﴾ بِأَذْنِ لَكُمْ ﴿فَلَا تَدْخُلُوهَا﴾ إِذْ رَبَّمَا أَطْلَعْتُمْ

(١) قاله ابن مسلم والجبائي - كما في تفسير مجمع البيان ٤ : ١٣٥ .

(٢) تفسير اليفضاوي ٣ : ٢٣٠ .

(٣) حديث مشهور ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نقله أكثر الحفاظ والمحدثين منها الفقيه ابن المغازلي في مناقبه / ٥٠ - والسيوطي في تفسير الدر المنثور في تفسير آية التطهير .

(٤) يريد ركوبها البغل في وفاة الإمام الحسن عليه السلام لمنع بني هاشم من اطافاة جنازة الحسن بقبر جده الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .

(٥) هكذا في النسخ ولعله تحريف عن الوارد .

فيها على عورة: أو حال يخفيها الناس عادة، مع أنه تصرف في ملك الغير بغير إذنه وهو حرام ﴿حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ حتى تجدوا من يأذن لكم ﴿وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ﴾ أي الرجوع ﴿أَرْزَى﴾ أظهر ﴿لَكُمْ﴾ من الإلحاح والوقوف على الباب أو أنفع لكم دنياً وديناً ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ لا يخفى عليه شيء منه فيجازيكم به.

[٢٩] - ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾ كالربط^(١) والحوانيت أي بغير استئذان ﴿فِيهَا مَتَاعٌ﴾ استمتاع ﴿لَكُمْ﴾ كاستكان ومعاملة ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ في دخولكم من افساد وغيره.

[٣٠] - ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ أي شيئاً منها وهو ما يكون الى محرم ﴿وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ عمن لا يحل لهم.

وعن الصادق عليه السلام: حفظها - هنا خاصة -: سترها^(٢) ﴿ذَلِكَ أَرْزَى﴾ أظهر وأنفع ﴿لَهُمْ﴾ لما فيه من نفي التهمة ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ بأبصارهم وفروجهم وجميع جوارحهم فليحذروه في كل حال.

[٣١] - ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾ عما لا يحل لهن نظره ﴿وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ عمن لا يحل لهن ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ كالحلي والياب والأصباغ فضلاً عن مواقعها لمن يحرم ابدائها له ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ كالثياب:

وقيل: اريد بالزينة: مواقعها^(٣) والمستثنى هو الوجه والكفان.

وفي تفسير علي بن ابراهيم: الكف والأصابع^(٤).

والأحوط ستر بدنهما كله إلا للضرورة كعلاج ونحوه ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى

(١) الربط جمع رباط، وهو مصدر رابط ومتربط به والدابة وغيرها من جبل ونحوه.

(٢) تفسير مجمع البيان ٤: ١٣٨.

(٣) تفسير مجمع البيان ٤: ١٣٨ - تفسير الكشاف ٣: ٢٣٠.

(٤) تفسير القمي ٢: ١٠١ وفيه: الكف والسوار.

جُوبِهِنَّ ﴿لَسْتَ نَحْرُوهِنَّ وَصُدُورُهُنَّ، وَضَمَّ «الجيم» «نافع» و«عاصم» و«أبو عمرو» و«هشام» ^(١) ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ الخفية، وكَرَّرَ تأكيداً ولاستثناء من يحل الإبداء له بقوله ﴿إِلَّا لِمُؤَلِّهِنَّ﴾ إذ الزينة لهم، فلهم النظر الى كل بدنهن حتى الفرج بكرهه ﴿أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءَ بُعُولِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءَ بُعُولِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَى إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَى أَخَوَاتِهِنَّ﴾ نسباً ورضاعاً لاحتياجهن الى مخالطتهم ولبعدهم عن وقوع الفتنة لنفرة الطباع عن مماسة القرائب، ولهم النظر الى ما يبدو منهن عند المهنة وبعث الآباء من علا والأبناء من سفلى، ولم يذكر الأعمام والأخوال لأنهم في معنى الآباء والإخوان ﴿أَوْ نِسَائِهِنَّ﴾ أي المسلمات، فلا يتجردن للكافرات وقيل كل النساء ^(٢) ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ يعم العبيد والإماء.

ويعضده بعض الاخبار ^(٣) والمشهور عندنا اختصاصه بالإماء وهو الأحوط ﴿أَوِ التَّائِمِينَ﴾ الناس لفضل طعماهم ﴿غَيْرِ أُولَى الْإِرْبَةِ﴾ الحاجة الى النساء ﴿مِنَ الرِّجَالِ﴾ وهم البله الذين لا يعرفون امورهن.

وقيل: الشيوخ الصلحاء وأهل العنة ^(٤) ونصب «ابن عامر» و«أبو بكر» «غير» حالاً ^(٥) ﴿أَوِ الطِّفْلِ﴾ جنس اريد به الجمع أي الأطفال ﴿الَّذِينَ لَمْ يَطْهَرُوا﴾ لم يطلعوا ﴿عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾ أي لم يعرفوها لعدم شهوتهم ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ ليقعق خلخالها فيعلم أنها ذات خلخال.

وفي النهي عن اظهار صوت الزينة بعد النهي عن اظهارها مبالغة في النهي عن اظهار مواقعها ﴿وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ من تقصير لا يكاد احدهم يخلو

(١) النشر في القراءات العشر ٢: ٢٢٦ - مع اختلاف يسير.

(٢) تفسير البضاوي ٣: ٢٣١.

(٣) ينظر كتاب وسائل الشيعة ١٤/ ١٦٤ - كتاب النكاح الباب ١٢٤.

(٤) تفسير القمي ٢: ١٠٢ - مع اختلاف يسير.

(٥) حجة القراءات ٤٩٦ و٤٩٧.

منه أو ممّا فعلتموه في الجاهلية، إذ تجديد التوبة كلّما ذكر الذنب واجب أو راجح وغلب المذكر، وقرأ «ابن عامر» آية بضّم الهاء^(١) ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾ تسعدون في الدارين.

[٣٢] - ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ﴾ مقلوب «اياثم» جمع «ايم» وهو العزب ذكرًا كان أو انثى، بكرًا أو ثيبًا، أمر للأولياء بتزويج الأيامي الحرائر والأحرار بعضهم من بعض وللسادة بتزويج عبيدهم وامانهم بقوله ﴿وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ وتذكير الصالحين للتغليب وتخصيصهم لأهمية الإهتمام بهم وتحسين دينهم. وقيل: اريد بالصّلاح: القيام بحقوق النكاح^(٢) و«عباد» جمع «عبد».

والأمر للندب وقد يجب إذا طلبته المرأة أو خيف الوقوع في الزنا ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ وعد منه تعالى بإغنائه من تزويج لكنه بشرط المشية لقوله: ﴿وَأَنْ خِفْتُمْ عَلَيْهِ فِسَوْفَ يُغْنِيَكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ﴾^(٣) ويشعر بأن الفقر لا يمنع من النكاح فإنّ فضله يغني عن المال ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ افضاله ﴿عَلِيمٌ﴾ بما تقتضيه الحكمة من بسط الرزق وتقديره فيفعله.

[٣٣] - ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ﴾ وليجهد في العفة ﴿الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ أسبابه أو ما ينكح به من المال ﴿حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ فيتمكّنوا من النكاح ﴿وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ الْكِتَابَ﴾ المكاتبه وهي قول السيد لمملوكه: كاتبك على كذا، ومعناه: كتبت على نفسي اعتاقك وكتبت عليك الوفاء بالمال ﴿مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ من عبد أو أمة ﴿فَكَاتِبُوهُمْ﴾ خبر «الذين» والفاء لمعنى الشرط، أو مفسّر لمضمر بنصبه.^(٤)

(١) حجة القراءات: ٤٩٦ و٤٩٧.

(٢) تفسير البضاوي ٣: ٢٣٢.

(٣) سورة التوبة: ٢٨/٩.

(٤) اي «الذين».

والأمر للندب والقول بالوجوب شاذ ﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ صلاحاً وامانةً وقدرةً على اداء المال بالتكسب ﴿وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي ءَاتَاكُمْ﴾ أمر للسادة باعطائهم شيئاً من اموالهم ومثله حط شيء مما التزموه والمشهور وجوبه .

فقيل : يقدر بالربع ^(١) وقيل : بالثلث ^(٢) وقيل : يجزى أقل ما يتمول به . ^(٣)

وقيل : ان كان على السيد زكاة وجب وإلا استحب وقيل : أمر لعامة المسلمين باعطائهم سهمهم من الزكاة ^(٤) ويحل للسيد مع غناه لأنه كالمشتري ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَاتِكُمْ﴾ امانكم ﴿عَلَى الْبَغَاءِ﴾ على الزنا ﴿إِنْ أَرَدْتُمْ تَحَصُّنًا﴾ تعففاً شرط للنهي ولا يلزم من عدمه جواز الإكراه لإمتناع الإكراه بدونه ، على ان المفهوم انما يعتبر إذا لم يكن للتقييد وجه سواء ، والوجه - هنا - سبب النزول وهو انه كان لابن أبي جوار يكرههن على الزنا ويضرب عليهن ضرائب ، فشكى بعضهن الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فنزلت ^(٥) ﴿لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لهن ، وقيل : له ، اما مطلقاً أو بشرط التوبة ، والأظهر : الاول .

[٢٤] - ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ ءَايَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ﴾ هي المبينة في الحدود والأحكام في السورة ، وكسرهما «ابن عامر» و«حفص» و«حمزة» و«الكسائي» في الموضعين ^(١) أي بيّنت هي الحدود والأحكام أو من بين بمعنى تبيين ﴿وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ وقصة عجيبة من جنس قصصهم وهي قصة عائشة أو شهبأ من حالهم بحالكم لتعتبروا ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ خصوا بها لأنهم المستفوعون بها وقيل «الآيات» : القرآن .

(١) تفسير البيضاوي ٣: ٢٣٢ عن علي عليه السلام .

(٢) تفسير البيضاوي ٣: ٢٣٢ عن ابن عباس .

(٣) تفسير البيضاوي ٣: ٢٣٢ .

(٤) تفسير البيضاوي ٣: ٢٣٢ - وفيه : ويدل عليه آية «الرقاب» .

(٥) تفسير مجمع البيان ٤: ١٤١ . وتفسير البيضاوي ٣: ٢٣٢ .

(٦) حجة القراءات: ٤٩٨ وفيه : اهل الشام والكوفة سيأتي الموضع الآخر في الآية ٤٦ .

[٣٥] - ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ كونه تعالى نورهما على حذف مضاف أي ذو نورهما أو على تجويز بمعنى منزورهما بالنيرات، أو بالملائكة والأنبياء، أو مدبرهما كما يقال للرئيس المدبر: نور القوم لإهندائهم به، أو هادى أهلها. واضيف اليهما لإستضاء أهلها به أو ايداناً بسعة اضافته ﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾ صفته العجيبة و اضافته الى ضميره تعالى تقتضى التأويل في حمله عليه ﴿كَمِشْكُوتٍ﴾ هي كوة غير نافذة ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ سراج.

وقيل: المشكوة: انبوبة القنديل^(١) والمصباح: القتيلة المتقدمة ﴿الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾ في قنديل زجاج ﴿الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ مضىء كالزهره في نلألؤه، منسوب الى الدر، أو فعيل كمريق من الدر، لدفعه الظلام، قلبت همزته ياء، وقرأ بها «حمزة» و«الكسائي» و«أبو بكر» على الأصل وكذا «أبو عمرو» و«الكسائي» لكن بكسر الدال كسكيت^(٢) ﴿تَوَقَّدَ﴾^(٣) بفتح الجميع مشدداً، قرأه «ابن كثير» و«أبو عمرو».

وبناه «حمزة» و«الكسائي» و«أبو بكر» للمفعول مضارع «اوقد» وكذا الباقيون لكن بالياء^(٤) ﴿مِنْ﴾ أي ابتداء توقده من: ﴿شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ كثيرة المنافع ﴿زَيْتُونَةٍ﴾ بدل من «شجرة» ﴿لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾^(٥) أي لا تصيبها الشمس بشروقها أو غروبها فقط تصيبها كل النهار فإن زيتها أصفى، أو منبتها الشام وسط العمارة لا شرقها وغربها فزيتونه أجود أو: لا في مضحى للشمس دائماً فتحرقها أو في مقناه^(٦) لا تصيبها

(١) انبوبة القنديل: عموده (تفسير مجمع البيان ٤: ١٤٣).

(٢) حجة القراءات: ٤٩٩.

(٣) في المصحف الشريف بقراءة حفص «يوقد».

(٤) حجة القراءات: ٥٠٠.

(٥) في هامش «أ» مايلي: لاشرقية ولاغربية عطف على قوله من شجرة مباركة والمعنى من شجرة مباركة لاهي شرقية ولاهي غربية [كلمات لا تقرأ].

(٦) المقناة: المكان الذي لا تطلع عليه الشمس.

فلا تنضج ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ لفرط صفائه ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ نور متضاعف حيث انضم إلى نور المصباح صفاء الزيت والزجاجة .
وجمع «المشكاة» للنور.

واختلف في هذا التمثيل فقيل : «المشكاة» : صدر «محمد» صلى الله عليه وآله وسلم و«الزجاجة» : قلبه و«المصباح» : النبوة .

و«الشجرة المباركة» : شجرة النبوة وهي «إبراهيم» عليه السلام .
«لا شرقية» و«لا غربية» : لا نصرانية قبلتها المشرق ولا يهودية قبلتها المغرب «تكاد» : محاسن «محمد» صلى الله عليه وآله وسلم تظهر قبل أن يوحى إليه .
وقيل : «المشكاة» : عبد المطلب و«الزجاجة» : عبد الله و«المصباح» : «محمد» صلى الله عليه وآله وسلم «لا شرقية» و«لا غربية» بل مكّية لأن مكة وسط الدنيا .
وعن «الرضا» عليه السلام : نحن المشكاة ، فيها المصباح «محمد» صلى الله عليه وآله وسلم يهدي الله لولايتنا من أحب .

وقيل : المصباح : القرآن و«الزجاجة» : قلب المؤمن و«المشكاة» : فمه و«الشجرة» : السحي «تكاد» : حجج القرآن تنضج وإن لم يقرأ نور تزداد به سائر الحجج نور على نور .

وقيل : «المشكاة» : صدر المؤمن و«الزجاجة» : قلبه و«المصباح» فيه الإيمان والشجرة : الإخلاص ، فهي خضراء كشجرة التف بها الشجر فلا تصيبها الشمس من شرق ولا غرب «نور على نور» كلامه نور ، وعلمه نور ، ومدخله نور ، ومخرجه نور ، ومصيره إلى نور يوم القيامة ^(١) ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ﴾ يوفق لدينه بلطفه ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ مَنْ يعلمه أهلاً للطف ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾ يبينها لهم تقريباً إلى أفهامهم ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فيضع الأشياء مواضعها .

(١) الحديث بطوله ، والأقوال كلها في تفسير مجمع البيان ٤ : ١٤٣ .

[٣٦] - ﴿فِي بُيُوتٍ﴾ يتعلّق بقوله: «كَمْشَكَاةٌ» أو بـ «توقد» مبالغة في عظم الممثل به، إذ قناديل المساجد أعظم. أو بـ «يسبح» الآتي، وتكرير «فيها» للتأكيد، وهي: المساجد.

وروى أنه صلى الله عليه وآله وسلم قرأها فسئل أي بيوت هذه؟ فقال: بيوت الأنبياء. فقال «أبو بكر»: هذا البيت منها - لييت «علي» و«فاطمة» عليهما السلام -؟ قال: نعم، من أفاضلها^(١) ﴿أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ﴾ أمر بتعظيمها أو بنائها ﴿وَيُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ يتلى فيها كتابه أو عام في كل ذكر ﴿يُسَبِّحُ لَهُ﴾ يصلى له أو ينزّهه ﴿فِيهَا بِالْعُدُوقِ﴾ مصدر اريد به الوقت أي الغدوات ﴿وَالْأَصَالِ﴾ العشايا من بعد الزوال، جمع اصيل. [٣٧] - ﴿رِجَالٌ﴾ فاعل «يسبح» - بالكسر -، وفتح «ابن عامر» و«عاصم» مسنداً الى احد الظروف الثلاثة و«رجال» فاعل لمقدّر^(٢) دل عليه: ﴿لَا تُلْهِيمُهُمْ﴾ لا تشغلهم ﴿تِجَارَةً وَلَا بَيْعٌ﴾ خصّ بعد التجارة الشاملة وله للشراء لأنه ادخل في الإلهاء لأنّ الربح فيه يقين وفي الشراء مظنون.

أو: اريد بالتجارة: الشراء تسمية للنوع باسم الجنس ﴿عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ﴾ الإضافة عوض الهاء المعوضة عن واو «إقام» ﴿وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾ المفروضة أو اخلاص الطاعة له ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ تضطرب من الهول أو تتغير احوالها فتتغير القلوب بعد الشك وتبصر الأبصار بعد العمى وهو يوم القيامة.

[٣٨] - ﴿لِيَجْزِيََهُمُ اللَّهُ﴾ متعلّق بـ «يسبح» ﴿أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾ احسن جزائه ﴿وَيَزِيدَهُمُ﴾ على ذلك ﴿مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ تفضلاً إذ الثواب له حساب لأنه بحسب الاستحقاق بخلاف التفضل.

[٣٩] - ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ﴾ التي يحسبونها طاعة نافعة عند الله ﴿كَسْرَابٍ﴾

(١) تفسير مجمع البيان ٤: ١٤٣.

(٢) حجة القراءات: ٥٠١ وفيه: قرأ ابن عامر وابوبكر.

وهو ما يرى في الفلاة من ضوء الشمس في الظهيرة كماء يسرب أي يجري ﴿بِقِيَمَةٍ﴾ بمعنى قاع أو جمعه وهو الأرض المستوية ﴿يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً﴾ أي العطشان .

وخَصَّ ليشبه الكافر به في خيته عند شدة حاجته ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهُ﴾ جاء ما حسبه ماء ﴿لَمْ يَجِدْهُ سَيْتًا﴾ مما حسبه ﴿وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ﴾ زبانيته أو جزائه ﴿فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ﴾ فآتته له جزائه ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ يحاسب الكل في حالة ^(١) واحدة .

قيل : نزلت في عتبة بن ربيعة ، التمس الدين في الجاهلية وكفر في الإسلام . ^(٢)

[٤٠] - ﴿أَنْ﴾ اعمالهم في خلوتها عن نور الحق ﴿كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ﴾

عميق منسوب الى اللج وهو معظم الماء ﴿يَغْشَاهُ﴾ يغشى البحر ﴿مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ﴾ أي الموج ﴿مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ﴾ أي الموج الثاني ﴿سَحَابٌ﴾ حجب نور الكواكب ﴿ظُلُمَاتٌ﴾ أي هذه ظلمات متراكمة ﴿بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ وجرت «ابن كثير» «ظلمات» بدلاً من الاولى ، وعنه «البيزي» بإضافة سحب اليها ^(٣) ﴿إِذَا أُخْرِجَ﴾ أي الواقع فيها ﴿يَنْدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾ لم يقرب أن يراها فضلاً أن يراها ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْمَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا﴾ لطفاً وتوفيقاً ﴿فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ فهو في ظلمة الباطل .

[٤١] - ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ ألم تعلم بالوحي أو النظر ﴿أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضِ﴾ ينزهه عما لا يليق به ، بدلالة المقال أو الحال ومن «لتغليب العقلاء وَالطَّيْرِ» تخصيصها لما فيها من الحجّة الواضحة كما يؤذن به : ﴿صَفَائِتِ﴾ باسطات اجنحتهن في الهواء فإن ذلك يدل على كمال قدرة خالقهن ﴿كُلٌّ﴾ ما ذكر أو من الطير ﴿قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾ أي علم الله دعائه وتنزيهه : أو علم «كل» لجواز أن يلهم الله الطير دعاءً وتسبيحاً كما ألهمها علوماً تخفى على العقلاء

(١) في «ج» في ساعة .

(٢) قاله مقاتل — كما في مجمع البيان ٤: ١٤٦ — .

(٣) حجة القراءات : ٥٠١ و ٥٠٢ .

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ غلب العقلاء .

[٤٢] - ﴿وَاللَّهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ على الحقيقة لا يشاركه فيه غيره

﴿وَالِلَّهِ الْمَصِيرُ﴾ المرجع .

[٤٣] - ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَرْجِي سَحَابًا﴾ يسوقه برفق ﴿ثُمَّ يُؤْتِفُ بَيْنَهُ﴾ بين قطعه،

بضم بعضها الى بعض، وترك «ورش» همز «يؤلف» ^(١) ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا﴾ متراكماً
بعضه على بعض ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ﴾ المطر ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ من مخارجة، جمع
خلل كجبال لجبل ﴿وَيُنَزَّلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ من السحاب وكل مظل سماء ﴿مِنْ جِبَالٍ
فِيهَا﴾ في السماء .

واريد بالجبال الكثرة كقولك : لفلان جبال من ذهب ﴿مِنْ بَرْدٍ﴾ بيان للـ «جبال»
والاوليان للإبتداء والمفعول محذوف أي «ينزل» مبتدأ من السماء «من جبال» من برد
برداً، أو الثانية للتبويض فالمفعول «من جبال» .

وقيل : اريد بالسماء : المظلة وفيها جبال برد كما في الأرض جبال حجر ^(٢)
﴿فَيَصِيبُ بِهِ﴾ بالبرد ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ في نفسه أو ماله ﴿وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ﴾ فهو
يقبض ويسط بمقتضى حكمته ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ﴾ ضوء برق السحاب ﴿يَذْهَبُ
بِالْأَبْصَارِ﴾ يخطفها لشدة لمعانه .

[٤٤] - ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ يعاقب بينهما أو يدخل احدهما في الآخر أو ما
يعم ذلك وتغيير احوالهما بالحر والظلمة وضدهما ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لَعِبْرَةٌ﴾
دلالة ﴿لِأُولَى الْأَبْصَارِ﴾ لذوي البصائر على توحيد الصانع وقدرته وعلمه وحكمته .

[٤٥] - ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ﴾ حيوان، يدب على الأرض، وقرأ «حمزة»
و«الكسائي» : «خالق كل» بالإضافة ^(٣) ﴿مِنْ مَّاءٍ﴾ من نطفة على التغليب إذ منها

(٢٠١) تفسير البضاوي ٣ : ٢٣٦ .

(٢) حجة القراءات : ٥٠٢ .

ما لا يتولد عن النطفة، أو من نوع من الماء هو جزء مادته ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ﴾ كالحية. وسمى الزحف مشياً، استعارة أو للمشكلة ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ﴾ كالإنس والطير ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ﴾ كالنم والوحش ولم يذكر ما له أكثر من أربع لندرته أو دخوله في ذي الأربع لإعتماده على أربع.

وتذكير الضمير ولفظ «من» لتغليب العقلاء، والترتيب لتقديم الأعراب ﴿يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ من حيوان وغيره على اختلاف الصور والطبائع مع اتحاد المادة بمقتضى حكمته ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيخلق ما يشاء.

[٤٦] - ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ﴾ بيّنات هي القرآن ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ بتوفيقه لتدبرها ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ هو الإيمان المؤدي إلى الجنة.

[٤٧] - ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ﴾ قيل: اشترى عثمان من علي عليه السلام أرضاً، فخرج فيها أحجار فأراد ردها بالعيب، فلم يأخذها ودعاه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال الحكم بن العاص: إن حاكمته إلى ابن عمه حكم له، فلا نحاكمه إليه، فنزلت^(١).

وقيل: في «بشر» المنافق، خاصم يهودياً فدعاه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم و«بشر» يدعوه إلى كعب بن الأشرف^(٢) ﴿وَأَطَعْنَا﴾ لهما ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ يعرض عن قبول حكمه ﴿مَنْ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ القول منهم ﴿وَمَا أَوْلَيْكَ﴾ القائلون كلهم أو الفريق منهم ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ المعهودين المواطة قلوبهم لألستهم.

[٤٨] - ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وذكر الله تفخيماً له وإيداناً بأن حكمه حكم الله ﴿لِيَحْكُمَ﴾ أي الرسول ﴿بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ عن الإتيان إليه إذا كان الحق عليهم.

[٤٩] - ﴿وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ منقادين لعلمهم بأنه يحكم لهم

و«إلى» صلة «يأتون» أو «مذعنين» وقدم للإختصاص.

[٥٠] - ﴿أَفَى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ كفر ﴿أَمْ أَرَبَأُتُوا﴾ في نبوته ﴿أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ﴾ في الحكم ﴿بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ أي لا يخافون حيفه وإنما الظلم صفتهم ولا يستطيعونه بحضرة صلى الله عليه وآله وسلم فلذا يابون المحاكمة إليه.

[٥١] - ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بالنصب، وعن «علي» عليه السلام رفعه ^(١) ﴿إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ عقب الإنكار على المنافقين بذكر سيرة المؤمنين على عادته تعالى ليقنطروا بهم.

وعن «الباقر» عليه السلام: إن المعنى بها «علي» عليه السلام. ^(٢)

[٥٢] - ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ فيما أمراه به ونهياه عنه ﴿وَيَخْشَى اللَّهَ﴾ لسالف ذنوبه ﴿وَيَتَّقِهِ﴾ فيما يستقبل، وسكن «أبر بكر» و«أبو عمرو» الهاء وكسرهما «قالون» باختلاس، وسكن «حفص» القاف وكسرهما الباقون ^(٣) ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ بالجنة.

[٥٣] - ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ غايتها، مصدر بمعنى الحال أي جاهدونها ﴿لَئِنْ أَمَرْتُهُمْ﴾ بالخروج من ديارهم وأموالهم ﴿لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُفْسِمُوا﴾ كاذبين ﴿طَاعَةً مَعْرُوفَةً﴾ لانفاق فيها أولى بكم من أيمانكم الكاذبة، أو المطلوب منكم طاعة معروفة لانفاقية، أو طاعتكم معروفة بأنها نفاقية ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فيعلم ما تضمرون.

[٥٤] - ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ امر بحكاية خطابه تعالى لهم لمزيد التبكيت ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ تتولوا عن الطاعة ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْهِ﴾ على الرسول ﴿مَا حُمِّلَ﴾ من

(١) تفسير مجمع البيان ٤: ١٤٩.

(٢) تفسير مجمع البيان ٤: ١٥٠.

(٣) حجة القراءات: ٥٠٣.

التبليغ ﴿وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ﴾ من طاعته ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ الى الرشد ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ التبليغ البين المبين وقد بلغ، فإن قبلتم فلکم وإلا فعليکم.

[٥٥] - ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ «من» للبيان أو التبعض ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ يجعلهم خلفاء متصرفين فيها.

وهو جواب «الوعد» لأنه كالقسم في تحقيقه، أو بتقدير: واقسم ليستخلفنهم ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي بني اسرائيل بدل الجبابرة، وبناء «أبو بكر» للمفعول^(١) ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾ وهو الإسلام بشيئته ﴿وَلَيَكْبِّرُنَّهُمْ﴾ وخففه «ابن كثير» و«أبو بكر»^(٢) ﴿مَنْ بَعْدَ خَوْفِهِمْ﴾ من أعدائهم أو عذاب الآخرة ﴿أَمَنَّا﴾ منهم أو منه ﴿يَعْبُدُونَنِي﴾ حال من «الذين» أو استئناف للتعليل ﴿لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْئًا﴾ حال من «الواو» ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ بهذه النعم ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾ الوعد الصادق ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ الخارجون الى أقبح الكفر.

قيل: الآية في اصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم^(٣) وقيل: في أمته^(٤).

وعن أهل البيت عليهم السلام: أنها في المهدي من آل «محمد» صلى الله عليه وآله وسلم^(٥).

فعن علي بن الحسين عليه السلام أنه تلاها وقال: هم والله شيعتنا أهل البيت، يفعل الله ذلك بهم على يدي رجل منا وهو مهدي هذه الأمة وهو الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لو لم يبق في الدنيا إلا يوم، لطول الله ذلك اليوم حتى يلي رجل من عترتي اسمه اسمي، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت

(٢٥) حجة القراءات: ٥٠٤.

(٤٣) قاله ابن عباس ومجاهد - كما في تفسير مجمع البيان ٤: ١٥٢ -.

(٥) قاله ابن عباس ومجاهد - كما في تفسير مجمع البيان ٤: ١٥٢ وتفسير البيان ٧: ٤٠٧ -.

جوراً،^(١) وعن «الصادقين» عليهما السلام نحوه .

فالمراد بـ«الَّذِينَ آمَنُوا» النبي وأهل بيته عليهم السلام، ففيها بشارة لهم بالإستخلاف والتّمكين والأمن .

وقوله : «كما استخلف الَّذِينَ من قبلهم» أي كما جعل الصّالح للخلافة خليفة كآدم و«داود» و«سليمان» وآل ابراهيم، ويدلّ على ذلك ان التّمكين في الأرض على الإطلاق لم يتفق فيما مضى فهو مترقّب لأنّ الله تعالى لا يخلف وعده .^(٢)

وعنهم عليهم السلام أيضاً: أنّ المراد بها خلافة «علي» واولاده الأحد عشر عليهم السلام فيكون تمام تمكينهم عند قيام المهدي عليه السلام ويراد بـ«من كفر» الخلفاء المتغلّبون عليهم .

[٥٦] - «وَأَقِمْوُا الصَّلَاةَ» عطف على «اطيعوا» وان طال الفاصل «وَأَتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ» كترت طاعته تأكيداً «لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» أي رجاء للرحمة .

[٥٧] - «لَا تَحْسَبَنَّ» يا «محمد» «الَّذِينَ كَفَرُوا» مفعول أول «مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ» مفعول ثان، وقرأ «ابن عامر» و«حمزة» بالياء^(٣) فمفعولاه «معجزين في الأرض» .

والمعنى لا يحسبن الكفار احداً معجزاً لنا في الأرض أو فاعله ضمير «الرسول» .
أو لا يحسبن انفسهم معجزين، فحذف المفعول الاول لأنّه هو الفاعل «وَمَا وَاهُمُ النَّارُ» عطف على معناه، كأنّه قيل: الكفار لا يفوتوننا وما واهم النار «وَلَيْسَ الْمَصِيرُ» المرجع هي .

[٥٨] - «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ» قد سبق الأمر

(١) تفسير مجمع البيان ٤: ١٥٢ - وفيه ظلماً وجوراً .

(٢) تفسير مجمع البيان ٤: ١٥٢ .

(٣) حجة القراءات: ٥٠٥ .

بالإستئذان العام، وهذا استئذان خاص، وهل يشمل الأماء؟ قيل: نعم وهو الظاهر،^(١) وقيل: لا، وهو مروى عن «الصادقين» عليهما السلام.^(٢)

والخطاب للرجال والنساء بتغليب الرجال لما روى أن غلام اسماء بنت أبي مرثد دخل عليها في وقت كرهته فنزلت^(٣) ولأولويتهن بحفظ العورة ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ﴾ من الأحرار يعم الذكور والأنثى، ويحتمل اشتراط التمييز كما يفهم من ﴿أَوْ الْغُلَامَ الَّذِينَ لَمْ يَبْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾^(٤)، والأمر بالنسبة الى البالغ للوجوب والى الصبيان للتحريم، فيكون لمطلق الرجحان. وقيل: للوجوب مطلقاً ﴿ثَلَاثَ مَرَّاتٍ﴾ في اليوم واليلة ﴿مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ﴾ لأنه وقت القيام من المضاجع وتبديل لبس اليل بلبس النهار ﴿وَحِينَ تَضُمُّونَ بُنَاتُكُمُ﴾ للقلولة ﴿مِنَ الظُّهْرِ﴾ بيان له «حين» ﴿وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ﴾ لأنه وقت تبديل لبس اليقظة بلبس النوم ﴿ثَلَاثَ عَوْرَاتٍ لَكُمْ﴾ خبر محذوف بتقدير مضاف، أي: هذه اوقات ثلاث عورات أو بدونه تسمية لهذه الأحوال عورات لاختلال الستر فيها.

والعورة: الخلل، ونصبها «أبو بكر» و«حمزة» و«الكسائي» بدلاً من «ثلاث مرّات»^(٥) ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ﴾ أي المماليك والصبيان ﴿جُنَاحٌ﴾ في أن لا يستأذنوا ﴿بَعْدَهُنَّ﴾ بعد هذه الأوقات ﴿طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ﴾ أي هم طوافون، استئناف يعلّل ترك الإستئذان بالحاجة الى المخالطة، فلو وجب الإستئذان كلّ وقت لزم الحرج ﴿بَعْضُكُمْ﴾ طائف أو يطوف بعضهم ﴿عَلَى بَعْضِ كَذَلِكَ﴾ التبیین ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ الأحكام ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما يصلحكم ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما دبر لكم.

(١) قاله ابن عباس - كما في تفسير مجمع البيان ٤: ١٥٤.

(٢) تفسير مجمع البيان ٤: ١٥٤.

(٣) تفسير البياضوي ٣: ٢٣٩.

(٤) في هذه السورة الآية: ٣١.

(٥) حجة القراءات: ٥٠٥.

[٥٩] - ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْبُلُوغَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا﴾ في جميع الأوقات ﴿كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من الاحرار البالغ ﴿كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ كرر تأكيداً.

[٦٠] - ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ المسنات اللاتي قعدن عن الحيض والولد ﴿اللاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾ لا يطمعن فيه لكبرهن ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾ الظاهرة كالملحفة والرداء، والفاء [فيه]^(١) لأن لام «القواعد» بمعنى اللاتي ﴿غَيْرَ مُتَّبَجَّاتٍ بِزِينَةٍ﴾ غير مظهرات زينة خفية، أمرن بسترها في ﴿وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾.^(٢)

وأصل التبرج تكلف اظهار ما يخفى وخص بكشف المرأة زينتها للرجال ﴿وَأَنْ يَسْتَغْفِرْنَ﴾ عن الوضع ﴿خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾ منه ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ للأقوال ﴿عَلِيمٌ﴾ بالأحوال. [٦١] - ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ﴾ نفى لتحرجهم من الأكل من بيوت يخلفهم الغزاة عليها أو من مواكلة الأصحاء خوف استقذارهم، أو من اجابة من يدعوهم الى الأكل من بيوت اقاربه ﴿وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ حرج ﴿أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾ بيوت عيالكم، ويشمل بيوت الأولاد لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: انت ومالك لأبيك.^(٣)

وقوله: ان أطيب ما يأكل المرء من كسبه وان ولده من كسبه^(٤) أو ثبوت الرخصة فيهم بالأولوية لانهم أقرب من المذكورين بقوله. ﴿أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ﴾ جمع مفتاح، ما يفتح به

(١) زيادة اقتضاها السياق اخذناها من تفسير البضاوي ٢٣٩: ٣.

(٢) هذه السورة الآية: ٣١.

(٣) تفسير مجمع البيان ١٥٦: ٤.

أي ما وكلتم بحفظه من حائط ونحوه لغيركم أو بيوت ممالككم ﴿أَوْ صَدِيقُكُمْ﴾ أو بيوت اصدقائكم وهو للواحد والجمع .

عن «الصادق» عليه السلام : هو والله الرجل يدخل بيت صديقه فيأكل طعامه بغير اذنه .^(١)

والظاهر جواز الأكل من بيوت المذكورين ما لم يعلم عدم الرضا .

وقيل : إنما يجوز إذا علم الرضا ، وفيه أنه لا فرق حيثذ بينهم وبين غيرهم فلا وجه لتخصيصهم بالذكر .

وقيل : الآية منسوخة^(٢) وهو ممنوع ويمكن تعدية الحكم الى جواز الصلاة في منازل هؤلاء ، وعلى فرشهم وثيابهم بمفهوم الموافقة ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾ مجتمعين أو متفرقين .

نزلت في قوم من كنانة تخرجوا أن يأكل الرجل وحده . أو في قوم من الأنصار إذا نزل بهم ضيف لا يأكلون إلا معه ، أو تخرجوا أن يأكلوا جميعاً خوفاً من حصول ما ينفر ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا﴾ من هذه البيوت وغيرها ﴿فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ على أهلها الذين هم منكم .

وعن «الصادق» عليه السلام : هو تسليم الرجل على أهل البيت حين يدخل ، ثم يردون عليه فهو سلامكم على انفسكم^(٣) ﴿نَحِيَّةٌ﴾ مصدر بمعنى تسليماً ﴿مَنْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ مشروعة من لدنه ، أو هو صلة «نحية» فإنها طلب حياة من عنده ﴿مُبَارَكَةٌ﴾ لأنها دعاء بالسلامة من آفات الدارين ﴿طَيِّبَةٌ﴾ تطيب بها النفس بالتواصل والثواب ﴿كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ﴾ الدالة على كل ما يتعبدكم به ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾

(١) تفسير مجمع البيان ٤ : ١٥٦ .

(٢) قاله الجبائي - كما في تفسير التبيان ٧ : ٤٦٣ .

(٣) تفسير مجمع البيان ٤ : ١٥٧ .

معالم دينكم .

[٦٢] - ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ أي الكاملون في الإيمان ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ بإخلاص ﴿وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ﴾ مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ﴿عَلَى أَمْرِ جَامِعٍ﴾ كالجمعة والأعياد والحروب .

ووصف الأمر بالجمع مبالغة ﴿لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ﴾ فيأذن لهم ، واعتبر ذلك في كمال الإيمان لأنه المميز للمخلص عن المنافق الذي شأنه التسلل ، ولتعظيم ذنب الذاهب عنه صلى الله عليه وآله وسلم بغير إذنه ، ولذا أكد بإعادته بأبلغ أسلوب بقوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ فجعل الاستئذان كالمصداق لصحة الإيمان ، وعرض بالمنافقين وتسألهم ﴿فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِيُعْضِ شَأْنِهِمْ﴾ مهامهم ﴿فَأَذْنُ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ فوض تعالى إليه صلى الله عليه وآله وسلم الأمر وخيره بين الإذن وتركه ، فأيهما فعل فهو عن وحي المفوض^(١) لا الإجهاد ﴿وَأَسْتَغْفِرْ لَهُمْ اللَّهُ﴾ لتركهم الأفضل وهو الكف عن الاستئذان ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ للمؤمنين ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم .

[٦٣] - ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ لا تقيسوا دعائه أيكم على دعاء بعضكم بعضاً فإن أجابته فرض والرجوع بغير إذنه حرام .
أو: لا تجعلوا ندائه كنداء بعضكم بعضاً باسمه ، بل قولوا: يا نبي الله ، يا رسول الله ، بتعظيم وتواضع وخفض صوت .

أو: لا تجعلوا دعائه ربه كدعاء فقيركم غنيكم يجيبه أو يرده فإن دعائه لا يرده ﴿قَدْ﴾ للتحقيق ﴿يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلْلُونَ مِنْكُمْ﴾ يخرجون عن الجماعة بخفية ﴿لَوْأَدَّا﴾ مصدر وقع حالاً أي ملاوذين يستتر بعضهم ببعض ﴿فَلْيَخْذِرِ الَّذِينَ

(١) كذا في النسخ ، والصحيح : وحي مفوض أو الوحي المفوض ، ألا أن يقرأ بصيغة الفاعل .

يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ﴿ يَخَالِفُونَ امر الله أو رسوله بترك مقتضاه، و«عن»^(١) لتضمنه معنى الإعراض، أو: يَصْدُونَ عن أمره دون المؤمنين من خالفه عن الشيء: صَدَّ عنه دونه. وحذف مفعوله لأنَّ الغرض ذكر المخالف والمخالف عنه ﴿أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ محنة في الدنيا ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة ويحتج به على أنَّ الأمر للوجوب للوعيد بالعذاب على مخالفته.

[٦٤] - ﴿أَلَا إِنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ملكاً مختصاً به ﴿قَدْ﴾ للتحقيق ﴿يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾ أيها المكلفون من الإخلاص والتفاني ﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ﴾ أي المنافقون، ويجوز كونه التفاتاً من الخطاب بتعميمه أو تخصيص الخطاب بالمنافقين أيضاً و«يوم» عطف على «ما» أو ظرف لقوله: ﴿فَيَكْبِتُهُمْ بِمَا عَمِلُوا﴾ من خير وشر والفاء لتلازم ما قبلها أو ما بعدها ﴿وَاللَّهُ يَكُلُّ شَيْءٌ عَلِيمٌ﴾ ومنه أعمالهم.

(١) أي استعمال لفظ «عن» في الآية.

سورة الفرقان

[٢٥]

سبع وسبعون آية . مكية ، وقيل : إلا ﴿والذين لا يدعون...﴾ إلى : ﴿رحيماً﴾ .^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] - ﴿بَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ﴾ تكاثر خيره ، أو تزايد وتعالى عن كل شيء .

والفرقان مصدر فرق ، سمي به القرآن لفرقه بين الحق والباطل ، أو لإنزاله مفروقاً بعضه عن بعض ﴿عَلَىٰ هَبْنَاهُ﴾ «محمد» صلى الله عليه وآله وسلم ﴿لِيَكُونَ﴾ عبده أو الفرقان ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ أي الثقلين ﴿نَذِيرًا﴾ مخوفاً من العذاب . وصحّ الوصل^(٢) بهذه الصفات لأنها معلومة بدلائل الإعجاز .

[٢] - ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ بدل من الأول أو مدح مرفوع أو منصوب ﴿وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ كزعم النصارى وغيرهم ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ كزعم الوثنية والشنوية ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ أوجده على تقدير وتسوية في شكله وجبلته حسب ما تقتضيه الحكمة ﴿فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ فهيأه لما يصلح له في باب الدين والدنيا .

(١) قاله ابن عباس كما في تفسير مجمع البيان ٤ / ١٥٩ .

(٢) أي جعله صلة .

أو: فقدّره للبقاء الى أجل مسمى .

أو: اريد بالخلق مجرّد الإيجاد بدون نظر الى وجه الإشتقاق وهو تضمّنه لمعنى التقدير فكأنه قيل: اوجد كل شيء فقدّره في ايجاده فلم يوجد متفاوتاً .

[٣] - ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً﴾ لما اثبت التوحيد والنبوة شرع في الرد على منكريهما ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ لأنّ عبدتهم يصنعونهم بالنّحت ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ﴾ لا يستطيعون ﴿لأنفسهم ضرّاً﴾ أي دفعه ﴿وَلَا نفعاً﴾ أي جرّه ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلَا حَيَوةً﴾ امانة واحياء ﴿وَلَا نُشُوراً﴾ بعثاً للأموات، ومن هذا حاله كيف يتخذ إلهاً؟! .

[٤] - ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ﴾ كذب ﴿افترأ﴾ اختلقه ﴿وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾ من أهل الكتاب وهو نظير: ﴿أنما يعلمه بشر﴾ وسبق في النحل^(١) ﴿فَقَدْ جَاءُوا﴾^(٢) فعلوا ﴿ظَلَمْنَا﴾ هو تكذيبهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وَوُورًا﴾ هو كذبهم عليه ويجوز انتصابه بنزع الخافض .

[٥] - ﴿وَقَالُوا أَتَأْتِيهِمُ الْبُكْرَةُ الْأُولَى﴾ ما سطره المتقدّمون ﴿اكتسبها﴾ كتبها لنفسه، أو استكتبها ﴿فهي تملأ﴾ تقرأ ﴿عَلَيْهِ بُكْرَةٌ وَأَصِيلًا﴾ طرفي نهاره ليحفظها أو ليكتبها .

[٦] - ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ الْغَيْبِ﴾ ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ لإعجازه بفصاحته، وتضمّنه لمصالح العباد في المعاش والمعاد واخباره بما لا يعلمه إلا علام الغيوب ﴿إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ فلذلك لم يعاجلكم بما استوجبتموه من العقوبة .

[٧] - ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ﴾ أي الزاعم انه رسول وفيه تهكم^(٣) ﴿يَأْكُلُ الطَّعَامَ﴾ كما نأكل ﴿وَيَنْشِئُ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ لطلب المعاش كما نمشي، زعموا انه كان يجب أن يكون ملكاً مستغنياً عن الأكل والتعيش، ثم نزلوا عن ذلك فقالوا:

(٣) التهكم: الاستهزاء .

(١) سورة النحل: ١٦/ ١٠٣ .

(٢) ينظر تعليقنا على الآية (٦١) من سورة البقرة .

﴿لَوْلَا أَنْزَلِ إِلَهِكَ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا﴾ يصدقه، ثم نزلوا عن ذلك فقالوا:

[٨] - ﴿أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنزٌ﴾ يغنيه عن طلب المعاش، ثم نزلوا عنه فقالوا: ﴿أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ﴾ بستان ﴿يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ ويرزق كالدهاقين، وقرأ «حمزة» و«الكسائي» بالنون^(١) ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ﴾ - وضع موضع ضميرهم تسجيلاً عليهم بالظلم فيما قالوا - ﴿إِنْ﴾ ما ﴿تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ سحر فغلب على عقله.

[٩] - ﴿انظُرْ كَيْفَ صَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾ أي قالوا فيك الأمثال النادرة ﴿فَضَلُّوا﴾ عن الرشد ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ إليه أو إلى إبطال أمره.

[١٠] - ﴿تَبَارَكَ الَّذِي﴾ تكثر خير الذي ﴿إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ﴾ في الدنيا ﴿خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ﴾ مما قالوا ﴿جَنَّاتٍ﴾ بدل من «خير» ﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ وقد شاء لك في الآخرة ﴿وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا﴾ جزم عطفاً على محلّ الجزاء ورفع «ابن كثير» و«ابن عامر» و«أبو بكر»^(٢) لجواز الرفع والجزم في جزاء الشرط الماضي أو استئنافاً.

[١١] - ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ﴾ عطف على ما حكى عنهم أي بل أتوا بأعجب من تكذيبك وهو تكذيبهم بالساعة أو حملهم عليه تكذيبهم بها لا ما طعنوا به عليك ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ ناراً شديدة الإسعار أو هو اسم لجهنّم.

[١٢] - ﴿إِذَا رَأَوْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ كقولهم: دورهم تتراءى: كأن بعضها يرى بعضاً على المجاز، والمعنى: إذا كانت منهم بمرأى الناظر في البعد ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا﴾ صوت تغيط ﴿وَزَفِيرًا﴾ شبه صوت غليانها بصوت المغتاط وزفيره.

وقيل: يجوز أن يخلق الله لها حياة فترى وتغضب وتزفر.^(٣)

وقيل: ذلك لزيانيتها فنسب إليها على حذف مضاف.^(٤)

(١) حجة القراءات: ٥٠٧.

(٢) حجة القراءات: ٥٠٨.

(٣) تفسير البياضي ٣: ٢٤٣.

[١٣] - ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا﴾ في مكان ومنها نعت قدّم فصار حالاً ﴿صَبَقًا﴾ يراضون ^(١) فيه ويضيق عليهم كما يضيق الرّج في الرّمع وخففه «ابن كثير» ^(٢) ﴿مُقَرَّرِينَ﴾ قرنت أيديهم الى أعناقهم بالأغلال ﴿دَعُوا هُنَالِكَ﴾ في ذلك المكان ﴿نُبُورًا﴾ هلاكاً، أي يقولون وانبوراه، فهذا وقتك، فيقال لهم:

[١٤] - ﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ نُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا نُبُورًا كَثِيرًا﴾ لكثرة انواع عذابكم، فكل نوع نبور، أو لدوامه فهو [في] كل وقت نبور.

[١٥] - ﴿قُلْ أَذَلِكَ﴾ المذكور من الوعيد وصفة السّعيم ﴿خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ﴾ أضيف إليه تنبيهاً على خلودها والإستفهام للتّكيت والتّهكم ﴿الَّتِي وَعَدَ﴾ أي وعدها ﴿الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ﴾ في علمه تعالى لأنّ وعده في تحقّقه كالكاثر ﴿جَزَاءً﴾ على أعمالهم ﴿وَمَصِيرًا﴾ ومرجعاً.

[١٦] - ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ﴾ ما يشاؤون من النّعيم ﴿خَالِدِينَ﴾ حال لازمة ﴿كَانَ﴾ ما يشاءون ﴿عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا﴾ موعوداً واجباً عليه انجازه ﴿مَسْئُولًا﴾ يسأله النّاس بقولهم: ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا﴾ ^(٣) أو الملائكة بقولهم: ﴿رَبَّنَا وادخلهم جنّات عدن التي وعدتهم﴾ ^(٤) أو من حقّه أن يسئل.

[١٧] - ﴿وَيَوْمَ نَخْشَرُهُمْ﴾ ^(٥) وقرأ «ابن كثير» و«حفص» بالياء ^(٦) ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ من الملائكة و«عيسى» و«عزيراً» والأصنام ينطقها الله، أو ما يعتم الكل.

(١) الروض والريضة: التذليل (مجمع البحرين).

(٢) حجة القراءات: ٥٠٨.

(٣) الزيادة اقتضاه السياق، واخذناها من تفسير البضاوي ٢٤٣: ٣.

(٤) سورة آل عمران: ١٩٤/٣.

(٥) سورة غافر: ٨/٤٠.

(٦) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «يخشرهم» - كما يشير اليه المؤلف -.

(٧) حجة القراءات: ٥٠٨.

ولفظ «ما» لوضعه عاماً، ولذا يسئل به عن شبح يرى ولا يعرف، أو: اريد به الوصف كأنه قيل: ومعبودهم ﴿فَيَقُولُ﴾ - للمعبودين تبكيتاً والزماً للعبدية وقرأ «ابن عامر» بالنون -: ^(١) ﴿وَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ أي عنه، وحذف «عن» مبالغة ولم يقل: أضللتهم أم ضلُّوا لأن السؤال ليس عن الفعل لأنه متحقق وإلا لما توجه العتاب، بل عن متوليه فلزم ايلأوه حرف الإستفهام.

[١٨] - ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾ تعجباً مما قيل لهم، لأنهم ملائكة وأنبياء معصومون، أو جمادات عجزة، أو ايداناً بأنهم الموسومون بتسبيحه فكيف يليق بهم أن يضلوا عباده، أو تنزيهاً له عن الإنداد ﴿مَا كَانَ يَنْتَفِي﴾ ما يصح ﴿لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ نتولاهم ونعبدهم للعصمة أو العجز، فكيف نأمر غيرنا بعبادتنا و«من» زائدة و«اولياء» مفعول و«من دونك» حال مقدم أو مفعول ثانٍ إن جعل «نتخذ» متعدياً الى اثنين كقراءة البناء للمفعول وتنسب الى «الصادق» عليه السلام ^(٢) و«يعقوب» ومفعوله الاول - عليها -: «نحن» والثاني: «من اولياء» و«من» للتبويض ﴿وَلَكِنْ مَتَّعْتُهُمْ وَءَابَأْتُهُمْ﴾ بأنواع النعم ﴿حَتَّىٰ سَأَلُوا الذِّكْرَ﴾ تركوا ذكرك أو القرآن وتدبره ﴿وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾ هالكين جمع «بائر» كحائل وحول.

أو مصدر يوصف به الواحد والجمع ويفيد أنه تعالى لا يضل عباده حقيقة وإلا كان الجواب أن يقولوا: بل أنت أضللتهم، لا أن يقولوا: بل أنت تفضلت عليهم. فجعلوا النعمة التي حقها أن تكون سبب الشكر سبب الكفران ونسيان الذكر، فهم ضلُّوا بأنفسهم وهلكوا بإختيارهم الضلال.

[١٩] - ﴿فَقَدْ كَذَّبُواكُمْ﴾ التفات للإلزام بتقدير شرطه، أي: إن زعمتم أنهم آلهة

(١) حجة القراءات: ٥٠٩.

(٢) تفسير مجمع البيان ٤: ١٦٢.

فقد كذبوكم ﴿يَمَّا تَقُولُونَ﴾ في قولكم أنهم آلهة، فالباء بمعنى «في» أو مع مجرورها بدل من «كم» وعن «ابن كثير» بالياء^(١) أي بقولهم «سبحانك» الآية ﴿فَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾^(٢) أي آلهتكم، وقراً «حفص» بالياء، أي: أنتم^(٣) ﴿صَرَفًا﴾ دفعاً للعذاب عنكم ﴿وَلَا نَصْرًا﴾ منعاً لكم منه ﴿وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ﴾ أيها المكلفون بشرك أو فسق ﴿نَذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ وهو النار ما لم يتب أو نعف عن الفسق.

[٢٠] - ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ الجملة بعد «إلا» صفة محذوف دل عليه «المرسلين» أي ما ارسلنا قبلك رسلاً إلا آكلين وماشين، وكسر «ان» للجملة لا للام.

وهو رد لقولهم: ﴿ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق﴾،^(٤) ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ ابتلاء كابتلاء الشریف بالوضع يسلم قبله فيأنف أن يسلم لثلاً يفضل به بالسبق، والمبتلى بالمعافى يقول لم لم أجعل مثله في الخلق والخلق وغيرهما، والرسول بالمرسل اليهم وايدأثم لهم وهو تصوير له مثل الله عليه وآله وسلم على ما قالوه بعد رده ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ أي ليظهر انكم تصبرون على البلاء أم لا، أو: مستأنف بمعنى: اصبروا ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بِصِيرًا﴾ بالصواب فيما يتلى به وغيره أو فيمن يصبر وغيره.

[٢١] - ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لَا يَأْمَلُونَ أَوْ لَا يَخَافُونَ﴾ «لِقَاءَنَا» أي جزاءه ﴿لَوْلَا﴾ هلاً ﴿أَنْزَلَ عَلَيْنَا الْمَلِيكَ﴾ فيخبروننا بصدق «محمد» أو يكونون رسلاً إلينا ﴿أَوْ تَرَى رَبَّنَا﴾ فيأمرنا بتصديقه واتباعه ﴿لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ اضمروا

(١) حجة القراءات: ٥٠٩.

(٢) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «يستطيعون» - كما سيثير اليه المؤلف -.

(٣) حجة القراءات: ٥١٠.

(٤) الآية: (٧) من هذه السورة.

الإستكبار عن الحقّ وهو الكفر في قلوبهم وأعتقدوه ﴿وَعَتَوْا﴾^(١) وأفروا في الظلم ﴿عَتَوْا كَبِيرًا﴾ بالغاً الغاية بقولهم هذا.

و«عتو» بالواو على أصله وفي «مريم» «عنا»^(٢) بالقلب واللام جواب قسم محذوف.

[٢٢] - ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ﴾ عند الموت أو في القيامة، ونصب بـ «أذكر» مضمراً أو بما دلّ عليه: ﴿لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ﴾ أي يمنعون البشري و «يومئذ» تكرير و«للمجرمين» في موضع ضميرهم أو عام فيشملهم ﴿وَيَقُولُونَ حَبْرًا مَّخْجُورًا﴾ أي ويقول الكفرة حيثئذ للملائكة بهذه الكلمة، استعاذة منهم كما كانوا يقولونها في الدنيا عند لقاء عدوّ أو نحوه، أي: أسأل الله أن يمنع ذلك منعاً. أو: تقولها الملائكة أي حراماً محرماً عليكم الجنة أو البشري ووصف بـ «محبجوراً» تأكيداً «كشعر شاعر».

[٢٣] - ﴿وَقَدِّمْنَا﴾ عمدنا ﴿إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ﴾ من الخير كصلة رحم وإغاثة ملهوف وقرى ضيف ﴿فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً﴾ هو غبار يرى في شعاع الشمس الخارج من الكوة ﴿مَنْشُورًا﴾ متفرقاً صفته أو مفعول ثالث كتعدد الخبر في ﴿كونوا قردة خاسئين﴾^(٣).

والمعنى: احبطناه لعدم شرطه، شبه عملهم بالهباء في حقارته وعدم نفعه ثم بالمشور في تفرقه بحيث يتمتع جمعه.

[٢٤] - ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾ مكاناً، يستقرّ فيه. والتفضيل بالنسبة الى ما للمتفرّفين في الدنيا، أو اريد به الزيادة مطلقاً وكذا: ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ مكاناً، يأوي إليه للإسترواح بالأزواج والتّمتع بهنّ على التشبيه

(١) ينظر تعليقنا على الآية (٦١) من سورة البقرة.

(٢) سورة مريم: ٨/٩٦.

(٣) سورة البقرة: ٢/٦٥.

بمكان القبلولة، إذ لا نوم في الجنة، ويفيد انقضاء الحساب في نصف نهار.
 روى أنه لا يتتصف نهار ذلك اليوم حتى يقل أهل الجنة فيها، وأهل النار فيها،
 وفي «احسن» إيماء إلى ما في مقيلهم من التحاسين^(١) كحسن الصورة وغيره.
 [٢٥] - «وَيَوْمَ تَشْقَى السَّمَاءُ» تشقق، حذفت التاء وادغمها «نافع» وابن كثير
 وابن عامر^(٢) أي تفتتح «بِالْغَمَامِ» بسبب خروج الغمام منها «وَنَزَلَ الْمَلَائِكَةُ نَزِيلًا»
 في ذلك الغمام بصحائف أعمال العباد، وقرأ «ابن كثير»، «ونزل» ونصب
 «الملائكة»^(٣).

[٢٦] - «الْمَلِكُ يُؤْتِيهِ الْحَقَّ لِلرَّحْمَنِ» الثابت له، لزوال كل ملك يومئذ إلا ملكه
 فهو الخبر و«لِلرَّحْمَنِ» صلته و«يومئذ» معمول للملك لا له^(٤) أو صفة^(٥) والخبر
 «يومئذ» [أو] «لِلرَّحْمَنِ»^(٦) «وَكَانَ» اليوم «يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ» لا المؤمنين
 «عَسِيرًا» شديدًا.

[٢٧] - «وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ» ندمًا وتحسّرًا، وعصّ اليمين كناية عن
 الغيظ والتحسّر للزومه لهما غالبًا كأكل البنان ونحوه، وإريد جنس الظالم.
 وقيل: عقبة بن أبي معيط دعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى ضيافته، فأبى أن
 يأكل طعامه حتى يأتي بالشهادتين، ففعل، فعاتبه ابنه بن خلف وقال: صأبت؟^(٧)
 فقال: لا، ولكن أبى أن يأكل طعامي وهو في بيتي فاستحيت منه
 فشهدت له فقال: لا أرضى عنك حتى تأتيه فتبرق في وجهه ففعل.

(١) التحاسين: الأشياء الحسنة.

(٢) حجة القراءات: ٥١٠.

(٣) أي ليس معمولًا للحق لأنه متأخر.

(٤) أي الحق صفة.

(٥) الزيادة من تفسير البيضاوي ٣: ٢٤٦.

(٦) صأبت: خرج من دين إلى دين آخر.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: لا ألقاك خارجاً من مكة إلا علوت رأسك بالسيف فأمر بيدر فأمر «علياً» عليه السلام بقتله وطعن أيباً بأحد ومات بمكة^(١) ﴿يَقُولُ يَا﴾ للتنبية ﴿لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً﴾ طريقاً الى الهدى، وفتح «أبو عمرو» الياء.^(٢)

[٢٨]- ﴿يَا وَيْلَتَى﴾ بإبدال ياء الإضافة الفاء، أي: يا هلكنا، احضرى فهذا وقتك ﴿لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانًا خَلِيلاً﴾ أي من اضله، وفلان كناية عن الإعلام.^(٣)

[٢٩]- ﴿لَقَدْ أَصَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ﴾ عن القرآن أو موعظة الرسول ﴿بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾ مع الرسول ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ﴾ أي الخليل المضل أو ابليس أو كل متشيطن جنّي أو إنسي ﴿لِلْإِنْسَانِ خَذُولاً﴾ يسلمه الى الهلاك ثم يتركه ولا ينفعه.

[٣٠]- ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ﴾ - «محمد» صلى الله عليه وآله وسلم يشكو قومه في الدنيا أو يوم القيامة -: ﴿يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي﴾ قريشاً، وفتح «نافع» و«أبو عمرو» و«البزى» الياء^(٤) ﴿اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ متروكاً، أو: زعموا أنه هُجر وهذيان، أو: هجروا فيه ولغوا أي مهجوراً فيه.

وفيه تخويف لهم لأن الأنبياء إذا شكوا إليه قومهم عجل عذابهم.

[٣١]- ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما جعلنا لك عدواً من كفار قومك ﴿جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ الكافرين بأن لم تمنعهم من العداوة لهم فاصبر كما صبروا ﴿وَوَكَّفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا﴾ الى الاعتصام منهم ﴿وَوَصِيرًا﴾ لك عليهم.

[٣٢]- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا﴾ هلاً ﴿نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ﴾ أي انزل بقرينة: ﴿جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ مجتمعاً كالكتب الثلاثة، وهي شبهة واهية إذ اعجازه لا يختلف

(١) تفسير مجمع البيان ٤: ١٦٦.

(٢) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ١٤٩.

(٣) كما ان «هنا» كناية عن الأجناس (تفسير البيضاوي ٣: ١٤٦).

(٤) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ١٤٩.

بنزوله جملة ومفرداً مع أن من حكم التفریق ما افاده قوله: ﴿كَذَلِكَ﴾ نزل مفرداً ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِ﴾ لنفوی بتفریقه ﴿فَوَادَكَ﴾ على حفظه إذ كان أمياً بخلاف الأنبياء الثلاثة، فلو ألقي عليه جملة تعنى بحفظه ولأن نزوله بحسب الحوادث يزيد بصيرة، ولأن نزول جبرائيل به حيناً بعد حين مما يقوى قلبه، ومنها اقتضاء النسخ والمنسوخ التفریق ﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ نزلناه شيئاً بعد شيء بتمهل في نحو عشرين سنة أو أمرنا بترتيله أي نسيه والتاني في قرائته.

[٢٣] - ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ بسؤال عجيب كالمثل في البطلان للقدح فيك ﴿إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ الراد له في جوابه ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ وبما هو أحسن بياناً، أو: معنى: من سؤالهم.

[٢٤] - ﴿الَّذِينَ يُخْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ مسحوبين إليها، ذم منصوب أو مرفوع أو مبدأ، خبره: ﴿أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ ممن حَقروا مكانه وضلوا سبيله وهو الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

ووصف السبيل بالضلال من المجاز الحكمي. (١)

[٢٥] - ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيْرًا﴾ معيناً في الدعوة.

[٢٦] - ﴿فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾ أي فرعون وقومه فذهبا اليهم فكذبوهما، ﴿فَدَمَّرْنَاَهُمْ تَدْمِيرًا﴾ أهلكناهم اهلاكا.

[٢٧] - ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ﴾ نوحاً ومن قبله، أو نوحاً وحده إذ تكذبه تكذيبهم أو بعثة الرسل كالبrahمة (٢) ونصب بما يفسره ﴿أَغْرَقْنَاهُمْ﴾ بالطوفان ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً﴾ عبرة ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾ هتانا ﴿لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ عام أو

(١) المجاز الحكمي: نسبة الفعل الى غير ما هو له.

(٢) البراهمة: هم من انكروا بعثة الرسل - انظر الملل والنحل.

خاص في موضع الضمير، تظليماً له .

[٣٨] - ﴿وَعَادًا﴾ عطف على «هم» في «جعلناهم» أو «الظالمين» إذ المعنى وعدناهم ﴿وَتَمُودًا﴾ ونون بتأويل الحي ومنعه «حمزة» و«حفص» بتأويل القبيلة ﴿وَأَصْحَابَ الرَّيْسِ﴾ هو البشر الغير المطوية^(١) وكانت لعبدة أصنام، فبعث اليهم شعيب فكذبوه، فانهارت بهم وبادرهم .

أو قرية بفلج اليمامة^(٢) وكان فيها بقية ثمود فقتلوا نبيهم فأهلكوا، أو بشر بإنطاكية، قتلوا فيها حبيبا النجار .

أو هم قوم رسوا نبيهم أي دفنوه في بئر . أو أصحاب الأحدود . أو أصحاب النبي حنظلة بن صفوان قتلوه فأهلكوا ﴿وَقُرُونًا﴾ أهل أعصار ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿كَثِيرًا﴾ .

[٣٩] - ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ﴾ بينا له القصص العجيبة فلم يعتبروا ﴿وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾ كسرنا تكسيرا، ومنه التبر لكسار الذهب والفضة أي اهلكناهم، ونصب «كلاً» الأول بما دل عليه «ضربنا» كحذرنا والثاني بـ «تبرنا» .

[٤٠] - ﴿وَلَقَدْ آتَوْنَا أَيَّ مَرِّ فَرِيشٍ﴾ عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرَتْ مَطَرَ السَّوَاءِ الحجارة وهي «سدوم» من قرى قوم لوط ﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنها﴾ في مرورهم فيعتبرون، استفهام تقرير ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَتَّخِذُونَ نُنُورًا﴾ لا يتوقعون بعثاً لكفرهم، ولذلك لم يعتبروا أو لا يأملونه كما يأمله المؤمنون للثواب أو لا يخافونه .

[٤١] - ﴿وَإِذَا رَأَوْاْ أَنَّهُمْ لَا يَخَذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ محل هزق، أي: مهزأ به، يقولون: ﴿أَهْلًا﴾ استحقاراً ﴿الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ لم يقيدوه بزعمه بل اخرجوه في معرض الإقرار مع فرط انكارهم استهزاء .

(١) البشر الغير المطوية : البشر التي لم تبين بالحجارة .

(٢) فلج - بفتح اوله وثانيه - مدينة بأرض اليمامة لبني جعدة وقشير وكعب «مراسد الاطلاع» .

[٤٢] - ﴿إِنْ﴾ المخففة أي أنه ﴿كَادَ لَيُضِلَّنَا﴾ يصرفنا، واللام فارقة ﴿عَنْ إِلَهِنَا﴾ عن عبادتها ببذل جهده في دعائنا ﴿لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ ثبنا^(١) على عبادتها لصرفنا عنها ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ﴾ عياناً في الآخرة، وعيد يفيد أنه يلحقهم لا محالة وإن آخر ﴿مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ اخطأ طريقاً أهم أم أنت حيث زعموك مضلاً والمضلل ضال.

[٤٣] - ﴿أَرَأَيْتَ﴾ أخبرني ﴿مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوًى﴾ لطاعته له في دينه .
وقدّم المفعول الثاني عناية به ﴿أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ حافظاً تجبره على الإسلام والإستفهام الأول للتقرير والثاني للإنكار.

[٤٤] - ﴿أَمْ﴾ بل أ ﴿تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ﴾ سماع تفهم ﴿أَوْ يَعْقِلُونَ﴾ يتدبرون ما تأتي به من الحجج ، اضرب عن ذمهم السابق الى ما هو أشنع .
وخصّ الأكثر إذ فيه من عقل وكابر حباً للرتاسة ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ﴾ في عدم تفهم قولك وتدبر حججك ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ منها ، لأنها تعرف المحسن اليها من المسيء ، وتطلب المنافع وتجنب المضار .

وهؤلاء لا يعرفون احسان ربهم من اساءة الشيطان ، ولا يطلبون نفع الثواب ، ولا يتقون ضرر العقاب ، ولأنها لم تمكن من المعرفة وهم تمكنوا فقصروا .

[٤٥] - ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر ﴿إِلَى رَبِّكَ﴾ الى صنعه ﴿كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ بسطه من الفجر الى طلوعها ، وهو أعدل الأحوال ، إذ الظلمة تسدّ البصر والشعاع يبهره .
أو ألم تنظر الى الظل كيف مدّه ربك على القلب ،^(٢) أو ألم تعلم أي يته علمك الى ربك كيف مدّه ﴿وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلْنَاهُ سَاكِنًا﴾ لا يتقلص ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسُ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ إذ لا يعرف وجوده ولا يتفاوت إلا بطلوعها وحركاتها ، وفيه التفات الى التكلم .

(١) في وج : اثبتنا .

(٢) اي القلب في الكلام .

[٤٦] - ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا﴾ أي ازلنا الظل الممدود ﴿قَبْضًا يَسِيرًا﴾ قليلاً، قليلاً، بحسب ارتفاع الشمس لمنافع جمّة، وحرفاً ﴿ثُمَّ﴾ للتفاضل بين الامور، كأنّ اللاحق أعظم ممّا قبله.

وقيل، مدّ ظلّ السماء على الأرض حين خلقهما، ولو شاء لجعله ثابتاً على تلك الحال ثم خلق الشمس وجعلها دليلاً مسلطاً عليه يتبعها كما يتبع السائر الدليل يتفاوت بحركتها ثم قبضه تدريجاً الى غاية نقصانه، أو قبضاً سهلاً عند قيام الساعة بقبض أسبابه. ^(١)

[٤٧] - ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِيَاسَا﴾ ساتراً بظلامه كاللباس ﴿وَالنَّوْمَ سُبَاتًا﴾ راحة للأبدان بقطع الأعمال.

والسبت: القطع، أو موتاً لانه قطع الحياة ﴿وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾ منتشراً فيه للمعاش وغيره، أو بعثاً من النوم إذ هو واليقظة كالصوت والبعث.

[٤٨] - ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ﴾ ووحدها «ابن كثير» ^(٢) ﴿نُشُورًا﴾ ^(٣) منتشرة، جمع نشور كرسول وسكنه «ابن عامر» تخفيفاً وكذا «حمزة» و«الكسائي» وفتحاً نونه مصدراً و«عاصم» بالباء مخففاً جمع بشير أي مبشرات ^(٤) ﴿يُبَيِّنُ يَدَيَّ رَحْمَتِهِ﴾ قدام المطر ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ مطهراً لقوله: ﴿ليطهركم به﴾ ^(٥) وهو اسم لما يتطهر به كالوقود لما يوقد به، أو بليغاً في الطهارة، والمبالغة لانه مطهر.

[٤٩] - ﴿لِنُخَبِّرَ بِهِ بِلْدَةِ مَيْثَا﴾ بالنبات وذكر «ميثا» بتأويل البلد ﴿وَنُسْقِيَهُ﴾

(١) تفسير الكشاف ٣: ٢٨٣.

(٢) حجة القراءات: ٥١١.

(٣) في المصحف الشريف بقراءة حفص «بشراً» - كما يشير اليه المؤلف - .

(٤) حجة القراءات: ٢٨٥ مع اختلاف.

(٥) سورة الأنفال: ١١ / ٨.

بِالْقَسَمِ ﴿مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْآسِيَّ كَثِيرًا﴾ جمع إنسى أو انسان، وأصله اناسين، قلبت النون ياء، وهم: المتعيشون بالحيا^(١) كأهل البوادي، ولذا نكرهم والأنعام. وتخصيصهم لأن أهل القرى واشباههم منيخون بقرب منابع والأنهار، فهم وانعامهم^(٢) في غنى عن سقي السماء وباقي الحيوانات تبعد في طلب الماء فلا يعوزها^(٣) الشرب، ولأن الأنعام قنية^(٤) الاناسي وعامة منافعهم متعلقة بها، فسقيها إنعام عليهم، ومن ثم قدم على سقيهم كتقديم احياء الأرض عليهما لأنه سبب لحياتهما.

[٥٠]. - ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ أي المطر ﴿بَيْنَهُمْ﴾ بين الناس في البلدان والأوقات والصفات من وابل وطل^(٥). وغيرهما أو صرّفنا ما ذكر من الدلائل في القرآن وسائر الكتب ﴿لِيَتَذَكَّرُوا﴾ ليتفكروا ويعرفوا سعة القدرة وحق النعمة به ويشكروا، وخففه «حمزة» والكسائي من ذكر بمعنى تذكر^(٦) ﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ جحوداً للنعمة، فيقولون: امطرنا بنوء^(٧) كذا، ويرون استقلال الأنواء بالمطر بخلاف من يراها وسائط وامارات يجعله تعالى.

[٥١]. - ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾ نبياً يخوف أهلها، فتخفف عليك أعباء الرسالة لكن خصصناك بعموم الدعوة اجلالاً لك وتعظيماً لأجرك، فقابل ذلك بالتشدد في الدين.

(١) الحيا: المطر.

(٢) في «ج»: اغنامهم.

(٣) أي لا تحتاج أو لا يلزمها.

(٤) القنية: النعمة أو الرزق.

(٥) الوابل: المطر الشديد - والطل: المطر الخفيف.

(٦) حجة القراءات: ٥١١.

(٧) النوء: النجم، كان أهل الجاهلية يرون أنه إذا غرب نجم منها وطلع آخر فإنه يوجب نزول المطر.

[٥٢] - ﴿فَلَا تَطْعِ الْكَافِرِينَ﴾ فيما يدعونك إليه ، تهيج له صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ﴾ بالقرآن أو بترك طاعتهم الذال عليه فلا تطع .

والمراد : أنهم يجتهدون في توهين املك فاجتهد في أن تغلبهم ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾ تتحمل فيه المشاق بإقامة الحجج أو بجهاد أهل جميع القرى .

[٥٣] - ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ خلاهما متلاصقين ، ^(١) من مرج الدابة : خلاهما ﴿هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ بليغ العذوبة ﴿وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ شديد الملوحة أو مرر ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾ حاجزاً من قدرته يمنعهما التمازج ﴿وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ كلمة المتعوذ ، كأن كلا منهما يتعوذ من الآخر كـ ﴿لا يبغيان﴾ . ^(٢)

أو اريد بالبحر العذب : النهر العظيم كالنيل ، وبالبحر الملح : البحر المعروف .
والبرزخ بينهما : الحائل من الأرض ، فاختلفا مع اقتضاء الطبيعة التساوي
إنما يكون بصنع قادر مختار .

[٥٤] - ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ﴾ الذي هو العنصر أو النطفة ﴿بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ أي قسمين ذوي نسب أي ذكوراً يتسبب اليهم وذوات صهر أي انثاء يصاهر بهن ، نحو : ﴿فجعل منه الزوجين الذكر والانثى﴾ ^(٣) ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ على كل شيء اراده . ^(٤)

[٥٥] - ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ﴾ بعبادته ﴿وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾ تبركها وهو الأصنام ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ﴾ أي جنسه أو ابو جهل ﴿عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾ عويناً للشيطان باتباعه أو هيناً مهيناً من قولهم ظهرت به أي جعلته خلف ظهره .

(١) في وج : خلاهما متلاطتين ، أي متلاصقين .

(٢) سورة الرحمن : ٢٠ / ٥٥ .

(٣) سورة القيامة : ٣٩ / ٧٥ .

(٤) في شواهد التنزيل ١ / ١٤٤ أنها : أنزلت في النبي صلى الله عليه وآله وسلم و علي بن ابي طالب ، زوج فاطمة علياً وهو ابن عمه وزوج إبنته فكان نسباً وكان صهرًا .

[٥٦] - ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا﴾ لمن آمن ﴿وَنَذِيرًا﴾ لمن كفر.

[٥٧] - ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على تبليغ ما ارسلت به ﴿مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ﴾ إلا فعل من يشاء ﴿أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ﴾ الى ثوابه ﴿سَبِيلًا﴾ بالتقرب إليه بالإيمان والطاعة.

واستثنى من الأجر حسماً^(١) لشبهة الطمع واطهاراً للشفقة باعتداده ما ينفعون به انفسهم اجراً له.

وقيل : الإستثناء منقطع ، أي : ولكن من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلاً بالإنفاق في مرضاته فليفعل .

[٥٨] - ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ في دفع المضار وجلب المنافع فإنه الكافي لمن توكل عليه لا غيره ممن يموت ﴿وَسَيَبْخَعُ بِحَمْدِهِ﴾ ونزهه عما لا يليق به ، مثباً عليه بنعوت كماله ، شاكرأله على افضاله ﴿وَوَكَّفَىٰ بِهِ يَذُنُوبَ عِبَادِهِ خَيْرًا﴾ عليماً ، فيجازيهم بها .

[٥٩] - ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ في قدرها إذ لا شمس حيثذ .

والخلق التدريجي مع القدرة على الدفعي دليل الإختيار وتعليم للتثبت ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ﴾ بالنسبة الى كل شيء ، أو استقام امره أو استولى ﴿عَلَىٰ الْقُرْشِ﴾ هو الجسم المحيط بالعالم ، شبه بسرير الملك ﴿الرَّحْمَنُ﴾ خبر محذوف أو بدل من ضمير «استوى» ﴿فَسَقُلْ بِهِ خَيْرًا﴾ فاسئل عن المذكور من الخلق أو الإستواء عالماً وهو الله أو جبرائيل يخبرك به ، أو فاسئل عن الرحمان ان انكروه من يخبرك به من أهل الكتاب ليعرفوا أنه مذكور في كتبهم .

والسؤال يعدى بمن والباء لتضمّنه معنى البحث والإهتمام .

(١) الحسم : القطع .

وقيل: «الباء» صلة «خبيراً».

[٦٠] - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ؟ سَأَلُ عَنْ الْمُسَمَّى بِهِ، جَهِلُوا أَنَّهُ مِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى أَوْ عَرَفُوهُ وَجَحَدُوا ﴿أَنْتَ سَجْدٌ لِّمَا تَأْمُرُنَا﴾ أَي تَأْمُرُنَا بِالسَّجُودِ لَهُ، أَوْ لِأَمْرِكَ لَنَا وَلَمْ نَعْرِفْهُ، وَقَرَأَ «حَمْزَةً» وَ«الْكَسَانِي» «بِالْيَاءِ»^(١) كَأَنَّهُمْ قَالُوهُ بَيْنَهُمْ ﴿وَرَأَوْهُمْ﴾ أَي الْمَقُولُ وَهُوَ «اسْجُدُوا لِلرَّحْمَانِ» ﴿نُفُورًا﴾ عَنِ الْإِيمَانِ.

[٦١] - ﴿بَارِكْ﴾ تَعْظُمُ تَعَالَى ﴿الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ هِيَ الْإِثْنَى عَشَرَ، شَبَّهَتْ بِالْقُصُورِ الْعَالِيَةِ.

والبرج من التَّبَرُّجِ لظهوره ﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا﴾ هُوَ الشَّمْسُ، وَقَرَأَ «حَمْزَةً» وَ«الْكَسَانِي» «سِرْجًا»^(٢) وَهِيَ الشَّمْسُ وَكِبَارُ الْكَوَاكِبِ ﴿وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ مُضِيئًا بِالْبَلِّ.

[٦٢] - ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ يَخْلُفُ كُلُّ مَنِهَا صَاحِبَهُ بِقِيَامِهِ مَقَامَهُ فِيمَا يَحْتَاجُ أَنْ يَعْمَلَ فِيهِ، أَوْ بِتَعَاقُبِهِمَا أَوْ بِخِلَافِهِ كَيْفًا أَوْ كَمَا ﴿لَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذْكَرْ﴾ يَتَذَكَّرْ، وَخَفَّفَهُ «حَمْزَةً» مِنْ ذِكْرٍ بِمَعْنَى تَذَكَّرْ^(٣) ﴿أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ شَكَرًا لِلَّهِ، أَي: لِيَكُونَا وَقَتَيْنِ لِلْمَتَذَكِّرِينَ وَالشَّاكِرِينَ مِنْ فَائِهِ وَرَدَهُ فِي أَحَدِهِمَا فَعَلَهُ فِي الْآخَرِ.

أَوْ دَاعِيَيْنِ لِلْمَتَفَكِّرِينَ فِي صَنْعِ اللَّهِ إِلَى الْعِلْمِ بِوُجُودِهِ وَقُدْرَتِهِ وَحِكْمَتِهِ، وَلِلشَّاكِرِينَ إِلَى شُكْرِهِ عَلَى نِعَمِهِ فِيهِمَا.

[٦٣] - ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾ مُبْتَدَأُ مِضَافٍ إِلَى «الرَّحْمَانِ» لِلتَّشْرِيفِ وَخَبَرُهُ «أُولَئِكَ» يَجْزُونَ، وَمَا بَيْنَهُمَا صِفَاتٌ سِوَى مَا اعْتَرَضَ فِيهِ، أَوْ «الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا» مُصَدَّرٌ وَصَفَ بِهِ أَي هَيْنَيْنِ، أَوْ مَشِيًا هَيْئًا أَي بِسَكِينَةٍ ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ﴾ بِمَا يَكْرَهُونَهُ ﴿قَالُوا سَلَامًا﴾ تَسْلَمًا مِنْكُمْ، وَمَتَارَكَةً لَكُمْ أَوْ قَوْلًا يَسْلُمُونَ

(١) حجة القراءات: ٥١١.

(٢) حجة القراءات: ٥١٢.

(٣) حجة القراءات: ٥١٣.

فيه من الإثم والايذاء . ولا تنسخه آية السيف لعدم المنافاة .^(١)

[٦٤] - ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ في الصلاة جمع «قائم» أو مصدر

وصف به وآخر للزوى .

[٦٥] - ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾

لازماً ومنه الغريم لملازمته، وصفوا بحسن السيرة مع الخلق والاجتهاد في طاعة الحق وهم مع ذلك فَرَقُونَ^(٢) من العذاب، يسألون ربهم صرفه عنهم غير معتدين بأعمالهم .

[٦٦] - ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ بُسْتٌ، وضميره مبهم يميزه ﴿مُسْتَفَرًا وَمُقَامًا﴾ موضع

استقرار واقامة هي^(٣) والتعليلان^(٤) متداخلان أو مترادفان من قولهم أو قوله تعالى .

[٦٧] - ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ لم يجاوزوا الحد في النفقة

ولم يضيّقوا فيها، أو: لم ينفقوا في المعاصي ولم يمنعوا الحقوق، وضم «الياء»

«نافع» و«ابن عامر» من «اقتصر» وفتحها الباقون مع كسر التاء لابن كثير و«ابي عمرو»

وضمها لغيرهم^(٥) ﴿وَكَانَ﴾ انفاقهم ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ بين الإسراف والإقتار ﴿قَوَامًا﴾

وسطاً، من استقامة الطرفين كالسواء من استوائهما، خبر ثان أو حال مؤكدة .

[٦٨] - ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾

قتلها، وبه يتعلّق ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ أو به يقتلون ﴿وَلَا يَزْنُونَ﴾ نفى عنهم اصول السيئات

بعد وصفهم بأصول الحسنات ايذاناً بأنّ الجزاء الموعود مختصّ بمن جمع ذلك

(١) قال في تفسير التبيان ٧: ٥٠٥: وقال قوم: هذا منسوخ بآية القتال وليس الأمر على ذلك لأنّ

الأمر بالقتال لا ينافي حسن المجاورة في الخطاب وحسن العشرة .

(٢) يقال: فرق فرقاً: اذا جزع واشتد خوفه .

(٣) هذا الضمير مخصوص بالذم ورباط للجملة .

(٤) اي قوله: انّ عذابها وانها ساءت .

(٥) حجة القراءات: ٥١٣ .

وتعريضاً بما عليه اضدادهم ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ جزاء اثم أو اثمًا بإضمار الجزاء.

[٦٩] - ﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ بدل من «يلق» ورفع «أبو بكر» استئنافاً وكذا: ﴿وَيُخْلَدُ فِيهِ مُهَانًا﴾ كإبن عامر في «يضغف» مشدداً وشدده أيضاً «إبن كثير» جازماً وقرأ «أبو عمرو» «ويخلد» مجهولاً من اخلد و«إبن كثير» و«حفص» «فيه» بالإشباع، ^(١) ومضاعفة العذاب لضم المعاصي الى الشرك بدليل:

[٧٠] - ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ بمحوها بالتوبة واثبات حسناتهم اللاحقة مكانها أو بالتوفيق لأضداد ما اسلفوا أو بإبدال العقاب ثواباً ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ لمعاصي عباده ﴿رَجِيمًا﴾ منعماً عليهم.

[٧١] - ﴿وَمَنْ تَابَ﴾ عن ذنوبه بتركها والتدم عليها، تعميم بعد تخصيص ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ بدلها ﴿فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ يرجع إليه بذلك مرجعاً مرضياً دافعاً للعقاب، جالباً للثواب أو يتوب متاباً الى الله الذي يحب التائبين ويكرمهم أو يرجع الى ثوابه مرجعاً حسناً.

[٧٢] - ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ لا يحضرون محاضر الباطل، أو لا يقيمون شهادة الكذب ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ﴾ بأهله وهو الساقط من قول أو فعل ﴿مَرُّوا كِرَامًا﴾ معرضين عنهم، مكرمين أنفسهم عن الخوض معهم فيه.

[٧٣] - ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ بالقرآن أو الوعظ ﴿لَمْ يَخْرُوْا عَلَيْهَا سُومًا وَضُمًّا﴾ نفى للحال دون الفعل أي لم يكتبوا عليها غير متفعين بها كالصم والعميان بل اكتبوا عليها واعين لها متبصرين ما فيها.

[٧٤] - ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا ذُرِّيَّتًا﴾ ووَحدها «أبو عمرو»

«حمزة» و«الكسائي» ^(١) «قُرَّةُ أَعْيُنٍ» بأن نراهم مطيعين لك ، فإن المؤمن يسر بأهله وتقر عينه بهم إذا رآهم صلحاء معاونين له في دينه ، راجياً لقائهم في الجنة و«من» للإبتداء أو البيان كـ «لَقِيتَ مِنْكَ اسِداً» ونكرت «أعين» كتكثير «القرة» تعظيماً وقللت ^(٢) لقلة «أعين» المتقين بالنسبة الى عيون غيرهم «وَأَجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا» يقتدون بنا في الدارين بأن توقفنا للعلم والعمل .

ووحّد دلالاته على الجنس أو لإرادة كل واحد منا أو لأنّ أصله مصدر.

وقيل : جمع آم كقائم وقيام اي قاصدين لهم ، ويعضده قراءة أهل البيت عليهم السلام : «واجعل لنا من المتقين إماماً» . ^(٣)

[٧٥] - «أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرَّةَ» جنسها وهي أعلى منازل الجنة «بِمَا صَبَرُوا» بصبرهم على الطاعات وقمع الشهوات «وَيُلْقَوْنَ» وقرأ «أبو بكر» و«حمزة» و«الكسائي» «يلقون» من لقي ^(٤) «فِيهَا نَجِيَّةٌ وَسَلَامًا» دعاء بالتعمير والسلامة من الملائكة أو من بعضهم لبعض .

[٧٦] - «خَالِدِينَ فِيهَا» بلا موت ولا زوال «حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا» اعرابه كـ «ساعات مستقرًّا» ويقابله :

[٧٧] - «قُلْ مَا يَغْبَوْنَ بِكُمْ رَبِّي» ما يصنع أو ما يكثرث بكم «لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ» عبادتكم له ، أو دعاؤه إياكم الى الدين و«ما» مصدر ان جعلت استفهامية اي أي عب يعبأ بكم «فَقَدْ كَذَّبْتُمْ» بما أعلمتكم به إذ خالفتكم «فَسَوْفَ يَكُونُ» جزاء تكذيبكم أو اثره «لِرَأْمًا» لازماً لكم في الآخرة ، وقيل : هو قتل يوم بدر . ^(٥)

(١) الكشف عن وجوه القراءات ٢ : ١٤٨ - وليس فيه اسم الأشخاص .

(٢) اي أتى بجمع القلة .

(٣) تفسير مجمع البيان ٤ : ١٨٠ .

(٤) حجة القراءات : ٥١٥ .

(٥) نقله البيضاوي في تفسيره ٣ : ٢٥٣ .

سورة الشعراء

[٣٦]

مائتان وسبع وعشرون آية مكية إلّا: ﴿والشعراء...﴾ إلى آخرها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] - ﴿طَسَمَ﴾ أمالها «أبو بكر» و«حمزة» و«الكسائي» وأظهر «حمزة» النون. ^(١)

[٢] - ﴿تِلْكَ﴾ آيات الكتاب ﴿آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ السورة أو القرآن اليبين

اعجازه أو المبين له.

[٣] - ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ﴾ قاتلها ﴿أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ من أجل أن لا يؤمنوا،

و«لعل» للإشفاق أي اشفق عليها أن تقتلها غمًا لذلك.

[٤] - ﴿إِنْ تَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ﴾ علامة ملجئة إلى الإيمان ﴿فَظَلَّتْ

أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ منقادين.

اجريت الأعناق مجرى العقلاء حين وصفت بوصفهم، أو اصله فظلوا لها

خاضعين، فاقحمت، أو اريد بها رؤساؤهم أو جماعاتهم «فظلّت» عطف على

«نزل» لصحّة نزّلنا بدله.

[٥] - ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ زَانِدٍ أَوْ تَبِيعِيَّةٍ﴾ «ذَكَرَ» قُرْآنَ ﴿مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ صفته أو صلة «بِأَتِيهِمْ» «مُخَذَّبٌ» مجدّد تنزيله «إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ» إِلَّا جَدَّدُوا اعراضاً عنه وكفراً به .

[٦] - ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا﴾ أي : به ، حين أعرضوا عنه وجزّهم التكذيب الى الإستهزاء «نَسِيَاتِهِمْ أَنْبَاءُ» اخبار الشيء الذي «مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ» أي سيعلمون بأي شيء استهزؤا ، إذا مسهم العذاب يوم بدر أو يوم القيامة .

[٧] - ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ ينظروا «إِلَى الْأَرْضِ» وعجائبها «كَمْ أَنْبَأْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ» صنف «كَرِيمٍ» محمود ، ذي فوائد وكلّ لإحاطة الأزواج و«كَمْ» لكثرتها .

[٨] - ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ﴾ الإنبات أو كلّ واحد من الأزواج «لَايَةٌ» على قدرة منبتها على احياء الموتى «وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ» لأنهم مطبوع على قلوبهم .

[٩] - ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ القادر على عقوبتهم «الرَّحِيمُ» بامهالهم .

[١٠] - ﴿وَإِذْ﴾ واذكر إذ «نَادَى رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ» بأن أو أي «أَنْتَ الْقَوْمُ الظَّالِمِينَ» بالكفر وتعذيب بني اسرائيل .

[١١] - ﴿قَوْمٌ فَرَّغُونَ﴾ عطف بيان أو بدل من السابق «أَلَا يَتَّقُونَ» استئناف بإنكار عليهم ، وتعجيب له من فرط ظلمهم وقلة خوفهم ، وفيه حتّ على التقوى لمن عقل .

[١٢] - ﴿قَالَ﴾ موسى : «رَبِّ إِنِّي» وفتح «الْحَرَمِيَّانِ» و«أَبُو عمرو» الياء^(١) «أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ» .

[١٣] - ﴿وَيُضِيقُ صَدْرِي﴾ بتكذيبهم لي «وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي» للعقدة ، إن كان هذا قبل دعوته أو لبقيتها إن كان بعدها ، أو لقصور فصاحته وإن انحلت ، ونصب «يعقوب» الفعلين^(٢) «عطفاً على «يكذبون» فهما^(٣) من المخوف لإستلزام التكذيب

(١) الكشف عن وجوه القراءات ٢ : ١٥٣ .

(٢) النشر في القراءات العشر : ٣٣٥ .

(٣) ما بين القوسين ليس موجوداً في «ج» .

لضيق الصدر المستلزم لاحتباس اللسان ﴿فَأَرْسِلْ إِلَى هَرُونَ﴾ أخيه أي اجعله نبياً يعضدني في أمري، طلب المعاونة حرصاً على الإمثال لا تعللاً.

[١٤] - ﴿وَلَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ﴾ هو قتل القبطي، أي: تبعة ذنب وهي القود ﴿فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ به قبل التبليغ، استدفاع للبلاء المتوقع، لا تعلل.

[١٥] - ﴿قَالَ كَلَّا﴾ ردع له عن الخوف وعدة بالدفع ﴿فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا﴾ اجابة لسؤاله، ضم أخيه إليه وهو عطف على فعل دل عليه «كلاً» أي ارتدع عما تظن فاذهب أنت ومن طلبته، وخوطبا تغليبا للحاضر ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ اريد به «موسى» وإخوه و«فرعون» ﴿مُشْتَمِعُونَ﴾ لما يجري بينكما وبينه، فتنصركما عليه.

والإستماع بمعنى الإصغاء بالحاسة، وصف به تعالى مجازاً مبالغة في وعدهما بالإمداد، وهو خبر ثان أو هو الخبر «معكم» متعلق به.

[١٦] - ﴿فَاتَيْنَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أفرد الرسول لأنه هنا مصدر، وصف به كالرسالة أو لاتحادهما لوحدة مطلبهما وللإخوة، أو اريد كل واحد منا.

[١٧] - ﴿أَنْ﴾ بأن أو اي، لتضمن الرسول الإرسال وهو بمعنى القول ﴿أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ خلهم يذهبوا معنا الى الشام، فاتياه فقالا له ذلك.

[١٨] - ﴿قَالَ﴾ - «فرعون» لموسى -: ﴿أَلَمْ تَرَ يَكُ فِينَا وَلِيدًا﴾ طفلاً قريباً من الولادة ﴿وَلَيْسَتْ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ انتى عشرة أو اكثر وكان يدعى ولده.

[١٩] - ﴿وَوَعَلْتُ فَعَلْتُكَ الْوَيْسَ﴾ هي قتل خبازه القبطي، ويخه به بعد تذكيره نعمته ﴿وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ بنعمتي، حال أو ابتداء، حكم عليه بأنه ممن كفروا بنعمته أو إلهيته.

[٢٠] - ﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا﴾ أي حينئذ ﴿وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ الجاهلين أي الفاعلين فعل ذري الجهل، أو الذاهلين عن مآل الأمر.

أو المخطئين أي لم اتعمد قتله، أو الناسين.

[٢١] - ﴿فَفَرَزْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا﴾ علماً
 ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ رد لما وصفه به من الكفر، ثم قصد الى رد
 امتناعه بالتربية بقوله :

[٢٢] - ﴿وَتِلْكَ﴾ التربية ﴿نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ اتخذتهم
 عبيداً، تذبج أبنائهم أي ما امتنتت به في الحقيقة، هو تعبدك إياهم فإنه سبب
 حصولي عندك وتربيتك، فهو نعمة لا نعمة .

وقد يضمر همزة انكار اي «أَو تِلْكَ»، ومحل «ان عَبَّدْتُ» رفع بأنه خبر محذوف
 أو بدل «نعمه» أو نصب بنزع اللام أي إنما صارت نعمة لأن «عَبَّدْتُ» ولو لا لكفاني
 أهلي ولم يلقوني في اليم .

وقيل : «تلك» اشارة الى خصلة شنعاء مبهمه، وبيانها «ان عَبَّدْتُ» والمعنى
 تعبيدكهم «نعمه» «تمنُّها علي» ووحد الضمير في «تمنُّها» وجمع فيما قبله لأن المنة
 منه والخوف والفرار من ملأته معه .

[٢٣] - ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ﴾ - تعتأ حين بلغه الرسالة - : ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ الذي
 ادّعت أنك رسوله، أي أي شيء هو؟ نفتيش عن حقيقته، ولما امتنع تعريفه إلا
 باللوازم عرّفه بأظهر خواصه

[٢٤] - ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي خالق جميع ذلك ﴿إِنْ
 كُنتُمْ مُوقِنِينَ﴾ بشيء قط، فهذا أولى ما توقنون به لظهور آثار الحدوث في هذه
 الأشياء، فلها محدث واجب قديم هو رب العالمين .

[٢٥] - ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ﴾ - من أشراف قومه تعجيباً لهم - : ﴿أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾
 جوابه لسؤالي عن حقيقته بذكر صفاته أو بنسبة الربوبية الى غيري .

[٢٦] - ﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ انتقال الى ما هو اظهر للنّظر وأقرب
 إليه، ولا يشك في احتياجه الى صانع يصرفه من حال الى حال .

[٢٧] - ﴿قَالَ﴾ - غِيظًا وَتَهْكَمًا - : ﴿إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾^(١) يجب بما لا يطابق السؤال .

[٢٨] - ﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ الذي يجري التيارات من مشارقها الى مغاربها على نظام مستقيم ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ علمتم ذلك ، لطفهم أولاً ثم لما خاشنوه خاشنهم .

ولما بهت فرعون عدل عن جداله الى تهديده :

[٢٩] - ﴿قَالَ لَئِنْ اتَّخَذْتُ إِلَهًا غَيْرِيَ لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُورِينَ﴾ معن عرف حالهم في سجوني ، كان يلقي الشخص في هوة^(٢) عميقة فرداً حتى يموت فهو أبلغ من لأسجنتك .

[٣٠] - ﴿قَالَ أَوْلَى﴾ واو الحال وَلَيْتَ الهمزة ، أي انفعّل ، ولو ﴿جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ﴾ صدق دعواى وهو المعجزة؟

[٣١] - ﴿قَالَ قَاتِلْ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في دعواك .

[٣٢] - ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ بين الثعبانية .

[٣٣] - ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ﴾ قيل : لما بهرته الآية الاولى قال فهل غيرها؟ فأخرج يده .

قال : فما فيها؟ فأدخلها في ابطه فنزعها^(٣) ﴿فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ﴾ ذات شعاع كالشمس ﴿لِلنَّازِطِينَ﴾ خلاف لونها من الأدمة .

[٣٤] - ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوَلَةٌ﴾ ظرف وقع حالا ﴿إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ حاذق

في السحر .

[٣٥] - ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسَخَرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ دهش مما رأى

(١) في «الف» و«ب» : لم .

(٢) الهوة : الحفرة «مصباح اللغة» .

(٣) تفسير البياضوي ٣ : ٢٥٦ .

حتى انحطَّ من^(١) دعوى الربوبية الى مؤامرة قومه واطهاره لهم ما احس به من غلبة «موسى» على ارضهم .

[٣٦] - ﴿قَالُوا أَزُجْحُ وَأَخَاهُ﴾ اخر أمرهما ، وسبق ما فيه من القراءات في الأعراف^(٢) ﴿وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ خَاشِعِينَ﴾ جامعين .

[٣٧] - ﴿يَأْتُونَكَ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ﴾ حاذق يفوق «موسى» بالسحر .

[٣٨] - ﴿فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ لوقت موقت من يوم معين وهو وقت الضحى من يوم الزينة .

[٣٩] - ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ﴾ حث لهم على الاجتماع أي بادروا إليه .

[٤٠] - ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعَ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ﴾ غرضهم من الترجي على تقدير غلبتهم أن يستمروا على دينهم فلا يتبعوا «موسى» فكثروا عنه باتباع السحرة .

[٤١] - ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّا لَنَأَجُزُ إِنْ كُنَّا نَعْمُ الْغَالِبِينَ﴾ .

[٤٢] - ﴿قَالَ نَعَمْ﴾ وكسر عينه «الكسائي»^(٣) أنعم لهم بالأجر وزيادة ، هي : ﴿وَأِنْكُمْ إِذَا لِمَنِ الْمُقَرَّرِينَ﴾ عندي .

[٤٣] - ﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى﴾ بعد ما قالوا له ﴿إِنَّمَا أَن تَلْقَىٰ وَآمَنَ أَن نَكُون نَحْنُ الْمَلْقِينَ﴾^(٤) :- ﴿أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾ أمر اذن^(٥) بتقديم إلقائهم توسلاً الى ظهور الحق على الباطل لا أمر بالسحر .

[٤٤] - ﴿فَأَلْقُوا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾ جزوا بأن

(١) في «ج» عن .

(٢) سورة الاعراف: ١١١/٧ .

(٣) النشر في القراءات العشر: ٢٦٩ .

(٤) سورة الاعراف: ١١٥/٧ .

(٥) في «الف» : امر اذا .

الغلبة لهم، واقسموا عليها بعزته ثقة بأنفسهم إذا بذلوا جهدهم في السحر.

[٤٥] - ﴿فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ﴾^(١) تلتقف اي تتبلع، وخفّفه

«حفص»^(٢) ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾ يغلبونه بتمويههم فيخيلون ان حبالهم وعصيتهم حيات تسعى.

[٤٦] - ﴿فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾ ألقاهم ما بهرهم من الحق حتى لم يتمالكوا

أنفسهم، أو الله بالهامهم ذلك.

[٤٧] - ﴿قَالُوا ءَمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ولئلا يتوهم ارادة فرعون به ابدلوا منه :

[٤٨] - ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾.

[٤٩] - ﴿قَالَ﴾ «فرعون»: ﴿ءَأْتَمُّ لَهٗ﴾^(٣) للموسى، وحقق الهمزتين «حمزة»

و«الكسائي» و«أبو بكر» وقرأ «حفص» أمتم^(٤) خبراً ﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ﴾ أنا ﴿لَكُمْ﴾

في ذلك ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ﴾ رئيسكم ﴿الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ وتواطتم على ما فعلتم ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ وبإل امركم، وعيد بيانه: ﴿لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ﴾ من كل شق طرفاً ﴿وَلَأَصْلَبَنَكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ليعتبر بكم.

[٥٠] - ﴿قَالُوا لَا صَبِيرَ﴾ لا ضرر علينا في ذلك ﴿إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ الى

ثوابه، راجعون بعد الموت بأي وجه وقع، أو مصيرنا ومصيرك إليه فيحكم بيننا وبينك، تعليل لنفي الضير وكذا:

[٥١] - ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ﴾ لأن ﴿كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

في زماننا أو من رعية «فرعون».

(١) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «تلتف»، - كما سيشير اليه المؤلف -.

(٢) حجة القراءات: ٥١٧.

(٣) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «أتمم»، - كما سيشير اليه المؤلف -.

(٤) حجة القراءات: ٤٥٨.

[٥٢]- ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى﴾ بعد سنين أقامها بينهم يدعوهم بالآيات الى الحق فلم يجيبوه ﴿أَنْ﴾ بأن أو أي ﴿أَسْرَ يَعْبَادِي﴾ بالقطع والوصل أي سر بهم ليلاً، وفتح «نافع» الياء^(١) ﴿إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ﴾ يتبعكم «فرعون» وجنوده، تعليل لـ «أسر» أي بنيت امركم على أن تتقدموا ويتبعوكم حتى يلجوا ورائكم البحر فأنجاكم وأغرقهم.

[٥٣]- ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ﴾ حين أخبر بسراهم ﴿فِي الْمَدَائِنِ﴾ قيل: كان له ألف مدينة سوى القرى ﴿حَاشِرِينَ﴾ للجنود، فجمعوا فقال لهم:

[٥٤]- ﴿إِنْ هَؤُلَاءِ لَسِرْدَمَةٌ﴾ طائفة قليلة ﴿قَلِيلُونَ﴾ جمع قليل، أي هم أسباط كل سبط منهم قليل، استقلهم وكانوا ستمئة وسبعين ألفاً بالنسبة الى جيشه، إذ كان^(٢) ألف الف ملك مع كل ملك ألف.

[٥٥]- ﴿وَأَنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ﴾ فاعلون ما يغيظنا.

[٥٦]- ﴿وَلِإِنَّا لَجَمِيعٌ حَذِرُونَ﴾^(٣) من عادتنا الحذر والتيقظ، وقرا «الكوفيتون» و«ابن ذكوان» حاذرون^(٤) أي آخذون حذرنا، وهذه معاذير لثلاث يظنوا به عجزاً.

[٥٧]- ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿وَعُيُونٍ﴾ جارية فيها.

[٥٨]- ﴿وَكُنُوزٍ﴾ أموال من ذهب وفضة ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ منازل حسنة ومجالس بهية^(٥).

[٥٩]- ﴿كَذَلِكَ﴾ مصدر، أي اخرجناهم مثل ذلك الإخراج، أو صفة «مقام» أي مثل ذلك المقام الذي كان لهم، أو خبر محذوف أي الأمر كذلك ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ بعد اغراق «فرعون» وقومه.

(١) حجة القراءات: ٣٤٧ و ٥١٧.

(٢) في «ج»: اذ كانوا.

(٣) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «حاذرون».

(٤) النشر في القراءات العشر: ٣٣٥.

(٥) أي حسنة الواسعة.

[٦٠] - ﴿فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ﴾ داخلين في وقت شروق الشمس .

[٦١] - ﴿فَلَمَّا تَرَاءَا الْجَمْعَانِ﴾ حصل كل منهما بمراى لآخر ﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ لملحقون .

[٦٢] - ﴿قَالَ كَلَّا﴾ لن يدركونا ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي﴾ بنصره وحفظه ، وفتح «حفص» ياء «معى» ^(١) ﴿سَيَهْدِينِ﴾ سبيل النجاة كما وعدني .

[٦٣] - ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ﴾ بأن أو أي ﴿اضْرِبْ يَمْعَاكَ الْبَحْرُ﴾ القلزم ، ^(٢) أو اساف ، ^(٣) فضربه ﴿فَانْفَلَقَ﴾ انشق فرقاً بينها اثني عشر مسلكاً ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ كالجبل الشامخ الراسي ، فسلك كل سبط مسلكاً .

[٦٤] - ﴿وَأَزَلُّنَا تَمَّ﴾ وقربنا هناك ﴿الْآخِرِينَ﴾ «فرعون» وقومه ، حتى سلخوا مسلكهم .

[٦٥] - ﴿وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ﴾ بامساك البحر أن ينطبق حتى عبروا .

[٦٦] - ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ﴾ بإطباقه عليهم .

[٦٧] - ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المقصوص ﴿لَايَةً﴾ عجيبة لمن تدبر ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ بعد الإنجاء ، فسألوا تمثال بقرة يعبدونه وعبدوا العجل وطلبوا رؤية الله .

[٦٨] - ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ المتقم من أعدائه ﴿الرَّحِيمُ﴾ بأوليائه .

[٦٩] - ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ على قومك ﴿نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾ خبره .

[٧٠] - ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ﴾ اي عمه أزر ﴿وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ﴾ سألهم للإلزام .

[٧١] - ﴿قَالُوا تَعْبُدُ أَصْنَامًا﴾ بسطوا جوابه بزيادة «تعبد» وعطف ﴿فَنَظَّلْ لَهَا عَاكِفِينَ﴾ عليه ، ابتهاجاً به أي فتدوم عابدين لها .

(١) الكشف عن وجوه القراءات ٢ : ١٥٣ .

(٢) كذا كان يسمى ، ويعرف اليوم بالبحر الأحمر .

(٣) إساف : اسم اليم الذي غرق فيه فرعون وجنوده لسان العرب .

[٧٢] - ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُم﴾ يسمعون دعائكم^(١) حذف لقريظة: ﴿إِذْ تَدْعُونَ﴾

وهو حكاية حال ماضية ليستحضرها لأن «إذ» للمضي.

[٧٣] - ﴿أَوْ يَنْفَعُونَكُم﴾ إذ عبدتموهم ﴿أَوْ يَضُرُّوْنَ﴾ إن لم تعبدوهم.

[٧٤] - ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ اضربوا عن جواب سؤاله

وتمسكوا بالتقليد.

[٧٥ - ٧٦] - ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ﴾ فَإِنْ

الباطل لا ينقلب حقاً بتقدمه.

[٧٧] - ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي﴾ أي اعداء لكم لتضركم بعبادتهم أو لطاعتكم

الشيطان بها، وهو أعدى عدو لكم، فصور الأمر في نفسه تعريضاً لهم ليكون أبلغ

في التصح واقرّب الى القبول بإرائتهم^(٢) أنه نصح نفسه بذلك، وفتح «نافع» و«أبو

عمرو» الياء^(٣) ﴿إِلَّا﴾ لَكِنْ ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فإنه وليي، أو استثناء متصل على تعميم

المعبودين وإن في آباؤهم من عبد الله.

[٧٨] - ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ لمصالح الذارين تدريجاً مستمراً الى أن

ينعمني في جنته.

[٧٩] - ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾ لا غيره إذ خلق الغذاء وما يتوقف عليه

للإغذاء به.

[٨٠ - ٨١] - ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ لم يقل أمرضني لحدوث المرض غالباً

ياسراف الإنسان في مطعمه ومشربه وغيرهما، وبتنافر طبائع الأخلاط ما

لم يحفظها الله على نسبة مخصوصة بقدرته لتحصل الصحة، ولأنه في مقام تعديد

(١) في «ج»: لدعائكم.

(٢) في «ج»: بإرائتهم.

(٣) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ١٥٣.

النعم ونسب الإمامة إليه في: ﴿وَالَّذِي يُبَيِّنُ﴾ لَأَنَّ الموت لا يحس به، فلا ضرر إلا في مقدماته وهي المرض ولأنه وصلة الى الحياة الباقية ﴿ثُمَّ يُخَبِّرُ﴾ في الآخرة. [٨٢] - ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ قاله تواضعاً لله وهضماً لنفسه إذا لا خطيئة له.

[٨٣] - ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا﴾ علماً الى علم، أو حكماً بالحق بين الناس ﴿وَالْحَقِّينِ بِالصَّالِحِينَ﴾ وفقني لعمل انتظم به في جملتهم، أو اجمع بيني وبينهم في الجنة.

[٨٤] - ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ ذكراً جميلاً في الذين يأتون بعدي الى يوم الدين، وقد أجابته، فكُلِّ أمة تشي عليه، أو ولدأ صادقاً داعياً الى اصل ديني وهو «محمد» صلى الله عليه وآله وسلم.

[٨٥] - ﴿وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ ممن يعطاها، وسبق معنى الورثة. ^(١) [٨٦] - ﴿وَاعْفُزْ لَأَيِّ﴾ بأن تؤفقه للإيمان، وفتح «نافع» و«أبو عمرو» الياء ^(٢) ﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾ هذا قبل أن يتبين له أنه لن يؤمن.

[٨٧] - ﴿وَلَا تُخْزِنِي﴾ نهني ﴿يَوْمَ يُنْعَثُونَ﴾ أي العباد وهو من نحو: «يغفر لي خطيئتي». ^(٣)

[٨٨-٨٩] - ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ من الشرك وحب الدنيا، متصل ^(٤) أي إلا مال من هذا نعته حيث انفقه في البرّ وبنيه حيث ارشدهم الى الخير أو لا ينفعان احداً إلا من سلم قلبه

(١) سورة مريم: ١٩/٦٣ وسورة المؤمنون: ٢٣/١١.

(٢) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ١٥٣.

(٣) هذه السورة / ٨٢.

(٤) أي الإستثناء.

من فتنه المال والبنين .

أو منقطع أي لكن نعت من هذا نعته ينفعه .

[٩٠] - ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ﴾ قَرِبتَ ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ ليروها فيزدادوا فرحاً .

[٩١] - ﴿وَبُرِزَتِ الْجَحِيمُ﴾ كُشفت ﴿لِلْفَاقِينَ﴾ ليروها فيزدادوا غمّاً .

[٩٢-٩٣] - ﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴿مِنَ الْأَصْنَامِ﴾ هَلْ

يَنْصُرُونَكُمْ ﴿بَدَعَ الْعَذَابَ عَنْكُمْ﴾ كما زعمتم شفاعتهم ﴿أَوْ يَنْصُرُونَ﴾ بدفعه عن أنفسهم ، إذ هم وآلهتهم وقود النار ، ويحققه :

[٩٤] - ﴿فَكُذِّبُوا﴾ أَلْقُوا ﴿فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾ الآلهة وعبدتها بعضهم على بعض .

[٩٥] - ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ﴾ شياطينه أو اتباعه من الثقلين ﴿أَجْمَعُونَ﴾ .

[٩٦] - ﴿قَالُوا﴾ - أي العبداء ﴿وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾ مع الأصنام :-

[٩٧] - ﴿تَاللَّهِ إِنَّا﴾ المخففة ﴿كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ اللام فارقة .

[٩٨] - ﴿إِذْ نَسَوْنَكُمْ بَرِّ الْعَالَمِينَ﴾ في العبادة .

[٩٩] - ﴿وَمَا أَسْلَمْنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾ رؤسائنا أو أولونا الذين اقتدينا بهم .

[١٠٠] - ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾ كما للمؤمنين من النبيين وغيرهم .

[١٠١] - ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ يهتمه أمرنا إذ لا تصادق ثم إلا للمتقين .

عنه صلى الله عليه وآله وسلم : «أَنَّ الرَّجُلَ فِي الْجَنَّةِ يَقُولُ : مَا فَعَلَ صَدِيقِي وَصَدِيقُهُ

فِي الْجَحِيمِ ؟» .

فيقول الله تعالى : اخرجوا له صديقه الى الجنة ، فيقول من بقي في النار : «فما لنا

من شافعين . . . الآيات» .^(١)

وعن الصادق عليه السلام : «والله لنشفعن لشيعتنا» - ثلاث مرّات - حتّى يقول الناس

«فما لنا... الى حميم»^(١) وجمع الشافع ووجد الصديق لكثرة الشفعاء عادة وقلة الصديق.

[١٠٢] - ﴿فَلَوْ أَن لَّنَا كَرَّةٌ﴾ رجعة الى الدنيا، و«لو» في معنى التمني أو شرط، حذف جوابه ﴿فَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ جواب التمني أو عطف على «كرة» إذ معناه أن نكرر.

[١٠٣] - ﴿إِن فِي ذَلِكَ﴾ المقصود ﴿لَايَةً﴾ دلالة لمن اعتبر ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ﴾ أكثر قوم إبراهيم ﴿مُؤْمِنِينَ﴾ به.

[١٠٤] - ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ القادر على النعمة ﴿الرَّحِيمُ﴾ بتأخيرها للحكمة.

[١٠٥] - ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ بتكذيبه، لاشتراكهم في الدعاء الى التوحيد و«قوم» مؤنث معنى.

[١٠٦] - ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ﴾ نسباً ﴿نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ الله في الإشراك به.

[١٠٧] - ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ فيكم.

[١٠٨] - ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ فيما أمركم به من توحيده وطاعته.

[١٠٩] - ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على الدعاء والنصح ﴿مِنْ﴾ زائدة ﴿أَجْرٍ إِنْ

أَجْرِي^(٢) إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وفتح «نافع» و«ابن عامر»^(٣) و«حفص» ياء «أجرى» في الخمسة.^(٤)

(١) في تفسير مجمع البيان ١٩٥:٤ - حتى يقول الناس فمالنا من شافعين ولاصديق حميم اي قوله فنكون من المؤمنين - وفي رواية حتى يقول عدونا.

(٢) في المصحف «أجرى».

(٣) في «ج» و«ابوعمر».

(٤) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ١٥٣.

[١١٠] - ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ كَرَّرَ تَأْكِيداً.

[١١١] - ﴿قَالُوا أَنْتُمْ لَكُمْ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ الَّذِينَ لَا مَالَ لَهُمْ وَلَا عِزَّ - عَنْ غَيْرِ بَصِيرَةٍ -، جَعَلُوا اتِّبَاعَ هَؤُلَاءِ مَانِعاً مِنْ إِيْمَانِهِمْ وَمَوْجِباً لَتَكْذِيبِهِ لَجَهْلِهِمْ وَقَصْرِ هِمَمِهِمْ^(١) عَلَى حِطَامِ الدُّنْيَا.

[١١٢] - ﴿قَالَ وَمَا عَلِمِي﴾ وَأَيُّ عِلْمٍ لِي ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أَعَنْ بَصِيرَةً أَمْ لَا، وَمَا عَلَيَّ إِلَّا عَتَابُ الظَّوَاهِرِ.

[١١٣] - ﴿إِنْ﴾ مَا ﴿حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي﴾ الْعَالَمُ بِبِوَاطِنِهِمْ لَا عَلَيَّ ﴿لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ ذَلِكَ لَعَلِمْتُمُوهُ.

[١١٤] - ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ تَطْيِيباً لِنَفْسِكُمْ طَمَعاً فِي إِيْمَانِكُمْ.

[١١٥] - ﴿إِنْ﴾ مَا ﴿أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ لِلْإِنذَارِ بِالْحُجَّةِ الْوَاضِحَةِ.

[١١٦] - ﴿قَالُوا لَنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ﴾ عَمَّا تَقُولُ ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ بِالْحِجَارَةِ أَوْ بِالشَّيْءِ.

[١١٧] - ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ﴾ أَرَادَ أَنَّهُ يَدْعُو عَلَيْهِمْ لَتَكْذِيبِهِمُ الْحَقَّ لَا لِإِيْدَانِهِمْ لَهُ.

[١١٨] - ﴿فَاَفْتَحْ﴾ فَاحْكَمْ ﴿بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتَحَا﴾ حَكماً ﴿وَتَجَنَّبْنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ مِمَّا يَحِلُّ بِهِمْ، وَفَتَحَ «وَرَشَ» وَحَفَصَ «يَاءُ مَعِيَ»^(٢).

[١١٩] - ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ﴾ الْمَمْلُوءِ.

[١٢٠] - ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ﴾ بَعْدَ انجائِهِمْ ﴿الْبَاقِينَ﴾ مِنْ قَوْمِهِ.

[١٢١] - ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ﴾ بَاهِرَةٌ ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

[١٢٢] - ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

(١) فِي «الْف» : قَصَرَهُمْ.

(٢) الْكُشْفُ عَنْ وَجْهِ الْقِرَاءَاتِ ٢ : ١٥٣.

[١٢٣] - ﴿كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ﴾ انت لمعنى القبيلة .

[١٢٤] - ﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ .

[١٢٥-١٢٦] - ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا .

[١٢٧] - ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ دل تصدير

الفصل بذلك على أن الغرض من البعثة الدّعاء الى توحيد الله تعالى وطاعته .

والأنبياء متفقون فيه وان اختلفوا في بعض شرائعهم ولم يطلبوا به

طمعاً^(١) دينياً .

[١٢٨] - ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ﴾ مكان مرتفع ﴿ءَايَةً﴾ علماً للمارة ﴿تَعْبَثُونَ﴾ بينائها

إذ كانوا في اسفارهم يهتدون بالنجوم فيستغنون عنها ، أو يجتمعون اليها للعبث بمن

يمر بهم أو بروج الحمام .

[١٢٩] - ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ﴾ مأخذ للماء أو حصوناً وقصوراً مشيدة ﴿لَعَلَّكُمْ﴾

كأنكم ﴿تُخْلِدُونَ﴾ أو ترجون الخلود فتحكمونها .

[١٣٠] - ﴿وَإِذَا بَطِشْتُمْ﴾ بسوط أو سيف ﴿بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ مستعلين بالضرب

أو القتل بلا رافة ولا تثبت .

[١٣١] - ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في ذلك ﴿وَأَطِيعُوا﴾ فيما امركم به .

[١٣٢] - ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ من ضروب النعم .

[١٣٣] - ﴿أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَيِّنَ﴾ .

[١٣٤-١٣٥] - ﴿وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ أجمل النعم أولاً ثم فصل بعضها مما

يعلمونه مبالغة في تنبيههم عليها وحثهم على التقوى ، ثم انذرهم فقال : ﴿إِنِّي أَخَافُ

عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ في الدنيا والآخرة ، ان عصيتموني ، وفتح «الحرميان»

(١) في «ب» : مطعماً - وفي «ج» : مطعماً .

و«أبو عمرو» «الياء»^(١).

[١٣٦] - «قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ» أصلاً فلا نفلع عما نحن فيه، لم يقابلوا «أوعظت» بـ «أم لم تعظ» عدولاً الى الأبلغ.

[١٣٧] - «إِنْ» ما «هَذَا» الَّذِي جِئْنَا بِهِ «إِلَّا خَلَقَ الْأَوَّلِينَ» اختلافتهم وكذبهم أو ما خلقنا إلا خلقهم، نحى ونموت مثلهم ولا بعث، وضَمَّ «نافع» و«ابن عامر» و«عاصم» و«حمزة» أَوْلَى «خلق»^(٢) أي وما هذا الَّذِي جِئْتُ بِهِ إِلَّا عادة الأولين كانوا يفترون مثله، أو ما الَّذِي نحن عليه من الحياة والموت إِلَّا عادة قديمة في الناس.

[١٣٨] - «وَمَا نَحْنُ بِمُعَلِّمِينَ» كما تزعم.

[١٣٩] - «فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ» بالزَّيْح بتكذيبهم «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ».

[١٤٠ - ١٤١] - «وَإِنْ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ».

[١٤٢] - «إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ».

[١٤٣ - ١٤٤] - «إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا».

[١٤٥] - «وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ».

[١٤٦ - ١٤٧] - «أَتَتَّبِعُونَ» انكار «فِي مَا هَهُنَا» من النعم «ءَامِنِينَ» الزَّوَالِ ثُمَّ

يَبِّينُ مَا هِيَ بِنَا بَقَوْلِهِ: «فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ».

[١٤٨] - «وَوَزُوْعٍ وَتَخْلٍ طَلْعَهَا هَضِيمٌ» لطيف ضامر^(٣) للطف طلع اناث

(١) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ١٥٣.

(٢) أي الحرفين الأولين من كلمة «خلق» - وفي تفسير البضاوي ٣: ٢٦١ - وقرأ نافع وابن عامر وحمزة «خلق الأولين» بضميتين.

(٣) في تفسير مجمع البيان ٤: ١٩٩. والهضم هو الظاهر بدخول بعضه في بعض عن الضحاك.

النَّخْل، أَوْ: لَتَيْنِ نَضِيجٍ وَهُوَ الرَّتْبُ، وَأَفْرَدَ النَّخْلَ بِالذَّكَرِ لِفَضْلِهَا.

[١٤٩] - ﴿وَتَنْجِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرَهِينَ﴾ ^(١) حَازِقِينَ بَنَحْتَهَا أَوْ بَطْرِينَ، وَقَرَأَ

«الكوفيون» و«ابن عامر»: «فَارهِينَ». ^(٢)

[١٥٠] - ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾.

[١٥١] - ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُشْرِكِينَ﴾ لَا تُطِيعُوهُمْ ^(٣) فَنسب للأمر مجازاً.

[١٥٢] - ﴿الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ أي فسادهم خالص

عن الصَّلاح.

[١٥٣] - ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ الَّذِينَ سَحَرُوا كَثِيرًا حَتَّى لَمْ يَعْقِلُوا.

[١٥٤] - ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بَآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ فِي دَعَوَاكَ.

[١٥٥] - ﴿قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ﴾ أَي بَعْدَ مَا خَلَقَهَا اللَّهُ لَهُ مِنَ الصَّخْرَةِ كَمَا اقْتَرَحُوهَا ﴿لَهَا

شِرْبٌ﴾ نَصِيبٌ مِنَ الْمَاءِ ﴿وَلَكُمْ شِرْبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ﴾ فَلَا تَجَاوِزُوهُ إِلَى شَرْبِهَا.

[١٥٦] - ﴿وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ﴾ كَعَمَرٍ وَأَذَى ﴿فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ عَظَمَهُ

مِبَالِغَةً فِي عَظَمِ عَذَابِهِ.

[١٥٧] - ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ اسْتَدَ فَعَلَ الْبَعْضَ إِلَى الْكُلِّ لِرِضَاهُمْ بِهِ ﴿فَأَصْبَحُوا

نَادِمِينَ﴾ عَلَى عَقْرِهَا حِينَ عَايَنُوا الْعَذَابَ.

[١٥٨] - ﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾ الْمَوْعُود ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ

مُؤْمِنِينَ﴾.

[١٥٩] - ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

[١٦٠] - ﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ لُوطَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

(١) فِي الْمَصْحَفِ الشَّرِيفِ بَقْرَاءَةُ حَفْصٍ: «فَارهِينَ» - كَمَا سَيُشِيرُ إِلَيْهِ الْمُؤَلِّفُ -.

(٢) الْكَشْفُ عَنْ وَجْهِ الْقِرَاءَاتِ ٢: ١٥١.

(٣) فِي «ج» لَا تُطِيعُونَهُمْ.

[١٦١] - ﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ .

[١٦٢] - ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ .

[١٦٣] - ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ .

[١٦٤] - ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ .

[١٦٥] - ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ من الناس مع كثرة الأنثى فيهم .

أو: من بين ما ينكح من الحيوان اختصصتم بذلك ؟ .

[١٦٦] - ﴿وَيَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ﴾ بيان لـ «ما» ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ

عَادُونَ﴾ متعدون حدّ الحلال الى الحرام .

[١٦٧] - ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ﴾ عن نهينا وتقييح أمرنا ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ

الْمُخْرَجِينَ﴾ من بلدنا كأنهم كانوا يعتقدون بمن يخرجونه .

[١٦٨ - ١٦٩] - ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ﴾ المبغضين ، أشدّ البغض أي

معدود في جملتهم فهو أبلغ من «بعملكم» قال : ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾

من وباله .

[١٧٠] - ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾ يشمل من آمن به لآته يأهلهم .

[١٧١] - ﴿إِلَّا عَجُوزًا﴾ هي إمرأته ﴿فِي الْغَايِرِينَ﴾ الباقيين في العذاب ، لرضاها

بفعلهم وإعانتها لهم .

[١٧٢] - ﴿ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ﴾ أهلكناهم بالإتفاك .^(١)

[١٧٣] - ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾ حجارة ، اتبعناه آياها أو على شدادهم^(٢)

فأهلكناهم بهم ﴿فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾ مطرهم واللام للجنس .

[١٧٤] - ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ .

(١) الإتفاك أي الانقلاب ومنه المؤتفكة : أي المنقلبة .

(٢) كذا في النسخ ، وفي تفسير البيضاوي : وقيل أطر الله على شذاذ القوم حجارة فأهلكهم .

[١٧٥] - ﴿وَإِنْ رَبَّنَا لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ .

[١٧٦-١٧٧] - ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ﴾ الأيكة : الشجر الملتف وهي

غيطة^(١) بقرب مدين ، يسكنها قوم ، بعث اليهم شعيب ولم يكن منهم «مدين»^(٢) فلذا لم يقل أخوهم وقال : ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ وحذف «نافع» و«ابن كثير» و«ابن عامر» همزة «الأيكة»^(٣) والقوا حركتها على اللام وكتبت هنا وفي «ص»^(٤) بلا الف ، اتباعاً للفظه ، ومن ثم توهم بعض أنها «ليكة» اسم بلدهم ففتح التاء .^(٥)

[١٧٨] - ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ .

[١٧٩] - ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ .

[١٨٠] - ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ .

[١٨١] - ﴿أَوْفُوا بِالْكَيْلِ﴾ اتموه ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ الناقصين .

[١٨٢] - ﴿وَزِنُوا بِالْقُسْطَاسِ﴾^(٦) الْمُسْتَقِيمِ بالميزان السوى ، بضم القاف ، وكسره

«حفص» و«حمزة» و«الكسائي» .^(٧)

[١٨٣] - ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ لا تنقصوهم حقوقهم ﴿وَلَا تَعْتُوا﴾

تفسدوا ﴿فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ بالقتل وغيره ، حال مؤكدة .

[١٨٤] - ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِلَّةَ﴾ ذوي الجلالة وهي الخلقة أي والخلائق

﴿الْأَوَّلِينَ﴾ .

(١) الغوطه : الوهدة في الأرض .

(٢) أي كما بعثه الى مدين - ينظر تفسير البضاوي ٣ : ٢٦٢ .

(٣) حجة القراءات : ٥١٩ .

(٤) سورة ص : ٣٨ / ١٣ .

(٥) أي لم تكتب «ال» التعريف في اول الكلمة بل حذف الألف كتباً - كما يحذف لفظاً .

(٦) في المصحف الشريف بقراءة حفص القسطاس بكسر القاف - كما يشير اليه المؤلف .

(٧) حجة القراءات : ٤٠٢ و ٥٢٠ .

[١٨٥] - ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ .

[١٨٦] - ﴿وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ الواو تفيد أنه جمع بين وصفين منافيين للرسالة . ﴿وَإِنْ﴾ المخففة ﴿نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَافِرِينَ﴾ في دعواك ، واللام فارقة .
[١٨٧] - ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا﴾ قطعة ، وفتح «حفص» سينه ^(١) ﴿مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ .

[١٨٨] - ﴿قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ وبجزائه الذي استوجبتموه من كسف أو غيره فينزله بكم ، وفتح «الحرقيان» و«أبو عمرو» الياء . ^(٢)
[١٨٩] - ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾ هي سحابة اظلمتهم بعد حر شديد ، أصابهم سبعة أيام فامطرت عليهم نارا فأحرقتهم ﴿إِنَّهُ كَانَ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ .

[١٩٠] - ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ .

[١٩١] - ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ قص سبع قصص ، هذا آخرها ، تسلية لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم وتهديداً للمكذبين به بما أصاب الأمم بتكذيب الرسل .
[١٩٢] - ﴿وَإِنَّهُ﴾ أي القرآن المشتمل على هذه القصص وغيرها ﴿لَنُنَزِّلَ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ تقرير لحقيتها واشعار بإعجاز القرآن وصدق «محمد» صلى الله عليه وآله وسلم ، إذ إخبار الأمي بها إنما يكون بوحى الله تعالى ويؤكدّه :

[١٩٣] - ﴿نَزَّلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ عليه جبرائيل ، سمي روحاً لأن به يحيى الذين ، أو لأنّه روحاني ، وشدد الزاي «ابن عامر» و«أبو بكر» و«حمزة» و«الكسائي» ونصبوا «الروح» . ^(٣)

(١) الكشف عن وجوه القراءات ٢ : ٥١ حجة القراءات : ٥٢٠ .

(٢) الكشف عن وجوه القراءات ٢ : ١٥٣ .

(٣) الكشف عن وجوه القراءات ٢ : ١٥١ وتفسير البيضاوي ٣ : ٢٦٣ .

[١٩٤] - «عَلَى قَلْبِكَ» أي اثبت فيه وحفظه «لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ» .

[١٩٥] - «يَلْسَانِ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ» بين المعنى ، متعلق بـ «نزل» أو بـ «المنذرين» أي لتكون ممن اندزروا بلغة العرب ، وهم «هود» و«صالح» و«اسماعيل» و«شعيب» و«محمد» صلى الله عليه وآله وسلم .

[١٩٦] - «وَإِنَّهُ» أي ذكر القرآن «لَفِي زُجُرِ الْأَوَّلِينَ» كتبهم السماوية .

[١٩٧] - «أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ» على صحة القرآن وصدق «محمد» صلى الله عليه وآله وسلم «أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَءِيلَ» كـ «ابن سلام» وغيره أي علمهم بنعته من كتبهم ، قرأ «ابن عامر» «تكن» بالقاء ورفع «آية» اسماً^(١) والخبر «لهم» و«أن يعلمه» بدل والإسم ضمير القصة و«آية» خبر «أن يعلمه» والجملة خبر «تكن» و«لهم» حال .

[١٩٨] - «وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ» كما هو «عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ» الذين لا يحسنون عربيته ليزيد اعجازه ، أو بلغة العجم .

[١٩٩] - «فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ» عناداً أو أنفة من اتباع العجم .

[٢٠٠ - ٢٠١] - «كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ» أي مثل ادخالنا القرآن مكذباً به في قلوبهم بقراءة الأعجم ادخلناه في قلوبهم بقراءتك عليهم .

واسند إليه تعالى كناية عن تمكنه مكذباً به في قلوبهم كأنهم جبلوا عليه بدليل اسناد : «لَا يُؤْمِنُونَ» اليهم وهو استئناف يقرّر ما قبله ، أو حال أي سلكناه غير مؤمن به حتى يروا العذاب الأليم» .

[٢٠٢] - «فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً» - فجأة - «وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ» بمجيئه .

[٢٠٣] - «فَيَقُولُوا» ندماً «هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ» لنؤمن .

[٢٠٤] - «أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ» توبيخ لهم بتهكّم ، أي كيف يستعجله من إذ

انزل به سأل النظره .

[٢٠٥] - ﴿أَفَرَأَيْتَ﴾ أخبرني ﴿إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ﴾ .

[٢٠٦] - ﴿ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ .

[٢٠٧] - ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعُونَ﴾ لم يغن عنهم تمتيعهم في دفع

العذاب .

[٢٠٨] - ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ﴾ رسل تنذر أهلها بالحجج .

[٢٠٩] - ﴿ذِكْرَىٰ﴾ تذكرة ، نصبت علة أو مصدراً لأنها بمعنى الإنذار ، أو رفعت

خبر محذوف والجملة معترضة أو صفة «منذرون» بتقدير ذوا ، أو بجعلهم «ذكرى» مبالغة ﴿وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ فنهلك غير الظالمين .

[٢١٠] - ﴿وَمَا تَنْزَلُ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾ كما زعم الكفرة أنه من جنس ما تلقى

الشياطين الى الكهان .

[٢١١] - ﴿وَمَا يَنْبِئُ﴾ يصح ﴿لَهُمْ﴾ التزل به ﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ ذلك .

[٢١٢] - ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ﴾ لكلام الملائكة ﴿لَمَعَزُوزُونَ﴾ ممنوعون بالشَّهْب .

[٢١٣] - ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾ تهيج له صلى الله عليه وآله

وسم ليزداد اخلاصاً ، ولطف للمكلفين .

[٢١٤] - ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ مبتدأ بهم ، الأقرب فالأقرب لأهمية

الإهتمام بهم .

روي أنه لما نزلت ، جمعهم وقال : يا بني عبد المطلب أتني نذير لكم بين يدي

عذاب شديد ، ثم قال : من يوازني ويكون وصيي وخليفتي؟ - يعيدها ثلاثاً -

فيستكون ويقول علي : أنا ، فقال : أنت ، فقاموا وهم يقولون لأبي طالب : أطع

ابنك فقد أمره عليك .^(١)

(١) ينظر تفسير مجمع البيان ٤: ٢٠٦ وشواهد التنزيل ١: ٤٢٠ .

[٢١٥] - ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾ أَلْنِ جَانِبَكَ، استمير من خفض جناح الطائر حين ينحط ﴿لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ «من» للبيان أو للتبويض، ويراد بالمؤمنين من صدقوا بالسنتهم.

[٢١٦] - ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ﴾ أي قومك ﴿فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ «ما» مصدرية أو موصولة.

[٢١٧] - ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ فوَضْ أَمْرَكَ إِلَى الْقَاصِمِ لِإِعْدَائِهِ، الْعَاصِمِ لِأَوَّلِيَانِهِ، يَكْفِكَ شَرَّ مَنْ يَعْصِيكَ، وَقِرَاءُ «نَافِع» وَ«ابْنِ عَامِرٍ» بِالْفَاءِ بَدَلًا مِنْ «فَعْلٍ»^(١).

[٢١٨] - ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾ فِي التَّهَجُّدِ.

[٢١٩] - ﴿وَتَقَلَّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ وَتَصَرَّفَكَ فِي الْمَصْلِينَ بِالْقِيَامِ وَالرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ وَالْقُعُودِ، حِينَ تَأْتُهُمْ أَوْ مَشِيكَ فِي نَصْفِ أَحْوَالِ الْمُتَهَجِّدِينَ لِتَطَّلِعَ عَلَى تَهَجُّدِهِمْ.

أَوْ تَنْقَلِقَ فِي أَصْلَابِ النَّبِيِّنَ، نَبِيٍّ بَعْدَ نَبِيٍّ.

[٢٢٠] - ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لِقَوْلِكَ ﴿الْعَلِيمُ﴾ بِنَيْتِكَ.

[٢٢١] - ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ نَزَّلَ الشَّيَاطِينُ﴾ تَنْزَلُ، حَذَفَتْ أَحَدَى التَّائِينَ.

[٢٢٢] - ﴿تَنْزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ كَذَابٍ فَاجِرٍ، كَالْكُهْنَةِ وَالْمَتَبِّثَةِ لَا عَلَىٰ

«مُحَمَّدٍ».

[٢٢٣] - ﴿يُلْقُونَ﴾ أَيِ الْأَفَّاكُونَ «السَّمْعَ» إِلَى الشَّيَاطِينِ فَيُلْقُونَ

مِنْهُمْ «وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ» يَضْمُونَ إِلَى مَا يَسْمَعُونَهُ كَذِبًا كَثِيرًا، أَوْ يُلْقِي الشَّيَاطِينُ السَّمْعَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى قَبْلَ أَنْ يَرْجُمُوا فَيَخْتَفُونَ بَعْضُ الْمَغِيَّاتِ فَيُوحِيهِ إِلَى الْكُهْنَةِ.

أو يلتون المسموع الى الكهنة واكثرهم «كاذبون» فيما يوحونه اليهم .
 [٢٢٤] - ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ﴾ وخفّفه «نافع»^(١) ﴿الْعَاوُونَ﴾ باستحسان باطلهم
 وروايته عنهم ولا كذلك اتباع «محمد» صلى الله عليه وآله وسلم ويقرّره :
 [٢٢٥] - ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ﴾ من أودية الكلام وفنونه ﴿يَهيمُونَ﴾ يذهبون
 غير مبالين بما نطقوا من غلو في مدح وذم وتشبّه^(٢) بمحرّم^(٣) .
 [٢٢٦] - ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ من وعد كاذب وافتخار باطل
 وحديث مفترى .

[٢٢٧] - ﴿إِلَّا﴾ الشعراء ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾
 بحيث يكون الذكر غلب عليهم من الشعر وإن قالوا شعراً ففيما يرضى الله تعالى
 كالثناء عليه والحكمة والموعظة ، ومدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم ورثاهم عليهم السلام .
 ﴿وَانْتَصَرُوا﴾ ممن هجاهم من الكفار بأن يهجوهم ﴿مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾ بالإعتداء عليهم
 بذلك ﴿ومن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾ ،^(٤) ﴿وَسَيَعْلَمُ
 الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ كل من صدر منه ظلم ﴿أَيُّ مُنْقَلَبٍ يَنْغِلِيُونَ﴾ أي مرجع يرجعون بعد
 الموت .

وفي وعيد «سيعلم» واطلاق «الذين ظلموا» وإبهام «أي» أشد ترهيب
 وأفظع تهويل .

(١) حجة القراءات : ٥٢٢ .

(٢) التشبيب : التفرّج بالنساء .

(٣) في «ج» : بحرم .

(٤) سورة البقرة : ١٩٤/٢ .

سورة النمل

[٢٧]

ثلاث أو اربع وتسعون آية مكية .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] - ﴿طَسْ﴾ امالها «أبو بكر» و«حمزة» و«الكسائي» .^(١) ﴿تِلْكَ﴾ اشارة الى آي السّورة ﴿آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾ للحق من الباطل .
والكتاب : اللوح أو القرآن ، وعطفه عليه كعطف احد التّعنين على الآخر ونكر تفخيماً .

[٢] - ﴿هُدًى﴾ حال أي هادية ، وعاملها الإشارة ، أو بدل من «آيات» أو خبر محذوف وكذا : ﴿وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ بالجنة .

[٣] - ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ بحدودها ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ بتمامها ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ من الصّلة ، والواو للحال أو للعطف .

وغير النظم ايذاناً بكمال ايقانهم ، أو جملة معترضة تفيد ان هؤلاء المؤمنين المتعبدين هم الموقنون بالآخرة ، فإن خوف العاقبة يحملهم على تحمّل المشاق

(١) النشر في القراءات العشر ٢ : ٧٠ .

وتكرير «هم» للقصر.

[٤]- ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ﴾ القبيحة بتحلية الشيطان حتى زينها لهم، أو بتمتعهم بالنعم، فبطروا واتبعوا أهوائهم فكأنه تعالى زينها فهو مجاز حكمي، أو استعارة، أو أعمال الخير بالترغيب فيها ﴿فَهُمْ يَمُوهُونَ﴾ يتحيرون فيها كمن ضل الطريق.

[٥] - ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ أشدّه كالقتل والأسر بيدر ﴿وَمَنْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخَسَرُونَ﴾ أشدّ الناس خساراً، لإستبدالهم النار بالجنة.

[٦] - ﴿وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ﴾ تلففه ﴿مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ أي حكيم وإي
 عليم، وهو تمهيد لما يسوق بعده من القصص المؤذنة ببلاغة حكمته واحاطة علمه.

[٧] - ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى﴾ اذكر قصته إذ قال ﴿لِأَهْلِيهِ﴾ - لإمرأته في مسيرة «مدین» الى مصر :- ﴿إِنِّي﴾ وفتح «الحرميان» و«أبو عمرو» «الباء» ^(١) ﴿ءَانَسْتُ﴾ «بصرت» ﴿نَارًا سَتَاتِلكُمْ مِنْهَا بَخِيرٌ﴾ عن الطريق، وكان قد ضلّه.

وخوطبت بلفظ الجمع كما كتى عنها بالأهل^(٢) ﴿أَوَإِنتُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾
بشعلة نار مقبوسة^(٣) والإضافة للبيان، ونوته «الكوفيون» بجعل «القبس» بدلاً أو
صفة، أي مقبوس^(٤) والوعدان^(٥) على جهة الظن فلا ينافيه ترجيها في «طه»^(٦) و«أو»
للإيذان بأنه ان لم يتلها لم يحرم أحدهما ثقة بكرم الله، ان لا يجمع عليه حرمانين
﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُّونَ﴾ رجاء أن تستدفئوا بها.

(١) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ١٧٠.

(٢) أي لما كنتي عنها بالأهل خاطبها بلفظ الجمع في «سناتيكم».

(۲) ای مقبوضه .

(٤) الكشف عن وجوه القراءات ١٥٤: ٢ .

(۵) ای العدقان .

(٦) سورة طه: ٢٠ / ١٠ .

[٨] - ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ﴾ أي ﴿بُورِكَ﴾ بارك الله ، يتعدى بنفسه وبالحرف ﴿مَنْ فِي النَّارِ﴾ من في مكانها وهو البقعة المباركة يعني الملائكة أو الشجرة أو النور المتقدم بها ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ أي موسى أو الملائكة .

والظاهر عمومها في كل من في تلك البقعة وحوايلها من أرض الشام التي بارك الله فيها ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ مما نودي به ، تنزيه له تعالى عن التشبيه أو التعجب لموسى من عظمة ما قضي له .

[٩] - ﴿يَا مُوسَى إِنَّهُ﴾ «الهاء» للشأن ويفسره جملة : ﴿أَنَا اللَّهُ﴾ أو لمكلمك وأنا خبره «والله» بيان له ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ نعتان ملوحيان ، لما اراد اظهاره أي أنا القادر على الخوارق كقلب العصا حية ، الفاعل بمقتضى الحكمة .

[١٠] - ﴿وَأَلْنِي عَصَاكَ﴾ عطف على «بورك» فألقاها ﴿فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ﴾ تتحرك ﴿كَأَنَّهُمَا جَانٌّ﴾ حية خفيفة ﴿وَلَّى مُذْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ ولم يرجع ، رعب منها للطبع البشري فقال تعالى : ﴿يَا مُوسَى لَا تَخَفْ﴾ منها ، أو مطلقاً بدليل : ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدُنِّي الْمُزْسِلُونَ﴾ لعصمتهم عما يوجب عقوبة يخافونها ، وإن كانوا أخوف الناس هبة لعظمته تعالى .^(١)

[١١] - ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَنْ ظَلَمَ﴾ نفسه من غيرهم بذنب ، أو منهم بترك الاولى وعلى هذا يجوز جعله متصلاً ﴿ثُمَّ يَدَّلْ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ﴾ توبة بعد ذنب أو ترك اولى ، وسمى سوءاً كما سمى ظلماً ﴿فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أقبل توبته واثبه فإنه لا يخاف أيضاً .

[١٢] - ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ طرف مدرعتك ﴿تَخْرُجْ بِيضَاءً﴾ ذات شعاع ﴿مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ برص ، آيتان ﴿فِي تِسْعِ آيَاتٍ﴾ أي معها وهي الفلق^(٢) والظوفان

(١) في تفسير البيضاوي ٣ : ٢٦٦ : فإنهم اخذوا الناس أي من الله تعالى .

(٢) أي إنشقاق البحر .

والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس والجذب ونقص الثمرات^(١) أو في جملتها على عدّ الأخيرتين واحدة وعدم عدّ الفلق إذ لم يدع به «فرعون» ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ﴾ أي مرسلاً إليهم، أو يتعلّق الظرفان^(٢) به «اذهب» مستأنفاً ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ علّة الإرسال.

[١٣] - ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ ءَايَاتُنَا مُبْصِرَةً﴾ واضحة، كأنها تبصر وتهدى، أو اريد ابصار متأمليةا للملاسة.

وعن «السجاد» عليه السلام: «مُبْصِرَةٌ» بفتحهما^(٣) ﴿قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ بين.

[١٤] - ﴿وَجَحَدُوا﴾ وكذبوا ﴿بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾ الواو للحال بإضمار «قد» ﴿ظَلَمًا﴾ لأنفسهم علّة له «جحدوا» وكذا: ﴿وَعُلُوا﴾ ترفعاً عن الإيمان ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ من الغرق عاجلاً، والنار آجلاً.

[١٥] - ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ سُلَيْمَانَ عِلْمًا﴾ أي علم أو نوعاً من العلم ﴿وَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ لم يعطفه بالفاء إشعاراً بأن ما قاله بعض ما قبلوا به هذه النعمة، كأنه قيل: فعرفا حقّه وأدباه وقالوا: الحمد لله، وريد مجرّد الاخبار لا التّسبب، فلا موقع للفاء ﴿الَّذِي فَضَّلْنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ممّن لم يؤت مثل علمهما ودلّ على شرف العلم وأهله.

[١٦] - ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾ ماله وملكه، وقيل: نبوته وعلمه بأن قام مقامه في ذلك دون سائر بنيه،^(٤) وهم تسعة عشر، والظاهر الأوّل، وهو المروي عن

(١) في سورة الإسراء: ١٧/١٠٢.

(٢) أي قوله «في تسع آيات» وإلى فرعون... .

(٣) أي بفتح الميم والصاد - تفسير مجمع البيان ٤: ٢١٢.

(٤) قاله الجبائي - كما في تفسير مجمع البيان ٤: ٢١٢.

أهل البيت عليهم السلام^(١) ﴿وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ تحديثاً بنعمة الله ودعاء لهم الى تصديق معجزته ﴿عَلَّمْنَا مَنَاقِبَ الطَّيْرِ﴾ أصواته وفهم معانيها كما يفهم بعضه من بعض وضمير «علّمنا» له ولآبيه، أو له على عادة الملوك وكذا: ﴿وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يريد كثرة ما اوتي، كقولك فلان يعلم كل شيء ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ البين الظاهر.

[١٧] - ﴿وَحُشِرَ﴾ وجمع ﴿لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ يحبس اولهم على آخرهم ليتلاحقوا.

[١٨] - ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ﴾ واد بالشام أو الطائف، كثير النمل والتعدية بـ «على» لا أنهم أتوا من فوق، أو لقطعهم الوادي، من أتى على الشيء: بلغ آخره ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾ عبر عن صياحها بهم بما يفهمونه بالقول، فجعلوا كالعقلاء في الخطاب ﴿لَا يَعْطِيَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ﴾ نهى بدل من «ادخلوا» أي لا تكونوا بحيث يكسركم، من باب لا اريتك هاهنا ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بحطمكم، إذ لو شعروا لم يفعلوا كأنها عرفت عصمته عن الظلم.

[١٩] - ﴿فَتَبَسَّ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا﴾ اخذاً في الضحك تعجباً من حذرها وتحذيرها، أو سروراً بما أتاه الله من ادراك همسها ولذلك دعا ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ اجعلني ازع شكرها، أي: اكفه واجبه لا يتقلب عني فلا انفك عنه، وفتح «ورش» و«البري» ياء «اوزعني»^(٢) ﴿وَعَلَىٰ الَّذِي﴾ ادرج ذكرهما لأن النعمة عليه نعمة عليهما وبالعكس. ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَذْخُلِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ في جملتهم الجنة.

[٢٠] - ﴿وَتَقَدَّرَ الطَّيْرُ﴾ وكانت تظله عن الشمس، فوقعت نفحة منها على رأسه فنظر فإذا موضع الهدهد خال، أو احتاج إليه ليرد له الماء لأنه يراه من بطن الأرض

(١) تفسير مجمع البيان ٤: ٢١٤.

(٢) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ١٧٠.

ويذل عليه فيستخرجه الجن فنظر فلم يره ﴿فَقَالَ﴾ - ظاناً أنه حاضر ولم يره لساتر -: ﴿مَالِي﴾ وفتح «ابن كثير» و«عاصم» و«الكسائي» و«هشام» «الياء»^(١) ﴿لَا أَرَى الْهَٰذِهِ﴾ ثم لاح له أنه غائب فقال: ﴿أَمْ﴾ بل أ﴿كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ فلم اره لغيبته، ثم اوعده عليها فقال:

[٢١] - ﴿لَاَعَذْبَتُهُ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ بتف ريشه وتشميسه، أو حبسه مع ضده. ﴿أَوْ لَاَذْبَحَتْهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي﴾ مشدداً، وقرأ «ابن كثير» بنونين والتشديد^(٢) ﴿بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ ببرهان يبين عذره، والمقسم عليه احد الأولين ما لم يأت بعذر، ومقتضاه وقوع أحد ثلاثة امور، هما والإتيان بعذر، فلذلك عطفه عليهما وإن لم يكن فعله.

[٢٢] - ﴿فَمَكَثَ﴾^(٣) بالضم، وفتح «عاصم»^(٤) ﴿غَيْرَ يَمِيدٍ﴾ زماناً يسيراً وحضر متواضعاً له بإرخاء ذنبه وجناحيه وأتى بعذره ﴿فَقَالَ أَحْطُتْ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾.

قيل: هذا يبطل وجوب كون الإمام أعلم أهل زمانه^(٥) وفيه: أن المراد كونه أعلمهم فيما يحتاجون إليه من امر الدين والدنيا لا فيما يطلعون عليه مما لم يتعلق بذلك كحال أهل سبأ، وإلا لزم وجود من هو أعلم من مدينة العلم «محمد» صلى الله عليه وآله وسلم^(٦) إذ كثيراً ما يخبره رسله وعمونه بحال قوم غيب أو بلد ناءٍ ونحوه مما يطلع عليه، ولا يخل ذلك بكونه أعلم البشر ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ﴾ متوناً اسم للحى أو

(١) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ١٧٠.

(٢) حجة القراءات: ٥٢٤.

(٣) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «فمكث» - بفتح الكاف.

(٤) حجة القراءات: ٥٢٥.

(٥) قاله قتادة كما في تفسير مجمع البيان ٤: ١٥٣٨ إلا أن فيه: (الانبياء) بدل: (الإمام).

(٦) اقتباس من قوله (ص): أنا مدينة العلم وعلي بابها... وللحديث مصادر شتى. ينظر كتاب العمدة لابن البطريق الفصل الخامس والثلاثون.

أبيهم «سبأ بن يشجب ابن يعرب بن قحطان» ومنع صرفه «أبو عمرو» و«البزّي» بتأويل القبيلة أو المدينة^(١) «بَنِي يَمِينٍ» بخبر متيقن .

[٢٣] - «إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ» أي ملكة لـ «سبأ» أو أهلها وهي «بلقيس بنت شراحيل» ملك اليمن وابن ملوكها ولم يعقب غيرها فورثت ملكه «وَأُورِثَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ» يحتاج إليه الملوك «وَلَهَا عَرْشٌ» سرير «عَظِيمٌ» استعظمه بالنسبة إليها .
أو لانه لم يكن لـ «سليمان» مثله وان عظم ملكه ، وكان ثلاثين أو ثمانين ذراعاً في مثلها عرضاً وسمكاً من ذهب وفضة مكللاً بالجواهر .^(٢)

[٢٤] - «وَجَدْنَاهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ» كانوا مجوساً يعبدونها «وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ» القبيحة «فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ» سبيل الحق «فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ» إليه . ألهمه الله تعالى معرفته وتفردّه بوجوب السجود له ، فأنكر سجودهم للشمس ونسبه الى الشيطان .

[٢٥] - «أَلَا يَسْجُدُوا» فصدهم أن لا يسجدوا ، أو زين لهم أن لا يسجدوا بإبداله من أعمالهم ، أو لا يهتدون لأن «يسجدوا» فزيدت «لا» وخفف «الكسائي» «ألا» على انها للتنبيه ، وباء لنداء محذوف اي : ألا يا قوم اسجدوا^(٣) استئنافاً من الله أو «سليمان» أو «الهدهد» «لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ» مصدر بمعنى المخبوء وهو ما خفي «فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا يُخْفُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ»^(٤) ما يسرونه وما يظهرونه ، وقرأهما «حفص» و«الكسائي» بالتاء .^(٥)

(١) حجة القراءات : ٥٢٥ .

(٢) في «ج» : بالنجوم .

(٣) حجة القراءات : ٥٢٦ .

(٤) في المصحف الشريف بقراءة حفص : «تخفون وما تعلنون» - كما يشير اليه المؤلف ..

(٥) حجة القراءات : ٥٢٨ .

[٢٦] - ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ بالنسبة الى سائر أجرام العالم لإحاطته بها بخلاف عرشها فينبهما بون عظيم.

[٢٧] - ﴿قَالَ سَتَنظُرُ﴾ ستأمل في أمرك ﴿أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ عدل عن «ام كذبت» مبالغة وللفاصلة ثم كتب كتاباً وقال له :

[٢٨] - ﴿اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ﴾^(١) وسكن الهاء «عاصم» و«أبو عمرو» و«حمزة»^(٢) ﴿إِلَيْهِمْ﴾ الى الذين دينهم ما ذكرت، اهتم بأمر الذين فلم يقل اليها ﴿ثُمَّ تَوَلَّ﴾ نتج ﴿عَنْهُمْ﴾ متوارياً قريباً منهم ﴿فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ أي بعضهم الى بعض من القول.

فذهب به وأناها وكانت مستلقية في بيت مغلق الأبواب، فدخل من كوة وألقاه على نحرها. وقيل : أناها وجندها حولها وألقاه في حجرها فلما قرأته :^(٣)

[٢٩] - ﴿قَالَ﴾ - لأشرف قومها - : ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْاْ إِلَى﴾ وفتح «نافع» الياء^(٤) ﴿أَلْفَى إِلَى كِتَابِ كَرِيمٍ﴾ لكرم مرسله أو مضمونه، أو لأنه كان مختوماً، ثم كانه قيل لها ممن الكتاب وما هو؟ فقالت :

[٣٠] - ﴿إِنَّهُ﴾ أي الكتاب أو عنوانه ﴿مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ﴾ أي مضمونه ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

[٣١] - ﴿أَلَّا تَتْلُواْ عَلَى﴾ «أن» مفسرة أو مصدرية هي بصلتها خبر محذوف أي المقصود أن لا تملوا ﴿وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ منقادين، أو مؤمنين وقد اشتمل مع ايجازه على تمام المقصود من اثبات الصانع وصفاته بالبسملة والنهي عن التكبر والأمر

(١) في المصحف الشريف بقراءة حفص يسكون الهاء - كما يشير اليه المؤلف - .

(٢) حجة القراءات : ٥٢٨.

(٣) معناه في تفسير مجمع البيان ٤ : ٢١٩ - عن وهب وابن زيد - .

(٤) الكشف عن وجوه القراءات ٢ : ١٧٠ .

بالإنقياد، كل ذلك بعد اظهار المعجز برسالة الهدهد .

[٢٢] - ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْٓا۟ أَفْتُوْنِيْ﴾ أجيئوني بما عندكم من الرأي ﴿فِيْ أَمْرِىْ مَا كُنْتُ قَاطِعَةً﴾ قاضية ﴿أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُوْٓا۟﴾ تحضرون ملاطفة لهم ليقوموا معها .
 [٢٣] - ﴿قَالُوْٓا۟ نَحْنُ أَوْلُوْا قُوَّةً﴾ بأجسادنا وعددنا ﴿وَأَوْلُوْا بِأَيِّسِ شَدِيْدٍ﴾ شجاعة ونجدة ﴿وَالْأَمْرُ إِلَيْكَ﴾ مفوض ﴿فَانظُرِيْ مَاذَا تَأْمُرِيْنَ﴾ من حرب أو صلح نطعمك .
 ولما لاح من ادعائهم القوة والشجاعة أي ميلهم الى الحرب زيقته وأزتهم أن
 الأصوب: الصلح .

[٢٤] - ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوْكَ إِذَا دَخَلُوْٓا قَرْيَةً﴾ عنوة وقهراً ﴿أَفْسَدُوْهَا﴾ خربوها ﴿وَجَعَلُوْٓا أَعْرَٓةَ أَهْلِهَا أَدْلَةً﴾ أهانوهم بالقتل والأسر ونهب الأموال ﴿وَكَذٰلِكَ يَفْعَلُوْنَ﴾
 تقرير لما وصفتهم به بأن هذه عاداتهم المستمرة، أو تصديق لها من الله تعالى .
 [٢٥] - ﴿وَإِنِّيْ مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ﴾ رسلاً ﴿بِهَدِيَّةٍ﴾ اصانعه بها عن ملكي ﴿فَنَظَرَتْ بِمِ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُوْنَ﴾ من حاله، فأعمل بحسبه، فأرسلت «منذر بن عمرو» في جمع بهدية منها غلمان في زِيّ الجوّاري وجوّاري في زِيّ الغلمان وحقاً^(١) فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وقالت :

ان كان نبياً ميّز الغلمان عن الجوّاري وثقب الدّرة وسلك في الجزعة خيطاً، فلما دنوا بهرهم ما رأوا من عظمة شأنه، وكان جبرئيل أعلمه الحال فوققوا بين يديه فأخبر بما في الحق وأمر ارضه فثقبت الدّرة وأمر دودة فأخذت خيطاً ونفذت في الجزعة وأمر بالماء فكانت الجارية تأخذه بيد فتفرغه في الأخرى فتضرب به وجهها، ثم ردّ الهدية .
 [٢٦] - ﴿فَلَمَّا جَاءَ﴾ الرّسول بما معه ﴿سُلَيْمَٰنَ قَالَ﴾ انكاراً: ﴿أَتَمِدُّوْنِيْ بِمَالٍ﴾
 وشدّد التّون «حمزة» و«يعقوب» وأثبت «ابن كثير» و«حمزة» «الياء» مطلقاً و«نافع»

(١) كذا في تفسير البيضاوي وفي النسخ: «حق»، والحق: وعاء من خشب للطيب ونحوه .

«أبو عمرو» وصلًا^(١) ﴿فَمَاءَ آتَيْنِي اللَّهُ﴾ من النبوة والكمالات ، والقراءة بإثبات الياء مفتوحة وصلًا وساكنة وقفًا أو حذفها وقفًا أو مطلقًا^(٢) ﴿خَيْرَ مِمَّا آتَاكُمْ﴾ من حفظ الدنيا، تعليل للإنكار، ثم أضرب عن ذلك الى بيان السبب الذي حملهم عليه فقال: ﴿بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيَتِكُمْ﴾ بما يهدي اليكم ﴿تَفْرَحُونَ﴾ حبًا لزيادة المال لقصر همكم عليه أو بما تهدونه لتفخروا به على الملوك .

[٢٧] - ﴿أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾ بما جئت به من الهدية ﴿فَلَنَأْتِيَهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ﴾ لا طاقة ﴿لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا﴾ من سبأ ﴿أَذَلَّةٌ﴾ بذهاب عزهم ﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ بأسرٍ واهانة إن لم يأتوا مسلمين .

ولما رجع اليها الرسول عرفت أنه نبي ولا طاقة لهم به ، فشخصت إليه في جندها وغلقت على عرشها الأبواب ووكلت به الحراس ، ولعله اوحى إليه ذلك فأراد أن يريها بعض ما خصه الله به من المعجزات تقريراً لنبوته فلذلك :

[٢٨] - ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأَؤُا أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ إذ لا يحل لي أخذه إذا أسلمت .

[٢٩] - ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ﴾ مارد قوى ﴿مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ﴾ فعل أو اسم وكذا الآتي ﴿بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ﴾ مجلسك للحكم ، ومدته نصف نهار ﴿وَأِنِّي عَلَيْهِ﴾ على حمليه ﴿لَقَوِيَّ أَمِينٌ﴾ على ما فيه من جوهر وغيره .

[٤٠] - ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ﴾ الكتب المنزلة «أصف بن برخيا» وزيره ، كان صديقاً ، يعلم اسم الله الأعظم ، أو الخضر ، أو جبرائيل ، أو سليمان كآته استبطاه فقال له : ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ .

(١) حجة القراءات : ٥٢٨ و ٥٢٩ .

(٢) الكشف عن وجوه القراءات ٢ : ١٧٠ .

الطَّرف: تحريك الأجنان للنظر، فوضع موضعه^(١) ولَمَّا كان الناظر يوصف بإرساله وصف برّده والطرف بالإرتداد، والمعنى أنك ترسل طرفك الى شيء فقبل ان تردّه احضر عرشها عندك، وهو مثل في السرعة، قال له: انظر فنظر يميناً^(٢) ودعا أصف فغار العرش في مكانه فنبع عنده ﴿فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقَرًّا﴾ ساكناً ﴿عِنْدَهُ قَالَ﴾ - شكراً: ﴿هَذَا﴾ أي تيسير احضاره في اقصر مدة من مسيرة شهرين معجزة لي ﴿وَمِنْ فَضْلِ رَبِّي﴾ عليّ ﴿لِيُثْلِقَنِي﴾ ليخبرني، وفتح «نافع» «الياء»^(٣) ﴿ءَأَشْكُرُ﴾ باعترافي بنعمته واداء حقها ﴿أَمْ أَكْفُرُ﴾ بها ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ لإستدامته لها به النعمة واستزادتها وحطه عنها عبء الواجب ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ﴾ عن شكره وغيره ﴿كَرِيمٌ﴾ يعطيه مع كفره.

[٤١] - ﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا﴾ بتغيير هيئته اختباراً لعقلها إذ رمت بسخفه ﴿تَنْظُرْ﴾ جواب «نكروا» ﴿أَتَهْتَدِي﴾ لمعرفة أو للجواب الضائب أو للإيمان إذا رأت سبقه وقد خلقته مستحفظه عليه ﴿أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ أبلغ من «أم لا تهتدي».

[٤٢] - ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ﴾ تشبيهاً عليها ﴿قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾ عرفته لكن لسفور عقلها لم تقل هو هو، لجواز كونه مثله ﴿وَأَوْتَيْنَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ قاله «سليمان» عطفاً على مقدّر كأنه قيل عند جوابها هي عاقلة وقد عرفت قدرة الله تعالى وآمنت به وبنبيّه، أي: وأوتينا العلم بالله وقدرته قبلها وكُنَّا مخلصين له. أو من كلامها أي وأوتينا العلم بقدرة الله وصحّة نبوة «سليمان» من قبل هذه المعجزة أو الحالة بما سبق من المعجزات.

(١) أي وضع الطرف موضع الأجنان.

(٢) في «ج» يميناً وشمالاً.

(٣) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ١٧٠.

[٤٣] - ﴿وَصَدَّهَا﴾ قبل ذلك عن الإسلام ﴿مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي عبادة الشمس، أو صدها الله أو سليمان عن عبادتها ﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ نشأت بين أظهرهم.

[٤٤] - ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ﴾ القصر، أو صحن الدار، وقد امر قبل قدومها ببناء قصر صحنه من زجاج أبيض، وأجرى تحته ماء فيه سمك، فجلس في صدره على سريره، قصد به تهويل مجلسه، أو تعرف ما قيل له من أن رجلها كرجل حمار ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾ ماء غامراً ﴿وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا﴾ لتخوضه فوجدها أحسن الناس ساقاً وقدماً إلا أنها شعراء، فأمر الجن فعملت لها النورة ﴿قَالَ﴾ - لها -: ﴿إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ﴾ مملس ﴿مِنْ قَوَارِيرٍ﴾ من زجاج ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ بعبادة الشمس، أو بظني سليمان أنه يفرقني في الماء ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فتزوجها وأقرها على ملكها، وكان يزورها في كل شهر مرة فيقيم عندها ثلاثة أيام، وقيل زوجها «ذا تبع» ملك همدان. (١)

[٤٥] - ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ﴾ بأن ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وحده ﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ﴾ فريق مؤمن وفريق كافر ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾ في الدين والواو للمجموع. [٤٦] - ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ بالعذاب بقولكم: ﴿اِئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾، (٢) ﴿قَبْلِ الْحَسَنَةِ﴾ قبل الثواب وقد مكثتم من التوصل إليها بأن تؤمنوا ﴿لَوْلَا﴾ هلاً ﴿تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ بأن تتوبوا فلا تعذبون.

[٤٧] - ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا﴾ تطيّرنا، ادغمت «الطاء» في «الطاء» ووصل بهمزة أي: تشاء منا ﴿بِكَ وَيَمُنْ مَعَكَ﴾ واتباعك وكانوا قد قحطوا ﴿قَالَ طَائِرُكُمْ﴾ سبب شؤمكم ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ وهو قدره أو عملكم المثبت عنده ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَفْتَنُونَ﴾ تختبرون

(١) تفسير الكشاف ٣: ٣٧٠ - وتفسير البضاوي ٣: ٢٧١.

(٢) سورة الأعراف: ٧٠/٧ وهو قوله تعالى: «فأتينا بما تعدنا».

بالزحاء والشدة أو تعذبون .

[٤٨] - ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾ مَيَّرَ بِهِ التَّسْعَةُ لِأَنَّهُ بِمَعْنَى الْجَمْعِ وَهُوَ مِنَ الثَّلَاثَةِ إِلَى الْعَشْرَةِ أَيْ تِسْعَةَ رَجَالٍ ^(١) ﴿يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ لَا يَخْلُطُونَ أَفْسَادَهُمْ بِصَلَاحٍ .

[٤٩] - ﴿قَالُوا﴾ فِيمَا بَيْنَهُمْ ﴿تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ﴾ أَمْرٌ، أَوْ خَيْرٌ، يَدُلُّ أَوْ حَالٌ بِتَقْدِيرِ «قَدْ» ﴿لَتُبَيِّنَنَّ﴾ بِالنُّونِ عَلَى التَّكَلُّمِ أَيْ لَنَقْتُلَنَّ صَالِحًا ﴿وَأَهْلَهُ﴾ لَيْلًا، وَقَرَأَ «حَمْرَةً» وَ«الْكِسَانِي» بِالنَّاءِ عَلَى خُطَابِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا ^(٢) ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ﴾ بِالْفَرَاثِينِ ﴿لَوْلِيَّتِهِ﴾ لَوْلِيٍّ دَمَهُ ﴿مَا شَهِدْنَا مَهْلَكَ﴾ أَهْلِهِ بِضَمِّ الْمِيمِ، مُصَدَّرٌ أَوْ زَمَانٌ أَوْ مَكَانٌ مِنْ أَهْلِكَ، وَفَتْحَهُ «أَبُو بَكْرٍ» مِنْ هَلَكَ وَكَسَرَ «حَفْصٌ» اللَّامَ ^(٣) كَمَطْلَعِ أَيْ لَا نَدْرِي مِنْ قَتْلِهِمْ ﴿وَإِنَّا﴾ وَالْحَالِ أَنَا ﴿لَصَادِقُونَ﴾ إِذِ الشَّاهِدِ غَيْرِ الْمُبَاشَرِ - بِزَعْمِهِمْ -، أَوْ: وَنَقْسَمُ أَنَا لَصَادِقُونَ .

[٥٠] - ﴿وَمَكْرُؤًا مَكْرُؤًا﴾ بِهَذَا التَّدْبِيرِ ﴿وَمَكْرُؤًا مَكْرُؤًا﴾ بِمَجَازَاتِهِمْ يَاهْلَاكِهِمْ ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بِذَلِكَ .

قيل : كَانَ لَصَالِحٍ فِي الْحَجَرِ مَسْجِدٌ فِي شَعْبٍ يَصْلَى فِيهِ ، فَقَالُوا زَعَمَ أَنَّهُ يَفْرُغُ مِنَّا إِلَى ثَلَاثٍ ، فَفَرَّغَ مِنْهُ وَمِنْ أَهْلِهِ قَبْلَهَا ، فَفَصَدُوا الشَّعْبَ لِيَقْتُلُوهُ ، فَوَقَعَتْ صَخْرَةٌ فَطَبَّقَتْ عَلَيْهِمْ فَمِ الشَّعْبُ فَهَلَكُوا ثَمَّةً وَهَلَكَ قَوْمُهُمْ بِالصَّيْحَةِ فِي دِيَارِهِمْ ^(٥) كَمَا قَالَ :
[٥١] - ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مُكْرِمِهِمْ إِنَّا﴾ دَمَّرْنَاَهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿كَيْفَ﴾

(١) فِي «ج» : زِيَادَةٌ : الَّذِينَ .

(٢) حِجَةُ الْقِرَاءَاتِ : ٥٣٠ .

(٣) فِي الْمَصْحَفِ الشَّرِيفِ بِقِرَاءَةِ حَفْصٍ : «مَهْلِكٌ» بَفَتْحِ الْمِيمِ وَكَسْرِ اللَّامِ .

(٤) حِجَةُ الْقِرَاءَاتِ : ٥٣١ .

(٥) نَقْلُهُ الْبِيضَاوِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ ٣ : ٢٧١ .

(٦) فِي الْمَصْحَفِ الشَّرِيفِ بِقِرَاءَةِ حَفْصٍ : «أَنَا» - يَفْتَحُ الْهَمْزَةَ - .

خبر «كان» و«أنا دمرناها» استئناف، وإن تمت «كان» فـ«كيف» حال، وفتح «الكوفيين» «أنا» خبر محذوف أو بدلاً من اسم «كان» أو خبراً لها و«كيف» حال. (١)

[٥٢] - ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ﴾ خالية، أو ساقطة، حال عاملها الإشارة ﴿بِمَا ظَلَمُوا﴾ بظلمهم ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ لعلهم ﴿يَعْلَمُونَ﴾ فيعتبرون.

[٥٣] - ﴿وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ صالحاً ومن معه ﴿وَوَكَانُوا يُتَّقُونَ﴾ الشَّرك والمعاصي.

[٥٤] - ﴿وَلُوطًا﴾ واذكر «لوطاً» أو وارسلنا «لوطاً» بقرينة سبق أرسلنا ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾ بدل على الأول وظرف على الثاني ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ اللواط ﴿وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ تعلمون فحشها، من بصر القلب، والقيح من العالم به أقبح، أو يبصرها بعضكم من بعض خلاعة فهي أفحش.

[٥٥] - ﴿أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾ بيان لـ«فاحشة» ﴿شَهْوَةً﴾ علة تقرر قبحه ﴿وَمِنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾ اللاتي خلقهن لكم ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ عاقبتها أو تفعلون فعل من يجهل فحشها أو سفيه لا يميز حسناً، من قبيح ووصف قوم به لأنه مخاطب معنى.

[٥٦] - ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوْهُ آلَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْأَسُ بِتَطَهَّرُونَ﴾ ينتزهون عن أفعالنا.

[٥٧] - ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا﴾ قدرنا كونها ﴿مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ الباقيين في العذاب.

[٥٨] - ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَّطَرًا﴾ هو الحجارة ﴿فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ﴾ مطرهم.

[٥٩] - ﴿قُلْ﴾ يا «محمد» ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على إهلاك كفره الأمم الماضية ونصر رسله عليهم ﴿وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾ اختارهم حججاً على خلقه

﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ لِّمَنِ يَعْبُدَهُ﴾ «أَمَّا تُشْرِكُونَ»^(١) به ، يا أهل مكة من الأصنام لعبدتها .

الزام لهم وتهكم بهم إذ لا خير فيما اشركوه اصلاً حتى يوازن بمن هو مبدأ كل خير ، وقرأ «عاصم» و«أبو عمرو» بالياء .^(٢)

[٦٠] - ﴿أَمَّنْ﴾ بل آمن ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ التي هي أظهر الحسيات ومنشأ المنافع ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ﴾ التفت الى التكلم تأكيداً لإختصاص الإنبات به ﴿حَدَاتِنِ﴾ بساتين محوطة ﴿ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ حسن ونضارة ﴿مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا﴾ أي لم تقدروا عليه ﴿أَوَلَمْ مَعَ اللَّهِ﴾ يقدر على مثل ذلك أي لا اله معه ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ به غيره أو عن الحق .

[٦١] - ﴿أَمَّنْ جَعَلَ﴾ وما بعده بدل من «آمن خلق» ﴿الْأَرْضَ قَرَارًا﴾ يستقر عليها الناس والذواب بتسويتها ﴿وَجَعَلَ خِلَالَهَا﴾ وسطها ﴿أَنْهَارًا﴾ جارية ﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ﴾ جبلاً بُنِيَتْهَا لثلاً نמיד ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ﴾ العذب والمالح ﴿حَاجِرًا﴾ لهما أن يختلطا ﴿أَوَلَمْ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الحق لعدم تدبرهم .

[٦٢] - ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ﴾ المكروب الذي ألجأ الضّر الى الله ﴿إِذَا دَعَاهُ﴾ بشرائط الدعاء فـ «لامه» جنسية لا استغراقية ﴿وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ يزيل عن عباده ما يسوئهم ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ أي فيها بتوارثكم سكنها والتصرف فيها ، قرناً بعد قرن ﴿أَوَلَمْ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذْكُرُونَ﴾ أي تذكرون نعمة تذكراً قليلاً و«ما» زائدة والقلّة بمعنى النفي ، وقرأ «أبو عمرو» و«هشام» بالياء .^(٣)

[٦٣] - ﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ بالنجوم وعلامات الأرض ، وظلماتهما ظلمات اليل فيهما أو مبهمات طرفهما ﴿وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ

(١) في المصحف الشريف بقراءة حفص : «يشركون» .

(٢) حجة القراءات : ٥٣٣ .

(٣) الكشف عن وجوه القراءات ٢ : ١٦٤ وحجة القراءات : ٥٣٤ .

رَحْمَتِهِ ﴿فَإِذَا الْمَطَرُ، وَسَبَقَ مَا فِيهِ مِنَ الْقَرَاءَاتِ فِي «الْأَعْرَافِ» وَ«الْفِرْقَانِ»^(١) ﴿أَوَّلُهُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ﴾ الْخَالِقِ ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ بِهِ مِنَ الْمَخْلُوقِ .

[٦٤] - ﴿أَمْنَ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ لَمَّا أَزِيح عَذْرَهُمْ فِي انْكَارِ الْإِعَادَةِ بِدَلَالَةِ الْإِبْدَاءِ وَغَيْرِهِ عَلَيْهَا احْتِجَ بِهَا عَلَيْهِمْ ﴿وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ بِالْمَطَرِ وَالنَّبَاتِ ﴿أَوَّلُهُ مَعَ اللَّهِ﴾ يَفْعَلُ شَيْئاً مِّمَّا ذَكَرَ ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ حُجَّتْكُمْ عَلَى أَنَّ مَعَهُ إِلَهًا ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فِي ذَلِكَ، إِذَا مَا لَا بُرْهَانَ عَلَيْهِ بَاطِلٌ وَمَذْعِيهِ كَاذِبٌ .

[٦٥] - ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالْقُلُوبِ «مَنْ» مُوصُولَةٌ أَوْ مُوصُوفَةٌ «الْغَيْبِ إِلَّا اللَّهُ» مُتَّصِلٌ وَارِيدٌ بـ «مَنْ» فِيهِمَا مِنْ تَعَلُّقِ عِلْمِهِ بِهِمَا وَلَوْ أَجْمَالاً لَا مَنْ فِيهِمَا حَقِيقَةً لِيَعْلَمَ اللَّهُ وَأُولُوا الْعِلْمِ مِنْ خَلْقِهِ بِالتَّشْكِيكِ كَالْعَالَمِ وَالرَّحِيمِ، فَلَيْسَ فِيهِ سَوْءٌ أَدَبٌ بِإِيْهَامِ التَّسْوِيَةِ بَيْنَهُ تَعَالَى وَبَيْنَهُمْ .

أَوْ مُنْقَطِعٌ وَرَفَعَ مُسْتَنَاءً عَلَى لُغَةِ «تَمِيمٍ» وَالْمَعْنَى إِنْ كَانَ اللَّهُ مَعَهُ فِيهِمَا، فَفِيهِمَا مَنْ يَعْلَمُ الْغَيْبَ لَكِنَّهُ لَيْسَ مِنْهُمْ فَلَا يَعْلَمُونَهُ .

وفيه : أَنَّ اسْتِنَاءَ نَقِيضِ الْمَقْدَمِ لَا يَتَّبِعُ فَلَا يُلْزَمُ مِنْ امْتِنَاعِ كَوْنِهِ تَعَالَى مَعَهُ فِيهِمَا عَدَمَ عِلْمِهِمُ الْغَيْبِ ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ الْوَاوُ لـ «مَنْ» أَوْ لِلْمُشْرِكِينَ ﴿أَيَّانَ﴾ مَتَى «يُتَعَنُّونَ» .

[٦٦] - ﴿بَلْ أَدَارِكُ﴾ تَدَارِكُ، أَبْدَلْتَ النَّاءَ دَالاً وَادْغَمْتَ فِي الدَّالِ وَوَصَلَ بِهِمْزَةُ أَيِ تَتَابَعٍ وَاسْتَحْكَمَ، وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ «وَأَبُو عَمْرٍو» «أَدْرِكُ» كـ «أَكْرِمُ»^(٢) أَيِ انْتَهَى وَتَكَامَلَ «عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ» فِي شَأْنِهَا أَيِ حَصَلَ لَهُمْ بِالْحَجَجِ اسْبَابُ اسْتِحْكَامِ الْعِلْمِ وَتَكَامَلِهِ بِأَنَّ الْقِيَامَةَ كَائِنَةٌ وَهُمْ يَنْكُرُونَهُ .

وقيل : وَصَفُوا بِالْعِلْمِ تَهَكُّماً بِهِمْ ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا﴾ مَعَ تَمَكُّنِهِمْ مِنَ الْيَقِينِ

(١) سورة الأعراف: ٧/ ٥٧، وسورة الفرقان: ٢٥/ ٤٨ .

(٢) حجة القراءات: ٥٣٥ .

بتدبر حججها ﴿بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾ عن ادراك حججها لتركههم تدبرها .

والإضرابات الثلاث تنزيل لأحوالهم وصفوا أولاً بنفي شعورهم بوقت البعث، ثم بنفي علمهم بالقيامة فضلاً عن وقتها، أو بالعلم بها تهكماً ثم بأنهم في شك يمكنهم ازالته، ثم بالعمى عن الدليل الواضح .

[٦٧] - ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَءَابَاؤُنَا إِنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾ من القبور، تقرير لعماهم، والعامل في «إذا» ما دل عليه «مخرجون» أي : نخرج، لاهو^(١) لمنع الهمزة، وإن واللام عن عمله فيما قبلها، وكسرت الهمزة مبالغة في انكارهم، وقرأ «نافع» : «إذا» خبراً^(٢) و«ابن عامر» و«الكسائي» «أنا» بنونين خبراً.^(٣)

[٦٨] - ﴿لَقَدْ وَعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ﴾ قبل وعده «محمد» صلى الله عليه وآله وسلم ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أكاذيبهم التي سطرورها .

[٦٩] - ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ تهديد لهم على الكفر بأن يصيبهم ما أصاب الكفرة قبلهم .

[٧٠] - ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ حرصاً على إيمانهم ﴿وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ في ضيق صدر من مكروهم، فأنا عاصمك منهم، وكسر «ابن كثير» «الضاد»^(٤) .

[٧١] - ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ العذاب الموعود ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيه .

[٧٢] - ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفٌ لَكُمْ﴾ لحقكم واللام زائدة أو ضمن «ردف»

(١) اي : لا «مخرجون» لأن كلا من الهمزة وإن واللام مانعة من عمله فيما قبلها . كذا في تفسير

البيضاوي ٣ : ٢٧٣ .

(٢) اي بلا همزة الإستفهام - كما في حجة القراءات : ٥٣٥ .

(٣) حجة القراءات : ٥٣٥ .

(٤) حجة القراءات : ٥٣٦ .

معنى دنا وأزف ﴿بَغْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾ وقوعه وهو عذاب بدر.

والترجي على قاعدة مواعيد الملوك يريدون به القطع بوقوع الأمر وإظهار الوقار.

[٧٣] - ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ ومنه تأخير عذاب الكفرة ﴿وَلَكِنَّ

أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ فضله عليهم.

[٧٤] - ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ تخفيه ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ يظهرون

فيجازيهم به.

[٧٥] - ﴿وَمَا مِنْ غَائِيَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ خافية فيهما وهما إسمان لما يغيب

ويخفى كالذبيحة أو صفتان والتاء للمبالغة كالزاوية ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ بين، أو مبين وهو اللوح، ومنه تعذيب الكفرة.

[٧٦] - ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَبْقَى عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾

كأمر عزيز وعيسى وغير ذلك.

[٧٧] - ﴿وَإِنَّهُ لَهْدَى وَرَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ لمن آمن منهم ومن غيرهم.

[٧٨] - ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ﴾ بين من آمن ومن كفر ﴿بِحُكْمِهِ﴾ بما يحكم به

وهو عدله ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ فلا يغالب ﴿الْعَلِيمُ﴾ بالقضاء بالحق.

[٧٩] - ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ ولا تكثر بهم ﴿إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ البين

والمحقق أحق بأن يثق بنصر الله.

[٨٠] - ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ تعليل ثان لتوكل، يقنطه من متابعتهم له

وشبهوا بالموتى لعدم تدبرهم ما يتلى عليهم كما شبهوا بالصم في: ﴿وَلَا تَسْمِعُ الصَّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَوْ مُمْرِرِينَ﴾ فهم حينئذ أبعد عن الإسماع، وقرأ ابن كثير بالياء ورفع «الصَّمَّ»^(١).

[٨١] - ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ﴾ أي ما تبعدهم عنها بالهدى.

وقرأ «حمزة»: «تهدي»^(١) «إِنْ تَسْمِعْ» أي ما يجدي اسماعك «إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا» من علم الله أنه يصدق بها «فَهُمْ مُسْلِمُونَ» مخلصون بالتوحيد.

[٨٢] - «وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ» أي قرب وقوع المقول وهو ما وعدوه من البعث والعذاب «أَخْرَجْنَا لَهُمْ ذَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ» روي أنها تخرج من المسجد الحرام وطولها ستون ذراعاً ولها أربع قوائم وزغب^(٢) وریش وجناحان، لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب، ومعها عصا «موسى» وخاتم «سليمان» فتجلو وجه المؤمن بالعصا وتختم^(٣) أنف الكافر بالخاتم.^(٤)

وعن «علي» عليه السلام: والله ما لها ذنب، وإن لها لَلْحِيَّةَ ويشعر بأنها انسان. وفي بعض خطبه: أنا صاحب العصا والميسم، ويعضده اخبار^(٥) «تُكَلِّمُهُمْ» فتقول حاكية لقول الله: «إِنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ» أي بالقرآن أو بخروجها، لأنه من آيات الله تعالى، أو هو ابتداء منه تعالى.

وقيل: تكلمهم من الكلم^(٦) لقراءته التخفيف، ويعضد كونه من الكلام: فتح «الكوفيين» «أَنْ» أي: تكلمهم بأن،^(٨) وقرئ به «وتنبههم أن».

[٨٣] - «وَيَوْمَ نَخْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ» «من» للتبويض «فَوْجًا» جماعة «مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا» بيان للفوج، وهم رؤساؤهم وقادتهم «فَهُمْ يُوزَعُونَ» يحبس أولهم

(١) حجة القراءات: ٥٣٧.

(٢) الزغب - محرقة -: صغار الشعر ولينه.

(٣) في «الف» و«ج»: وتخطم.

(٤) تفسير مجمع البيان: ٢٣٤: ٤.

(٥) تفسير مجمع البيان: ٢٣٤: ٤. وكلمة «اخبار» ليست في «الف».

(٦) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «أَنْ» - بفتح الهمزة -.

(٧) الكلم: الجرح، قبل: ومنه اخذ «الكلام» علماً لما يلفظ لأنه يؤثر في السامع.

(٨) نقله البيضاوي في تفسيره: ٢٧٤: ٣.

على آخرهم ليجتمعوا

ومنا من جعل ذلك في الرجعة^(١) وللبحث مجال وإن كنا لا نشك فيها لقيام الأدلة عليها.

[٨٤] - ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ﴾^(٢) الموقف ﴿قَالَ أَكْذَبْتُمْ بَيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا﴾
الواو حالية أي اكذبتم بها بادیء الرأي غير متأملٍ لها ليحيط علمكم بحقيقتها وإنها
جديرة بالتصديق أو التكذيب، أو عاطفة أي اجمعتم بين جحودها وعدم تأملها
﴿أَمَّا ذَا﴾ أم أي شيء ﴿كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بها، وهو تبكيت إذ لم يعملوا سوء التكذيب
فلا يسعهم أن يقولوا صدقنا بها.

[٨٥] - ﴿وَوَقَّعَ الْقَوْلَ عَلَيْهِمْ﴾ غشيبهم العذاب الموعود وهو النار بعد ذلك
﴿بِمَا ظَلَمُوا﴾ بظلمهم بالتكذيب ﴿فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ﴾ بعذر لعدمه وشغلهم بالنار.

[٨٦] - ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ﴾ خلقناه ﴿لَيْسَكُنُوا فِيهِ﴾ بالنوم والدعة^(٣)
﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ أي ليبصروا فيه، فجعل حالاً مجعولاً هو عليها مبالغة ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ دلالات لهم على التوحيد والبعث والنسوة، إذ تعاقب النور
والظلمة إنما يتم بقدرة قاهر ولشبه النوم بالموت والانتباه بالبعث، ولأن من جعل ذلك
لبعض مصالحهم كيف بهمل ما هو مناط جميعها من بعث رسول اليهم.

[٨٧] - ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ القرن أو جمع صورة ﴿فَفَرَعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ
وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ عند النفخة الأولى فرعاً، يميتهم كما في آية أخرى ﴿فصعق﴾^(٤).
وعبر بالماضي لتحقق وقوعه ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ من ثبت قلبه وهم جبرائيل

(١) ينظر تفسير مجمع البيان ٤: ٢٣٥.

(٢) ينظر تعليقنا على كلمة «جاءوا» في الآية (٦١) من سورة البقرة.

(٣) الدعة: السكينة والراحة.

(٤) سورة الزمر: ٣٩/٦٨.

وميكائيل واسرافيل وعزرائيل .

وقيل : حملة العرش والحدود والخزنة .^(١)

وقيل : الشهداء^(٢) وقيل «موسى» لأنه صعد مرة^(٣) وشمل الكل ممكن ﴿وَكُلُّ
ءَاثُوهُ﴾^(٤) اسم فاعل، حاضرون الموقف بعد النسخة الثانية أو متفادون لأمره، وقرأه
«حفص» و«حمزة» فعلاً^(٥) ﴿ذَاخِرِينَ﴾ صاغرين .

[٨٨] - ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْشَبُهَا جَامِدَةً﴾ واقفة مكانها ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾
في السرعة، وكذا الأجرام العظام إذا تحركت لا تكاد تظهر حركتها ﴿صُنْعَ اللَّهِ﴾ مصدر
مؤكد لمضمون الجملة قبله أي صنع الله ذلك صنفاً ﴿الَّذِي أَتَقَنَ﴾ أحكم ﴿كُلُّ
شَيْءٍ﴾ صنعه ﴿إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ بأفعالكم، فيجازيكم عليها، وقرأ «ابن كثير»
و«أبو عمرو» و«هشام» بالياء .^(٦)

[٨٩] - ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾ بالأضعاف وبأن العمل منقضى
والثواب دائم .

وقيل الحسنة : كلمة الشهادة^(٧) و«خير منها»، أي : خير حاصل من جهتها،
وهو : الجنة ﴿وَهُمْ مِنْ فِرْعَ يَوْمِئِذٍ﴾^(٨) «آمنون» يريد به خوف العذاب يوم القيامة
وبالسابق فرع الهيبة اللاحق لكل أحد لهول المطلع، ونوته «الكوفيون» ونصبوا «يوم»
أي : من فرع واحد وهو خوف العذاب، وفتح «نافع» مع الإضافة لإضافته الى غير

(٢٥١) نقله الزمخشري في تفسير الكشاف ٣ : ٣٨٦ .

(٣) قاله جابر - كما في تفسير الكشاف ٣ : ٣٨٦ سورة : ٧ / ١٤٣ .

(٤) في المصحف الشريف بقراءة حفص : «أثوه» - كما يشير اليه المؤلف - .

(٥) حجة القراءات : ٥٣٨ .

(٦) حجة القراءات : ٥٣٩ .

(٧) قاله ابن عباس - ما في تفسير الكشاف ٣ : ٣٨٨ - .

(٨) في المصحف الشريف بقراءة حفص : «يومئذ» بفتح الميم .

متمكن و«آمن» يعذى بالجار وبنفسه. ^(١)

[٩٠] - «وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ» قيل بالشرك ^(٢) «فَكُتِبَتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ» القوا فيها منكوسين، أو عبر بالسجود عن ذواتهم ويقال لهم: «هَلْ تُخْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ» ويحتمل الالتفات.

عن امير المؤمنين عليه السلام في قوله تعالى: «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ...» الى
تعملون: الحسنة: حبنا أهل البيت، والسَّيِّئَةِ: بغضنا، ^(٣) قل لهم:

[٩١] - «إِنَّمَا أَمْرُهُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ» أي «مكة» و«اضافة رب» اليها
تشريف لها «الَّذِي حَرَّمَهَا» جعلها حراماً آمناً، وفيه مع التعظيم منه عليهم «وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ» ملكاً وخلقاً «وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ» المخلصين بالتوحيد.

[٩٢] - «وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ» عليكم ادعوكم الى ما فيه أو اتبعه «فَمَنْ اهْتَدَى»
بإجابته لي في ذلك «فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ» لعود نفعه إليه «وَمَنْ ضَلَّ» بترك الإجابة
«فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ» فما عليّ إلا الإنذار بأن وبال ضلاله عليه.

[٩٣] - «وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ» على نعمة الرسالة وغيرها «سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ» في الآخرة
«فَتَعْرِفُونَهَا» يقيناً أنها آياته، ولا تنفعكم المعرفة حينئذٍ، أو في الدنيا كعذاب بدر
وغيره «وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ» ^(٤) بل عالم به وأتما يمهلهم لوقتهم، وقرأ
«نافع» وابن عامر» و«حفص» بالتاء. ^(٥)

(١) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ١٦٩ - حجة القراءات: ٥٤٠.

(٢) قاله ابن عباس - كما في تفسير الكشاف ٣: ٣٨٨ -.

(٣) تفسير مجمع البيان ٤: ٢٣٧.

(٤) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «تعملون» - كما يشير اليه المؤلف -.

(٥) حجة القراءات: ٥٤١.

سورة القصص

[٢٨]

ثمان وثمانون آية مكية .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١ - ٢] - ﴿طَسَمَ * تَلَكَّ﴾ الآيات ﴿ءَايَاتِ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ السورة أو القرآن

البين اعجازه ، أو المبين له .

[٣] - ﴿تَتْلُوا عَلَيْكَ﴾ بتلاوة جبرئيل ﴿مِنْ نَّبَأِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ﴾ بعض خبرهما

﴿بِالْحَقِّ﴾ محقين ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ فإنهم المنتفعون به .

[٤] - ﴿إِنْ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر ، استئناف يفسر النبا ﴿وَجَعَلَ

أَهْلَهَا شَيْعًا﴾ فرقا ، يشيع [بعضهم بعضا]^(١) في طاعته ، أو أصنافا في خدمته أو فرقا

مختلفة متعادين لينقادوا له ﴿يَسْتَضِعِفُ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ وهم بنو اسرائيل ، والجملة

حال من «جعل» أو صفة «شيعا» أو مستأنفة ويبدل منها ﴿يُذَتِّعُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي

نِسَاءَهُمْ﴾ يستبقين لأن كاهنا أخبره بأنه يولد في بني اسرائيل مولود يذهب ملكه على

يده ﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ بالقتل لغير طائل ، إذ لو صدق الكاهن لم يدفعه القتل

(١) ما بين المعقوفتين من تفسير البضاوي ٤ : ٢ - وفي النسخ - بشيعونه في طاعته .

وان كذب فلا وجه له.

[٥] - ﴿وَتُرِيدُ﴾ حكاية حال ماضية، عطف على «أَنْ فِرْعَوْنَ» إذ هما تفسير لـ «نبأ» أو حال من «يستضعف» أي ونحن نريد: ﴿أَنْ نَعْمَ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ﴾ بخلاصهم من بأسه في المال، فالمقارن للاستضعاف الإرادة لا المراد ﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾ مقدمين في الدارين وما فيه من القراءة سبق في التوبة^(١) ﴿وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ لملك «فرعون».

[٦] - ﴿وَتُمْكِنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أرض «مصر» و«الشام» بتسليطهم فيها ﴿وَتُرَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ﴾ وزيره ﴿وَجُنُودَهُمَا﴾ وقرأ «حمزة» و«الكسائي» و«بزي» بالياء ورفع ما بعده^(٢) ﴿مِنْهُمْ﴾ من بني اسرائيل ﴿مَا كَانُوا يَخْذَرُونَ﴾ من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم.

[٧] - ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ﴾ إلهاماً، أو رؤياً لما ولدته ولم يعلم به احد سوى اخته.

وقيل: دعت قابلة من الموكلات بالجبالي، فلما ولد هالها نوره فأحبته حباً منعها من السعاية به^(٣) ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ ما لم تخافي أن يشعر به فيقتل ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ﴾ ذلك ﴿فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ البحر أي النيل ﴿وَلَا تَخَافِي﴾ ضيعته ولا غرقه ﴿وَلَا تَحْزَنِي﴾ لفراقه ﴿إِنَّا رَأَوُوهُ إِلَيْكَ﴾ سالماً عن قريب ﴿وَجَاعَلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ فأرضعته ثلاثة أشهر، ثم ألق «فرعون» في طلب الولدان فوضعت في تابوت مطلّى داخله بالقار، ممهد له فيه وأغلقت وألقته في النيل ليلاً.

[٨] - ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ﴾ بتابوته فوضع بين يديه وفتح وأخرج «موسى» منه

(١) سورة التوبة: ١٢/٩.

(٢) حجة القراءات: ٥٤١.

(٣) قاله ابن عباس - كما في تفسير مجمع البيان ٤: ٣٦١ -.

﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَرَمًا﴾ شَبَّهَتْ عَاقِبَةَ اِلْتِقَاطِهِمْ لَهُ بِالْغَرَضِ الدَّاعِي اِلَيْهِ فَعَلَّلَ بِهَا، وَضَمَّ «الْحَاء» «حَمْزَةً» وَ«الْكَسَانِي» وَ«الزَّاي»^(١) ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ فِي كُلِّ أَمْرٍ، فَلَيْسَ خَطَايَاهُمْ فِي تَرْبِيَةِ عَدُوِّهِمْ بِيَدْعٍ مِنْهُمْ، أَوْ عَاصِينَ فَمَوْقُوبُوا بِأَنْ رَبَّوْا عَدُوَّهُمْ فِي حُجُورِهِمْ.

[٩] - ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ﴾ - حِينَ قِيلَ لَهُ: هُوَ الصَّبِيُّ الَّذِي نَحْذَرُهُ، دَعْنَا نَقْتُلَهُ، فَهَمَّ بِذَلِكَ هُوَ -: ﴿قَرَرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ﴾ لِأَنَّهُمَا لَمَّا رَأَاهُ أَحْبَاهُ.

رَوَى أَنَّهُ قَالَ لَكَ لَا لِي، وَلَوْ قَالَ لِي وَلَكَ لَهْدَاهُ اللَّهُ كَمَا هَدَاهَا^(٢) ﴿لَا تَقْتُلُوهُ﴾ الْجَمْعَ لِلتَّعْظِيمِ أَوْ خَاطِبَتَهُ وَأَعْوَانَهُ ﴿عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا﴾ فَإِنَّ فِيهِ مَخَاطِلَ النِّفَعِ، وَذَلِكَ لَمَّا رَأَتْ مِنْ نُورِهِ وَارْتِضَاعِهِ ابْنَاهُ لَبَّاءً وَبِرًّا بَرَصَ ابْتِهَاسًا بِرِيقِهِ ﴿أَوْ نَنْجِدْهُ وَلَدًا﴾ فَإِنَّهُ أَهْلُ النَّبِيِّ ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ حَالٍ مِنْ فَاعِلِ «النَّفْطَةِ» أَيِ وَهْمٍ لَا يَشْعُرُونَ أَنَّهُمْ عَلَى خَطَا فِي التَّقَاطُهِ وَرَجَاءِ نَفْعِهِ وَتَبَيُّهِ، وَجُمْلَةً «أَنَّ فِرْعَوْنَ» مُعْتَرِضَةً تَوْكِّدُ خَطَايَاهُمْ.

[١٠] - ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى﴾ لَمَّا سَمِعَتْ بِاِلْتِقَاطِهِ ﴿فَارِحًا﴾ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَوَّى هَمَّهُ، أَوْ مِنَ الْعَقْلِ لَدَهْشِهَا أَوْ مِنَ الْحُزَنِ لَوُثُوقِهَا بِوَعْدِ اللَّهِ ﴿إِنْ﴾ الْمَخْفَقَةُ أَيْ أَنَّهَا «كَادَتْ لِتُبْدِيَ بِهِ» لِتُظْهِرَ بِأَنَّهُ ابْنُهَا جُزْءًا وَضَجْرًا ﴿لَوْ لَا أَنْ رُبُّنَا عَلَى قُلُوبِهَا﴾ سَكَنَتَهُ بِالصَّبْرِ ﴿لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الْمَصْذَقِينَ بِوَعْدِنَا، وَجَوَابُ «لَوْ لَا» دَلَّ عَلَيْهِ مَا قَبْلَهَا.

[١١] - ﴿وَقَالَتْ لِإِخْتِهِ﴾ «مَرْيَمَ» ﴿فَقَصِيهِ﴾ اتَّبَعِي أَثَرَهُ وَتَعَرَّفِي خَبْرَهُ ﴿فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ﴾ عَنْ بَعْدِ مَخَالَسَةٍ ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أَنَّهَا اخْتَهُ أَوْ بَغَرَضَهَا.

[١٢] - ﴿وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ﴾ مَنَعْنَاهُ أَنْ يَرْضَعَ مِنْهَا، جَمَعَ مَرْضَعٍ أَوْ مَرْضَعٍ أَيِ الرِّضَاعِ أَوْ مَكَانِهِ أَيْ الشَّدِيِّ ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ قَبْلَ قَصَصِهَا أَثَرَهُ ﴿فَقَالَتْ﴾ - اخْتَهُ حِينَ رَأَتْ

(١) حجة القراءات: ٥٤٢.

(٢) تفسير مجمع البيان ٤: ٢٤١.

حَنُومٍ عَلَيْهِ - : ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ﴾ بِرَبِّهِ ﴿وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ بِالْقِيَامِ بِأَمْرِهِ .

قيل : لَمَّا قَالَتْهُ ، قَالَ هَامَانَ : أَنَّهُا لَتَعْرِفَهُ وَأَهْلَهُ ، فَقَالَتْ : إِنَّمَا أَرَدْتُ «وَهُمْ» لِلْمَلِكِ «نَاصِحُونَ» فَذَهَبَتْ إِلَىٰ أُمِّهِ بِأَمْرِهِمْ ، فَأَتَتْ بِهَا فَقَبِلَ نَدِيهَا .

فَقَالَ لَهَا «فِرْعَوْنُ» : كَيْفَ لَمْ يَرْتَضِعْ إِلَّا مِنْكَ ؟ قَالَتْ : أَنِّي طَيِّبَةُ الرِّيحِ وَاللِّبَنِ ، لَا أُوتِي بِصَبِيٍّ إِلَّا قَبْلَنِي ، فَدَفَعَهُ إِلَيْهَا وَأَجْرَىٰ عَلَيْهَا ، فَذَهَبَتْ بِهِ إِلَىٰ بَيْتِهَا كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ : [١٣] - ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ بِلِقَائِهِ ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ لِفِرَاقِهِ ﴿وَلَتَعْلَمَنَّ﴾ عَيْنَانَا ﴿أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بِرَدِّهِ إِلَيْهَا ﴿حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ أَيُّ النَّاسِ ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ حَقِيقَةَ وَعْدِهِ ، أَوْ أَنَّ الْفِرْعَوْنَ الْأَصْلِيَّ مِنَ الرَّدِّ عِلْمُهَا بِذَلِكَ وَغَيْرِهِ تَبِعَ ، وَكَأَنَّهُ تَعْرِضُ بِجَزْعِهَا حِينَ سَمِعَتْ بِالتَّقَاطُفِ فَمَكَثَتْ عِنْدَهَا حَتَّىٰ فَطَمَتْهُ ، ثُمَّ تَرَبَّيْتُ عِنْدَ «فِرْعَوْنَ» كَمَا حَكَى تَعَالَىٰ عَنْهُ : ﴿الْمَ نَرَيْكَ فِينَا وَلِيدًا . . .﴾ الْآيَةُ .^(١)

[١٤] - ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ كَمَالُ شِدَّتِهِ وَهُوَ ثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ ، أَوْ الْحِلْمُ ﴿وَأَسْتَوَىٰ﴾ أَيُّ تَمَّ اسْتِحْكَامُهُ وَبَلَغَ الْأَرْبَعِينَ ﴿ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا﴾ نَبَوَّةَ ﴿وَعِلْمًا﴾ بِالذِّينِ ، أَوْ سِيرَ الْحُكَمَاءِ الْعُلَمَاءِ قَبْلَ بَعْثِهِ ، فَلَا يَفْعَلُ مَا يَسْتَجْهَلُ بِهِ ﴿وَكَذَلِكَ﴾ وَكَمَا فَعَلْنَا لَهُ ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ بِإِحْسَانِهِمْ .

[١٥] - ﴿وَوَدَّخَلَ﴾ «مُوسَىٰ» «الْمَدِينَةَ» «مِصْرَ» أَوْ «مِنْفَ»^(٢) مِنْ أَرْضِ مِصْرَ ﴿عَلَىٰ حِينٍ غَفَلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا﴾ وَقْتَ الْغَائِلَةِ ، أَوْ مَا بَيْنَ الْعِشَاءَيْنِ ، أَوْ يَوْمَ عِيدِهِمْ وَكَانَ أَخْرَجَهُ إِذْ رَأَىٰ مِنْهُ مَا يَنْكُرُهُ ، أَوْ لِإِعَابَتِهِ دِينَهُمْ لَمَّا شَبَّ وَعَقِلَ ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ﴾ إِسْرَائِيلِيٍّ ﴿وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾ قِبْطِيٍّ يَسْخَرُ ، الْإِسْرَائِيلِيَّ لِحَمْلِ حَطَبٍ إِلَىٰ مَطْبَخِ «فِرْعَوْنَ» ﴿فَاسْتَفَاهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَىٰ الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ طَلَبَ أَنْ

(١) سورة الشعراء : ١٨ / ٢٦ .

(٢) المنف - بالفتح ثم السكون - اسم مدينة فرعون بمصر (معجم البلدان) .

يفنيه بالنصر.

عن «الصادق» عليه السلام: ليهنتكم الإسم، قيل وما هو قال: الشيعة، أما سمعت قوله تعالى ونلأها. ^(١) ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَى﴾ ضربه بجمع كفّه ﴿فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ فقتله ﴿قَالَ هَذَا﴾ أي الأمر الذي وقع القتل بسببه، أو تزوين تركي الاول وهو الكف عنه ﴿مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ﴾ للإنسان ﴿مُضِلٌّ﴾ له ﴿مُبِينٌ﴾ بين الإضلال.

[١٦] - ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ ببخسها ثواب الندب وهو الكف عنه، أو بمخاطرتي بقتله ولو علموا لقتلوني به ﴿فَاغْفِرْ لِي﴾ تركي الاولى، أو قاله انقطاعاً الى الله تعالى ﴿فَقَفَرْتُ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ﴾ لعباده ﴿الرَّحِيمُ﴾ بهم.

[١٧] - ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ من القوة ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَاهِرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ أي فلن استعملها إلا في مظاهرة اوليائك، أو قسم أي بحق انعامك عليّ بالمغفرة، اعصمني فلن أظاها مجرماً.

[١٨] - ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ الاخبار وما يقال فيه ﴿فَإِذَا الَّذِي اِسْتَنْصَرُهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِحُهُ﴾ يستغيثه بصراخ على قبطن آخر ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾ بين الغواية، لكثرة مخاصمتك.

[١٩] - ﴿فَلَمَّا أَنْ﴾ زائدة ﴿أَرَادَ أَنْ يَنْطَشِرَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا﴾ لموسى والاسرائيليّ ظاناً أنه يبطش به لوصفه آياه بالغواية ﴿قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ﴾ أو قاله القبطي إذا حسّ ما قاله أنه القاتل للقبطي بالأمس لهذا الاسرائيلي ﴿إِنْ﴾ ما ﴿تُرِيدُ إِلَّا تَكُونُ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ﴾ عالياً بالقتل والظلم. ﴿وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُضْلِحِينَ﴾ بين الناس، فانتشر الحديث فبلغ «فرعون» فأمر بطلبه وقلته.

[٢٠] - ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ﴾ هو مؤمن آل «فرعون» وهو ابن عمه ﴿مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ﴾

يَسْمَى» يسرع، صفة «رجل» أو حال منه، إن جعل الظرف وصفاً مخصصاً له لا صلة له «جاء» **﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾** يتشاورون بسبك .

والإتصار: التشاور، لأن كلاً من المتشاورين يأمر صاحبه بشيء **﴿فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾** «لك» بيان لا صلة «الناصحين» إن جعلت لامة موصولة، لأن معمول صلتها لا يتقدمها وإن جعلت للتعريف فـ«لك» صلتها .

[٢١] - **﴿فَخَرَجَ مِنْهَا﴾** من المدينة **﴿خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾** الطلب **﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾** دل على أن قتله القبطي لم يكن ذنباً وإلا لم يكونوا ظالمين بطلب القود .

[٢٢] - **﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ﴾** قصد نحوها، وهي قرية شعيب، سميت بـ«مدین بن ابراهيم» على مسيرة ثمان من مصر ولم يكن يعرف الطريق **﴿قَالَ عَسَى رَبِّي﴾** وفتح «الحرميان» وأبو عمرو «الياء»^(١) **﴿أَنْ يَهْدِيَني سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾** وسطه، وثق بربه فعن له^(٢) ثلاث طرق، فسلك وسطها .

[٢٣] - **﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾** وصل إليه وهو بئر لهم **﴿وَجَدَ عَلَيْهِ﴾** فوق شفيره **﴿أُمَّةٌ﴾** جماعة واصنافاً **﴿مِنَ النَّاسِ يَشْقُونَ﴾** مواشيهم **﴿وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ﴾** في مكان اسفل من مكانهم **﴿أَمْرَ اثْنَيْنِ تَذُودَانِ﴾** تمنعان غنمهما عن الماء لثلاث تزاحماهم^(٣) **﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا﴾** شانكما تذودان **﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾** جمع راع، يصرفوا مواشيهم من الماء خوف مزاحمتهم، وقرأ «ابن عامر» و«أبو عمرو»: «يصدر» من صدر أي ينصرف^(٤) **﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾** لا يقدر أن يسقى فيضطر

(١) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ١٧٦ .

(٢) عن له: ظهر امامه واعترض - قاموس اللغة .

(٣) كذا في النسخ وفي تفسير البيضاوي ٤: ٥ لثلاث تختلط بأغانهم .

(٤) حجة القراءات: ٥٤٣ .

لإخراجنا، فرحمهما .

[٢٤] - ﴿فَسَقَى لَهُمَا﴾ غنمهما وحذفت مفاعيل الخمسة ، لأن الغرض هو الفعل

لا المفعول .

قيل : عمد الى بثر عليها حجر لا يقله ^(١) إلا عشرة رجال أو اكثر فأقله وحده واستقى منها مع ما به من النصب والجوع وسقوط خف القدم ^(٢) ﴿ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ﴾ ظل سمرة ^(٣) ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا لَا يَشَاءُ﴾ ﴿أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ﴾ طعام ﴿فَقِيرٌ﴾ ضَمَّن معنى سائل ، فعذَى بالآلام ، فرجعتا الى ابيهما وهو «شعيب» عليه السلام قبل الناس فقال ما أعجلكما؟ فأخبرناه الخبر، فقال لإحديهما : علي به .

[٢٥] - ﴿فَبَاءَهُ إِحْدِيهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِخْيَاءٍ﴾ مستحية وهي التي تزوجها وكانت الصغرى واسمها صفراء وقيل : الكبرى واسمها صفرا ﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ فأجابها كارهاً قولها ليجزيك ، فتقدمته فالصقت الزبح ثوبها بجسدها فوصفه ، فقال : امشي خلفي ، وسدديني بقولك ، فجاءه فقدم له طعاماً فامتنع عنه .

وقال : أنا أهل بيت لا نأخذ على المعروف ثمناً ، فقال : هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا ، فأكل ، قال تعالى : ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ﴾ مصدر بمعنى المقصود من لدن ولادته الى فراره خوفاً من «فرعون» ﴿قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتُ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أي «فرعون» وقومه ، فلا سلطان له بأرضنا .

[٢٦] - ﴿قَالَتْ إِحْدِيهُمَا﴾ وهي المرسله ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ﴾ لرعي غنمنا ﴿إِنْ خَيْرٌ مِّنْ اسْتَأْجَرْتُ الْقَوِيَ الْأَمِينُ﴾ حث بليغ على استجاره إذ عللته بهما على

(١) قلّه : حملة ورفعه - قاموس اللغة .

(٢) تفسير الكشاف ٤٠١ : ٣ .

(٣) السمرة : شجرة صغار الورق ، قصار الشوك وله برمة صفراء يأكلها الناس - لسان العرب .

جهة المثل ولم تقل لقوته وامانته، وجعلت «خيراً» اسماً ودلت بالماضي^(١) على أنه امر قد عرف منه.

قيل: فقال «شعيب»: وما أعملك بقوته وامانته؟ فذكرت رفعه الحجر وأنه صوب رأسه حتى بلغته رسالته وأمرها بالمشي خلفه.

[٢٧] - ﴿قَالَ إِنِّي﴾ وفنح «نافع» «الباء» و«باء» «ستجدني»^(٢) ﴿أُرِيدُ أَنْ أُنَكِّحَكَ﴾ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي﴾ تكون اجيراً لي ﴿ثُمَّ إِنِّي جِئْتُكَ﴾ سنين، ظرف ﴿فَإِنْ أَنْتُمْ﴾ عملت ﴿عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ﴾ فالإتمام تفضل منك لا الزمكه، وليس عقداً ولكنه معاهدة بما عزم عليه.

وجعل المهر اجارة نفسه لا مانع منه كما هو سائع في شرعنا - على الأقوى - ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُنَشِّقَ عَلَيْكَ﴾ بالزامك العشر أو بالمناقشة في استيفاء الأعمال ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ للتبرك ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ في حسن الصحبة والوفاء بالعهد.

[٢٨] - ﴿قَالَ ذَلِكَ﴾ الذي شارطتني عليه قائم ﴿بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾ لا نخرج عنه^(٣) ﴿أَيُّمَا الْأَجْلَيْنِ﴾ الثماني أو العشر و«ما» زائدة تؤكد الإبهام ﴿فَقَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ﴾ لا يعتدى عليّ بطلب الزيادة عليه، أو فلا أكون متعدياً بترك الزيادة عليه ﴿وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ﴾ من التشارط ﴿وَكِيلٌ﴾ شهيد حفيظ.

قيل: كانت عصا^(٤) الأنبياء عند «شعيب» فقال لموسى بالليل: ادخل البيت وخذ عصاً منها، فأخذ عصاً هبط بها آدم من الجنة فقال: غيرها، فما وقع بيده

(١) «استأجرت» أي اتيان اللفظ بصيغة الماضي - لا المضارع.

(٢) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ١٧٦.

(٣) في «ب»: لا يخرج عنه.

(٤) في «ج»: عصى.

إلا هي - سبع مرّات - فعلم أنّ له شأنًا فدفعها إليه .^(١)

[٢٩] - ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ﴾ وهو أوفى الأجلين، قيل: وزاد عليه عشرًا^(٢)

وعزم على المسير ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾ امرأته بإذن أبيها نحو الشام أو مصر ﴿ءَانَسَ﴾ أبصر ﴿مِنْ جَانِبِ الطُّورِ﴾ جبل ﴿نَارًا قَالَتْ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا﴾ وضمّ «حمزة» الهاء^(٣) ﴿إِنِّي ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي^(٤) ءَاتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ﴾ عن الطريق وكان قد ضلّه، وفتح «الحرميان» و«أبو عمرو» ياء «آني» وسكّن «الكوفيون» ياء «لعلّي»^(٥) ﴿أَوْ جَذُورَ﴾ وفتحها «عاصم» وضمّتها «حمزة»^(٦) والثلاث لغات أي قطعة أو شعلة ﴿مِنْ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ تستدفئون بها .

[٣٠] - ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِئِ﴾ أناه النداء من جانب ﴿الْوَادِ الْأَيْمَنِ﴾

لموسى ﴿فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ﴾ وصفت بذلك لأنها محلّ الوحي إليه وتكليمه ﴿مِنْ الشَّجَرَةِ﴾ بدل اشتغال لـ «من شاطئ» لنباتها عليه وهي شجرة «عوسج» أو «عتاب» أو «علّيق»^(٧) ودلّ على أنّ كلامه تعالى أصوات وحروف يوجدّها في جسم ﴿أَنْ﴾ أي: ﴿يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ وفتح «الحرميان» و«أبو عمرو» «الياء»^(٨) .

[٣١] - ﴿وَأَنْ أَلْقِي عَصَاكَ﴾ فآلقاها فصارت حية واهتزّت ﴿فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ﴾

تتحرك ﴿كَأَنَّهُمَا جَانٌّ﴾ حية سريعة ﴿وَلَّى مُدْبِرًا﴾ هارباً منها ﴿وَلَمْ يُعْقِبْ﴾ ولم يرجع

(١) تفسير مجمع البيان ٤: ٢٥٠ .

(٢) تفسير البضاوي ٦: ٤ .

(٣) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ٩٥ .

(٤) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «لعلّي» - بفتح الياء .

(٥) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ١٧٦ .

(٦) حجة القراءات: ٥٤٣ .

(٧) ثبت يتعلق بالشجر يشبه الورد - أقرب الموارد .

(٨) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ١٧٦ .

فنودي: ﴿بَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾ من كلّ مخوف.

[٢٢] - ﴿أَسْلَكَ يَدَكَ﴾ ادخلها ﴿فِي جَيْبِكَ﴾ طرف مدرعتك ﴿تَخْرُجُ بَيْضَاءَ﴾ ذات شعاع ﴿مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ برص ﴿وَأَضْمَمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾ يدك المبسوطة، تتقي بها الحية خوفاً منها بإدخالها في جيبك، فالتكرير لغرض آخر وهو إخفاء الخوف عند العدو مع اظهار معجزة اخرى بخروجها بيضاء، أو اريد بضمّه التجلّد عند انقلاب العصا حية، استعارة من فعل الطائر يرخى جناحيه إذا خاف ويضمّهما إذا أمن ﴿مِنْ الرُّهْبِ﴾ من أجله أي إذا خفتها فافعل ذلك شداً لنفسك، وفتح «حفص» الراء وسكن الهاء وفتحهما «الحرميان» و«أبو عمرو» وللباقيين ضمّ بتسكين^(١) ﴿فَلَذَانِكَ﴾ أي: العصا واليد، وشدّده «ابن كثير» و«أبو عمرو»^(٢) ﴿يُرْمَانَانِ﴾ حجتان نيرتان مرسلًا بهما ﴿مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ متمردين في الكفر.

[٢٣] - ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ بها.

[٢٤] - ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْضَحُ﴾ آيين ﴿مِنِي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ﴾ وفتح «حفص» الياء^(٣) ﴿رِدْءًا﴾ معيناً، وخفّفه «نافع»^(٤) ﴿يُصَدِّقُنِي﴾^(٥) إتي أخاف أن يُكذِّبُونِ بيان الحجة ودفع الشبهة، وجزم جواباً ورفعه «عاصم» و«حمزة» صفة.^(٦)

[٢٥] - ﴿قَالَ سَتَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ سنقويك به، إذ قوّة البدن بقوّة اليد، وقوتها بشدّ العضد ﴿وَتَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا﴾ تسلطاً وحيّة ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْنَا﴾ بسوء ﴿بَايَاتِنَا﴾ متعلّق بمقدّر أي اذهب بها، أو بـ «نجعل» أي نسلطكما بها، أو

(٢٥) حجة القراءات: ٥٤٤.

(٢) الكشف عن وجوه القراءات ١٧٦: ٢ وتفسير الفيضاني ٦: ٤.

(٤) حجة القراءات: ٥٤٥.

(٥) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «يصدقني» بإسكان القاف - جواباً..

(٦) حجة القراءات: ٥٤٥.

بمعنى لا يصلون أي تمتنعان عنهم أو صلة لـ «الغالبون» في: ﴿أَنْتُمْ وَمَنِ اتَّبَعَكُمْ﴾
 الْغَالِبُونَ ﴿١﴾ إن كانت لامة للتعريف، أو بيان له لا صلة إن كانت موصولة لامتناع تقدّم
 معمول صلتها عليها.

[٣٦] - ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرٍ﴾، مختلق،
 كسائر أنواع السحر، أو سحر عمله ثم نفثه على الله ﴿وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾ السحر، أو
 ادعاء النبوة ﴿فِي آيَاتِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ كائنات في زمنهم.

[٣٧] - ﴿وَقَالَ مُوسَى - وحذف «ابن كثير» الواو: - ﴿زَيْتِي﴾ وفتح «الحرميان»
 و«أبو عمرو» «الياء»^(١) ﴿أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهَدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ﴾ فيصدقّه بالمعجزة، أي:
 يعلم أنني محق ﴿وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾ الدنيا أي عاقبتها المحمودة وهي الجنة
 فإنها المعتدّ بها بخلاف عاقبتها المذمومة، وقرأ «حمزة» و«الكسائي»: «يكون»
 بالياء^(٢) ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ لا يفوزون بخير.

[٣٨] - ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ﴾ - جهلاً أو تليساً على قومه حين افحم بالحجة -:
 ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأَ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ نفى علمه بـ «اله» غيره دون وجوده، إذ لم
 يقطع بعدمه فأراد كشف الحال بزعمه فقال: ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ﴾ فاطبخ
 الأجر ﴿فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا﴾ قصرًا عاليًا ﴿لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَى﴾ توهمًا أو إيهامًا
 لقومه أنه لو وجد لكان في السما-، فيصعد إليه، وسكن «الكوفيون» الياء^(٣) ﴿وَلِيَّيْ
 لَظَنُّهُ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ في ادعائه الهأ غيري وأنه رسول.

قيل: أنه هو أول من اتخذ الأجر^(٤) ويعضده امره بعمله بطريق التعليم

(١) حجة القراءات: ٥٤٦.

(٢) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ١٧٦.

(٣) حجة القراءات: ٥٤٦.

(٤) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ١٧٦.

(٥) تفسير البضاوي ٤: ٧.

وقد تجبر^(١) بأمر هامان منادياً^(٢) باسمه بـ«يا» في وسط الكلام.

[٣٩] - «وَأَسْتَكَبرُ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ يَغْيِرُ الْحَقِّ» إذ لا يحقُّ التكبر إلا لله

«وظَنُّوا أَنَّهُمْ إِنَّا لَا يُزْجَعُونَ» وبنه للفاعل «نافع» و«حمزة» و«الكسائي»^(٣).

[٤٠] - «فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ» طرحناهم في البحر «فَانظُرْ كَيْفَ

كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ» بتكذيب الرسول.

[٤١] - «وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً» في الكفر بالتسمية، أو بمنع اللطف، وسبق في

«التوبة» ما فيه من القراءة^(٤) «يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ» الى موجبها من الكفر «وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ لَا يُنصَرُونَ» بدفع العذاب عنهم.

[٤٢] - «وَأَتَيْنَاهُمْ فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً» ابعاداً عن الرحمة «وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ هُمْ مِنَ

الْمَقْبُوحِينَ» المبعدين: أو المشوهين الخلقة.

[٤٣] - «وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ» التوراة «مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى»

قوم «نوح» و«عاد» و«ثمود» وغيرهم «بَصَائِرَ لِلنَّاسِ» انواراً لقلوبهم تستبصر بها «وَهَدَى» الى طريق الحق «وَرَحْمَةً» سبباً لنيل الرحمة «لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ» ارادة أن يتذكروا، استعير الترجي للإرادة، أو: هو من «موسى».

[٤٤] - «وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغُرَيْبِ» بجانب المكان، أو الجبل أو الوادي الغربي

من «موسى» «إِذْ قَضَيْنَا» حين اوحينا «إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ» أمر رسالته وشريعته، أي لم تحضر مكان وحيناً إليه «وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ» للوحي إليه، فاخبارك به اخبار بغيب لا يعلم إلا بالوحي.

(١) أي تعظم.

(٢) في «الف» و«ب» منادي.

(٣) حجة القراءات: ٥٤٦.

(٤) سورة التوبة: ٩ / ٢١.

[٤٥] - ﴿وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا﴾ أمماً بعد «موسى» ﴿تَتَطَاوَلُ عَلَيْهِمُ الْأُمُورُ﴾ امد انقطاع الوحي فاندurst الشرائع، فاوحينا اليك خبر «موسى» أو غيره فالمستدرك الوحي إليه وحذف واقيم سببه مقامه ﴿وَمَا كُنْتَ نَاقِيًا﴾ مقيماً ﴿فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ «شعيب» ومن آمن به ﴿تَتْلُوا﴾ تقرأ ﴿عَلَيْهِمْ﴾ تعلماً منهم ﴿ءَايَاتِنَا﴾ المتضمنة لقصتهم ﴿وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ لك ومعلمينكما .

[٤٦] - ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ﴾ حين ﴿نَادَيْنَا﴾ «موسى» أن ﴿خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾^(١) أو حين ناجيناه ﴿وَلَكِنْ﴾ علمناك ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِّنْ نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ رسول بشريعة وان كان عليهم أنبياء واوصياء حافظون لشرع الرسول السابق ظاهرون أو مسترون لإمتناع خلق الزمان من حجة ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتعظون .

[٤٧] - ﴿وَلَوْلَا﴾ امتناعية حذف جوابها ﴿أَن تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ﴾ عقوبة ﴿يَمَّا قَدَّمْتْ أَيْدِيَهُمْ﴾ من الكفر والمعاصي ﴿فَيَقُولُوا﴾ - عطف على «تصيبهم» أي لولا قولهم إذا عوقبوا بكفرهم - : ﴿رَبَّنَا لَوْلَا﴾ هلاً ﴿أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنُتَّبِعَ ءَايَاتَكَ﴾ الفاء جواب التحضيض ﴿وَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ما ارسلناك^(٢) أي أنما ارسلناك لقطع عذرهم، فالقول هو سبب الإرسال ولكن لما كانت العقوبة سبباً للقول ادخلت «لولا» عليها وعطف القول بقاء السببية ايذاناً بأنهم أنما الجاهم الى القول العقوبة لا غير .

[٤٨] - ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا﴾ أي الرسول المصدق بالقرآن المعجز ﴿قَالُوا﴾ - تعساً - : ﴿لَوْلَا﴾ هلاً ﴿أَوْتَيْنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى﴾ من الكتاب جملة

(١) كذا في النسخ، والآية من سورة مريم: ١٩/١٢ وهو خطاب ليحيى عليه السلام، ولعله اراد أن يذكر ما ورد في الشعراء ٢٦/١٠ : «ان انت القوم الظالمين» هذا وقد فسر البيضاوي ٨/٤ كما يلي : «اذ نادينا» لعل المراد به وقت ما اعطاه التوراة وبالأول حين ما استباه لأنهما المذكوران في القصة .

(٢) جملة «ما ارسلناك» جواب «لولا» .

والعصا والبد وغيرهما ﴿أَوْ لَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُرْسِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ﴾ أي أبناء جنسهم في الكفر والعناد من كفره زمن «موسى» أو أبائهم إذ قيل كان للعرب اصل في زمنه ﴿قَالُوا سَاحِرَانِ﴾^(١) أي موسى واخوه، أو موسى ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم.

وقرأ «الكوفيون»: «سحران» مبالغة أو ذوا سحر، أو كتاباهما^(٢) ﴿نَظَّاهِرًا﴾ تعاونا بالسحر أو الكتابان بتقوية كل للآخر والإسناد مجازي ﴿وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ﴾ منهما أو من كتابيهما ﴿كَافِرُونَ﴾.

[٤٩] - ﴿قُلْ قَاتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا﴾ من الكتابين^(٣) ويعضده تفسير الساحرين بموسى ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿أَتَبِعُهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ في قولكم.

[٥٠] - ﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ﴾ دعائك بالإتيان بكتاب اهدى ﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُتَّبَعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ لا الحجة ﴿وَمَنْ أَضَلُّ﴾ أي لا أضل ﴿مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى﴾ حال أي ممنوع الإلطاف ﴿مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ لا بلطف بهم لظلمهم.

[٥١] - ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ﴾ أنزلنا عليهم القرآن متصلاً بعضه في اثر بعض، ليتصل التذكر أو متواصلاً حججاً وعبراً ومواعيد ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ارادة أن يتعظوا.

[٥٢] - ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ﴾ قبل القرآن ﴿هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ نزلت في مؤمني أهل الكتاب، أو في اربعين من مسلمي^(٤) النصارى، قدموا من الحبشة ومن الشام.

(١) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «سحران» - كما يشير اليه المؤلف ..

(٢) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ١٧٤ .

(٣) أي كتاب موسى ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم.

(٤) في «ج» معلمى - وفي تفسير الكشاف ٣: ٤٢١ - مسلمى وفيه «لأن الإسلام صفة كل مرحد مصدق للوحى».

[٥٣] - ﴿وَإِذَا يُنْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ القرآن ﴿قَالُوا ءَامَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا﴾ تحليل يبين موجب ايمانهم به ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ بيان ، لأن ايمانهم به متقدم قبل نزوله إذ وجدوا ذكره في كتبهم .

[٥٤] - ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾ بصبرهم على الإيمان بالكتابين أو بالقرآن قبل نزوله وبعده ، أو على الإيمان وأذى الكفرة ﴿وَيَذَرُونَا بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ﴾ يدفعون بالطاعة المعصية أو بالحلم الجهل ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ في فرض ونفل .
[٥٥] - ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّفْظَ﴾ السفه ﴿أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ حلقاً ﴿وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ مشاركة لهم ، أو كلمة حلم ﴿لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ لا نريد مخالطتهم .

[٥٦] - ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ لا تقدر على اللطف المقرب له الى الإيمان .

وجعلها في أبي طالب ، الثابت الإيمان بشهادة ما تواتر من نظمه ونثره واجتماع أهل البيت عليهم السلام ، ^(١) تعصب من ناصبي العداوة لإبنه امير المؤمنين عليه السلام ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ بلطفه ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ القابلين للطف . ^(٢)

[٥٧] - ﴿وَقَالُوا إِن نَّبَعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نَتَّخِطُّفُ مِنْ أَرْضِنَا﴾ نستلب منها بسرعة .
قالت قريش أو الحارث بن نوفل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : نحن نعلم أنك على الحق ولكننا نخاف ان اتبعناك أن يتخطفنا العرب ، فقال تعالى ردّاً عليهم : ﴿أَوْ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا﴾ ذا أمن بحرمة البيت ، فهم آمنون فيه والعرب يتغاورون ^(٣)

(١) ينظر كتاب العمدة لابن البطريق : ماجاء في أبي طالب .

(٢) في «أ» اللطف .

(٣) أي يغير بعضهم على بعض .

حولهم ﴿يُجْبَىٰ﴾ يجلب، وقرأ «نافع» بالتاء ^(١) ﴿إِلَيْهِ تَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من كل بلد ﴿وَرِزْقًا﴾ مصدر من معنى «يجبى» ﴿مِنْ لَّدُنَّا﴾ هذا، وهم كفرة فكيف يسلبون ^(٢) الأمن إذا ضَمُّوا الى حرمة البيت حرمة الإسلام ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ لا يتأملون ليعلموا ذلك.

[٥٨] - ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ﴾ أي أهلها ﴿بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ أي كانوا مثلكم في الأمن وسعة الرزق فبطروا ^(٣) فأهلكناهم، وانتصب «معيشتها» بنزع «في» أو بجعلها ظرفاً بنفسها أو بحذف مضاف أي زمن «معيشتها» أو بتضمين «بطرت» معنى كفرت ﴿فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ﴾ خربة ﴿لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ من السكنى، للمارة يوماً أو ساعة ﴿وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ لها منهم.

[٥٩] - ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَمَةٍ﴾ في أصلها التي هي توابعها ﴿رُسُلًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا﴾ لإلزام الحجة، وفيه التفات ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ بالكفر وتكذيب الرسل.

[٦٠] - ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾ من أعراض الدنيا ﴿فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا﴾ تمتعون به وتزينون به أيام حياتكم الفانية ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ وهو: ثوابه ﴿خَيْرٌ﴾ في نفسه من ذلك ﴿وَأَبْقَىٰ﴾ لأنه سرمد ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ذلك، فتؤثروا الخير الباقي، وقرأ «أبو عمرو» بالياء. ^(٤)

[٦١] - ﴿أَقَمْنِ وَعَدْنَاهُ وَعَدًا حَسَنًا﴾ وهو الثواب الباقي ﴿فَهُوَ لِأَقْبِهِ﴾ مدركه لا محالة ﴿كَمْ مَتَعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ الفاني المنص بالآلام ﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ

(١) حجة القراءات: ٥٤٨.

(٢) في «ج»: يسلبوا.

(٣) البطر: التجبر وكفران النعمة.

(٤) حجة القراءات: ٥٤٨.

مِنَ الْمُخَضَّرِينَ ﴿٦٢﴾ لِلنَّارِ، أَي لَا يَسْتَوِيَانِ، وَسَكَنَ «نَافِع» وَ«الْكَسَائِي» هَاءٌ «هُوَ» (١)
 [٦٢] - ﴿وَيَوْمَ﴾ وَاذْكُرْ يَوْمَ ﴿يُنَادِيهِمْ﴾ اللَّهُ ﴿فَيَقُولُ﴾ تَوَيْخًا لَهُمْ: ﴿أَيْنَ شُرَكَاءِيَ
 الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ تَزْعُمُونَهُمْ شُرَكَائِي؟ .

[٦٣] - ﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ﴾ وَجِبَ ﴿عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ الْوَعِيدُ أَيِ مُقْتَضَاهُ (٢) وَهُوَ
 الْعَذَابُ ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ﴾ مُبْتَدَأُ ﴿الَّذِينَ أَغْوَيْنَا﴾ خَبَرُهُ، وَعَائِدَةُ «الَّذِينَ» مَحذُوفٌ أَيِ
 اغْوَيْنَاهُمْ، أَوْ صِفَتُهُ وَالْخَبَرُ ﴿أَغْوَيْنَاهُمْ﴾ بِالْوَسْوَسَةِ، فَغَوَّوْا بِاخْتِيَارِهِمْ غِيًّا ﴿كَمَا
 غَوَيْنَا﴾ مِثْلَ غِيَّتِنَا بِاخْتِيَارِنَا وَلَمْ نَقْسِرْهُمْ عَلَى الْغِيِّ ﴿تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ﴾ مِنْهُمْ وَلَكُونَهُ تَقْرِيرًا
 لِمَا قَبْلَهُ تَرَكَ الْعَاطِفَ وَكَذَا: ﴿مَا كَانُوا إِلَّا نَا يَغْبُدُونَ﴾ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَنَا، وَإِنَّمَا كَانُوا
 يَعْبُدُونَ أَهْوَاءَهُمْ .

[٦٤] - ﴿وَقِيلَ اذْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾ مِنْ جَعَلْتُمُوهُمْ شُرَكَاءَ اللَّهِ ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ
 يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ دَعَائِهِمْ ﴿وَرَأَوْا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾ إِلَى الْحَقِّ لِمَا رَأَوْهُ،
 أَوْ لَعَلَّمُوا أَنَّ الْعَذَابَ حَقٌّ أَوْ تَمَنَّوْا لَوْ كَانُوا مُهْتَدِينَ .

[٦٥] - ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ تَبَكَّيْتُ بِتَكْذِيبِهِمُ الرُّسُلَ .

[٦٦] - ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ﴾ فَصَارَتْ الْأَخْبَارُ كَالْعَمَى عَلَيْهِمْ لَا تَهْتَدِي
 إِلَيْهِمْ، فَعَجَزُوا عَنِ الْجَوَابِ ﴿فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ لَا يَسْأَلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَنْهُ
 لِدَهْشَتِهِمْ، إِذِ الرُّسُلُ تَذْهَلُ عَنْ جَوَابِ مِثْلِ هَذَا السُّؤَالِ فَتَكَلُّهُ إِلَى عِلْمِهِ تَعَالَى فَمَا
 ظَنُّكَ بِالضَّلَالِ .

[٦٧] - ﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ﴾ مِنَ الشَّرِكِ ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ شَفَعَ الْإِيمَانُ
 بِالْعَمَلِ ﴿فَنَسِيَ أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾ يَوْمُئِذٍ وَ«عَسَى» وَجُوبٌ مِنَ اللَّهِ أَوْ
 تَرْجٍ مِنَ النَّاسِ .

(١) حجة القراءات: ٥٤٨ .

(٢) فِي «ج» الْوَعِيدُ أَيِ الْوَعْدُ الْمَرْعُودُ إِلَى مُقْتَضَاهُ .

[٦٨] - ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ ما يشاء ﴿مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ التَّخِيرُ أي ليس لأحد من خلقه أن يختار عليه، بل له الخيرة عليهم لعلمه بالمصالح. رد لقولهم: ﴿لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾^(١) ومثلهم من اختار على الله أمماً غير من اختاره وترك العاطف لأنه بيان لـ «يختار». وقيل: معناه ويختار الذي لهم فيه الخيرة أي الصلاح، فحذف العائد ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ عن اشراكهم الحامل لهم أن يختاروا عليه ما لا يختار. [٦٩] - ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تَكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ من عداوتك ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ ما طعنهم فيك أو الأعم منهما.

[٧٠] - ﴿وَهُوَ اللَّهُ﴾ المعبود بالحق ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ لا معبود بحق غيره^(٢) ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى﴾ في الدنيا على نعمه الشاملة لخلقه ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ في الجنة على توفيقهم لما يوجب دخولها ﴿وَأَخِرَ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٣) ﴿وَلَهُ الْحُكْمُ﴾ القضاء بين عباده مختص به ﴿وَالِيهِ تُرْجَعُونَ﴾ بالبعث.

[٧١] - ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا﴾ دائماً من السرد أي المتابعة، والميم زائدة ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ بحبس الشمس تحت الأرض ﴿مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ﴾ وقرأ «قبل» بهمزتين^(٤) ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ سماع تعقل.

[٧٢] - ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ بحبسها فوق الأرض ﴿مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ﴾ للإستراحة، من نصب العمل وقرن بالضياء أفلا تسمعون، وبأليل ﴿أَفَلَا تَبْصِرُونَ﴾ لأن الضياء أكثر منافع

(١) سورة الزخرف: ٤٣ / ٣١.

(٢) في «ج» سواء.

(٣) سورة يونس ١٠: ١٠.

(٤) أي بضياء - ونقله تفسير البياضوي ٤: ١١ عن ابن كثير.

من الظلام، والسمع أكثر مدارك من البصر، ومن ثم لم يصف الضياء بما يقابل وصف الليل.

[٧٣] - ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ في الليل ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ في النهار بالكسب ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ولإرادة شكركم له على نعمه.

[٧٤] - ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ كرر توبيخهم به ايذاناً بأن لا شيء أسخط الله من الإشراف به.

[٧٥] - ﴿وَنَزَعْنَا﴾ أخرجنا ﴿مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ وهو نبيهم، يشهد عليهم بما كان منهم ﴿فَقُلْنَا﴾ لهم: ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ على صحة ما كنتم عليه ﴿فَعَلِمُوا﴾ حيثئذ ﴿أَنَّ الْحَقَّ﴾ في الإلهية ﴿لِلَّهِ﴾ وحده ﴿وَصَلَّ﴾ غاب ﴿عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ من الباطل.

[٧٦] - ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى﴾ ممن آمن به وكان ابن خالته أو ابن عمه «يصهر بن فاهث بن لوي» أو عمه، على أن عمران بن يصهر «فَبَقِيَ» تكبر «عَلَيْهِمْ» بكثرة ماله وولده، أو ظلمهم حين ولّاه «فرعون» عليهم قبل ذلك ﴿وَأَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ﴾ من الأموال المجموعة ﴿مَا إِنَّ مَقَاتِحَهُ﴾ جمع مفتاح، بالكسر وهو ما يفتح به الغلق، أو بالفتح وهو الخزانة ﴿لَتَتَوَلَّى بِالْعُسْبِيَّةِ﴾ خبر «أَنَّ» والجملة صلة «مَا» أي تثقل الجماعة الكثيرة ﴿أُولَى الْقُوَّةِ﴾.

وعذتهم قيل: عشرة^(١) وقيل: أربعون^(٢) وقيل: ستون^(٣) ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ﴾ ظرف «تَوَلَّى» ﴿لَا تَفْرَحْ﴾ بطراً بمالك، أو سروراً بزخارف الدنيا وملذّاتها، المتيقن زوالها،

(١) تفسير مجمع البيان ٤: ٢٦٦ عن مجاهد.

(٢) تفسير مجمع البيان ٤: ٢٦٦ عن قتادة.

(٣) تفسير الكشف ٣: ٤٣٠.

كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾، ^(١) ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ تعليل للنهي. [٧٧] - ﴿وَابْتَغِ﴾ اطلب ﴿فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ﴾ من المال ﴿الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾ بإغناقه في سبل الخير الموصلة إليها ﴿وَلَا تَنْسَ﴾ تترك ﴿نَصِيكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ وهو أن تنال بها آخرتك أو اللذات المباحة ﴿وَأُخْسِنْ﴾ الى الناس أو بشكر الله ﴿كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ في انعامه عليك ﴿وَلَا تَبْغِ﴾ تطلب ﴿الْفُسَادَ﴾ أي الظلم والبغي ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿بغاة الفساد.

[٧٨] - ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ﴾ أي المال ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ حال، أي على استحقاق له لعلمي الذي فضلت به على الناس وهو علمه بوجوه المكاسب أو بالكيمياء أو بالتوراة وكان اعلمهم بها ﴿عِنْدِي﴾ بفتح الياء واسكانها صفة «علم» أو متعلق بـ «أوتيته» أي الأمر كذلك في ظني ورأيي ﴿أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ﴾ الأمم ﴿مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ للمال أي هو يعلم ذلك من التوراة وغيرها فلا يفتخر بقوته وكثرة ماله، فإن الله يهلكه كما أهلكهم ﴿وَلَا يُسْقِلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُعْجِرُونَ﴾ استعلاماً لعلمه تعالى بها [واما قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ﴾ ^(٢) تقريباً ^(٣) أو السؤال في موقف ونفيه في آخر، وهو تأكيد لما قبله من تهديد قارون.

[٧٩] - ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾ قيل: خرج على بغلة شهباء، عليها سرج من ذهب وعليه الأرجوان، ومعه أربعة آلاف في زيته ^(٤) ﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ - من ضعفاء المؤمنين وقيل: كانوا كفاراً ^(٥) -: ﴿يَا﴾ للتثنية ﴿لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا

(١) سورة الحديد: ٢٣/٥٧.

(٢) الزيادة اقتضاها السياق.

(٣) سورة الحجر: ٩٢/١٥.

(٤) أي سؤال تفرع.

(٥) تفسير البضاوي ٤/ ١٢.

(٦) تفسير مجمع البيان ٤/ ٢٦٧.

أُوتِيَ قَارُونُ ﴿ غَبْطَةً لَا حِسَدًا، إِذْ تَمَنَّاوْا مِثْلَهُ لَا عَيْنَ ﴾ إِنَّهُ لَدُو حَظٌّ ﴿ بَخْتِ عَظِيمٍ ﴾ مِنَ الدُّنْيَا .

[٨٠] - ﴿ وَقَالَ ﴾ لَهُمْ ﴿ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ - بِأَحْوَالِ الدَّارَيْنِ - : ﴿ وَيُلْكَمُ ﴾ هَلَاكًا لَكُمْ، كَلِمَةً زَجَرَ ﴿ ثَوَابُ اللَّهِ ﴾ فِي الْآخِرَةِ ﴿ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ مِمَّا أُوتِيَ قَارُونُ ﴿ بَلْ مِمَّا فِي الدُّنْيَا ﴾ وَلَا يُلْقَاهَا ﴿ أَيِ الْكَلِمَةِ الَّتِي قَالَهَا الْعُلَمَاءُ أَوْ الثَّوَابِ لِأَنَّهُ بِمَعْنَى الْمَثُوبَةِ أَوْ الْجَنَّةِ ﴾ إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿ عَلَى الطَّاعَةِ وَعَنِ الْمَعْصِيَةِ .

[٨١] - ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ ﴾ قِيلَ : كَانَ يُوْذَى «مُوسَى» وَهُوَ يَدَارِيهِ فَيُرْطَلُ ^(١) بَغْيَةً لِّتَرْمِيهِ بِنَفْسِهَا لِيَفْتَضَحَ ، فَخُطِبَ «مُوسَى» يَوْمًا فَقَالَ : مَنْ زَنَى غَيْرَ مُحَصَّنٍ جُلْدَنَاهُ وَمُحَصَّنًا رَجَمْنَاهُ ، فَقَالَ «قَارُونُ» : وَإِنْ كُنْتُ ؟ قَالَ وَ إِنْ كُنْتُ .

قال : فبنوا اسرائيل زعموا أنك فجرت بفلانة ، فاحضرت فناشدتها «موسى» بالله أن تصدق ، فقالت : برطلنى «قارون» لأرميك بنفسى .

فدعا «موسى» ربه عليه فأوحى إليه أن مَرِ الْأَرْضَ بما شئت ، فقال : يَا أَرْضُ خُذِيهِ ، فَأَخَذَتْهُ إِلَى رَكْبَتِهِ ثُمَّ إِلَى وَسْطِهِ ثُمَّ إِلَى عُنُقِهِ ثُمَّ غَيَّبَتْهُ .

وكان يتضرع إليه في هذه الأحوال فلم يرحمه ، فأوحى الله إليه : اسْتَغَاثَ بِكَ فَلَمْ تَغْتَه؟ ! ، لَوْ دَعَانِي لِأَجْبَتَهُ .

ثُمَّ قَالَ بَنُو إِسْرَائِيلَ : فَعَلَهُ لِيْرْتَهُ ، فدعا الله فحسف بداره وماله ﴿ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ ﴾ أَعْوَان ﴿ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ يَمْنَعُونَهُ مِنْ عَذَابِهِ ﴿ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُتَنَصِّرِينَ ﴾ الْمُتَمَتِّعِينَ مِنْهُ . ^(٢)

(١) أَيِ أَعْطَاهَا الْبُرْطِيلَ وَهُوَ الرُّشُوءُ .

(٢) فِي تَفْسِيرِ الْبِيضَاوِيِّ ٤ : ١٢ - مُتَمَتِّعِينَ مِنْهُ مِنْ قَوْلِهِمْ : نَصَرَهُ مِنْ عَدُوِّهِ فَانْتَصَرَ : إِذَا مَنَعَهُ مِنْهُ فَاثْنَع . رَاجِعِ الْحَدِيثَ فِي تَفْسِيرِ الْبِيضَاوِيِّ ٤ : ١٢ .

[٨٢] - ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَآنَ اللَّهُ^(١) يَسْطُرُ الزَّرْقَ لِمَنْ

يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ﴾ يوسع لا لكرامة ويضيق لا لهوان، بل بحسب الحكمة.

قيل «وي» للتعجب و«كَانَ» للتشبيه أي ما أشبه الحال بأن الله يسطر.

وقيل: «ويك» بمعنى ويلك أي ويك أعلم أن الله،^(٢) ووقف «الكسائي» على

«وي» و«أبو عمرو» و«يعقوب» على «ويك» ﴿لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ فلم يعطنا مثله

﴿لَخِيفَ بِنَا﴾ كما خسف به، وبناء «حفص» للفاعل^(٣) ﴿وَيَكَآنَهُ لَا يُفْلِحُ

الْكَافِرُونَ﴾ لنعمة الله أو به أو برسله.

[٨٣] - ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾ فيه تفخيم أي تلك التي بلغك خبرها و«الدار»

صفة، والخبر: ﴿تَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ﴾ تكبراً وقهراً ﴿وَلَا فَسَادًا﴾

بغياً وظلماً و«الْعَاقِبَةُ» المحموده ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الذين اتقوا الشرك و]^(٤) المعاصي.

[٨٤] - ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾ فسر في آخر النمل^(٥) ﴿وَمَنْ جَاءَ

بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ﴾ وضع موضع فلا يجوزون تقيحاً لحالهم

بتكرير نسبة السيئة إليهم ﴿إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ إلا مثله، وحذف المثل مبالغة

في الممانلة.

[٨٥] - ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ أوجب تلاوته وتبليغه وامثال ما فيه

﴿لَرَأَدُكَ إِلَى مَعَادٍ عَظِيمٍ الشَّانَ، إِذَا بَعَثَ، أَوْ: هُوَ «مَكَّة» وَرَدَّهَا يَوْمَ الْفَتْحِ.

قيل: لما هاجر وبلغ «جحفة» فاشتاق إليها فنزلت^(٦) ﴿قُلْ رَّبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ

(١) من هنا إلى آخر السورة غير موجودة في «ب».

(٢) تفسير البضاوي ١٢/٤.

(٣) حجة القراءات: ٥٤٩.

(٤) ما بين المعقوفين من تفسير مجمع البيان ٤: ٤٦٩.

(٥) الآية: ٨٩ من سورة النمل (٢٧).

(٦) تفسير البضاوي ٤: ١٣.

بِالْهُدَى ﴿ وما يستوجبه من الثواب يعني نفسه ونصب بـ «يعلم» مضمراً، وفتح «الحرميان» و«أبو عمرو» «الباء» ^(١) ﴿وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ وما يستوجبه من العقاب بغيرهم .

[٨٦] - ﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ﴾ القرآن ^(٢) ﴿إِلَّا﴾ لكن القى اليك ﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ أو متصل إذ المعنى : وما ألقى اليك إلا رحمة منه ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهيراً﴾ معيناً ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ على مرادهم وهو وما بعده تهييج .

[٨٧] - ﴿وَلَا يَصُدُّكَ﴾ أي الكافرون ﴿عَنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ عن تلاوتها واتباعها ﴿بَعْدَ إِذْ أَنْزَلْتُ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ﴾ الى توحيده وعبادته ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ بإعانتهم .

[٨٨] - ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ إلا ذاته .

وعن أهل البيت عليهم السلام : إلا وجهه الذي يؤتى منه وهو حججه ، ونحن وجهه ، ^(٣) فالمراد بالهلاك ما يجزى الى الضلال والعذاب ﴿لَهُ الْحُكْمُ﴾ القضاء النافذ ﴿وَالِيهِ تَرْجَعُونَ﴾ للجزاء . ^(٤)

(١) الكشف عن وجوه القراءات ٢ : ١٧٦ .

(٢) كلمة «القرآن» غير موجودة في «ج» .

(٣) تفسير الضمى ٢ : ١٤٧ .

(٤) في «ج» : اليه المرجع والمآب عز وجل شأنه .

سورة العنكبوت

[٢٩]

تسع وستون آية مكية وقيل إلا عشرًا من أولها. ^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] - ﴿الْم﴾ فسر مثله. ^(٢)

[٢] - ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا﴾ أول المفعولين ﴿أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا﴾ ثانيهما ﴿وَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ حال من واو «يتركوا» أي: أحسبوا تركهم غير ممتحنين لقولهم «آمنّا» ومثله أحسب ضربه للتأديب، أو: أنفسهم متروكة غير ممتحنين لقولهم «آمنّا» بل يمتحنون بالتكليف الشاق كالمهاجرة والجهاد وسائر الطاعات وهجر الشهوات وبضروب البلوى في الأنفس والأموال ليطهر الإيمان على الإيمان من غيره، وليضاعف أجر الصابر عليها.

نزلت في «عمّار» أو ناس آمنوا فأذاهم المشركون.

[٣] - ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ إمتحناهم ولم نتركهم لقولهم «آمنّا» فهذه سنة

(١) قاله الحسن كما في تفسير مجمع البيان ٤ / ٢٧١.

(٢) في أول سورة البقرة.

جارية في جميع الأمم، لا تتغير ﴿فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ في إيمانهم أي ليتعلق علمه به موجوداً ﴿وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ فيه: والمعنى ليتبين الصادق من الكاذب. وعن «علي» و«الصادق» عليهما السلام: «فليعلمن» من الإعلام أي: ليعرفنهم الناس أو ليسمنهن بعلامة يعرفون بها كيباض الوجوه وسوادها. ^(١)

[٤] - ﴿أَمْ﴾ بل أ ﴿حَسِبَ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ الكفر والمعاصي ﴿أَنْ يَسْقُونَا﴾ أن يفوتونا، فنعجز عن الانتقام منهم وهو ساء مسد المفعولين، والإضراب لأن هذا الحسبان أشنع من السابق ولهذا الحق ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ حكمهم هذا.

[٥] - ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ﴾ يأمل الوصول إلى ثوابه أو يخاف العقاب من الموت والبعث والجزاء ﴿فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ﴾ الوقت الموقت للقاءه ﴿لَا يَسَارِعُ﴾ إلى ما يوصل إلى الثواب، أو إلى ما يؤمن من العقاب ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ للأقوال ﴿الْعَلِيمُ﴾ بالأعمال.

[٦] - ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾ لأن فائدته لها ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ وعن طاعتهم وانما كلّفهم لمنفعتهم.

[٧] - ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ السابقة من الكفر والمعاصي بالإيمان والعمل ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أحسن جزائه.

[٨] - ﴿وَوَضَّيْنَا لِلْإِنْسَانِ يُولَدَيْهِ حُسْنًا﴾ أمرناه بإيلاتهما فعلاً ذا حسن أو ما هو في ذاته حسن مبالغة، أو قلنا له: أحسن بهما حسناً ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ﴾ بالهية ﴿عِلْمٌ﴾ أريد بنفي العلم بها نفياً إيداناً بأن ما لا يعلم حقيقته لا يسوغ ارتكابه فضلاً عما علم بطلانه ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ في ذلك إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ﴿إِلَّيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ بركم وفاجرکم ﴿فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

بالجزاء عليه .

[٩] - ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ في جملتهم أو في مدخلهم أي : الجنة .

[١٠] - ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللّٰهِ﴾ بلسانه ﴿فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللّٰهِ﴾ آذاه الكفار ﴿جَعَلَ فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ آذاهم له صارفاً عن الإيمان ﴿كَعَذَابِ اللّٰهِ﴾ الصارف عن الكفر ﴿وَلَيَنْ جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ فتح لكم ﴿لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾ في الذين نقبوا وتشركوهم إن غنمتم والتوحيد والجمع للفظ «من» ومعناها ﴿أَوْ لَيْسَ اللّٰهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾ من ايمان ونفاق .

[١١] - ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللّٰهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بإخلاص ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾

فيجازي الحزبين .

[١٢] - ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا﴾ في ديننا ﴿وَلْنَحْمِلَ خَطَايَاكُمْ﴾ بذلك إن كانت ، وكان بعث وجزاء ، أمر بمعنى الخبر ﴿وَمَا هُمْ بِخَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ في ضمانهم حملها .

[١٣] - ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ﴾ أوزار أنفسهم ﴿وَأَثْقَالًا﴾ آخر ﴿مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ وهي أوزار من اضلوه من غير أن ينقص من وزره شيء ﴿وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ تقريباً ﴿عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ من الكذب .

[١٤] - ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ على رأس أربعين ﴿فَلَبَّىٰ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ يدعوهم الى الله ولايجيبونه .

وعبراً بذلك تنصيهاً على كمال العدد ، إذ لو قيل تسعمائة وخمسين ، لأحتمل إرادة ما يقرب منه مع أن الغرض تثبيت «الرسول» صلى الله عليه وآله وسلم وذكر «الألف» المخيل للسامع طول المدة أوصل إليه ، واختلف المميزان نجباً للتكرير^(١) لا لغرض

﴿فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ﴾ الماء الكثير، طاف بهم وأحاط، فغرقوا ﴿وَهُم ظَالِمُونَ﴾ بكفرهم.

[١٥]- ﴿فَأَنجَيْنَاهُ﴾ أي نوحاً ﴿وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ﴾ من ركبوا معه فيها وهم ثمانون أو أقل، وعاش بعد ذلك ستين ﴿وَجَعَلْنَاهَا﴾ أي السفينة أو القصة ﴿آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ يعتبرون بها.

[١٦]- ﴿وَإِبْرَاهِيمَ﴾ عطف على «نوحاً» أو نصب بأذكر مضمراً ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ ظرف لـ «أرسلنا» أي أرسلناه حين كمل وصلح لأن يعظ قومه، أو بدل إشتمال منه إن قدر اذكر ﴿وَأَتَقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من شرككم ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الخير والشر.

[١٧]- ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا﴾ جمادات ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ مصدر أي: تكذبون كذباً أو صفة أي: خلقاً ذا إفك بإدعاء إلهيتها وشفاعتها عند الله، أو تصنعونها وتنحتونها ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾ لا يقدرُونَ أن يرزقوكم شيئاً من الرزق ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾ كله فإنه المالك له ﴿وَاعْبُدُوهُ﴾ وحده، تأدية لحقه ﴿وَأَشْكُرُوا لَهُ﴾ تقيداً لنعمه^(١) واستزادة لفضله، أو إستمداً للقاءه بهما فإنكم ﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

[١٨]- ﴿وَإِنْ تَكْذِبُوا﴾ وإن تكذبوني ﴿فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّنْ قَبْلِكُمْ﴾ رسلهم، فلم يضروهم، بل ضروا أنفسهم فكذا انتم ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ التبليغ البين.

والآية وما بعدها إلى ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾^(٢) من قصة «إبراهيم»، أو اعتراض بين طرفيها^(٣) بذكر حال النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقريش وهدم شركهم وتهديدهم

(٢) أي بين طرفي قصة إبراهيم.

(١) أي قيدوا النعمة بالشكر.

(٢) الآية: ٢٤.

على تكذيبه تسلية له صلى الله عليه وآله وسلم بأن حاله فيهم كحال أبيه «إبراهيم» في قومه .
 [١٩] - ﴿أَو لَمْ يَرَوْا﴾ بعقولهم ، وقرأ «ابن كثير» و«حمزة» و«الكسائي» بالتاء^(١)
 ﴿كَيْفَ يُبْدِئُ﴾ - بضم أوله - يتبدى «اللهُ الْخَلْقُ» من العدم «ثُمَّ يُعِيدُهُ» كما
 أبداه ، خبر ، عطف على «أو لم يروا» لا على «يبدى» إذ لم تقع الرؤية عليه «إِنَّ
 ذَلِكَ» المذكور من الإبداء والإعادة «عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ» إذا أراد ، كان .

[٢٠] - ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ حكاية قوله تعالى لـ «إبراهيم» أو «محمد» صلى الله
 عليه وآله وسلم «فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ» المواليد الثلاثة^(٢) وغيرها «ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ
 الْآخِرَةَ» بعد الاولى .

وصرح باسم «الله» مبتدأ ولم يكتب بضميره ايذاناً بأنه لا يقدر على الإعادة
 إلا من عرف بالقدرة على الإبداء وهو الله . وفتح «ابن كثير» و«أبو عمرو» «الشين» بعدها
 الف^(٣) «إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» فيقدر على الناشئين .
 [٢١] - ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ تعذيبه «وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ» رحمته «وَالِلَّهِ
 تُقَلِّبُونَ» تردون .

[٢٢] - ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ الله عن إدراككم لو هربتم عن حكمه «فِي
 الْأَرْضِ» الفسيحة «وَلَا فِي السَّمَاءِ» التي هي أفسح منها ، أو لو تحصنتم في أعماق
 الأرض ، أو في القلاع الذاهبة في السماء «وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ» يمنعكم منه
 «وَلَا نَصِيرٍ» يدفع عنكم عذابه .

[٢٣] - ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ دلائله أو كتبه «وَلِقَائِهِ» البعث «أُولَئِكَ يَسْأَوْنَ
 مِنْ رَحْمَتِي» لأنكارهم البعث والجزاء ، أو يعيشون منها يوم القيامة .

(١) حجة القراءة : ٥٤٩ .

(٢) وهي : المعدن والنبات والحيوان .

(٣) حجة القراءة : ٥٤٩ .

وعبر بالماضي لتحقيقه ﴿وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

[٢٤] - ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ قوم «إبراهيم» ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾ فאלقوه في النار ﴿فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾ بجعلها برداً وسلاماً عليه ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ في انجائه ﴿لَايَاتٍ﴾ هي منعه من حرها وسرعة إخمادها مع عظمها، وجعل مكانها روضاً، وعدم تضرره بالرمي ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ لأنهم المتفكرون فيها.

[٢٥] - ﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ^(١) بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بتوين «مودعة» ونصبها علّة، أي: لتوادوا بينكم لإجتماعكم عليها، وثاني مفعولي «اتخذتم» مقدر، أو هي المفعول الثاني أي: اتخذتموها مودودة أو سبب مودة، ونصبها مضافة «حفص» و«حمزة» ووجهه ما مر^(٢) ورفعها مضافة «ابن كثير» و«أبو عمرو» و«الكسائي»^(٣) خبر محذوف أي اتخذتم أوثاناً هي مودة بينكم أو خبر «ان» بجعل «ما» مصدرية أو موصولة، حذف عاندها وهو مفعول أول ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ أي يقوم التعادي والتلاعن بين العبد أو بينهم وبين أوثانهم ويكونون عليهم ضداً ﴿وَمَا أَوَّاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ نَّاصِرِينَ﴾ يدفعونها عنكم.

[٢٦] - ﴿فَأَمَرَ لَهُ لُوطُ﴾ هو ابن أخته وأول مؤمن به ﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ﴾ من قومي ﴿إِلَىٰ رَبِّي﴾ إلى حيث أمرني ربي، وفتح «نافع» و«أبو عمرو» الياء^(٤) ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ﴾ في سلطانه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صنعه، فخرج مع زوجته «سارة» ابنة عمه و«لوط» من «كوثر» - سواد الكوفة - إلى «الشام»^(٥) فسكن «فلسطين» و«لوط» «سدوم».

(١) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «مودعة» - بدون تنوين - كما يشير إليه المؤلف -.

(٢) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ١٧٨.

(٣) مرّ معنى هذه الكلمة في ذيل الآية ٧١ من سورة الانبياء ينظر الهامش.

[٢٧] - ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ ولداً ﴿وَيَعْقُوبَ﴾ نافلة^(١) من هرمين، ولذا خصا بالذكر ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ﴾ فكل نبي بعده منها ﴿وَالْكِتَابَ﴾ أي جنسه، فيعم الكتب الأربعة. ﴿وَوَعَيْنَا أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا﴾ وهو الذرية الطيبة وثناء كل الأمم عليه ﴿وَأَنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أولي الدرجات العلى.

[٢٨] - ﴿وَلُوطًا﴾ عطف على «إبراهيم» ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتُنْكُمُ﴾ وقرأ «الحرميان» وابن عامر: «إنكم» خبراً^(٢) ﴿لَتَأْتُونَ الفَاحِشَةَ﴾ الفعل الشتماء ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ إستئناف يقرر فحشها إذا لم يرتكبها أحد قبلهم لفرتهم لها طبعاً.
[٢٩] - ﴿أَتُنْكُمُ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقَاطِعُونَ السَّبِيلَ﴾ بإعتراض المارة بالقتل وأخذ المال أو بالفاحشة، أو تقطعون سبيل النسل بإتيان الرجال دون النساء ﴿وَتَأْتُونَ فِي تَاْدِيكُمُ﴾ هو المجلس ما دام أهله فيه ﴿الْمُنْكَرَ﴾ كالضراط واللواط وكشف العورة وغير ذلك ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ إستهزاء ﴿إِنَّا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في إستفحاش ذلك.

[٣٠] - ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ بقبائحهم وسنّها في الناس.
[٣١] - ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى﴾ بالبشارة بـ «إسحاق» و«يعقوب» بعده ﴿قَالُوا إِنَّا مَهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ وهي «سدوم»، وإضافة «مهلكوا» لفظية لأنه مستقبل ﴿إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ عللوا إهلاكهم بإصرارهم على الظلم وهو كفرهم ومعاصيهم.

[٣٢] - ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾ جدال لهم بأن فيها من لا يظلم إشفافاً عليه ﴿قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا﴾ أخبر بحاله وحال قومه ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُ﴾ وخففه «حمزة» و«الكسائي»^(٣) ﴿وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ الباقيين في العذاب.

(٢) حجة القراءات: ٥٥١.

(١) النافلة: ما كان زيادة على الأصل.

(٢) تفسير البضاوي ٤: ١٧.

[٢٣] - ﴿وَلَمَّا أَنْ زِيدَتْ لِلتَّائِيدِ﴾ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ ﴿إِغْتَمَ بِسَبِيهِمْ إِذْ جَاءُوا فِي صُورَةِ غُلَمَانَ أَصِيَّافٍ﴾، فخاف عليهم قومه ﴿وَصَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ صدرًا، كناية عن فقد الطاقة ﴿وَقَالُوا﴾ - حين رأوا ما لقيه -: ﴿لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ﴾ فنحن رسل ربك ﴿إِنَّا مُنْجُوكَ﴾ وخففه «ابن كثير» و«أبو بكر» و«حمزة» و«الكسائي» ^(١) ﴿وَأَهْلَكَ﴾ نصب عطفًا على محل الكاف أو بفعل مضمر ﴿إِلَّا أَمْرًا تَكُ كَانَتْ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ .

[٢٤] - ﴿إِنَّا مُنْزِلُونَ﴾ وشدده «ابن عامر» ^(٢) ﴿عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا﴾ عذابًا ﴿مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ بسبب فسقهم .

[٢٥] - ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً﴾ هي آثار المنازل الخربة ، أو قصتها أو بقية الحجارة ، أو الماء الأسود ﴿لَقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يتفكرون فيها ، ويتعلق بـ «تركنا» أو «آية» .

[٢٦] - ﴿وَالِى مَدِينٍ﴾ وأرسلنا إليهم ﴿أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ واعملوا ما ترجون به ثوابه ، فأقيم الرجاء مقام سببه ، أو: خافوا ﴿وَلَا تَعْتَوْا﴾ تفسدوا ﴿فِى الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ حال مؤكدة .

[٢٧] - ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة أو صيحة «جبرائيل» ﴿فَأَصْبَحُوا فِى دَارِهِمْ جَائِعِينَ﴾ صرعى على وجوههم .

[٢٨] - ﴿وَعَادًا﴾ وأهلكنا عادًا ﴿وَتَمُودًا﴾ بالصرف وتركه ^(٣) بمعنى الحي والقبيلة ﴿وَلَقَدْ بَيَّنَّ لَكُم مِّن مَّسَاجِدِهِمْ﴾ بعضها أو إهلاكهم من جهتها عند مروركم بها ﴿وَرَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانَ أَعْمَالَهُمْ﴾ كفرهم ومعاصيهم ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ سبيل الحق ﴿وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ متمكنين من النظر ، ولكن لم ينظروا .

[٢٩] - ﴿وَقَارُونَ﴾ وأهلكنا «قارون» ولعله قدم لنسبه ﴿وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا فِى الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ﴾ فاتسين أمرنا ،

(٢-١) حجة القراءات : ٥٥١ ، ٥٥٢ .

(٣) في المصحف الشريف بقراءة حفص : «تمود» بغير صرف .

بل أدركهم [امر الله].^(١)

[٤٠]- ﴿فَكُلًّا﴾ من المذكورين ﴿أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ ريحاً عاصفاً فيها حصاء كقوم «الوط» ﴿وَمِنْهُمْ مَن أَخَذَتْهُ الصَّبْحَةُ﴾ كـ «ثمود» و«مدین» ﴿وَمِنْهُمْ مَن خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ كـ «قارون» ﴿وَمِنْهُمْ مَن أَغْرَقْنَا﴾ كقوم «نوح» و«فرعون» وقومه ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ﴾ بالإهلاك ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بالإشراك.

[٤١]- ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ﴾ أصناماً يلجؤون إليها، أي: في ومن ما اعتمدوه في دينهم ﴿كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ تأوي إليه من نسجها الذي هو غاية في الوهن ﴿وَإِنْ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبِيتُ الْعَنْكَبُوتِ﴾ يضمحل بأدنى سبب ولا يقبها حرّاً ولا برداً، كذلك الأصنام لا تنفع عبدتها، فدينهم أوهن الأديان ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ان هذا مثلهم لندموا.

[٤٢]- ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ أي قل لهم إن الله ﴿يَعْلَمُ مَا تَدْعُونَ﴾^(٢) الذي تعبدونه ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ وقرأ «عاصم» و«أبو عمرو» بالياء حملاً على ما قبله^(٣) ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ بيان لـ «ما» أو «ما» إستفهامية مفعول «تدعون» و«يعلم» معلقة عنها، أو نافية و«من» زائدة و«شيء» مفعول «تدعون» أو مصدرية و«شيء» مصدر.

والغرض توكيد المثل على الوسطين وتهديدهم على الآخرين ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ في سلطانه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صنعه فأشراك ما لا يعد شيئاً به جهل شنيع وتعرض للإنتقامه.

[٤٣]- ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ﴾ أو هذا ونظائره ﴿نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ تفهيماً لهم ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا﴾ ما يعقل فاندتها ﴿إِلَّا الْغَالِمُونَ﴾ المتدبرون.

(١) ما بين المعقوفين من تفسير البياضوي ٤: ١٨.

(٢) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «يدعون» - كما يشير اليه المؤلف -.

(٣) حجة القراءات: ٥٥٢.

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه تلاها فقال: العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته وأجتنب سخطه. ^(١)

[٤٤] - ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ بالعرض الحق من الدلالة عليه ومنافع الخلق ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ على كماله وجلاله ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ لأنهم المنتفعون بها.

[٤٥] - ﴿أَنْتَ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ لنفسك وعلى الناس ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ بشروطها ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ بكونها سبباً للإنتهاء عن المعاصي لتذكيرها الله وإيراثها في القلب خوفاً ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ﴾ إيتاكم برحمته ﴿أَكْبَرُ﴾ من ذكركم آياته بطاعته، أو معناه وللصلاة أكبر من سائر الطاعات.

وسميت ذكره إيداناً بأن فضلها بتضمنها لذكره، أو لذكره عند المعصية أكبر شيء في النهي عنها ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ من خير وشر، فيجازيكم به.

[٤٦] - ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي﴾ بالخصلة التي ﴿هِيَ أَحْسَنُ﴾ كمقابلة الخشونة باللين والغضب بالحلم، ولم تنسخه آية السيف لوجوب تقديم الرفق ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ بالإعتداء أو العناد ونبد الذمة أو قولهم بالولد وغل اليد ﴿وَقُولُوا﴾ في المجادلة، بالتي هي أحسن ﴿ءَأَمِنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾.

عنه صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تصدقوهم ولا تكذبوهم، وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله فإن قالوا باطلاً لم تصدقوهم وإن قالوا حقاً لم تكذبوهم» ﴿وَالْهُنَا وَالْهَيْكُمُ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ﴾ وحده ﴿مُسْلِمُونَ﴾ مطيعون.

[٤٧] - ﴿وَكَذَلِكَ﴾ الإنزال ﴿أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ القرآن مصدقاً لسائر الكتب المنزلة ﴿فَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ كـ «ابن سلام» وامثاله، أو من تقدم زمن «النبي» صلى الله عليه وآله وسلم من أهل الكتاب ﴿وَمِنْ هَؤُلَاءِ﴾ من أهل مكة، أو ممن

أثروه صلى الله عليه وآله وسلم من أهل الكتاب ﴿مَنْ يُؤْمِنْ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا﴾ مع وضوحها ﴿إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾ المصممون على الكفر.

[٤٨] - ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكُمْ﴾ ذكرت زيادة تصوير للمعني ﴿إِذَا﴾ أي لو كنت تقرأ وتخط ﴿لَأَرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ الذين شأنهم الإبطال، أي كفرة مكة وقالوا لعله جمعه من كتب الأولين، أو أهل الكتاب وقالوا الذي في كتبنا أنه أمي.

[٤٩] - ﴿بَلْ هُوَ﴾ أي القرآن ﴿آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ يحفظونه عن التحريف وهم النبي وآله صلوات الله عليهم ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا﴾ الواضحة ﴿إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ بالعناد والمكابرة.

[٥٠] - ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ^(١) مِنْ رَبِّهِ﴾ كناية «صالح» وعصا «موسى» ومائدة «عيسى» وقرأ من عدا «ابن كثير» و«أبا بكر» و«حمزة» و«الكسائي»: آيات^(٢) ﴿قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ ينزلها كما يشاء ﴿وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ للإنذار بما أوتيت من الآيات.

[٥١] - ﴿أَوَلَمْ يَخْفِهِمْ﴾ آية بالغة ﴿أَنَا أُنْزِلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ على الدوام، فهو آية ثابتة لا تزول بخلاف سائر الآيات ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ الكتاب المعجز المستمر ﴿لَرَحْمَةً وَذِكْرَى﴾ نعمة وعظة ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ به.

[٥٢] - ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾ بصدقي، إذ صدقني بالمعجزات أو بتبليغي ومقابلتكم لي بالكذب ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فيعلم حالي وحالكم ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ﴾ بالهية غير الله ﴿وَكَفَرُوا بِاللَّهِ﴾ منكم ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ في صفقتهم حيث اشتروا الباطل بالحق.

(١) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «آيات».

(٢) حجة القراءات: ٥٥٢.

[٥٣] - ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ استهزاء ﴿وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ لعذابهم ﴿لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ﴾ عاجلاً ﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ يأتيناه .

[٥٤] - ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ ستحيط بهم أو كالمحيطه بهم لإحاطه الكفر الموجب لها بهم ، واللام للجنس فيعمهم حكمه .
أو للعهد بوضع الظاهر موضع الضمير إشعاراً بموجب الحكم .

[٥٥] - ﴿يَوْمَ يَفْشَاهُمُ الْعَذَابُ﴾ ظرف «للمحيطه» ﴿مِنْ قَبُولِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ تغطيهم مبتدئاً من الجهتين ﴿وَنَقُولُ﴾^(١) وقرأ «نافع» و«الكوفيون» بالياء^(٢) والقائل الله أو ملك بأمره ﴿ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي جزائه .

[٥٦] - ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ وحذف الياء وصلأ «أبو عمرو» و«حمزة» و«الكسائي» وفتحها الباقون وصلأ وسكنوها وقرأ^(٣) ﴿إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ﴾ فهاجروا من أرض لم يتيسر لكم فيها العبادة الى أرض تيسر فيها . وفتح «ابن عامر» الياء^(٤) ﴿فَيَأْتِي﴾ نصب بما يفسره «فَاعْبُدُونِ» والفاء جواب شرط مقدر أي إن لم تخلصوا العبادة لي في أرض فاخلصوها في غيرها .

[٥٧] - ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ واجدة كربه ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ بعده للجزاء ، وقرأ «أبو بكر» بالياء .^(٥)

[٥٨] - ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾ لننزلنهم ﴿مِنْ الْجَنَّةِ غُرَفًا﴾ علالي ، وقرأ «حمزة» و«الكسائي» : «لنثوينهم» من الثواء : الإقامة ، فنصب «غرفاً» بحذف «في» أو بتضمينه معنى نزلنهم ، أو تشبيه الظرف الموقت بالمبهم ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ أجزهم .

(١) في المصحف الشريف بقراءة حفص : «يقول» - كما يشير اليه المؤلف ..

(٢) الكشف عن وجوه القراءات ٢ : ١٨٠ .

(٣) الكشف عن وجوه القراءات ٢ : ١٨١ .

[٥٩] - ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على أذى الكفرة والبلّيات ومشقة الهجرة والطاعات ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ لا غيره ﴿يَتَوَكَّلُونَ﴾ في المهمات .

[٦٠] - ﴿وَكَايَ﴾ وكم ﴿مَنْ ذَايَةَ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾ لضعفها عن حمله أو لا تدخره ﴿اللَّهُ يَرْزُقُهَا﴾ مع ضعفها ﴿وَإِيَّاكُمْ﴾ مع قوتكم على الكسب والحمل ، أي لا يرزق الكل إلا هو لأنه المسبب لأسباب رزقهم .

قيل : لما أمروا بالهجرة ، فقال بعضهم : كيف نقدم بلدة لا معيشة لنا فيها؟ فنزلت ^(١) ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لقولكم ﴿الْعَلِيمُ﴾ بسرهم .

[٦١] - ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ﴾ أي أهل مكة ﴿مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ مقررین بآته الفاعل لذلك ﴿فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ يصرفون عن توحيده مع إقرارهم بذلك .

[٦٢] - ﴿اللَّهُ يَسُطُّ الرِّزْقَ﴾ يوسعہ ﴿لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ﴾ يضيق ﴿لَهُ﴾ بعد البسط ، فالأمران لواحد أو يقدر لمن يشاء على وضع الهاء موضعه مبهمه مثله فليسا لواحد ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ يعلم موضع البسط والتقدير .

[٦٣] - ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ فكيف يشركون به الحماد ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على ما وفقك لتوحيدہ ، أو على إلزامهم الحجة ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ انّ ما أقروا به مبطل لشركهم .

[٦٤] - ﴿وَمَا هِيَ الْحَيَوَةُ الدُّنْيَا﴾ الحفيرة ﴿إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾ إلا كما يلهو ويلعب الصبيان ساعة ثم يفرقون ﴿وَلِإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ لهي دار الحياة الحقيقية الأبدية ، أو جعلت حياة مبالغة وهو مصدر «حيي» واصله حييان ، قلبت الثانية واوًا وأختير هنا على الحياة لأنه أبلغ لتضمن بناءه معنى الحركة اللازمة للحياة ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك ، ما آثروا الحياة الزائلة عليها .

[٦٥] - ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِّ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ أي الدعاء لا يدعون إلا إياه، إذ لا يكشف الشدة سواه ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ عادوا إلى الشرك.

[٦٦] - ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ﴾ من نعمة الإنجاء ﴿وَلِيَسْتَمْتَعُوا﴾ بعكوفهم على أصنامهم، واللام فيها لام كي^(١) أو لام أمر تهديد، ويعضده قراءة «قالون» وابن كثير و«حمزة» و«الكسائي»: «وليتمتعوا» بسكونها^(٢) ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ غب ذلك.

[٦٧] - ﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا﴾ بلدهم «مكة» ﴿حَرَمًا ءَامِنًا﴾ أهله من القتل والأسر والنهب ﴿وَيُخَفِّطُ النَّاسَ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ بالتغاور^(٣) قتلاً وأسراً ونهباً دونهم ﴿أَقْبَالَ بَاطِلٍ﴾ أبعد هذه النعمة وغيرها بالصنم ﴿يُؤْمِنُونَ وَيَنْعَمِ اللَّهُ يَكْفُرُونَ﴾ بإسراكهم به.

[٦٨] - ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ أي لا أظلم ﴿مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بإدعاء شريك له ﴿أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ﴾ الرسول أو الكتاب ﴿لَمَّا جَاءَهُ﴾ من غير تثبت ولا تروء ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ تقرير لثوابهم، أي: ألا يثرون فيها وقد افتروا وكذبوا مثل هذا الإفتراء والتكذيب.

[٦٩] - ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾ في حقنا ما يجب جهاده من النفس والشیطان وحزبه ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ سبل الجنة أو سبل الخير. بزيادة اللطف ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾.^(٤) أو: والذين عملوا بما علموا لنهديتهم إلى ما لم يعلموا ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ بالنصر والعون.

(١) أي لام العلة.

(٢) حجة القراءة: ٥٥٥.

(٣) التغاور: إغارة بعضهم على بعض.

(٤) سورة محمد: ٤٧/١٧.

سورة الروم

[٣٠]

ستون أو تسع وخمسون آية مكية .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١-٢] - ﴿الَمْ * غَلِبَتِ الرُّومُ﴾ هم «النصارى» غلبتهم فارس المجوس .

[٣] - ﴿فِي أَدْنَى الْأَرْضِ﴾ أرض العرب منهم وهي اطراف الشام ، أو أدنى ارضهم من عدوهم وهي الجزيرة ﴿وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ عَلَيْهِمْ﴾ مصدر مضاف الى المفعول أي بعد أن غلبتهم «فارس» ﴿سَيَغْلِبُونَ﴾ فارس .

[٤] - ﴿فِي بَضْعِ سِنِينَ﴾ وهو ما بين الثلاث والعشر .

قيل : لما غلبهم «فارس» فرح المشركون وقالوا للمسلمين : أنتم والنصارى أهل كتاب ونحن «فارس» أميون ، وقد غلب اخواننا إخوانكم ولنغلبنكم ، فنزلت .

وهي من آيات النبوة لأنها إنباء بالغيب ، فغلبت «الروم» «فارس» في السنة السابعة من غلبهم ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ قبل غلبهم لفارس وهو حين غلبوا وبعد غلب «فارس» آياهم وهو حين يغلبون أي كونهم مغلوبين أولاً وغالبين آخرأ ليس إلا بأمر الله تعالى ﴿وَيَوْمَئِذٍ﴾ ويوم تغلب الروم ﴿يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ .

[٥] - ﴿يَنْصُرِ اللَّهُ﴾ أيّاهم على «فارس» لإعتماد المشركين به، أو بنصر الله المؤمنين بإظهار صدق نبيّهم فيما أخبر به، أو بتولية بعض الظالمين بعضاً. ووافق ذلك يوم نصر المؤمنين بيد فترل به «جبرائيل» ففرحوا بالنصرين ﴿يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ﴾ بمقتضى الحكمة ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ بخذلانه لمن يشاء ﴿الرَّحِيمُ﴾ بنصره لمن يشاء.

[٦] - ﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾ مصدر مؤكد لنفسه ما سبق في معنى وعد ﴿لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ لقبح الكذب فيمتنع عليه ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ صحة وعده لجهلهم به.

[٧] - ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي مكاسبها كالتيجارة والزراعة والبناء ونحوها، والجملة بدل من «لا يعلمون».

وفيه أن علمهم بأمر الدنيا بمنزلة الجهل المطلق.

ونكر «ظاهراً» إشعاراً بأنهم لا يعلمون إلا بعض ظاهرها فضلاً أن يعلموا باطنها من أنها مجاز إلى الآخرة ﴿وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ﴾ التي هي الغرض منها ﴿هُمْ غَافِلُونَ﴾ مبتدأ وخبر، والجملة خبر «هم» الاولى، أو الثانية تكرير للاولى، وعلى الوجهين يفيد رسوخ غفلتهم عن الآخرة.

[٨] - ﴿أَوْ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ﴾ ظرف، كقولك تفكر في قلبه أو صلة، أي اولم يفتكروا في امرها، فإنها أقرب شيء اليهم، وفيها ما في العالم من عجائب الصنع ليعلموا أن من قدر على ابدانها، قادر على اعادتها، فيقولوا أو فيعلموا ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ بتتويهاً إليه ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ يَلْقَآءُ رَبَّهُمْ﴾ بلقاء جزائه والبعث ﴿لَكَافِرُونَ﴾ جاحدون لعدم تفكيرهم.

[٩] - ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ تقرير لسيرهم في البلاد، ونظروهم الى آثار الهالكين بعثتهم ﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ ك«عاد»

«وَنُمُودُ» ﴿وَأَنَارُوا الْأَرْضَ﴾ قلبوها للزرع واستحداث الأنهار والآبار وغيرها ﴿وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ من عمارة أهل «مكة» وهو تهكّم بهم إذ لا إثارة لهم ولا عمارة أصلاً مع تباهيهم بالدنيا التي عمدة ما يتباهى به أهلها الإثارة والعمارة ﴿وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالحجج الواضحات ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ بتدميرهم بغير ذنب ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ حيث عملوا ما أوجب تدميرهم.

[١٠] - ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ أَصَاؤُا﴾ وضع موضع عاقبتهم ﴿السَّوْءِ﴾ العقوبة «السوأي» تأنيث أسوء، أو مصدر وصف به ﴿أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾ علة أو بدل من «السوأي» أو خبر «كان» و«السوأي» مصدر «أصاؤا».

أو مفعوله بمعنى : كان عاقبة الذين فعلوا الخطيئة أن منموا اللطف حتى كذبوا واستهزءوا بالآيات، ونصب «الكوفيون» و«ابن عامر» : «عاقبة»^(١) خبراً لـ «كان» واسمها «السوأي» و«أن كذبوا» كما مرّ.^(٢)

[١١] - ﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾ ينشئهم ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ بالبعث ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ إلتفات الى الخطاب، وقرأ «أبو بكر» و«أبو عمرو» بالياء.^(٣)

[١٢] - ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾ يسكتون حيرةً ويأساً.

[١٣] - ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ مَنَّا شَرَكُوهُمْ بِاللَّهِ﴾ «شُفَعَاءُ» يخلصونهم كما زعموا ﴿وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ﴾ جاحدين لإلهيتهم.

وعبر بالماضي لتحققه أو كانوا في الدنيا كافرين بسببهم.

[١٤] - ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُؤْمِنُونَ﴾ تأكيد ﴿يَتَفَرَّقُونَ﴾ أي المؤمنون والكافرون.

[١٥] - ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ﴾ أرض ذات خضرة

(١) حجة القراءات : ٥٥٦ - تفسير البيضاوي ٤ : ٢٣ .

(٢) مرّ عند قوله أعلاه : أو بدل من السوأي وللتفصيل راجع تفسير البيضاوي ٤ : ٢٣ .

(٣) حجة القراءات : ٥٥٦ - تفسير البيضاوي ٤ : ٢٣ .

[٢٠] - ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ خلق أصلكم منه ﴿ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ

تَنْشُرُونَ﴾ في الأرض .

[٢١] - ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ خلق حواء من ضلع آدم

أو من فضل طيبته وسائر النساء من نطف الرجال ، أو من جنسكم ﴿لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾ لتألفوها ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ﴾ بين الرجال والنساء أو أشخاص النوع ﴿مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ بالزواج لا لسابقة معرفة أو رحم أو بتوقف تعيشكم على التعاون المحجج الى التعاطف ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لآيَاتٍ﴾ على قدرته وحكمته ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيه .

[٢٢] - ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافَ أَلْسِنَتِكُمْ﴾ لغاتكم بأن

علم كل ناس لغة وألهمهم وضعها ، أو كفيات نطقكم التي يمتاز بها كل شخص عن غيره ﴿وَالْوَلَدَانِكُمْ﴾ من بياض وسواد وغيرهما ، فوقع بذلك التمايز والتعارف المترتب عليهما حكم ومصالح ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١) الثقلين والملائكة ، وكسر «حفص» «اللام» أي اولى العلم .^(٢)

[٢٣] - ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ نومكم

في الوقتين للإستراحة وطلب معاشكم فيهما ، أو نومكم بالليل وطلبكم بالنهار ، فلف ، لكن فصل بين الفعلين بالوقتتين ايذاناً بصلاحية كل منهما للآخر عند الحاجة وإن اختص بأحدهما ، ويوافقه الآيات المتضمنة له ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ سماع تدبر .

[٢٤] - ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ﴾ منزل منزلة المصدر أو مقدر بأن ﴿خَوْفًا﴾ من

الصاعقة للمسافر ﴿وَوَطْئًا﴾ في المطر للحاضر ، وهما علشان لما يلزم إراتهم وهو رؤيتهم أو حالان ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْجِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ

(١) في المصحف الشريف بقراءة حفص : «للعالمين» - كما يشير اليه المؤلف - .

(٢) تفسير البضاوي ٤ : ٢٤ وحجة القراءات : ٥٥٧ .

وماء، وهي الجنة ﴿يُخْبِرُونَ﴾ يسرون سروراً، يتהלّلون له.

[١٦] - ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ مخلصون^(١) لا يفارقونه.

[١٧] - ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾.

[١٨] - ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ أمر بلفظ

الخبر أي نزهه تعالى: وأثنوا عليه في هذه الأوقات لظهور قدرته وتجدد نعمته فيها.

وخَصَّ «التسبيح» بالمساء والصباح لأظهرية آثار القدرة فيهما، والحمد بالعشي وهو آخر النهار والظهيرية وهي وسطه لأكثرية تجدد النعم فيهما، والأظهر كون «عشيًّا» عطفًا على «حين تمسون» وله الحمد إعتراض يخصه بنعوت الكمال والجلال والغنى عن تسبيح خلقه وحمدهم.

وعن «ابن عباس»: أن فيها الصلوات الخمس، «تمسون» صلاة المغرب والعشاء، و«تصبحون» صلاة الصبح، و«عشيًّا» صلاة العصر و«تظهرون» صلاة الظهر، وفي الحديث حث على تلاوتها.^(٢)

[١٩] - ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ كالإنسان من النطفة والطائر من البيضة ﴿وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ﴾ النطفة والبيضة ﴿مِنَ الْحَيِّ﴾ وخَفَّفَ «الميت» «ابن كثير» و«أبو عمرو» و«ابن عامر» و«أبو بكر»^(٣) ﴿وَيُخَيِّمُ الْأَرْضَ﴾ بالنبات ﴿يَعُدُّ مَوْتَهَا﴾ يسها ﴿وَكَذَلِكَ﴾ الإخراج ﴿تُخْرِجُونَ﴾ من قبوركم أحياء، وفتح «حمزة» و«الكسائي» «الاء».^(٤)

(١) كذا في «أ»، وفي «ب»، و«ج»: «مخلصون» - وقد فسره البيضاوي في تفسيره ٢٣: ٤ بقوله: مدخلون لا يخبرون عنه.

(٢) ينظر البيضاوي ٢٣: ٤، ٢٤.

(٣) تفسير البيضاوي ٢٤: ٤ وحجة القراءات: ٥٥٧.

لَايَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يتفكرون فيه بعقولهم ، ليعلموا قدرة مدبرها وحكمته .

[٢٥] - ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ بإرادته بغير عمد ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ عطف على «أن تقوم» بتأويل مفرد أي من آياته قيامهما ثُمَّ خروجكم من القبور إذا دعاكم دعوة واحدة يا أهل القبور أخرجوا .
والمراد سرعة وجود ذلك بلا توقف كإجابة الداعي المطاع مدعوه .

و«ثُمَّ» لتراخيهِ أو لعظم ما فيه ، وتعلق «من الأرض» بـ«دعا» لا بـ«تخرجون» لتوسط «إذا» الفجائية وهي تنوب فاء جزاء السابقة .

[٢٦] - ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾ منقادون لفعله بهم .

[٢٧] - ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ بعد اهلاكهم ﴿وَهُوَ﴾ أي الإعادة والتذكير على معنى أن يعيد ﴿أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ من البدء بالقياس على أصولكم وإلا فهما عليه سواء في السهولة .

وقيل أهون بمعنى هين ، وقيل : الهاء للخلق^(١) ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ﴾ الوصف ﴿الْأَعْلَى﴾ الذي ليس لغيره مثله من الوحدانية والقدرة والحكمة وقد وصف به ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ نطقاً ودلالة ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صنعه .

[٢٨] - ﴿صَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا﴾ مترعاً ﴿مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ التي هي أقرب شيء منكم ﴿هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ من مماليتكم أي بعضهم ﴿مِّنْ شُرَكَاءَ﴾ «من» زائدة تؤكد الاستفهام المراد به النفي ﴿فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ من الأموال ﴿فَأَنْتُمْ﴾ وهم ﴿فِيهِ سَوَاءٌ﴾ لا فضل بينكم وبينهم مع كونهم بشراً مثلكم ﴿تَخَافُونَهُمْ﴾ أن تنفردوا بتصرف فيه ﴿كَخِيفَتَكُمْ أَنْفُسُكُمْ﴾ أمثالكم من الأحرار أي لا ترضون بذلك فكيف تشركون بالله مماليتكم في الإلهية ﴿كَذَلِكَ﴾ التفصيل ﴿تَفْصِيلُ الْآيَاتِ﴾ نبئها ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يتدبرون بعقولهم .

(١) ينظر تفسير البيضاوي ٢٥:٤ وتفسير مجمع البيان ٣:٢٠٢ .

[٢٩] - ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أشركوا ﴿أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ جاهلين يهيمنون كالبهائم ﴿فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾ أي لا هادي لمن خذله ^(١) ولم يلفظ به ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ ما نعين مما إستوجبوا من الخذلان .

[٣٠] - ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ﴾ قومه ﴿لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ مائلاً إليه ، ثابتاً عليه أنت ومن تبعك وأفرد بالخطاب تعظيماً له صلى الله عليه وآله وسلم ﴿فَظَرَّتْ اللَّهُ﴾ خلقته نصب بتقدير الزموا ﴿الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ وهي قبولهم لدين الإسلام إذ لو خلّوا وما فطروا عليه ما اختاروا عليه ديناً ﴿لَا تَبْدِيلَ لَخَلْقِ اللَّهِ﴾ أي ما ينبغي أن تبدل ^(٢) تلك الفطرة ﴿ذَلِكَ﴾ هو ﴿الَّذِينَ الْقِيَمُ﴾ المستقيم ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك لعدم تفكيرهم .

[٣١] - ﴿مُبِينٍ﴾ راجعين ﴿إِلَيْهِ﴾ وهو حال من ضمير الزموا المقدر ﴿وَأَتَّقُوا﴾ وأقيموا الصلوة ولا تكونوا من المشركين .

[٣٢] - ﴿مِنَ الَّذِينَ﴾ بدل بإعادة «من» ﴿فَرَقُوا دِينَهُمْ﴾ باختلافهم فيما يعبدونه ، وقرأ «حمزة» و«الكسائي» : «فارقوا» ^(٣) أي تركوا دينهم الذي أمروا به ﴿وَكَانُوا شِيعًا﴾ فرقاً ، كل فرقة تشيع إماماً ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ مسرورون ، يظنونهم الحق .

[٣٣] - ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ﴾ شدة ﴿دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ﴾ راجعين ﴿إِلَيْهِ﴾ عن غيره ﴿ثُمَّ إِذَا أَذَاهُمْ مِنْهُ رَحْمَةٌ﴾ خلاصاً من الشدة ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ في مقابلة رحمته .

[٣٤] - ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ﴾ اللام للعاقبة أو للامر على التهديد ، والتفت في : ﴿فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عاقبة تمتعكم .

[٣٥] - ﴿أَمْ﴾ بل أ ﴿أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا﴾ حجة ﴿فَهُوَ يَنْكَرُكُمْ﴾ تكلم دلالة

(١) في «ج» من خذله .

(٢) في «أ» : أن تبدله .

(٣) تفسير مجمع البيان ٤ : ٣٠٤ والنشر في القراءات العشر ٢ : ٢٦٦ .

﴿يَمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾ باشرأحهم وصحته .

[٣٦] - ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً﴾ نعمة ﴿فَرِحُوا بِهَا﴾ بطراً ﴿وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيْئَةٌ﴾

شدة ﴿يَمَا قَدَّمْتُ أَيْدِيَهُمْ﴾ بسبب ذنوبهم ﴿إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ من الرحمة .

[٣٧] - ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ يعلموا ﴿أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ يوسمه ﴿لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾

يضيقه لمن يشاء بحسب الحكمة ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ على قدرته وحكمته ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ بها .

[٣٨] - ﴿فَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ اقربائك ، فرضهم من الخمس .

وعن «الصادقين» عليها السلام وغيرهما : أنه صلى الله عليه وآله وسلم لما نزلت ، أعطى

«فاطمة» عليها السلام فداً .^(١)

وقيل : أمر له ولأتمته بصلة الرحم^(٢) ﴿وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ حقهما من الزكاة

﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ﴾ بمعرفتهم ﴿وَجْهَ اللَّهِ﴾ جهة التقرب إليه ، لا جهة أخرى
﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفاترون بالنعيم الباقي .

[٣٩] - ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبًّا﴾ زيادة محرمة في المعاملة ، أو عطية يطلب بها أكثر

منها ، وقصره «ابن كثير» أي ما جئتم به من رباً^(٣) ﴿لِيَرْبُؤُوا﴾ ليزيد ﴿فِي أَمْوَالِ النَّاسِ﴾

أكلة الربوا ، وقرأ «نافع» بالتاء مضمومة وسكون الواو أي ليزيدوا^(٤) ﴿فَلَا يَرْبُؤُوا﴾

فلا يزكو ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ بل يمحقه ، أو لا يثيب المكافئ ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ

وَجْهَ اللَّهِ﴾ لا غيره ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْغِفُونَ﴾ ذووا الأضعاف من الثواب كالموسر

لذوي اليسار أو الذين ضعفوا أموالهم وثوابهم بالزكاة ، والتفت تعظيماً لهم كأنه

(١) يراجع تفسير مجمع البيان ٤: ٣٠٦ ، صحيح البخاري الجزء الخامس باب غزوة خيبر: ١٣٩ -

صحيح مسلم الجزء الخامس كتاب الجهاد: ١٥٤ .

(٢) قاله الحسن كما في تفسير مجمع البيان ٤: ٣٠٦ .

(٣) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ١٨٤ وتفسير مجمع البيان ٤: ٣٠٥ .

(٤) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ١٨٤ وتفسير مجمع البيان ٤: ٢٦ .

يصفهم لخواصه ويقدر له رابط بـ «ما»^(١) أي المضعفون به .

[٤٠] - «اللَّهُ» مبتدا والخبر «الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ» أي هو فاعل لهذه الأفعال التي لا يقدر على شيء منها غيره «هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ» مَن اشركتموهم به من الأصنام وغيرها «مَنْ يَفْعَلْ مِنْ ذَلِكَ» المذكور «مِنْ شَيْءٍ» حتى تجوز عبادتكم لهم ، و«مَنْ» الأولى تبعيضية ، والثانية ابتدائية ، والثالثة زائدة ، وكل منها تأكيد لتعجيز شركائهم .

ويجوز كون الموصول صفة والخبر «هل من شركائكم» والرابط «من ذلك» إذ معناه من أفعاله «سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ» به .

[٤١] - «ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ» كالقحط والموتان^(٢) وكثرة المضار ومحقق البركات .

وقيل : أريد بالبحر قراه^(٣) «بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ» بسبب ذنوبهم أو ظهر الشر والظلم بكسبهم إياه «لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا» بعض وباله عاجلاً ، واللام للعلّة أو العاقبة : وقرأ «قبل» بالنون^(٤) «لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» يتوبون .

[٤٢] - «قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ» من تدميرهم بسوء فعلهم «كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ» أي دمر أكثرهم للشرك ، وقليل منهم لما دونه من المعاصي .

[٤٣] - «فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَاسِمِ» المستقيم «مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ» لا يرده أحد «مِنْ اللَّهِ» متعلق بـ «يأتى» أو بـ «مرد» أي لا يرده الله بعد أن يجيء به

(١) اي بـ «ما» الموصولة في قوله : «مَاتَيْتُمْ» .

(٢) الموتان بالتحريك بمعنى الموت ، أقرب الموارد .

(٣) اي التي هي في ساحل البحر ، قاله الحسن كما في تفسير مجمع البيان ٣ : ٤٨٢ .

(٤) الكشف عن وجوه القراءات ٢ : ١٨٥ .

﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ يتصدعون أي ينفرون إلى الجنة والنار.

[٤٤] - ﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ﴾ لا على غيره ﴿كُفْرُهُ﴾ أي وباله وهو النار ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسَ لَهُمْ﴾ لا لغيرها ﴿يَمْهَدُونَ﴾ منزلاً في الجنة.

[٤٥] - ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ علة لـ «يمهدون» أو لـ «يصدعون» ولم يقل ليجزيهم بل صرح بوصفهم ايذاناً بعلية الإيمان والصلاح لجزائهم ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ زيادة على ثوابهم الواجب لهم أو من عطائه وهو ثوابهم ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ أي يجازيهم بالعقوبة على كفرهم.

[٤٦] - ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ﴾ الجنوب والصبأ، والشمال وهي للرحمة، وأما الذبور فللعذاب، ووحدما «ابن كثير» و«حمزة» و«الكسائي» إرادة للجنس^(١) ﴿مُبَشِّرَاتٍ﴾ بالغيث ﴿وَلِيُذِيقَكُمْ﴾ عطف على معنى «مبشرات» أي لتبشركم وليذيقكم ﴿مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ وهي الغيث المسبب عنها، أو الخصب التابع له، أو الزوج الحاصل بهوبها ﴿وَلِتَجْزِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ﴾ بإرادته ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ بتجارة البحر ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ هذه النعمة فتوحدونه.

[٤٧] - ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ فكذبوهم ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ بالإهلاك ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ في جعلهم مستحقين عليه أن ينصرهم تعظيماً لهم وإظهاراً لكرامتهم.

[٤٨] - ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ﴾ بالقراءتين^(٢) ﴿فَيُبْرِئُ سَخَابًا﴾ نهيته ﴿فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ﴾ في جهتها ﴿كَيْفَ يَشَاءُ﴾ من قلة وكثرة وغيرهما ﴿وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا﴾ قطعاً متفرقة، وسكنه «ابن عامر»^(٣) ﴿فَتَكْرِى الْوَدَقَ﴾ المطر ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ من مخارجه

(١) تفسير البيضاوي ٤: ٢٧ وحجة القراءات: ١١٨.

(٢) المذكورتين في الآية (٤٦) من هذه السورة.

(٣) تفسير البيضاوي ٤: ٢٧ وحجة القراءات: ٥٦٠.

﴿فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبِشِرُونَ﴾ يفرحون به .

[٤٩] - ﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ﴾ كرر تأكيداً، وقيل : الهاء

للإرسال ﴿لَمُبْلِسِينَ﴾ لآيسين .

[٥٠] - ﴿فَانْظُرْ إِلَى أَثَرِ﴾ ^(١) رَحْمَةِ اللَّهِ ﴿أَثَرِ الْمَطَرِ مِنَ النَّبَاتِ وَالْخَضْبِ، وَجَمْعُهُ

«ابن عامر» و«حفص» و«حمزة» و«الكسائي» ^(٢) ﴿كَيْفَ يُخَيِّ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ

ذَلِكَ﴾ المحيى للارض برحمته ﴿لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

ومنه إحياء الموتى .

[٥١] - ﴿وَلَيْتَنَ﴾ لام قسم ﴿أَزَلُّنَا رِيحًا﴾ ضارة ﴿قَرَأُوهُ﴾ أي الأثر وهو النبات

﴿مُضْفَرًا﴾ وقيل : الهاء للسحاب لأنه إذا اصفر لم يمطر ﴿لَظَلُّوا﴾ لصاروا، جواب

سَدَّ مَسَدَ الْجَزَاءِ ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ بعد أن راوه مضفراً ﴿يَكْفُرُونَ﴾ ذمهم بأنهم إذا حبس

عنهم المطر قططوا ولم يستغفروا، وإذا امطروا فرحوا ولم يشكروا، وإذا ضرب زرعهم

بالصغار كفروا نعمته ولم يصبروا .

[٥٢] - ﴿فَإِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ شبهوا بهم في عدم تدبرهم وبالصم في :

﴿وَلَا تَسْمِعُ الصَّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ فإنهم حينئذ أبعد عن الإسماع، وقرأ

«ابن كثير» بالياء ورفع «الصَّمَّ» . ^(٣)

[٥٣] - ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعُمَى عَنْ صَلَاتِهِمْ﴾ أي ما تبعدهم عنها بالهدى، وقرأ

«حمزة» تهدي ^(٤) ﴿إِنْ﴾ ما ﴿تَسْمِعُ﴾ سماع قبول ﴿إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ من علمه الله

أنه يصدق بها ﴿فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ منقادون لأمره .

(١) في المصحف الشريف بقراءة حفص : «أَثَارُ» - كما سيشير اليه المؤلف - .

(٢) تفسير البضاوي ٤: ٢٧ والكشف عن وجوه القراءات ٢: ١٨٥ .

(٣) تفسير البضاوي ٤: ٢٨ وحجة القراءات : ٥٦١ .

(٤) تفسير البضاوي ٤: ٢٨ وحجة القراءات : ٥٦٢ .

[٥٤] - ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾ أي ابتدأكم اطفالاً ضعافاً، أو خلقكم من النطفة ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾ أي قوة الشباب، أو تعلق الروح ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ أي في حال الشيخوخة والهرم، وفتح «عاصم» و«حمزة» ضاد الثلاث^(١) ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ من ضعف وقوة وشيبة ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ﴾ بكل شيء ﴿الْقَدِيرُ﴾ على ما يشاء.

[٥٥] - ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ القيامة ﴿يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لِيُثْوَ﴾ في القبور أو في الدنيا، أو في ما بين فنائها والبعث وهو وقت انقطاع عذابهم ﴿غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ يستقرون مدة لبثهم بالنسبة الى مدة عذاب الآخرة أو ينسونها ﴿كَذَلِكَ﴾ الصِّدْقُ ﴿كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ يصرفون في الدنيا.

[٥٦] - ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ﴾ من الملائكة وغيرهم ﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ في علمه أو اللوح، أو ما كتبه أي أوجبه أو القرآن من قوله ﴿ومن ورائهم برزخ﴾،^(٢) ﴿إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ﴾ ردوا قولهم واطلعوهم على الحقيقة ﴿فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ﴾ الذي أنكرتموه ﴿وَلَكِن كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ وقوعه لترككم النظر، و«الفاء» جواب شرط مقدر أي إن كنتم منكرين للبعث فهذا يومه، وقد بطل انكاركم.

[٥٧] - ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ﴾ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعَذِرَتُهُمْ ﴿وَقَرَأَ﴾ الكوفيتون «بالباء»^(٤) لأن تأنيث «المعذرة» غير حقيقي وقد فصل بينهما^(٥) ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ لا يطلب منهم

(١) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «ضعف» بفتح الضاد - وكذا فيما يليه - كما يشير اليه المؤلف..

(٢) سورة المؤمنون: ٢٣ / ١٠٠.

(٣) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «لا ينفَعُ».

(٤) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ١٨٦.

(٥) أي بين الفعل والفاعل بقوله: «الذين ظلموا».

العتبي أي الرجوع الى رضى الله .

[٥٨] - ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ منبه على التوحيد والبعث وصدق «الرسول» ﴿وَلَّيْنِ﴾ لام قسم ﴿جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ﴾ من القرآن، أو مما اقترحوه ﴿لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ عناداً ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾ أصحاب أباطيل .

[٥٩] - ﴿كَذَٰلِكَ﴾ الطبع ﴿يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الحق، لتركهم النظر أي يمنهم أطفافه لعلمه بأنها لا تجدي فيهم .

[٦٠] - ﴿فَاصْبِرْ﴾ على آذاهم ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بنصرك واعلاء دينك ﴿حَقٌّ﴾ منجز لا محالة ﴿وَلَا يَسْتَخِفُّكَ﴾ لا يحملتك على الخفة والصجر ﴿الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ بالبعث بأن يؤذوك، فترك الصبر أي لا تركه .

سورة لقمان

[٣١]

ثلاث أو أربع وثلاثون آية مكية وقيل : إلا ثلاثاً من ﴿ولو أن ما في الأرض . . .﴾^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١- ٢] - ﴿الْم * تِلْكَ﴾ الآيات ﴿ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ المحكم أو ذي

الحكمة .

[٣] - ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ حالان عن «آيات» والعامل الإشارة ورفعها

«حمزة» خبر محذوف أو خبراً بعد خبر.^(٢)

[٤] - ﴿الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ بيان

«للمحسنين» وكرّره تأكيداً.

[٥] - ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ فسر كلّه في البقرة.^(٣)

[٦] - ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ ما يلهي عن الخير، كالغناء

(١) قاله ابن عباس - كما في تفسير مجمع البيان ٤ : ٣١٢ .

(٢) حجة القراءات : ٥٦٣ .

(٣) سورة البقرة : ٥ / ٢ .

والأحاديث الكاذبة والمضاحيك وفضول القول، والاضافة بيانية.

وقيل: نزلت في «النضر بن الحارث» إشتري كتب الأعاجم، فكان يحدث بها ويقول: أن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم يحدثكم بحديث «عاد» و«ثمود» وأنا أحدثكم بحديث «رستم» و«الأكاسرة»^(١) ﴿لِيُضِلَّ﴾ النَّاسَ ﴿عَنْ مَسِيلِ اللَّهِ﴾ دينه أو قراءة كتابه، وفتح «ابن كثير» و«أبو عمرو» الباء^(٢) أي ليثبت على ضلاله ويزيد فيه ﴿يَغَيِّرْ عِلْمَ﴾ بالتجارة حيث يشتري الباطل بالحق ﴿وَيَتَّخِذَهَا﴾^(٣) أي السيل، ونصبه «حفص» و«حمزة» و«الكسائي»^(٤) عطفاً على «ليضل» «مُرَوَّأ» سخرية «أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ» ذو إهانة.

[٧] - ﴿وَإِذَا تَنَزَّلَ عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا﴾ متكبراً ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾ مشبهاً من لم يسمعها ﴿كَأَن فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾ مشبهاً الأصم، والاولى حال من «مستكبراً» والثانية من «لم يسمعها» أو الأحوال الثلاث مترادفة من «ولَّى» وجوز كونهما استئناف وسكن «نافع» الدال^(٥) ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ اعلمه بأنه مصيبه، وذكر البشارة تهكم.

[٨] - ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾.

[٩] - ﴿خَالِدِينَ﴾ مقدراً خلودهم ﴿فِيهَا﴾ إذا دخلوها ﴿وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾ مصدران أولهما مؤكد لنفسه وثانيهما لغيره، لأنَّ لهم جنات وعد، وما كل وعد حقاً ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الذي لا مانع له عن إنجاز وعده ووعيده ﴿الْحَكِيمُ﴾ الذي لا يفعل إلا بمقتضى حكمته.

(١) ينظر تفسير البضاوي ٢٩: ٤.

(٢) حجة القراءات: ٥٦٣ وتفسير البضاوي ٢٩: ٤.

(٣) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «يتخذها» بالنصب - كما يشير المؤلف -.

(٤) حجة القراءات: ٥٦٣.

(٥) تفسير البضاوي ٢٩: ٤.

[١٠] - ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ فسر في «الزَّعد»^(١) ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾ جبلاً ثوابت ﴿أَنْ﴾ كراهة أن ﴿تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا﴾ الثفات الى التكلم ﴿مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ صنف ذي منافع .

[١١] - ﴿هَذَا﴾ الذي ذكر ﴿خَلَقَ اللَّهُ﴾ مخلوقه ﴿فَأَرْوِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ أي إلهتكم حتى أشركتموها به ، و«ماذا» مفعول «خلق» ، أو «ما» مبتدأ و«ذا» موصول وهو بصلته خبره و«اروني» معلق عنه ﴿بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ اضرب عن تبيكتهم الى التسجيل عليهم بالضلال البين .

ودل على ظلمهم بإشراكهم بوضع الظاهر موضع ضميرهم .

[١٢] - ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ﴾ هو «ابن باعور» ابن أخت «أيوب» أو خالته وعمر حتى أدرك «داود» وأخذ منه العلم ، وكان حكيماً لا نبياً في الأصح ﴿الْحِكْمَةَ﴾ تشمل العقل والعلم والعمل به ، والإصابة في القول وحكمه كثيرة مأثورة ﴿أَنْ﴾ لأن ، أو : أي ﴿أَشْكُرْ لِلَّهِ﴾ إذ إتياء الحكمة في معنى القول ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ لعود نفعه إليها ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ﴾ عن الشكر ﴿حَمِيدٌ﴾ حقيق بالحمد ، وإن لم يحمد .

[١٣] - ﴿وَإِذْ﴾ واذكر إذ ﴿قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ﴾ «أنعم» أو «أشكم» ﴿وَهُوَ يَعْظُمُ يَا بُنَيَّ﴾ تصغير إشفاق ، وسكن «ابن كثير» ياء^(٢) و«قبل» ياء الأخير^(٣) وفتح «حفص»

(١) سورة الرعد : ١٣ / ٢ .

(٢) كذا في النسخ وفي تفسير البيضاوي ٤ : ٣٠ : قرأ ابن كثير هنا وفي «يابني أقم الصلاة» بإسكان الباء ، وحفص فيهما وفي «يابني انها ان تك» بفتح الباء ومثله البزي في الأخير .

(٣) الكشف عن وجوه القراءات ١ : ٥٢٩ .

ياء الثلاثة، ومثله «البزّي» في الأخير وكسرهما الباقيون في الثلاثة^(١) ﴿لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ قيل: كان كافراً فما زال به حتى اسلم^(٢) ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ لأنه تسوية بين أشرف الموجودات وأخص المخلوقات.

[١٤] - ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا﴾ تهن وهناً ﴿وَعَلَىٰ وَهْنٍ﴾ أي تضعف ضعفاً فوق ضعف، إذ كلما ازداد الحمل إزداد الضعف، والجملة في محل الحال، وجملة استئناف يؤكد التوصية في حقها خصوصاً ﴿وَفَصَّالَةٌ فِي عَمَتَيْنِ﴾ فطامه في إنقضائهما وهما مدة رضاعه ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ تفسير لـ «وصيتنا» وشكرهما: بزمها ﴿إِلَى الْمَصِيرِ﴾ فاجازيك بعلمك.

[١٥] - ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ أريد بنفي العلم به نفيه أي ما ليس بشيء يعني الأصنام ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ في ذلك ﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ صحاباً معروفاً، شرعاً وعرفاً ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ﴾ رجع ﴿إِلَى﴾ بالطاعة ﴿ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ﴾ جميعاً ﴿فَأَنبِئْكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بمجازات كل بعمله. والأيان إعتراض في اثناء وصية لقمان يؤكد إنكار الشرك حتى أنه يلزم فيه مخالفة من تجب طاعته تلو طاعة الله.

[١٦] - ﴿يَا بَنِيَّ إِنَّهَا﴾ أي الخصلة من الإساءة والإحسان ﴿إِنْ تَكُ مِثْقَالَ زَنْةٍ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾ ورفعه «نافع» على أن الهاء للقصة وكان تامة وتأتيها لإضافة مثقال إلى الحبة^(٣) ﴿فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ﴾ في أخفى موضع كجوف الصخرة أو أعلاه كالسماوات، أو أسفله كالأرض ﴿يَأْتِي بِهَا اللَّهُ﴾ يحضرها فيحاسب عليها ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ﴾ نافذ القدرة ﴿خَبِيرٌ﴾ بكل خفي.

(١) تفسير البيضاوي ٤: ٣٠ وحجة القراءات: ٥٦٤.

(٢) تفسير الكشاف ٣: ٤٩٣.

(٣) حجة القراءات: ٥٦٥.

[١٧] - ﴿يَا بَنِيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَاتْرُكِ الْمَغْرُوفَ وَإِنَّهُ عَنِ الْمُتَكَبِّرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾ من المصائب في ذلك أو مطلقاً ﴿إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ من معزوماتها التي عزمها الله أي قطعها قطع إيجاب .

[١٨] - ﴿وَلَا تُصَغِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ لا تمله عنهم تكبراً، من الصغر: داء يلوي عنق البعير، وقرأ «نافع» و«أبو عمرو» و«حمزة» و«الكسائي»: «تصاعر»^(١) ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا﴾ تمرح، أو لأجل المرح وهو البطر ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ علة النهي .

والمختال: مقابل للماشي مرحاً، والفخور: للمصغر خذه وعكس الترتيب للفاصلة .

[١٩] - ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَسْئِكَ﴾ توسط فيه بين الذيب والإسراع بسكينة ووقار ﴿وَأَغْضِضْ أَصْصِرْ وَاحْفَظْ﴾ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَكْثَرَ الْأَصْوَاتِ ﴿أَقْبَحُهَا﴾ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ الحمار ونهاقه مثلان في الدم، فتمثيل الصوت المرتفع بنهاقه وإخراجه مخرج الإستعارة مبالغة في الدم، ووحد الصوت قصداً للجنس لا افراده .

[٢٠] - ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ﴾ من النيرات لمنافعكم ﴿وَمَّا فِي الْأَرْضِ﴾ من الحيوان وغيره ﴿وَأَسْبَغَ﴾ أوسع وأنتم ﴿عَلَيْكُمْ نِعْمَةٌ﴾^(٢) ظَاهِرَةٌ وَبَاطِنَةٌ محسوسة ومعقولة، أو معلومة لكم وغير معلومة .

وقال «الباقر» عليه السلام: الظاهرة: النبي صلى الله عليه وآله وسلم وما جاء به، والباطنة: ولايتنا أهل البيت.^(٣) وقرأ «نافع» و«أبو عمرو» و«حفص»: «نعمه» جمعاً مضافاً^(٤)

(١) حجة القراءات: ٥٦٥ .

(٢) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «نعمه» - كما يشير إليه المؤلف - .

(٣) تفسير مجمع البيان ٤: ٣٢٠ .

(٤) تفسير البيضاوي ٤: ٣١ وحجة القراءات: ٥٦٥ .

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ﴾ في توحيدهِ ﴿يَغْيِرُ عِلْمُ﴾ أخذ عن حجة ﴿وَلَا هُدًى﴾ من رسول ﴿وَلَا كِتَابٌ مُبِينٌ﴾ أنزله الله، بل بالتقليد.

[٢١] - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ ذمهم على التقليد ﴿أَوَلَوْ﴾ إنكار أي اتبعونه والحال «لو» ﴿كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ إلى ما يوجبه.

[٢٢] - ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ﴾ ليسلم نفسه إليه ويفوض أمره إليه، وحيث عُدِّي باللام فلتضمنته معنى: أخلص ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ لعمله ﴿فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ المحكمة، وهو تمثيل للمعلوم بالمحسوس ﴿وَالِإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ مصيرها.

[٢٣] - ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزَنُكَ﴾ لا يهتك ﴿كُفْرُهُ﴾ فإنه لا يضرك ﴿إِنَّا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا﴾ بالمعقاب عليه ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بما فيها كغيره فمجاز عليه.

[٢٤] - ﴿نُتِمَّتُهُمْ﴾ بدنيهم زماناً ﴿قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ﴾ في الآخرة ﴿إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ شديد، ثقیل عليهم.

[٢٥] - ﴿وَلَتِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ مقرّين بأنه خالقها ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على الزامهم الحجة ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ لزومها لهم.

[٢٦] - ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ على الإطلاق ﴿الْحَمِيدُ﴾ بالإستحقاق.

[٢٧] - ﴿وَلَوْ﴾ ثبت ﴿أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَفْلَاحٌ وَالْبَحْرُ الْاَعْظَمُ مَدَادٌ، وَاغْنَى عَنْ ذِكْرِ^(١) يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ لأنه من مدّ الدواء^(٢) وأمدّها.

(١) أي اغنى عن ذكر كلمة «مداد» قوله: يمدّه من بعده سبعة أبحور.

(٢) في «ج»: مداد الدوات.

ورفع «البحر» عطفاً على محلّ «أَنْ» ومعمولها و«يمدّه» حال أو مبتدأ، والواو للحال ونصبه «أبو عمرو» عطفاً على اسم «أَنْ»^(١) «مَا نَعِدْتُ كَلِمَاتُ اللَّهِ» الدالة على علمه وحكمه بكتبها بتلك الأقلام بذلك المداد لعدم تناهيا.

وجمع القلة^(٢) يشعر بأنّ ذلك لا يفي بقليلها دون كثيرها «إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ» لا يعجزه شيء «حَكِيمٌ» لا يخرج عن علمه وحكمته شيء.

نزلت جواباً لقول اليهود: أوتينا التوراة وفيها كل الحكم، أو لقول «قريش»: سينفذ الوحي.

[٢٨] - «مَا خَلَقْكُمْ وَلَا بَنَيْكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ» كخلقها وبعثها في قدرته فيكفي فيه إرادته «إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ» يسمع كل مسموع ويصير كل مبصر لا يشغله شيء عن شيء.

[٢٩] - «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ» يدخله «فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ» يدخله «فِي اللَّيْلِ» فينقص من كلّ ما يزيد في الآخر «وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ مِنْهُمَا يَبْغِي فِي فَلَكِهِ» إلى أجل مُّسَمًّى إلى وقتٍ معلوم للشمس إلى آخر السنة وللقمر إلى آخر الشهر، أو إلى يوم القيامة «وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ».

[٣٠] - «ذَلِكَ» المذكور من قدرته وحكمته «بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ» بسبب أنه الثابت «وَأَنَّ مَا تَدْعُونَ^(٣) مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ» الزائل، وقرأ «أبو عمرو» و«حفص» و«حمزة» و«الكسائي» بالياء^(٤) «وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ» على كل شيء «الْكَبِيرُ» عن أن يعدله شيء.

(١) حجة القراءات: ٥٦٦.

(٢) أي الجمع السالم في «كلمات».

(٣) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «يدعون» - كما سيثير المؤلف..

(٤) حجة القراءات: ٥٦٧.

[٣١] - ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلُكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ﴾ بفضلِهِ وَرَحْمَتِهِ ﴿لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ﴾ الدَّالَّةُ عَلَى تَفَرُّدِهِ بِالْإِلَهِيَّةِ وَالْقُدْرَةِ وَالْحِكْمَةِ ^(١) ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ دَلَالَاتٍ ﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾ عَلَى بِلَاتِهِ ﴿شَكُورٍ﴾ لِنِعْمَانِهِ .

[٣٢] - ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ﴾ غَطَا الْكَفَارُ ﴿مَوْجٌ كَالظُّلُمِ﴾ هِيَ مَا يَظْلَمُ مِنْ جَبَلٍ ^(٢) أَوْ سَحَابٍ أَوْ غَيْرِهِمَا ﴿دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ الدَّعَاءُ ، لَا يَدْعُونَ سِوَاهُ ﴿فَلَمَّا تَجَاءَهُمْ إِلَى الْيَرِّ فَعَمَّهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾ مُتَوَسِّطٌ فِي الْكُفْرِ ، مُتَزَجِرٌ بِعُضْضِ الْإِنْزِجَارِ ، أَوْ ثَابِتٌ عَلَى الطَّرِيقِ الْقَصْدِ وَهُوَ الْإِيمَانُ ﴿وَمَا يَجْعَلُ يَأْيَاتِنَا﴾ وَمِنْهَا الْإِنْجَاءُ مِنَ الْبَحْرِ ﴿إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ﴾ غَدَارٌ شَدِيدُ الْغَدْرِ ﴿كَفُورٍ﴾ لِنِعْمِ اللَّهِ .

[٣٣] - ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ﴾ لَا يَقْضِي عَنْهُ شَيْئًا فِيهِ ﴿وَلَا مَوْلُودٌ﴾ مُبْتَدَأٌ وَسَوْغَةُ النَّفْسِ ، وَخَبْرُهُ ، ﴿هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا﴾ .

وغير النظم تأكيداً لعدم نفع المولود وحسماً لأن يطمع في نفع مؤمن أباه الكافر ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بِالْبَعثِ وَالْجَزَاءِ ﴿حَقٌّ﴾ لَا خَلْفَ فِيهِ ﴿فَلَّا تَعْرَتَكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَعْرَتُكُمْ بِاللَّهِ الْعُرُورُ﴾ الشَّيْطَانُ بِأَنْ يَمْنِيَكُمْ الْمَغْفِرَةَ ، فَيَجْرَتَكُمْ عَلَى الذُّنُوبِ .

[٣٤] - ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ عِلْمٌ وَقْتُ قِيَامِهَا ﴿وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾ ^(٣) بِوَقْتِهِ الْمَعِينِ لَهُ فِي عِلْمِهِ ، وَشَدَّدَهُ «نَافِعٌ» وَ«عَاصِمٌ» وَابْنُ عَامِرٍ ^(٤) ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ أَذْكَرُ أَمْ أُنْثَى ، تَامٌ أَمْ نَاقِصٌ ﴿وَمَا تَنْدَرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ وَيَعْلَمُهُ اللَّهُ ﴿وَمَا تَنْدَرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ وَيَعْلَمُهُ اللَّهُ .

قيل : مَرَّ مَلِكُ الْمَوْتِ بِسُلَيْمَانَ فَجَعَلَ يَدِيمَ نَظَرِهِ إِلَى رَجُلٍ مِنْ جُلَسَائِهِ ، فَقَالَ

(١) في «ب» : «وَالْحَكَمُ» .

(٢) في «ب» : «جِبَالٌ» .

(٣) في المصحف الشريف بقراءة حفص : «ينزل» - كما يشير إليه المؤلف - .

(٤) حجة الفراءات : ٥٦٧ .

الرجل : من هذا؟ فقال : ملك الموت ، قال كأنه يريدني ، فمُرَّ الرِّيحُ أنْ تحملني الى الهند ففعل ، فقال الملك : كان نظري إليه تعجباً منه إذ أمرت أن أقبض روحه بالهند وهو عندك^(١) وجعل العلم لله والدراية للعبد لمحاً^(٢) لمعنى الحيلة ، فيفيد أنَّه وأن اعمل حيلته لم يعرف ما يخصه من كسبه وعاقبته فضلاً عن غيره^(٣) ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بكل شيء ﴿خَبِيرٌ﴾ بباطنه كظاهره .

وعن أهل البيت عليهم السلام : ان هذه الخمسة لا يعلمها إلا الله تعالى .^(٤)

(١) نقله البيضاوي في تفسيره ٤: ٣٣ .

(٢) اللمع : الإشارة .

(٣) تفسير البيضاوي ٤: ٣٣ وتفسير الكشاف ٣: ٥٠٥ .

(٤) تفسير مجمع البيان ٤: ٣٢٤ .

سورة السجدة

[٣٢]

ثلاثون أو تسع وعشرون آية مكية .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١ - ٢] - ﴿الَمْ﴾ إن إسماً للسورة فمبتدأ وخبره: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ وإن كان تعديد حروف فـ «تنزيل» خبر محذوف، أو مبتدأ خبره: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ وقوله ﴿مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ حال من الهاء، إذ لا عمل للمصدر فيما بعد خبره، أو هو الخبر ولا ريب فيه «حال من «الكتاب» أو إعتراض والهاء لمضمون الجملة، أي: في تنزيله منه، ويعضده:

[٣] - ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ لأنه إنكار لكونه منه وكذا: ﴿بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ لأنه تقرير له أشار به «الم» إلى إعجازه، ثم أثبت أن تنزيله منه، وقرر ذلك بنفي الريب عنه، ثم أضرب عن ذلك به «أم» المنقطعة إلى انكار قولهم فيه بخلاف ذلك، ثم أضرب عنه إلى اثبات أنه الحق المنزل منه ﴿لِنُنْزِلَهُ﴾ علة لـ «تنزيل» ﴿قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ رسول بشريعة ولا ينفي وجود وصي فيهم حافظ لشرع رسول سابق ظاهر أو مستتر، لامتناع خلو الزمان من حجة ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ بإنذارك .

[٤] - ﴿اللَّهُ﴾ مبتدأ، خبره: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ فسر في الأعراف^(١) ويجوز كونه صفة، والخبر: ﴿مَا لَكُمْ مِّن دُونِهِ﴾ إذا جاوزتم رضاه ﴿مِن وَلِيِّي﴾ ينصركم ﴿وَلَا شَافِعَ﴾ يشفع لكم ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ تتعظون بذلك.

[٥] - ﴿يُذِيبُ الْأَمْرَ﴾ أمر الدنيا مدة حياتها وأيامها، فينزله ﴿مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَرْجِعُ الْأَمْرَ كُلَّهُ إِلَيْهِ﴾ بعد فنانها ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ في الدنيا، وهو يوم القيامة.

وقيل: ينزل الوحي مع «جبرائيل» ثم يرجع إليه ما كان من قبوله أو رده مع «جبرائيل»، وذلك في وقت هو كألف سنة، لأن مسافة نزوله وعروجه مسير ألف سنة إذا ما بين السماء والأرض مسير خمسمائة سنة.^(٢)

وقيل: يقضي قضاء ألف سنة فينزل به الملك ثم يرجع بعد الألف لألف آخر.^(٣)

[٦] - ﴿ذَلِكَ﴾ الخالق المدبّر ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ ما غاب عن الخلق وما حضر ﴿الْقَزِينُ﴾ المنيع في ملكه ﴿الرَّحِيمُ﴾ بعباده.

[٧] - ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ أحكمه وأتقنه، أو علم كيف يخلقه من قولهم فلان يحسن كذا أي يعلمه ﴿خَلَقَهُ﴾^(٤) بدل إشتمال من «كل شيء»، وفتح «نافع» والكوفيتون «اللام على الوصف»،^(٥) فالشيء مخصوص بمتصل، وعلى الأول بمنفصل ﴿وَبَدَأَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ آدم ﴿مِّن طِينٍ﴾.

(١) سورة الأعراف: ٧/٥٤.

(٢) تفسير الكشاف ٣: ٥٠٨.

(٣) تفسير البياضوي ٤: ٣٤.

(٤) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «خَلَقَهُ».

(٥) حجة القراءات: ٥٦٨.

[٨] - ﴿ثُمَّ جَعَلْ نَسْلَهُ﴾ ما أنسل منه وأنفصل أي ذريته ﴿مِنْ سُلَالَةٍ﴾ صفوة، أنسلت من الصلب ﴿مِنْ مَاءٍ مَّهِينٍ﴾ حقير أي النطفة، وهو بدل من «سلالة» أو صلتها فيراد بها العلقة .

[٩] - ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ﴾ قومه وأتم تصويره ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾ إضافة تشريف، وتفيد أنه خلق عجيب لا يعلم كنهه إلا الله كآية ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾^(١) ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ الْعَدْلَ إِلَى الْخَطَابِ تَنْبِيْهًا عَلَى جَسَامَةِ﴾^(٢) نعم الجوارح ﴿السَّمْعِ﴾ أي الإسماع ﴿وَالْأَبْصَارِ وَالْأَفْئِدَةِ﴾ القلوب ﴿قَلِيلًا مَّا﴾ زائدة أي شكراً قليلاً ﴿تَشْكُرُونَ﴾ .

[١٠] - ﴿وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾ غبنا فيها بالدفن، أو بأن صرنا تراباً مخلوطاً بترابها .

وعن «علي» عليه السلام و«ابن عباس» كسر اللام^(٣) وقرأ «ابن عامر» «إذا» خبراً^(٤) وناصبها ما دل عليه ﴿أَتِنَّا لَقِيَ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أي نبعث . وقرأ «نافع» و«الكسائي» «أنا» خبراً^(٥) ﴿بَلْ هُمْ يَلْقَاءُ رَبَّهُمْ﴾ بالبعث ﴿كَافِرُونَ﴾ جاحدون .

[١١] - ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمُ﴾ يقبض^(٦) ارواحكم لا يبقِي منها شيئاً أو منكم أحداً ﴿مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ للجزاء .

[١٢] - ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ خجلاً وندامة، قائلين : ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا﴾ صدق وعدك ﴿وَسَمِعْنَا﴾ منك تصديق رسلك ﴿فَارْجِعْنَا﴾ الى الدنيا ﴿نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ الآن، فما ينفعهم ذلك .

(١) سورة الإسراء : ٨٥ / ١٧ .

(٢) الجسامة : العظمة .

(٣) تفسير الكشاف : ٥٠٩ : ٣ .

(٤) تفسير البيضاوي ٣٤ : ٤ .

(٦) في «ج» : يقبض .

وجواب «لو» [محذوف تقديره: ^(١)] لرأيت أسوء حال. والمضي فيها وفي «إذ» لتحقيق الوقوع، ولا مفعول لـ «ترى» إذ معناه لو رميت ببصرك أو مقدر دل عليه صلة «إذ» والخطاب له صلى الله عليه وآله وسلم، أو لكل أحد.

[١٣] - ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ بالإلجاء والقصر ﴿وَلَكِنْ﴾ بنينا الأمر على الاختيار، فلذلك: ﴿حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾ وعيدي لمن إختاروا الضلال وهو: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ باختيارهم نسيان العاقبة وترك التفكير فيها كما يفيد:

[١٤] - ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ بفعلكم ما أذهلكم عنه من الإنهماك في المعاصي، أو بترككم التفكير فيه.

وهذا مفعول «ذوقوا» أو صفة «يومكم» والمفعول مقدر أي العذاب ﴿إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾ جازيناكم بنسيانكم، أو تركناكم من الرحمة وفي استنافه وبناء الفعل على «إن» واسمها مبالغة ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من الكفر والمعاصي.

[١٥] - ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا﴾ وعظوا ﴿بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا﴾ خشية وتواضعا لله ﴿وَسَبَّحُوا﴾ نزهوه عما لا يليق به، متلبسين ﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ شكراً على نعمه ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ ^(٢) عن عبادته.

[١٦] - ﴿تَتَجَافَى﴾ ترتفع وتنحى ﴿جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ الفرش ومواقع الإضطجاع للتهجد أي صلاة الليل ﴿يَدْعُونَ﴾ داعين ﴿رَبَّهُمْ خَوْفًا﴾ من عذابه ﴿وَطَمَعًا﴾ في رحمته ﴿وَمِمَّا زَكَّاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ في سبيل الخير.

وقيل: نزلت في الذين لا ينامون حتى يصلون صلاة العتمة. ^(٣)

(١) الزيادة من تفسير البضاوي ٤: ٣٤.

(٢) هذه الآية من الآيات التي تجب السجدة لقراءتها.

(٣) تفسير مجمع البيان ٤: ٣٣١.

[١٧] - ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ﴾ لا ملك ولا نبي ﴿مَّا﴾ الَّذِي أَوْ آيَ شَيْءٍ ﴿أَخْفَى﴾ خبيء^(١) وأذخر ﴿لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ مما تقر به أعينهم مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

وعن «الصادق» عليه السلام: كل حسنة لها ثواب ميسر إلا صلاة الليل فإن الله لم يبين ثوابها لعظم خطرهما، قال: ﴿فلا تعلم نفس﴾ الآية، ^(٢) وقرأ «حمزة» «أخفى» مضارع أخفيت ^(٣) ﴿جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ علة لـ «أخفى» أو مصدر أي جزوا جزاءً.

[١٨] - ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا﴾ إنكار بمعنى النفي، ويؤكد صريحاً: ﴿لَا يَسْتَوُونَ﴾ عند الله، وجمع لمعنى «من».

[١٩] - ﴿أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ يُدْخِلُونَهَا﴾ أو هي نوع من الجنان ﴿نُزُلًا﴾ فسر في آل عمران ^(٤) ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[٢٠] - ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾ فسر في الحج ^(٥) ﴿وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾.

[٢١] - ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ﴾ مصائب الدنيا والقتل والأسر والفحط ﴿دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾ قيل عذاب الآخرة ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ أي من بقى منهم ﴿يَرْجِعُونَ﴾ يتوبون.

قيل: فاخر «الوليد بن عقبة» «علياً» عليه السلام يوم «بدر» فنزلت الآيات. ^(٦)

(١) خبأه: ستره.

(٢) تفسير مجمع البيان ٤: ٣٣١.

(٣) حجة القراءات: ٥٦٨.

(٤) سورة آل عمران ١٩٨/٣.

(٥) سورة الحج ٢٢/٢٢.

(٦) تفسير البضاوي ٤: ٣٥.

[٢٢] - ﴿وَمَنْ﴾ أي لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾ فلم يتدبرها و«ثم» لإستبعاد الأغراض مع وضوحها وإيضاحها سبيل النجاة بعد^(١) التذكير بها ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُتَقِمُونَ﴾ فالأظلم أحق بذلك .

[٢٣] - ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ كما آتيناك ﴿فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ﴾ شك ﴿مِنْ لِقَائِهِ﴾ من لقائك الكتاب ونحوه: ﴿وانك لتلقى القرآن﴾^(٢) أي لقيناك مثل ما لقيناه من الكتاب، أو من لقائك موسى ليلة الإسراء ﴿وَجَعَلْنَاهُ﴾ أي كتاب موسى ﴿هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ .

[٢٤] - ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَمَةً يَهْتَدُونَ﴾ الناس الى ما فيه من الدين ﴿بِأَمْرِنَا﴾ إياهم به أو بتوفيقنا ﴿لَمَّا صَبَرُوا﴾ وخففه «حمزة» والكسائي وكسر «لامه»^(٣) أي لصبرهم على الدين، أو عن الدنيا ﴿وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوْقِنُونَ﴾ .

[٢٥] - ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُم يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ فيميز المحق من المبطل ﴿فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من أمر الدين .

[٢٦] - ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ بين لفريش، الله أو ما دل عليه^(٤) ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ أي كثرة من أهلكنا ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ﴾ الأمم بكفرهم ﴿يَمْشُونَ﴾ حال من ضمير «لهم» ﴿فِي مَسَاكِينِهِمْ﴾ ويرون آثارهم في أسفارهم ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ لعبراً ﴿أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ سماع اعتبار .

[٢٧] - ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ التي جرز نباتها أي قطع وأذهب، لا ما لا تنبت بدليل: ﴿فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا نَأْكُلُ مِنْهُ﴾ من الزرع ﴿أَنْعَامُهُمْ﴾

(١) متعلق بالأغراض .

(٢) سورة النمل: ٦/٢٧ .

(٣) حجة القراءات: ٥٦٩ .

(٤) أي الناعل «الله» أو ما دل عليه .

كالعصف ﴿وَأَنْفُسُهُمْ﴾ كالحب ﴿أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ فيعلمون كمال قدرتنا .

[٢٨] - ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ﴾ النصر، أو الفصل بالحكومة بيننا وبينكم

﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في انه كائن .

[٢٩] - ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ وهو يوم

القيامة، قصدوا بسؤالهم عن وقته الإستعجال استهزاءً، فأجيبوا بما يمنع الإستعجال فينطبق الجواب على ما عرف من غرضهم .

وقيل: يوم «بدر» أو فتح «مكة»^(١) ويراد بـ«الذين كفروا» من قتل منهم فيه إذ

لم ينفعهم إيمانهم حال القتل ولا يمهلون .

[٣٠] - ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ تكرماً، وقيل: نسخ بآية السيف^(٢) ﴿وَانْتَظِرْ﴾ الغلبة

عليهم ﴿إِنَّهُمْ مُنْتَضَرُونَ﴾ الغلبة عليك .

(١) قاله مجاهد والحسن كما في تفسير البيضاوي ٣٦:٤ وتفسير الكشاف ١٧:٣ هـ وقاله الفراء

ومجاهد كما في تفسير مجمع البيان ٣٣٤:٤ .

(٢) قاله ابن عباس كما في تفسير مجمع البيان ٣٣٤:٤ .

الفهرست

٥	سورة التوبة
٤٥	سورة يونس
٦٧	سورة هود
٩٣	سورة يوسف
١٣١	سورة الرعد
١٣٥	سورة ابراهيم
١٤٩	سورة الحجر
١٦٣	سورة النحل
١٩٣	سورة الإسراء
٢٢١	سورة الكهف
٢٥٣	سورة مريم
٢٧٧	سورة طه
٢٠٧	سورة الأنبياء
٢٢١	سورة الحج
٢٥٢	سورة المؤمنون

٢٧٢	سورة النور
٤٠١	سورة الفرقان
٤٢١	سورة الشعراء
٤٤٥	سورة النمل
٤٦٧	سورة القصص
٤٩١	سورة العنكبوت
٥٠٥	سورة الروم
٥١٩	سورة لقمان
٥٢٩	سورة السجدة